موسوعة العقيدة

[٤]

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٧م

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

المجلد الرابع





حرف الشين

الشَّافي

◈ **التعريف لغة:**

الشافي: اسم فاعل من شفَى يَشْفي شِفَاءً وهو الإشراف على الشيء، ورفع المرض وبرؤه.

قال ابن فارس: «الشين والفاء والحرف المعتل يدل على الإشراف على الشيء؛ يقال: أشفى على الشيء إذا أشرفَ عليه. وسمِّي الشِّفاء شفاءً لغلَبته للمرض وإشفائه عليه»[1].

وشفاه الله من مرضه شفاء، ممدود. وأشفى على الشيء: أشرف عليه. وأشفى المريض على الموت. واستشفى: طلب الشفاء. وأشفيتك الشيء؛ أي: أعطيتكه تستشفى به. ويقال: أشفاه الله عسلًا، إذا جعله له شفاء[2].

◈ **التعريف شرعًا:**

الشافي: هو الذي يرفع الأذى والألم والآفات عن الأبدان، ويرفع الشبه والشكوك والشهوات عن الصدور، ولا يقدر على ذلك غيره سبحانه[3].

◈ **العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:**

يشترك المعنى اللغوي والشرعي في كون الشفاء رفعَ المرض وبرءَه، غير أن المعنى الشرعي يختص بالله ﷻ، ويدل على أن الشفاء المطلق من خصائص ربوبيته ولا يشاركه فيه أحد.

◈ **الحكم:**

يجب الإيمان بأن الله ﷻ هو الشافي، وأنه اسم من أسمائه الحسنى، ولا يجوز لأحد أن يتسمى به سواه؛ لاختصاصه وحده بالشفاء.

◈ **الحقيقة:**

حقيقة اسمه تعالى الشافي يدل على العلمية والوصفية، وأنه من كمال ربوبيته ورحمته على عباده بالشفاء، وأنه المختص بذلك وحده، فلا شفاء إلا شفاؤه. وشفاء الله ﷻ **نوعان**:

الأول: الشفاء المعنوي الروحي وهو

(١) مقاييس اللغة (٣/١٩٩) [دار الجيل].

(٢) الصحاح للجوهري (٧/٢٤٣ ـ ٢٤٤) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢١٩ ـ ٢٢٠) [مكتبة السوادي، ط١].

الشفاء من علل القلوب، ومن أمراض الشبه والشكوك والشهوات.

والنوع الثاني: الشفاء المادي وهو الشفاء من علل الأبدان، ومن آلامها وأسقامها[(١)].

الأدلة:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أتي به، قال: «**أذهب الباس ربّ النّاس، اشف وأنت الشَّافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[(٢)].

وعن عبد العزيز بن صهيب قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك رضي الله عنه فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكيتُ، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ قال: بلى، قال: «**اللَّهُمَّ ربّ الناس مُذهب الباس اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[(٣)].

هذه الأحاديث صريحة في أن الله عز وجل هو الشافي، حيث ورد على سبيل الإطلاق معرّفًا بالألف واللام محمولًا عليه المعنى مسندًا إليه، مرادًا به العلمية ودالًّا على كمال الوصفية[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله عز وجل الشافي»[(٥)].

وقال ابن تيمية ـ بعد سرده لأسماء الله الحسنى التي أوردها الترمذي ـ: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين: هو اسمه الشافي كما ثبت في الصحيح»[(٦)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «لا أعلم أن (الطبيب) من أسماء الله، لكن (الشافي) من أسماء الله، وهو أبلغ من (الطبيب)؛ لأن الطب قد يحصل به الشفاء، وقد لا يحصل»[(٧)].

المسائل المتعلقة:

يوصف الله عز وجل بالشفاء؛ لأن اسمه تعالى (الشافي) علم ووصف للدلالة على أن الله عز وجل هو الذي يرفع البأس والعلل عن الأبدان والصدور كما تقدم. ويدل على اتصاف الله عز وجل بالشفاء الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٤/ ١٧٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧]، وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة للقحطاني (١١٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٧٥)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٤٢).

(٤) انظر: أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنَّة لمحمود عبد الرزاق (٣/ ١٦) [ط١، ١٤٢٦هـ].

(٥) التوحيد لابن منده (٢/ ١٣٩) [مكتبة العلوم والحكم ط١، ١٤٢٣هـ].

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ].

(٧) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ١٥) [دار الوطن، دار الثريا، ١٤١٣هـ]. وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١١/ ٣٣).

فمن الكتاب: قوله تعالى ـ حاكيًا عن خليله إبراهيم عليه السلام ـ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة].

وفي «صحيح مسلم» في قصة أصحاب الأخدود، أن الغلام كان يداوي الناس، ويبرئ الأكمه والأبرص فسمع عنه جليس للملك، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: «ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله»[(١)].

الآثار:

١ ـ يجب على كل مكلف أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن لا شافي على الإطلاق إلا الله وحده، وأن الشفاء له، وبه ومنه، وأن الأدوية المستعملة لا توجب شفاء، وإنما هي أسباب قد يحصل التأثير بها وقد لا يحصل[(٢)].

٢ ـ وينبغي على كل العباد التوجه إليه وسؤاله الشفاء متوسلين إليه باسمه الشافي الدال على تمام ربوبيته وتصرفه في خلقه.

٣ ـ ويجب العلم بأن كون الشفاء بيده لا يمنع اتخاذ الأسباب النافعة بالتداوي، وطلب العلاج وتناول الأدوية المفيدة؛ إذ ذلك لا ينافي التوكل على الله واعتقاد أنه هو الشافي[(٣)].

مذهب المخالفين:

قد خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أيُّ اسم لا شافي ولا غيره، فالله عندهم لا يسمى بشيء، وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم شافٍ بلا شفاء، كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة، وحيٌّ بلا حياة... إلخ[(٤)].

الرد عليهم[(٥)]:

١ ـ أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، فلو كانت أعلامًا محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلًا عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٣٠٠٥).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٣٣) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٨٨، ٢٨٩) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٣٥) [مكتبة التخصصية المصرية، ط٣، ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٤ ـ ٣٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٥٢٦) [مؤسسة قرطبة ط١].

(٥) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (٢٩، ٣١) [دار الوطن، ١٤٢٤هـ].

٢ ـ قولهم هذا قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له، وشافٍ لمن لا شفاء بيده.

٣ ـ أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجتمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.

٤ ـ أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سمى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمود عبد الرزاق.

٢ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٤ ـ «الجامع لأسماء الحسنى»، لحامد أحمد الطاهر.

٥ ـ «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، للقحطاني.

٦ ـ «شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لحصة بنت عبد العزيز.

٧ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «تقريب التدمرية»، لابن عثيمين.

الشخص

التعريف لغة:

الشخص: هو كل ما له ارتفاع وظهور، من شَخَصَ الشيء يَشْخَصُ، وهو شاخص إذا ارتفع وبان[2].

قال ابن فارس: «الشين والخاء والصاد

---

(١) النقطة (٤)، انظر: التدمرية لابن تيمية (٢٠ ـ ٢١) [مكتبة العبيكان، ط٨، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٥٠) [دار إحياء التراث بيروت]، والصحاح (٣/ ١٧٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع في شيء»[(١)].

ويطلق الشخص (المصدر) على سواد الإنسان إذا ظهر من بعيد، وجمعه أشخاص[(٢)].

التعريف شرعًا:

الشخص في حق الله ﷻ صفة ذاتية ثابتة في السُّنَّة الصحيحة، تدلُّ على أن الله ﷻ أظهر من كل شيء وأعظم[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشترك المعنى اللغوي والشرعي في دلالة الشخص على الظهور والارتفاع، إلا أنه في الشرع في باب الصفات يدل على أرفع معنى وأكمله، فالله ﷻ أرفع وأظهر من كل شيء.

الحكم:

يجوز إطلاق الشخص على الله ﷻ وصفًا له على ما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه[(٤)].

الحقيقة:

حقيقة الشخص صفة ذاتية ثابتة في حق الله ﷻ يدل على كمال عظمته وجلال سلطانه، وعلى أنه أرفع وأظهر من كل شيء، لا يماثل شخصه بأشخاص المخلوقين؛ لأن الاتفاق في الوصف لا يلزم منه تماثل الأوصاف[(٥)].

الأدلة:

حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: لو رأيت رجلًا مع امرأتي؛ لضربته بالسيف؛ غير مصفح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة**»[(٦)].

والحديث صريح في إطلاق الشخص على الله ﷻ، ووجه ذلك كما بينه القاضي أبو يعلى هو أن قوله: «**لا شخص**» نفي من إثبات، وذلك يقتضي الجنس؛ كقولك: لا رجل أكرم من زيد يقتضي أن زيدًا يقع عليه اسم رجل، كذلك قوله: «**لا شخص أغير من الله**»

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٥٤) [دار الجيل].

(٢) تهذيب اللغة (٢/ ٤١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٣) انظر: صفات الله للسقاف (١٥١) [دار الهجرة، ط١]، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٨٩).

(٤) انظر: ابطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ١٦٤) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: صفات الله للسقاف (١٥١)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٨٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٦)، ومسلم (كتاب اللعان، رقم ١٤٩٩)، واللفظ له.

يقتضي أنه سبحانه وتعالى يقع عليه هذا الاسم[(١)].

۞ أقوال أهل العلم:

بوَّب البخاري في «صحيحه» قال: «باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا شخص أغير من الله»**»[(٢)].

قال الغنيمان: «ومقصد البخاري أن هذين الاسمين ـ أي: الشخص والغيرة ـ يخبر بهما عن الله تعالى وصفًا له؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أثبتهما لله، وهو أعلم الخلق بالله والله تعالى أظهر من كل شيء، وأعظم، وأكبر، وليس في إطلاق الشخص عليه محذور على أصل أهل السُّنَّة الذين يتقيدون بما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم»[(٣)].

وقال ابن القيِّم: «وفي قوله في حديث آخر: **«لا شخص أغير من الله»** والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص؛ بل هم أشرف عقولًا وأصح أذهانًا وأسلم قلوبًا»[(٤)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ حكم إطلاق الذات على الله تعالى:

ورد إطلاق لفظ الذات على الله مضافًا إليه في كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: **«لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله»**[(٥)] وكما في قول خبيب:

«وذلك في ذات الإلٰه وإن يشأ
يبارك على أوصال شِلوٍ ممزّع»[(٦)]

وفي قول بعضهم: «أصبنا في ذات الله» والمعنى في طاعة الله وتحقيق مرضاته، وذلك من خلال ما أمر به وأحبه، فإطلاق السلف لهذا اللفظ كان على هذا المعنى. وأما إطلاق المتكلمين وغيرهم من المتأخرين، ليس على هذا المعنى، وإنما كانوا يطلقونه على النفس باعتبار أن الصفات قائمة عليها، فإذا قالوا: (الذات) فقد قالوا التي لها الصفات، فعُلم بذلك الفرق بين إطلاق السلف للفظ (الذات) في حق الله تعالى، وإطلاق المتكلمين[(٧)].

۞ الفروق:

الفرق بين الذات والشخص:

الذات يطلق على حقيقة الشيء ونفسه وعينه، في حين أن الشخص يطلق على

---

(١) إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/ ١٦٦).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٣٩٩) [دار المعرفة، ١٣٧٩].
(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٨٦، ٢٨٩) [ط١، ١٤٠٢هـ].
(٤) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٥٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ].
(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٥٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧١).
(٦) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٤٥).
(٧) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٣٤، ٦/ ٣٤٢) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ].

الشيء الذي له علو وظهور فالذات إذن أعم من الشخص؛ لأنها تطلق على عموم الشيء، والشخص لا يطلق إلا على ما له علو وظهور.

مذهب المخالفين:

أنكرت المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة إطلاق صفة الشخص على الله ﷻ، وزعموا أن مصطلح الشخص يطلق على الأجسام وهو محال على الله تعالى[1].

والصحيح الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة إثبات صفة الشخص لله ﷻ؛ لورودها على لسان رسول الله ﷺ وهو أعلم بالله من هؤلاء المعطلة، والحديث صحيح في الدلالة على إطلاق الشخص على الله ﷻ فيجب إثباته له كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إبطال التأويلات»، للقاضي أبي يعلى ابن الفراء.

٢ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ ـ «أقاويل الثقات»، للمقدسي.

٤ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

٥ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٦ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٧ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٧)، لابن تيمية.

٨ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ ـ «إيضاح الدليل»، لبدر الدين بن جماعة.

شد الرحال

يراجع مصطلح (زيارة القبور).

الشِّرك

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر: يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، ؛ إذا جعلته شريكًا لك»[2]، وَجَمْعُ الشَّرِيك شُرَكَاء، **ويطلق الشرك على المعاني الآتية:**

(١) انظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة (١٩٣) [دار السلام، ط١، ١٩٩٠م]، وأساس التقديس للرازي (١٢١) [مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٤٠٦هـ]، شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٤٤٢) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

١ ـ المخالطة، والمشاركة[(١)].

٢ ـ التسوية بين شيئين[(٢)].

٣ ـ النصيب والحظ[(٣)].

التعريف شرعًا:

هو صرف ما هو من خصائص الألوهية والربوبية إلى غير الله تعالى[(٤)].

ومما يشهد له من أقوال العلماء ما يلي:

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلامه عن المشرك: «فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه فهو مشرك»[(٥)]، وقال أيضًا: «أصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده»[(٦)].

٢ ـ وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «كل شرك بالله بأن يجعل لله عدلًا بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد»[(٧)].

٣ ـ وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «الشرك: هو أن يفعل لغير الله شيئًا يختص به سبحانه»[(٨)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «حقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلٰهية»[(٩)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الشرك في اللغة يطلق على معنى المقارنة والمشاركة والتسوية، أطلق في الشرع بهذا المعنى على التسوية بين الله تعالى وبين غيره في كل ما هو مختص بالله تعالى.

الحكم:

الشرك بالله تعالى هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، كما قال ﷺ: «**أكبر الكبائر، الإشراك بالله**»[(١٠)]، إلا أن الشرك ليس على درجة واحدة في التحريم؛ إذ إن منه ما هو مخرج من ملة الإسلام، وهذا بلا شك هو أعظم الذنوب على الإطلاق، ومن الشرك ما لا يصل إلى الخروج من ملة الإسلام، وإنما هو دون ذلك، كما سيتضح ذلك عند الكلام على أقسام الشرك.

الحقيقة:

ـ **حقيقة الشرك:** هي تشبيه للمخلوق

(١) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/١١٤٤)، ولسان العرب (٧/٩٩).
(٣) انظر: لسان العرب (٧/٩٩ ـ ١٠٠).
(٤) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (٧٣).
(٥) مجموع الفتاوى (١٣/١٩) [مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف].
(٦) الاستقامة لابن تيمية (١/٣٤٤) [مكتبة ابن تيمية].
(٧) إعلام الموقعين (١/٣٣٤) [دار الباز، مكة المكرمة].
(٨) الدر النضيد للشوكاني (١٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٣٠هـ].
(٩) تفسير السعدي (٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(١٠) أخرجه البخاري (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩١٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

بالخالق ﷻ، فيما هو مختص بالله تعالى؛ فمن أشرك مع الله أحدًا فقد شبهه بخلقه، سواء كان ذلك بصرف العبادة لغيره، أو بتشبيه غيره به في ربوبيته أو أسمائه وصفاته أو بعض حقوقه سبحانه، وإذا كان من الشرك الأكبر فهو أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

الأدلة:

أدلة تحريم الشرك في القرآن وبيان خطورته كثيرة ومتنوعة، **من ذلك:**

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف] وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة: قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»[(١)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[(٢)].

وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «**آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفَّت، والنقير**» الحديث[(٣)].

وفي حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؛ قال: **الرياء**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي رحمه الله: «أصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله تعالى في الإلٰهية وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إنَّ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.

(٤) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم ١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

موجودًا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلهًا»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأصل الشرك أن تعدل بالله ـ تعالى ـ مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده»[(٢)].

ـ وقال ابن القيِّم رحمه الله ـ معرفًا الشرك بتعريف جامع ـ: «بأن يجعل لله عدلًا بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد»[(٣)].

الأقسام:

للشرك أنواع كثيرة، وصور متعددة يصعب حصرها، كما قال ابن القيِّم: «والشرك أنواع كثيرة، لا يحصيها إلا الله، ولو ذهبنا نذكر أنواعه لاتَّسع الكلام أعظم اتساع»[(٤)].

وقد تنوعت مسالك العلماء رحمهم الله في تعيين أقسام الشرك بالله تعالى، **وبيان ذلك كما يلي:**

أولًا: تقسيم الشرك تبعًا لأحكامه، من حيث الخروج من الإسلام وعدمه، وذلك على **نوعين:**

١ ـ الشرك الأكبر.

٢ ـ الشرك الأصغر.

وزاد بعض أصحاب هذا المسلك قسمًا ثالثًا وهو: الشرك الخفي، وإن كان داخلًا في كل من القسمين المتقدمين، إلا أنه لخفائه ودقة مسائله، قد يخفى على كثير من الناس، ويشتبه على آخرين فأبرزه بعض العلماء وجعلوه قسمًا ثالثًا.

وقد سلك هذا التقسيم كثير من العلماء؛ كابن القيِّم، وعبد الرحمٰن بن حسن، وغيرهما، ورجحه بعض الباحثين[(٥)].

ثانيًا: تقسيم الشرك تبعًا لتقسيم أنواع التوحيد:

فمن العلماء من قسمه إلى ثلاثة أقسام، **وذلك كما يلي:**

١ ـ الشرك في الربوبية.

٢ ـ الشرك في الأسماء والصفات.

٣ ـ الشرك في الألوهية والعبادة.

قال سليمان بن عبد الله: «اعلم أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد»[(٦)].

ومنهم من قسمه إلى قسمين، **وذلك كما يلي:**

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ١٨١) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ].

(٢) الاستقامة (١/ ٣٤٤) [جامعة الإمام، ط١].

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٢٥٢) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٧٦) [دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٣هـ].

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٦٨)، والجامع الفريد، الرسالة الثالثة (٣٩٢) [ط٤، ١٤٢٠هـ]، وكتاب مصرع الشرك والخرافة (١٧٨).

(٦) تيسير العزيز الحميد (٤٣).

١ ـ الشرك في الربوبية.

٢ ـ الشرك في الألوهية.

وقد سلك هذا التقسيم حسب أنواع التوحيد كثير من العلماء، منهم ابن تيمية، وسليمان بن عبد الله ـ كما تقدم ـ وغيرهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجماع الأمر أن الشرك نوعان: شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة»[١].

هذه هي أهم مسالك العلماء في تقسيمهم لأنواع الشرك، وإن كان من العلماء من سلك مسالك أخرى، سوى ما ذكر؛ كمن قسمه تبعًا لصوره، ومن قسمه تبعًا لمتعلقه والباعث عليه، إلى غير ذلك من المسالك المتعددة.

ولعل أرجح هذه المسالك هو تقسيم من قسمه تبعًا لأحكامه؛ إذ إن هذا التقسيم ورد ما يدل عليه عن النبي ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...**»[٢]، فهذا الحديث دلَّ على تسمية هذا النوع من الشرك، كما يدل على قسيمه وهو الشرك الأكبر.

۞ الفروق:

الفرق بين الشرك والكفر:

ـ أن الشرك والكفر، قد يعبَّر بهما جميعًا في معنى واحد، كما في قوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٣]، ولذا قال بعض العلماء أنهما كالإسلام والإيمان يعبر بأحدهما عن الآخر.

ـ أن كل شرك فهو كفر، وليس كل كفر شركًا؛ لأن المعرض عن الدين والمستهزئ به يوصف بالكفر لا بالشرك[٤].

۞ الآثار:

ـ حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة.

ـ الخلود الأبديّ في النّار لمن وقع في الشرك الأكبر.

ـ الشرك يسبب القلق والاضطراب والنّكد والكمد والخوف الدّائم والحزن اللّازم.

ـ المشرك لا يجد عونًا ومددًا من الله على ما يلقاه من مصائب الأقدار لأن عمله ليس لله.

ـ من وقع في الشرك الأكبر فهو عدوّ لله وللناس ولنفسه.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم ١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٢).

(٤) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٣٠)، ومجموع فتاوى ابن باز (١/٣٣ ـ ٣٤) [دار الوطن، ط١، ١٤١٦هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٦)، وكتاب مصرع الشرك والخرافة لخالد الحاج (١٨١).

ـ الشرك يدعو إلى كلّ رذيلة ويبعد عن كلّ فضيلة.

ـ الشرك يفرق الأمة ويمزقها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستقامة»، لابن تيمية.

٢ ـ «إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين»، لابن القيِّم.

٣ ـ «إغاثة اللهفان»، لابن القيِّم.

٤ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٥ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٦ ـ «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»، للشوكاني.

٧ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

٨ ـ «مجموع فتاوى ابن باز».

٩ ـ «مجموع فتاوى ابن تيمية».

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

الشرك الأصغر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف **أصلان**، **أحدهما**: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، **والآخر**: يدل على امتداد واستقامة، فالأول: الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكًا لك»[(١)]، وجمع الشَّريك شركاء، **ويطلق الشرك على المعاني الآتية:**

١ ـ المخالطة، والمشاركة[(٢)].

٢ ـ التسوية بين شيئين[(٣)].

٣ ـ النصيب والحظ[(٤)].

التعريف شرعًا:

الشرك الأصغر: هو كل ما ورد في الشرع تسميته شركًا، مما هو ذريعة ووسيلة إلى الشرك الأكبر.

وهذا التعريف قد جمع شرطين؛ **هما**:

ـ وروده في النصوص بلفظ الشرك وتسميته بذلك.

ـ أن يكون ذريعة إلى الشرك الأكبر.

ومما يشهد لهذا التعريف:

ـ ما جاء في فتاوى اللجنة الدائمة، حيث عرفوا الشرك الأصغر، بأنه: «كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه وجاء

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥).
(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٤٤)، ولسان العرب (٧/ ٩٩).
(٤) انظر: لسان العرب (٧/ ٩٩ ـ ١٠٠).

في النصوص تسميته شركًا»[١].

وهناك من قال: لا يمكن تعريف الشرك الأصغر بتعريف جامع مانع، لكثرة أفراده وتنوعها، وإنما يوضح هذا النوع بذكر أمثلته، وهذا هو ظاهر كلام ابن القيِّم، حيث عرَّف الشرك الأكبر وأما الأصغر، فقد وضحه بأمثلته، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله»[٢].

وقد رجح هذا القول بعض المتأخرين من الباحثين[٣].

إلا أن كثيرًا من العلماء يرون أنه يمكن تعريف الشرك الأصغر ـ وإن تنوعت أفراده وتعددت صوره ـ، ثم اختلفت عباراتهم في تعريفه، **وذلك كما يلي:**

١ ـ الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة منافية لكمال التوحيد، يتوصل بها إلى الشرك الأكبر.

قال الشوكاني في تعريفه: «كل ما ينافي كمال التوحيد ويقدح فيه مما لم يبلغ حدِّ الشرك الأكبر»[٤].

وقال السعدي: «الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة»[٥].

٢ ـ الشرك الأصغر: هو ما ورد في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر.

قال الشيخ ابن قاسم: «والأصغر: هو ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حدَّ الشرك الأكبر»[٦].

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الشرك الأصغر فهو: ما ثبت بالنصوص من الكتاب أو السُّنَّة تسميته شركًا، ولكنه ليس من جنس الشرك الأكبر»[٧].

سبب التسمية:

وردت تسمية هذا النوع من الشرك على لسان رسول الله ﷺ كما في حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؛ قال: **الرياء**»[٨].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٥١٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٧٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: الشرك في القديم والحديث (١/١٦٧)، والعقيدة في الله للأشقر (٢٣٩) [مكتبة الفلاح، ط٤، ١٩٨٣م].

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني (٢٥) [دار الكتب العلمية، ١٩٣٠م].

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (١٢١) [دار الثبات، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٦) حاشية كتاب التوحيد (٥٠) [ط٣، ١٤٠٨هـ]، وانظر: الإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز العبد اللطيف (٣٠).

(٧) مجموع فتاوى ابن باز (١/٥٦) [دار الوطن، ط١، ١٤١٦هـ].

(٨) أخرجه أحمد (٣٩/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (رقم =

وهذا الحديث وإن كان ورد في تسمية الرياء بذلك، إلا أن العلماء أطلقوا هذا الاسم على غير الرياء؛ لورود ذلك عن بعض الصحابة ﭫ، ولتمييز ذلك عن الشرك الأكبر.

۞ الحكم:

حكم الشرك الأصغر:

الشرك الأصغر محرم؛ بل هو من أكبر الكبائر، فهو أكبر من الزنا ومن شرب الخمر، ونحوهما من الكبائر، إلا أنه لا يخرج من ملة الإسلام.

وقد وردت النصوص بالتحذير والتخويف منه؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، فالآية تشمل الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر[1].

حكم مرتكب الشرك الأصغر:

اختلف العلماء فيمن مات على الشرك الأصغر من غير توبة، هل يدخل تحت المشيئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، **على قولين للعلماء:**

ـ **القول الأول:** أن الشرك بنوعيه لا

= ١٤٨٤) [دار أطلس، ط٣]، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٥٠).

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٦، ١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

يغفره الله إلا بالتوبة منه، فلا يدخل تحت المشيئة، لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

ـ **القول الثاني:** أن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة، بخلاف الأكبر، وإن كان قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ دالًّا على العموم، لكنه عموم مراد به خصوص الشرك الأكبر دون الأصغر؛ لأنه غالبًا ما يرد في القرآن هذا لفظ ويراد به الشرك الأكبر دون الأصغر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة]، فهذه الآية لا يدخل فيها الشرك الأصغر بالإجماع؛ لأن تحريم الجنة، والخلود في النار، إنما هو لمن مات على الشرك الأكبر.

وقد رجح هذا القول العلامة ابن القيِّم[2]، وهو القول الثاني لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، ومال إليه الشيخ عبد الرحمٰن السعدي.

ومما يؤيد هذا القول: أن الموازنة لا تقع في أنواع الشرك، وإنما هي واقعة بين الحسنات والسيئات[3].

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٥٩).

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥ ـ ٤٧) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/١١٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

الحقيقة:

الشرك الأصغر فيه تعلق بالمخلوق، وإن كان هذا التعلق ليس تامًّا ولم يقصد صاحبه التسوية التامة بين الخالق والمخلوق من جميع الوجوه ـ وهذا الذي ميزه عن الشرك الأكبر ـ مع ذلك فقد خافه النبي ﷺ على أصحابه أن يقعوا فيه؛ لأنه يقود العبد إلى ما هو أعظم منه وهو الشرك الأكبر، لذا نجد النبي ﷺ قد فصل في ذكر أمثلته وعرض صوره لكي تحذر أمته من الوقوع فيها، **ومن صور الشرك الأصغر:**

١ ـ الشرك في الألفاظ: كالحلف بغير الله ﷻ، وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان.

٢ ـ الشرك في الأفعال: كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وتعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها، إذا اعتقد أنها أسباب لرفع البلاء أو دفعه.

٣ ـ الشرك في الإرادات والنيات كالرياء والسمعة.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝١١٠﴾ [الكهف]، فالآية تشمل الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، وقد احتج بها ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف على الشرك الأصغر[1]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [الروم].

ومن السُّنَّة: قول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؛ قال: **الرياء**»[2].

وقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[3]، وقوله ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[4].

أقوال أهل العلم:

ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[5].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٦، ١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ]. وأثر ابن عباس: أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٢٥١)، والترمذي (أبواب النذور والأيمان، رقم ١٥٣٥) وقال: «هذا حديث حسن»، وأحمد (٩/ ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الأيمان، رقم ٤٣٥٨)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (رقم ٢٥٦١).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/ ١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب الأيمان =

ـ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق، وخفي وجلي»[(١)].

ـ وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة، فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، والمخففة: الشرك الأصغر كيسير الرياء والتصنع للمخلوق»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ كفارة الشرك الأصغر:

ورد النص على كفارة بعض أنواع الشرك الأصغر، **فمن ذلك:**

١ ـ ما ورد في كفارة الحلف بغير الله:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ: «**من حلف فقال في حلفه: واللَّات والعزى، فليقل: لا إلٰه إلا الله**»[(٣)].

قال سليمان بن عبد الله: «وأما كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول: لا إلٰه إلا الله؛ فلأن هذا كفارة له مع استغفاره، كما قال في الحديث الصحيح: «**من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل: لا إلٰه إلا الله**»، وفي رواية: «**فليستغفر**»[(٤)]، فهذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم حيث حلف به، لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره»[(٥)].

٢ ـ ما ورد في كفارة الطيرة:

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرة عن حاجة، فقد أشرك**»، قالوا: يا رسول الله! ما كفارة ذلك؟ قال: «**أن يقول أحدهم: اللَّهُمَّ لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إلٰه غيرك**»[(٦)].

الفروق:

الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر:

ذكر العلماء فروقًا كثيرة بين هذين النوعين من الشرك، **أهمها ما يلي:**

١ ـ أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢ ـ أن الشرك الأكبر محبط لجميع

= والنذور، رقم ١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الأيمان والنذور والكفارات، رقم ١٢٢٨١) [مكتبة الرشد، ط١].

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (٢/ ٢٥٤) [دار العطاء، الرياض ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٦٠)، ومسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٤٧).

(٤) لم نقف على هذه الرواية في شيء من كتب السُّنَّة.

(٥) تيسير العزيز الحميد (٥٩٣).

(٦) أخرجه أحمد (١١/ ٦٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن السّني في عمل اليوم والليلة (٢٥٤) [دار القبلة]، قال الهيثمي: «فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد (٥/ ١٠٥) [مكتبة القدسي]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٥٤).

الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣ ـ أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤ ـ أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب[1].

الآثار:

- الوقوع في غضب الله ومساخطه.
- يفسد القلوب ويوهنها ويجعلها متعلقة بغير الله.
- أن الله يتركه ولا يعينه.
- أن صاحبه متوعَّد بعدم المغفرة إن لم يتب منه.
- أنه طريق إلى الشرك الأكبر وذريعة إليه.
- حبوط الأعمال التي يخالطها.
- أنه يبعد صاحبه عن الله ويقربه إلى الشيطان.

المصادر والمراجع:

١ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٢٦، ١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥ ـ ٤٧) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ]، والشرك في القديم والحديث (١٧٦) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٦هـ].

٢ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٣ ـ «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم.

٤ ـ «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»، للشوكاني.

٥ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

٦ ـ «العقيدة في الله»، لعمر الأشقر.

٧ ـ «القول السديد شرح كتاب التوحيد»، للسعدي.

٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ «مجموع ابن باز».

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

الشرك الأكبر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول: الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء؛ إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكًا لك»[2]، وجمع الشَّريك شركاء، **ويطلق الشرك على المعاني الآتية:**

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥).

١ ـ المخالطة، والمشاركة[1].

٢ ـ التسوية بين شيئين[2].

٣ ـ النصيب والحظ[3].

التعريف شرعًا:

الشرك الأكبر: هو صرف ما هو من خصائص الألوهية والربوبية لغير الله تعالى[4].

أو هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية والألوهية، أو نسبة شيء منهما إلى غيره.

وقد تعددت أقوال العلماء في تعريفهم للشرك الأكبر، **وذلك كما يلي**:

١ ـ فقيل: هو: أن يتخذ من دون الله ندًّا، يحبه كما يحب الله، قاله ابن تيمية، وابن القيِّم[5] رحمهما الله.

٢ ـ وقيل: هو أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلٰهية، قاله بعض العلماء كالشيخ السعدي وغيره[6].

٣ ـ وقيل: هو: اتخاذ العبد من دون الله ندًّا، يسويه برب العالمين، يحبه كحب الله، ويخشاه كخشية الله، ويلتجئ إليه ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه، أو يطيعه في معصية الله، أو يتبعه على غير مرضاة الله، وغير ذلك[7].

سبب التسمية:

سمى العلماء هذا الشرك بهذا الاسم؛ تمييزًا له عن الشرك الأصغر، الذي لا يخرج من ملة الإسلام، وإن كان هذا النوع من الشرك هو المراد عند إطلاق هذا اللفظ في الكتاب والسُّنَّة.

الأسماء الأخرى:

ـ الشرك المخرج من الملة.

الحكم:

الشرك الأكبر هو أعظم ما نهى الله عنه على وجه الإطلاق، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، موجب للخلود في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾، [المائدة: ٧٢]، ولا يقبل معه عمل؛ بل هو محبط لجميع الأعمال، كما قال

(١) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/١١٤٤)، ولسان العرب (٧/٩٩).

(٣) انظر: لسان العرب (٧/٩٩ ـ ١٠٠).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٧/١٠٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١]، والأسئلة والأجوبة في العقيدة لصالح الأطرم (٢٨) [دار الوطن، ط١، ١٤١٣هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/١٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف]، ومدارج السالكين (١/٣٦٨) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٦) تفسير السعدي (٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٧) أعلام السُّنَّة لحافظ حكمي (٤١) [دار أحد، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ].

تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام].

الحقيقة:

- حقيقة هذا النوع من الشرك: هو تأليه غير الله بالخوف منه والرجاء له والتعظيم والمحبة له وسؤاله والرغبة إليه[(١)].

ويقول ابن القيِّم: «حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلٰهية.

فإن من خصائص الإلٰهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبَّهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فضلًا عن غيره شبيهًا بمن له الأمر كله، فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات»[(٢)].

فحقيقة الشرك بالله إذا: «أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلٰهية»[(٣)].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٤٨٧).

(٢) الجواب الكافي لابن القيم (١/١٣٦) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٨هـ].

(٣) تفسير السعدي (٢٩٧).

المنزلة:

خطورة الشرك الأكبر:

تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك، والتحذير منه، وبيان خطره، وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة، لا سيما الشرك الأكبر، **وفيما يلي بيان أهم ذلك:**

١ ـ أن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب من الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٢ ـ أن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

٣ ـ الشرك يحبط جميع الأعمال؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام].

٤ ـ أن المشرك حلال الدم والمال؛ قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

٥ ـ أن الشرك هو أكبر الكبائر؛ قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»[(٤)].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

الأدلة:

أدلة تحريم الشرك الأكبر في القرآن وبيان خطورته كثيرة ومتنوعة، **من ذلك**:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة: قول النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[٢].

وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «**آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير**» الحديث[٣].

أقوال أهل العلم:

قال ابن بطال رحمه الله: «لا إثم أعظم من الشرك»[٤].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «الشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر... فلما كان الشرك بالله منافيًا بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملًا أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقيل له عثرة، فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه ندًّا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه»[٥].

- وقال ابن حجر رحمه الله: «الشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي»[٦].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.

(٤) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٢٦٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٥) الجواب الكافي (١٢٨ ـ ١٢٩).

(٦) فتح الباري (١٢/ ٢١٠).

الأقسام:

ينقسم الشرك الأكبر إلى قسمين:

١ ـ شرك في الربوبية؛ كشرك النصارى الذين جعلوا الله تعالى ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلٰهًا، وأمه إلهًا. وشرك المجوس: القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة[١].

٢ ـ شرك في الألوهية؛ كمن يقع في شرك الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة؛ بل هو لب العبادة، ولذلك أمر الله بدعائه وحده، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر]. ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيًّا أو ملكًا أو وليًّا أو قبرًا أو حجرًا، أو غير ذلك من المخلوقين، فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أسباب ظهور الشرك الأكبر:

لظهور الشرك الأكبر، أسباب كثيرة ومتنوعة، **وأهمها ما يلي:**

١ ـ الغلوّ في الصالحين:

ويكون بتنزيلهم منزلة فوق منزلتهم فيصرف لهم شيء من حقوق الله، وهذا الأمر جلي وواضح، يبيِّنه أصل الشرك الذي حدث لقوم نوح وإبراهيم عليهما السلام، ولهذا سد الرسول ﷺ هذا الطريق.

٢ ـ تقليد الآباء والأجداد:

يعد تقليد الآباء والأجداد والتعصب لما كانوا عليه من الضلال، من أعظم أسباب الشرك بالله تعالى، فقد تمسك المشركون بهذه الشبهة، وقابلوا بها الرسل عليهم السلام في دعوتهم لهم إلى توحيد الله، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾ [الزخرف].

٣ ـ تصوير المجسمات وذوات الأرواح:

التصوير سببٌ من أسباب الشّرك، ووسيلةٌ إلى الشّرك الذي هو ضدّ التّوحيد، كما حدث لقوم نوح لَمّا صوّروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم، وآل بهم الأمر إلى أنْ عبدوهم من دون الله، فأوّلُ شركٍ حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التّصوير.

ولخطر التصوير وعظم جرم فاعله وردت النصوص الشرعية بتحريمه.

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/٧٣)، والفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧٦).

٤ ـ الجهل بالدين:

فالجهل أحد أسباب حصول كثير من صور الشرك عند بعض المسلمين، فهو آفة خطيرة، وداء عظيم، يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنن الهدى، ويؤدي إلى الضلال، ويوقع في المخالفات المتعددة[١].

ـ المسألة الثانية: وجوب اعتقاد كفر المشركين:

يجب على كل مسلم، يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يكفر من كفره الله من المشركين وغيرهم، ولا يجوز الشك في ذلك أو التردد فيه؛ بل لا يصح الإيمان إلا بذلك، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

فمن لم يكفر من كفره الله ورسوله ﷺ، أو شك في كفره، فهو ـ والعياذ بالله ـ كافر خارج عن ملة الإسلام، سواء كانوا يهودًا، أو نصارى، أو وثنيين أو غيرهم، كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: «الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً»[٢].

وقد جعل النبي ﷺ الكفر بذلك، شرطًا في عصمة الدم والمال، كما في قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله**»[٣].

فلا بد ـ مع التلفظ بالشهادتين ـ من الكفر بما يعبد من دون الله تعالى، والبراءة منه ومن أهله.

الفروق:

أ ـ الفرق بين الشرك الأكبر والكفر:

أن الشرك والكفر، قد يعبَّر بهما جميعًا في معنى واحد، كما في قوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٤]، ولذا قال بعض العلماء: إنهما كالإسلام والإيمان يعبر بأحدهما عن الآخر[٥].

والفرق بين الشرك الأكبر والكفر المخرج من الملة أن كل شرك فهو كفر، وليس كل كفر شركًا؛ لأن المعرض عن الدين والمستهزئ به يوصف بالكفر لا بالشرك.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٩١) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٩٧)، وكتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

(٢) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) (١/٢١٣) [الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٢).

(٥) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٣٠) [دار العلم والثقافة، مصر]، وتيسير العزيز الحميد (٥٦)، وكتاب مصرع الشرك والخرافة لخالد الحاج (١٨١).

ب ـ الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، **أهمها ما يلي:**

١ ـ أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢ ـ أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣ ـ أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤ ـ أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب[1].

الآثار:

ـ حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة.

ـ الخلود الأبديّ في النّار.

ـ المشرك يُستباح دمه وماله وعرضه بالسّبي.

ـ الشرك يسبب القلق والاضطراب والنّكد والكمد والخوف الدّائم والحزن اللّازم.

ـ المشرك لا يجد عونًا ومددًا من الله على ما يلقاه من مصائب الأقدار.

ـ أن المشرك عدوّ لله وللناس ولنفسه.

ـ الشرك يدعو إلى كلّ رذيلة ويبعد عن كلّ فضيلة[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أعلام السُّنَّة»، لحافظ الحكمي.

٢ ـ العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام، للشيخ عبد العزيز بن باز.

٣ ـ «تفسير السعدي».

٤ ـ «تفسير الطبري».

٥ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٦ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

٧ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٨ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «مصرع الشرك والخرافة»، لخالد الحاج.

الشرك الخفي

يراجع مصطلح (الشرك).

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٥١٨)، ومصرع الشرك والخرافة (١٨٠).

(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/٤٧٥٠) [دار الوسيلة، ط٤].

شرك الطاعة

التعريف لغة:

الطاعة لغة: مأخوذة من مادة (طوع)، قال ابن فارس: «الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدل على الإصحاب والانقياد. يقال: طاعه يطوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره. وأطاعه بمعنى طاع له. ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه»(١).

والطّوع: الانقياد، وضدّه الكره(٢).

التعريف شرعًا:

شرك الطاعة: هو طاعة غير الله في معصية الله تعالى في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن أطاع إنسانًا عالمًا أو عابدًا، أو غيره، في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، واعتقد ذلك بقلبه، فقد اتخذه ربًا»(٤).

الحكم:

حكم شرك الطاعة: أنه من اتخاذ الأرباب من دون الله، فمن أطاع غير الله في معصية الله، أو في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، واعتقد ذلك بقلبه: فقد اتخذ ذلك المتبوع ربًّا من دون الله.

وقد جعله الله ورسوله شركًا.

أما إن كان إيمانه بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنه أطاعه في معصية الله، كما يفعل المسلم فيما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب(٥).

الحقيقة:

حقيقة شرك الطاعة: هي «طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ، لعدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية»(٦). وعن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾. قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته»(٧).

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٤٣١) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ].
(٢) انظر: لسان العرب (٧/ ٢٤٠) [دار صادر، ط٣].
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٧ ـ ٩٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف]، والدرر السَّنية (٢/ ٧٠) [ط٦، ١٤١٧هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٤٣) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].
(٤) الدرر السَّنية (٢/ ٩)، والشرك بالله أنواعه وأحكامه (٥٣٧) [دار الإيمان، بدون]، والشرك في القديم والحديث (٢/ ١١٠٧) [مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ].
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠ ـ ٧١).
(٦) انظر: الرسالة لمحمد بن عبد الوهاب (٤٤) [طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد].
(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره لهذه الآية الكريمة (١٣/ ٣١١، ٣١٢) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ الآية [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، فَقَالَ ﷺ: «**أليسوا يحرِّمون ما أحل الله فتحرِّمونه، ويحلون ما حرم فتحلّونه؟** فقلت: بلى، قال: **فتلك عبادتهم**»[١].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «ثم ذلك المحرِّم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه. ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لا سيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول؛ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه»[٢].

وقال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]: «من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم. مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئًا ما جاء عن الله وعن رسوله، فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم وآباؤهم على الكفر»[٣].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «فمن أطاع العلماء في مخالفة أمر الله ورسوله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله باعتبار

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٩٥) وقال: غريب، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وضعف سنده الألباني، لكنْ ذكر له شواهد يتقوى بها. انظر: السلسلة الصحيحة (٧/ ٨٦٢ ـ ٨٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

(٣) تفسير السعدي (٧٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط١].

التصرف الشرعي؛ لأنه اعتبرهم مشرعين واعتبر تشريعهم شرعًا يعمل به»[(١)].

۞ الأقسام:

أقسام شرك الطاعة:

ينقسم شرك الطاعة من حيث حكمه إلى **قسمين**:

١ ـ شرك أصغر وهو من شعب الشرك؛ كالطاعة في تعبيد الأسماء لغير الله؛ فإن ذلك من الشرك الأصغر في الطّاعة، إذا لم يقصد به معنى العُبودية والتأله.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف]. عن قتادة قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته»[(٢)].

قال الفوزان في تعليقه على قول قتادة: «وشرك الطاعة شرك أصغر لا يخرج من الملة ـ أي: في التسمية ـ لا سيما وأنهما لم يفعلا هذا قصدًا للمعنى، وإنما فعلاه من باب حب الولد، ومن أجل سلامته، ومع هذا سماه الله شركًا، فيكون شركًا ولو لم يقصده الإنسان»[(٣)].

٢ ـ شرك أكبر وهو شرك الطاعة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ويعتقد أن ذلك سائغ وذلك على حد قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة]. وتفسير النبي ﷺ لها في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئًا استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا حرّموه**»[(٤)]. وعن أبي البختري، قال: سئل حذيفة عن قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، أكانوا يعبدونهم؟ قال: «**لا، كانوا إذا حلّوا لهم شيئًا استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا حرّموه**»[(٥)].

---

(١) القول المفيد (٢/٢٥٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/٣١١، ٣١٢) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ].

(٣) إعانة المستفيد (٢/٢٨٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٩٥) وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (١٧/٩٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وذكر له الألباني شواهد وقال: فهو بمجموع طرقه حسن إن شاء الله تعالى. انظر: السلسلة الصحيحة (٧/٨٦٢ ـ ٨٦٥).

(٥) السُّنَّة لأبي بكر بن الخلال (٤/١١٨) [دار الفلاح للبحث العلمي].

فتلك الطاعة من الشرك الأكبر، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو طاعة العلماء والعباد، في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، لما سأله فقال: «**لسنا نعبدهم**»، فذكر له أن عبادتهم؛ طاعتهم في المعصية»[(١)].

قال الشيخ صالح الفوزان في تعليقه على معنى آية براءة: «فدل هذا على أن طاعة الأحبار والرهبان في تحريم الحلال وتحليل الحرام عبادة لهم، ويعتبر هذا من شرك الطاعة؛ لأن التحليل والتحريم حق لله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليست العبادة قاصرة على السجود والركوع والدعاء والذبح والنذر وغير ذلك مما يفعله الوثنيون؛ بل ويشمل طاعة المخلوقين في معصية الخالق سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومخالفته في تشريعه، يدخل هذا في ضمن العبادة، فالعبادة عامة ليست مقصورة على نوع أو أنواع من العبادة؛ بل هي شاملة لكل ما هو من حق الله، ومن ذلك: التحليل والتحريم»[(٢)].

۞ **المسائل المتعلقة:**

ـ المسألة الأولى: اتباع العلماء أو الأمراء في التحليل والتحريم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

«**الأول**: أن يتابعهم في ذلك راضيًا بقولهم، مقدمًا له، ساخطًا لحكم الله، فهو كافر؛ لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله، فهو كافر.

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيًا بحكم الله وعالمًا بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره؛ كأن يريد مثلًا وظيفة، فهذا لا يكفر، ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة[(٣)].

الثالث: أن يتابعهم جاهلًا، فيظن أن ذلك حكم الله، **فينقسم إلى قسمين**:

أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه، فهو مفرط أو مقصر، وهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

أن لا يكون عالمًا ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدًا ويظن أن هذا هو الحق، فهذا لا شيء عليه؛ لأنه فعل ما أمر به

(١) كتاب التوحيد، انظر: الدرر السَّنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٧٠)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١١٦)

(٣) وانظر: كتاب التوحيد مع إعانة المستفيد (٢/ ١٤٧)، والقول المفيد (٢/ ٢٥٦).

وكان معذورًا»[(١)].

قال ابن تيمية: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا؛ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على **وجهين**:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله؛ فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب»[(٢)].

- المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام]:

إن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسُّنَّة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، فقد اتخذه ربًّا ومعبودًا وجعله لله شريكًا، فشرك الطاعة يحصل متى ما وقع التشريك مع الرب في الأمر والنهي؛ لأن الرب ﷻ هو المالك المتصرف الذي يملك كل شيء ويتصرف فيه، ومن تصرفه الأمر والنهي، فيشرع لعباده شرعًا ويأمرهم أن يفعلوه، ويمنعهم من موانع ويعينها لئلا يقربوها.

ولا يجوز أن يشارك الرب ﷻ في هذا أحد من الخلق، فإن شاركه أحد من خلقه فقد نازعه في ربوبيته وملكه، ثم الذي يتبع هذا المخلوق في التحليل والتحريم والتشريع يكون متخذًا لهذا المخلوق ربًّا من دون الله، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلَّت عليه كلمة الإخلاص (لا إلٰه إلا الله)؛ فإن الإلٰه هو المعبود، وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم، وسماهم أربابًا[(٣)].

ولولا طاعة كل قوم لكبرائهم لما ضل من ضل من الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ٦٧﴾ [الأحزاب]، وطاعة من يحكم بغير شرع الله تعالى، ويخالف

(١) القول المفيد (٢/ ٢٦٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١٠٦)، وراجع: شرح فتح المجيد للغنيمان (الدرس رقم ٩٨).

حكم الله مع علمه بذلك، شرك بالله تعالى في الطاعة، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام]، قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه في اعتقاده: الذي هو محل الكفر والإيمان»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ۝١٢١﴾؛ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك»[(٢)].

الآثار:

- الوقوع في غضب الله ومساخطه.
- يفسد القلوب ويوهنها ويجعلها متعلقة بغير الله.
- أن الله يتركه ولا يعينه.
- حبوط الأعمال التي يخالطها.
- أنه يبعد صاحبه عن الله ويقربه إلى الشيطان.
- أن الله يتبرأ من المشركين.
- عدم المغفرة إن لم يتب منه.
- يورث الذلة والمسكنة والخضوع لغير الله.
- رفع الخير والبركة، ونزول الشر والمصائب والبلاء[(٣)].

مذهب المخالفين:

قال سيِّد قطب: «من أطاع بشرًا في شريعة من عند نفسه، ولو في جزئية صغيرة، فإنما هو مشرك. وإن كان في الأصل مسلمًا ثم فعلها؛ فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضًا... مهما بقي بعد ذلك يقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله بلسانه. بينما هو يتلقى من غير الله، ويطيع غير الله»[(٤)].

الرد عليه:

هذا فيه إخراج لمن أطاع الكبراء في معصية الله من الإسلام؛ بل حقيقة هذا الكلام يؤول إلى تكفير المسلمين حكامًا ومحكومين.

ومثل هذا التأصيل الخارجي يكون دافعًا قويًّا في انحراف كثير من الشباب، وتجاسرهم على تكفير المجتمعات المسلمة، فيجب الحذر من مثل هذه الانحرافات الخطيرة المدمرة.

يقول ابن العربي: «إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه في اعتقاده الذي هو محل الكفر والإيمان، فإذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٧٥) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ].

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/١٩٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٧٠ ـ ٧١)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/٢٥٦)، وإعانة المستفيد (٢/١٤٧).

(٤) في ظلال القرآن (٣/١١٩٨) [دار الشروق، ط١٧].

على التوحيد والتصديق فهو عاص، فافهموا ذلك في كل موضع»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٢ ـ «تفسير ابن كثير».

٣ ـ «تفسير السعدي».

٤ ـ «تفسير الطبري».

٥ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٦ ـ «الدرر السَّنية»، جمع: عبد الرحمٰن بن قاسم.

٧ ـ «الشرك بالله أنواعه وأحكامه»، لماجد الشبالة.

٨ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

٩ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

شرك النية والقصد

التعريف لغة:

ـ **النية**: مصدر للفعل (نوى ـ ينوي)، بمعنى قصَد الشيء وعزم عليه، ونوى القوم منزلًا؛ أي: قصدوه، ونوى الأمر ينويه: إذا قصد إليه. ويقال: نواك الله بالخير؛ أي: أوصله إليك. ويقال: نوى الشيء ينويه؛ أي: عزم عليه. وقيل: النوى التحوُّل من دار إلى دار.

قال ابن فارس: «هو الأصل في المعنى، ثم حملوا عليه الباب كله، فقالوا: نوى الأمر ينويه إذا قصده، والنية: الوجه الذي تنويه»[(٢)]. وقيل: النية: هي الإرادة[(٣)].

وعلى هذا؛ فالنية تدور على القصد والعزم والإرادة والجهة والتحول.

ـ **القصْدُ** مصدر للفعل (قَصَدَ)، قال ابن فارس: «القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأَمِّه، والآخر على اكتناز في الشيء»[(٤)]. وقال الفيروزآبادي: «القَصْدُ: اسْتِقامَةُ الطريقِ، والاعْتِمادُ، والأَمُّ، قَصَدَه، وله، وإليه، يَقْصِدُه»[(٥)].

التعريف شرعًا:

الشرك في النية والقصد: هو التقرب إلى غير الله، وإرادته بالعمل، وطلب الجزاء منه[(٦)].

---

(١) أحكام القرآن (٢/٢٧٥) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٥/٣٦٦) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ].

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (١/١٢٧) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(٤) مقاييس اللغة (٥/٩٥) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ].

(٥) القاموس المحيط (٣١٠) [مؤسسة الرسالة، ط٨].

(٦) انظر: الجواب الكافي (٩٤).

وقيل هو: أن يريد الإنسان بالعمل الذي يبتغي به وجه الله مطمعاً من مطامع الدنيا[1].

سبب التسمية:

سُمي هذا النوع من الشرك بهذا الاسم لكونه مرتبطًا بنية الفاعل وقصده من فعله أو قوله، فنسب إلى ذلك.

الأسماء الأخرى:

- الشرك الخفي[2].
- شرك السرائر[3].
- شرك الأغراض.
- إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

الحكم:

لا يمكن الجزم بحكم معين لشرك النية والقصد، وذلك لتعدد صور هذا النوع من الشرك، ودقتها، فمنها ما يحكم عليه بالشرك الأكبر، المخرج من الملة، ومنها ما يكون من قبيل الشرك الأصغر.

فإذا نوى بأعماله التعبدية الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود]، وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة»[4].

الحقيقة:

حقيقة شرك النية والقصد: هو أن يقصد بالعمل الصالح نيل شيء من حظوظ الدنيا الفانية؛ كمن يحج لأجل أخذ المال، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنيمة، ونحو ذلك.

أما إذا كانت إرادة العبد كلها للدنيا، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة البتة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن الإيمان يستلزم إرادة العبد وجه الله والدار الآخرة بأعماله[5].

الأدلة:

ورد التحذير من شرك النية والقصد في جملة من النصوص، **فمن ذلك**:

قوله تبارك وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الفوزان (١٢٢) [دار ابن الجوزي ط٤، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: إعانة المستفيد (١/ ١٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) انظر: فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠/ ٧١٤).

(٤) انظر: الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم (١/ ٦)، وانظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (١/ ٧٨).

(٥) انظر: عدة الصابرين (٣٢٢ ـ ٣٢٣)، والقول السديد في مقاصد التوحيد (١٢٧ ـ ١٢٨).

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود].

قال القرطبي: «ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة قيدها وفسرها التي في (سبحان): ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]»(١).

وقد حذر الله تعالى من الرياء باعتباره شركًا في النية والقصد، وجعله من أخص صفات المنافقين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وتوعد المرائين بالويل، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٞ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون]، وعن أبي هريرة مرفوعًا قال: قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري؛ تركته وشركه**»(٢).

والأدلة في التحذير من شرك النية والقصد كثيرة لا يمكن حصرها في مثل هذا الموطن.

۞ أقوال أهل العلم:

لما كان هذا النوع من الشرك من أخطر أنواع الشرك، لكونه يتعلق بالنية والقصد، وقد يدخل على الإنسان وهو لا يشعر به، فيحبط عمله، فقد حذر العلماء منه، وبيَّنوا خطره، وفي ذلك يقول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته؛ جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء، وأما المؤمن؛ فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة»(٣).

وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأٓخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورى]: «يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه؛ يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرًا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورى]، يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير (١٥/ ٢٦٤) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

أرادوه في الدنيا حظ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[(١)].

وقال ابن القيِّم: «وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته»[(٢)].

۞ الأقسام:

ينقسم الشرك في النية والقصد إلى قسمين:

١ ـ **شرك أكبر**: وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود]، وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

٢ ـ **شرك أصغر**: وذلك أن يقصد بالعمل الصالح نيل شيء من حظوظ الدنيا الفانية؛ كمن يحج لأجل أخذ المال، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنيمة، ونحو ذلك[(٣)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حالات من يريد الدنيا بعمله:

١ ـ أن يقصد بالعمل الصالح نيل شيء من حظوظ الدنيا الفانية؛ كمن يحج لأجل أخذ المال، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنيمة، ونحو ذلك.

وهذا النوع قد ذكره بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ [هود].

٢ ـ أن يقصد بعمله الصالح، من صدقة وصلاة وصلة رحم، وجه الله تعالى، إلا أنه لا يريد ثوابه في الآخرة، وإنما نيته وقصده أن يثاب عليه في الدنيا، بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار؛ فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في

(١) تفسير الطبري (٢٠/٤٩١).
(٢) الجواب الكافي (٩٤).
(٣) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/٧١ ـ ٧٣) [دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ]، والجواب الكافي (٩٤)، والواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم (٦/١)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (١/٧٨).

الآخرة نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية المتقدمة[١].

٢ ـ أن يعمل أعمالًا صالحة ونيته رياء الناس لا طلبًا للثواب في الآخرة، وهذا القسم هو أخطر الأقسام، ويدخل في ذلك المنافق، حيث نيته وقصده رياء الناس، ولا قصد له في ثواب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

وللرياء صور متنوعة في دخوله على العبادة وكل صورة لها حكم معين، ليس هذا موضع الكلام عنها.

قال ابن رجب رحمه الله: «اعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضًا؛ كحال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة أو الحج الواجب أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء؛ فإن شاركه من أصله؛ فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وأما إن كان العمل لله، وطرأ عليه نية الرياء؛ فإن كان خاطرًا ثم دفعه؛ فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه؛ فهل يحبط عمله أو لا فيجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجّحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن وغيره»[٢].

ـ المسألة الثانية: أداء العمل الصالح محبة له وتلذذًا:

إذا فعل العبد الأمور الحسنة ـ كالإحسان إلى ذوي الحاجات، والعفو عن أهل الجنايات، والوفاء بالعهد، والصدقة، وأداء الأمانة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق التي تكون في بني آدم ـ محبةً لها، لا لله، ولا لغيره من الشركاء؛ بل لأجل هذه المحبة، لم يكن مذمومًا، ولا معاقبًا. ولا يقال إن هذا عمله لغير الله، فيكون بمنزلة المرائي والمشرك، فذاك هو الشرك المذموم، وأما من فعلها لمجرد المحبة الفطرية، فليس بمشرك، ولا هو أيضًا متقربًا بها إلى الله حتى يستحق عليها ثواب من عمل لله وعبده؛ بل قد يثيبه عليها بأنواع

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٢٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٣٨ ـ ٣٩)، وانظر: نواقض الإيمان الاعتقادية (٢/٢٠١).

من الثواب، إما بزيادة فيها، وفي أمثالها، فيتنعم بذلك في الدنيا. ولهذا كان الكافر يجزى على حسناته في الدنيا، وإن لم يتقرب بها إلى الله تعالى.

وهذا معنى قول بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. وقول الآخر لما قيل له: إنهم يطلبون الحديث بغير نية؟ فقال: طلبهم له نية؛ يعني: نفس طلبهم حسن ينفعهم[(١)].

- المسألة الثالثة: الارتزاق على أعمال البر:

اختلف أهل العلم في حكم الارتزاق بأعمال البر:

١ - فذهب بعضهم إلى أنه لا تصح الإجارة لأجل الطاعات، والأصل أن كل طاعة يختص بها المسلم، ولا تقع إلا قربة لفاعلها، لا يجوز الاستئجار عليها[(٢)]. وقالوا: والعبادة إنما تكون عبادة إذا ما قصد بها وجه الله، فأما ما يقع مستحقًّا بعقد إجارة أو جعالة، فلا يكون قربة[(٣)].

٢ - وخالف آخرون فقالوا: إن من عمل لله وحده، وأخلص في عمله إخلاصًا تامًّا، ولكنه يأخذ على عمله جعلًا ومعلومًا يستعين به على العمل والدين؛ كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والوظائف الدينية، فهذا لا يضره أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين، وقصد أن يكون ما حصل له معينًا على قيام الدين، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية؛ كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة[(٤)].

ولعلَّ الأظهر أن الارتزاق على أعمال البر لا يستحب، وإن قيل بجوازه؛ لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح في نفسه، إذا لم يقصد به إلا المال، فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة، فليس له في الآخرة من خلاق.

مع التنبيه إلى أن الآخذ يجب أن ينظر في نيته وقصده، لكي يخرج من

---

(١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٩١ - ٢٩٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٠هـ]، المستدرك على مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٠٤) [جمعه ورتبه: محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١/ ٥٢)، والشرح الكبير (١٤/ ٣٧٨)، وحاشية ابن عابدين (٩/ ٩٣، ٩٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٦ - ١٧)، والفروع لابن مفلح (٤/ ٤٣٥).

(٤) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (١٢٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٤)، والمغني (١٣/ ١٦٥)، وأخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي (٨٥ - ٨٦).

دائرة إرادة الدنيا، وعليه أن يستحضر أن يكون المقصود الأول، والباعث المحرك هو ما عند الله تعالى، وأن ما يأتي من الدنيا فهو تبع وضمن، لا أصل وقصد[1].

الآثار:

١ ـ إحباط العمل:

أخبر الله تعالى أن من وقع في شرك النية والقصد، بحيث كان قصده ونيته بالعمل الصالح غير الله تعالى، أو أراد أن يثاب على ذلك في الدنيا، فإن عمله يحبط ويبطل ولا يجازى عليه في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

٢ ـ تعجيل الثواب في الدنيا:

فمن أراد بعمله الدنيا دون الآخرة، فإن الله تعالى يعجل له ثوابه في الدنيا كما قال تعالي: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود] وأما في الآخرة فليس له ثواب؛ لأنه لم يرد بذلك الآخرة إنما أراد به الدنيا وقد وفِّي إليه ما أراد.

٣ ـ الوعيد بالنار في الآخرة:

حيث توعد الله من وقع منه ذلك النوع من الشرك، بالوعيد بالنار في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، وهذا بلا شك ظاهر في حق من بلغ به ذلك القصد الشرك الأكبر؛ كالمنافقين ونحوهم، وأما من لم يصل إلى ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى.

الحكمة:

لما كان الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة المرسلين عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البيِّنة]، وكان شرك النية والقصد على الضدِّ من ذلك؛ إذ إن صاحبه لا يريد به وجه الله تعالى، أو لا يريد به الثواب في الآخرة، جاءت النصوص بالزجر عنه وتحريمه، وبيان خطورته ليحذر المسلم منه أشدَّ الحذر[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

(١) انظر: مجلة الدراسات العقدية [العدد ٦، السنة الثالثة، ١٤٣٢هـ، ص٨١ ـ ٨٧].

(٢) الإخلاص والشرك الأصغر (٥ ـ ٩).

٤ ـ «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.

٥ ـ «الجواب الكافي»، لابن القيِّم.

٦ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٨ ـ «القول المفيد شرح كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ مجلة «الدراسات العقدية» (العددان: ٢، و٦).

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الشِّرك في الأسماء والصفات

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء؛ إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكًا لك»[1]، وَجَمْعُ الشَّرِيكِ شُرَكَاءُ، **ويطلق الشرك على المعاني الآتية:**

١ ـ المخالطة، والمشاركة[2].

٢ ـ التسوية بين شيئين[3].

٣ ـ النصيب والحظ[4].

التعريف شرعًا:

هو أن يسمي المخلوقين بأسماء مختصة بالله تعالى، أو يمثِّل الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق[5].

وقيل: «هو أن يجعل لله تعالى مماثلًا في شيء من الأسماء أو الصفات، أو يصفه تعالى بشيء من صفات خلقه»[6].

الحكم:

تمثيل الله تعالى أو أسمائه وصفاته، أو تشبيه شيء منها بأسماء المخلوقين أو صفاتهم كما يصف اليهود الله تعالى بصفات النقص التي يتصف بها المخلوقون؛ كوصفهم له بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك، وكما يصف النصارى بعض المخلوقات ـ كعيسى عليه السلام ـ بالصفات الإلٰهية التي لا يتصف بها إلا الخالق جل جلاله، وكذلك بعض الجهمية الذين جعلوا صفات الخالق من جنس صفات المخلوقين، هذا كله شرك أكبر

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).
(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/١١٤٤)، ولسان العرب (٧/٩٩).
(٤) انظر: لسان العرب (٧/٩٩ ـ ١٠٠).
(٥) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (١/٧٣) [وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ]، وتيسير العزيز الحميد (١/٥١٢) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].
(٦) تسهيل العقيدة الإسلامية لابن جبرين (١٥٤) [دار العصيمي، ط٢].

مخرج من ملة الإسلام؛ لما في ذلك من المخالفة الصريحة للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ودلالتها القطعية على نفي المشابهة. ووجود الاشتراك في مجرد اللفظ بين أسماء الخالق وصفاته وبين أسماء المخلوق وصفاته لا يلزم منه الاشتراك في حقيقة المعاني، فمن سمى غير الله باسم من أسماء الله تعالى معتقدًا اتصاف هذا المخلوق بما دلَّ عليه هذا الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفه بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به فهو مشرك في الأسماء والصفات.

وكذلك من وصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين فهو مشرك في الصفات[(١)].

الحقيقة:

حقيقة هذا النوع من الشرك هي تمثيل الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق، وتسمية المخلوقين بأسمائه المختصة به ﷻ. وهذا كله من الشرك في أسماء الله تعالى وصفاته؛ كمن يجعل لله شريكًا في أسمائه وصفاته التي لا تنبغي إلا له تعالى؛ كأن يصف المخلوق بالواحد القهار أو بالكمال المطلق، أو بعلم الغيب، أو بالعلو على العرش، أو بأنه ربُّ السماوات والأرض أو بغير ذلك مما لا ينبغي إلا لله تعالى.

أقوال أهل العلم:

قال نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا»[(٢)].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير؛ فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۭ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]»[(٣)].

وقال سليمان بن عبد الله رحمه الله: «قوله: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: يشركون؛ أي: يشركون غيره في أسمائه؛ كتسميتهم الصنم إلٰهًا، ويحتمل أن المراد الشرك في العبادة؛ لأن أسماءه تعالى تدل على التوحيد، فالإشراك بغيره إلحاد في معاني أسمائه ﷻ، لا سيما مع الإقرار بها، كما كانوا يقرون بالله ويعبدون غيره،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ].

(٢) أورده الذهبي في العلو (١٧٢) [مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٦هـ]، وصحح الألباني إسناده في مختصره لكتاب الذهبي (١٨٦).

(٣) التمهيد (٧/١٤٥) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ].

فهذا الاسم وحده أعظم الأدلة على التوحيد، فمن عبد غيره فقد ألحد في هذا الاسم، وعلى هذا بقية الأسماء»[(١)].

الأقسام:

ينقسم الشرك في الأسماء والصفات إلى قسمين:

١ ـ تمثيل الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق.

٢ ـ تسمية المخلوقين بأسمائه المختصة به سبحانه وتعالى.

قال سليمان بن عبد الله: «الشرك في توحيد الأسماء والصفات **نوعان**:

أحدهما: تشبيه الخالق بالمخلوق؛ كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإلٰه الحق، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]، قال ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: يشركون، وعنه: سموا اللات من الإله، والعزَّى من العزيز»[(٢)].

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥١٢) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٨)، وانظر في هذا التقسيم: الشرك أنواعه وأحكامه لماجد الشبالة [دار الإيمان، ٢٠٠٥م].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إثبات صفة العلو»، لابن قدامة.

٢ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٣ ـ «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٤ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

٥ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٦ ـ «التوحيد»، لابن خزيمة.

٧ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٨ ـ «القواعد الكلية في الأسماء والصفات»، لإبراهيم البريكات.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات»، للتميمي.

الشرك في الألوهية

التعريف لغة:

أما (الشرك) فقد قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت

فلانًا؛ إذا جعلته شريكًا لك»[1]، وَجَمْعُ الشَّرِيكِ شُرَكَاءُ، **ويطلق الشرك على المعاني الآتية:**

١ ـ المخالطة، والمشاركة[2].

٢ ـ التسوية بين شيئين[3].

٣ ـ النصيب والحظ[4].

وأما (الألوهية) فهي مأخوذة من الإلٰه، وأله يأله إلاهة، وألوهة، وألوهية: عبد عبادة[5]، قال ابن سيده: «والإلٰهة والألوهة والألوهية: العبادة»[6].

التعريف شرعًا:

الشرك في الألوهية: هو «أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله»[7]. وهذا هو التعريف الراجح، ومن التعاريف القريبة لهذا التعريف ما يلي:

١ ـ قال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «هو: أن يدعو مع الله غيره، أو: يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها؛ فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله: فقد اتخذه ربًّا، وإلٰهًا، وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك»[8].

٢ ـ وقال سليمان بن عبد الله: «الشرك: تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلٰهية؛ من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده»[9].

٣ ـ وعرَّفه ابن عاشور بقوله: «إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلٰهية، وفي العبادة»[10].

٤ ـ وقيل: هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية؛ كالدعاء، والذبح، والاستغاثة، ونحو ذلك[11].

الحكم:

الشرك في الألوهية هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، كما قال ﷺ: «**أكبر الكبائر، الإشراك بالله**»[12]، إلا أن الشرك في الألوهية ليس على درجة واحدة في التحريم؛ إذ إن منه ما هو مخرج من ملة الإسلام؛ كمن يدعو

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥).
(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٤٤)، ولسان العرب (٧/ ٩٩) [دار صادر، ط٣].
(٤) انظر: لسان العرب (٧/ ٩٩ ـ ١٠٠).
(٥) القاموس المحيط (١٢٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط٨].
(٦) لسان العرب (١٣/ ٤٦٨).
(٧) القول السديد (٥٤) [وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٢١هـ].
(٨) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للعبود (٢/ ٣٠).
(٩) تيسير العزيز الحميد (٩١) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].
(١٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ٣٣٢).
(١١) انظر: أصول الإيمان (٧٣) [وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢١هـ].
(١٢) أخرجه البخاري (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩١٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها؛ فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذه ربًّا، وإلٰهًا، وأشرك مع الله غيره، وهذا كفر أكبر، لا يغفره الله تعالى لمن مات عليه، وصاحبه مخلد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة].

ومنه ما لا يصل إلى الخروج من ملة الإسلام، وإنما هو دون ذلك؛ كيسير الرياء، وتعليق التمائم، ونحو ذلك[1].

الحقيقة:

الشِّرك في الألوهية: صرف ما هو من خصائص الألوهية لغير الله تعالى، فالمشرك في الألوهية سوّى غير الله بالله في استحقاق العبادة.

ومن ذلك أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظمه كما يعظم الله، أو يصرف له نوعًا من خصائص الإلٰهية، أو أن يتخذ من دون الله ندًّا، يحبه كما يحب الله، أو يخشاه كخشية الله، ويلتجئ إليه ويدعوه ويخافه ويرجوه ويرغب إليه ويتوكل عليه، أو يطيعه في معصية الله، أو يتبعه على غير مرضاة الله، وغير ذلك[2]، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[4]. وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم: «**آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا**

(١) انظر: القول السديد (٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٤٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، ومدارج السالكين (١/ ٣٦٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ]، وأعلام السُّنَّة لحافظ الحكمي (٤١) [دار أحد، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ]، وتفسير السعدي (٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير» الحديث(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا»**(٢) يصلَّى إليه ويسجد نحوه ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذِّر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم»(٣).

وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما صَعُبت التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم كفار عندي بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليفها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ التراب تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى»(٤).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به؛ خوفًا ورجاء والتجاء واستعانة، فقد تشبَّه بالله ونازعه في ربوبيته وإلٰهيته، وهو حقيق بأن يهينه غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (١٢/ ٣١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الهيثمي: «فيه إسحاق بن أبي إسرائيل، وفيه كلام لوقفه في القرآن، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد (٤/ ٢) [مكتبة القدسي]، وصحَّحه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٧) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٣) التمهيد (٥/ ٤٥) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

(٤) تلبيس إبليس (٣٨٧) [دار القلم]، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ١٩٥).

أقدام خلقه»[١].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أسباب شرك الألوهية:

لظهور الشرك بالله تعالى ـ قديمًا وحديثًا ـ أسباب كثيرة ومتنوعة، **وأهمها ما يلي:**

١ ـ الغُلوّ في الصالحين:

ويكون بتنزيلهم منزلة فوق منزلتهم فيصرف لهم شيء من حقوق الله، وهذا الأمر جلي وواضح يبينه أصل الشرك الذي حدث لقوم نوح وإبراهيم عليهما السلام، ولهذا سد الرسول ﷺ هذا الطريق.

٢ ـ تقليد الآباء والأجداد:

يعدُّ تقليد الآباء والأجداد والتعصب لما كانوا عليه من الضلال، من أعظم أسباب الشرك بالله تعالى، فقد تمسك المشركون بهذه الشبهة، وقابلوا بها الرسل عليهم السلام في دعوتهم لهم إلى توحيد الله، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف].

٣ ـ تصوير المجسمات وذوات الأرواح:

التصوير سببٌ من أسباب الشّرك، ووسيلةٌ إلى الشّرك الذي هو ضدّ التّوحيد، كما حدث لقوم نوح لَمّا صوّروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم وآل بهم الأمر إلى أنْ عبدوهم من دون الله، فأوّلُ شركٍ حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التّصوير.

ولخطر التصوير وعظم جرم فاعله وردت النصوص الشرعية بتحريمه.

٤ ـ الجهل بالدين:

فالجهل أحد أسباب حصول كثير من صور الشرك عند بعض المسلمين، فهو آفة خطيرة، وداء عظيم، يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنن الهدى، ويؤدي إلى الضلال، ويوقع في المخالفات المتعددة.

٥ ـ أحاديث موضوعة وقصص مكذوبة ينشرها عباد القبور.

٦ ـ إغواء الشيطان للجهال، حيث يكلمهم عند القبور أو يتصور لهم بصورة الميت، ويحدثهم بأشياء فيظن الجهال أن هذا هو الميت وأنه يحقق لهم أغراضهم[٢].

ـ المسألة الثانية: أصل الشرك في العبادة وبدء ظهوره:

١ ـ بدء ظهور الشرك على وجه الأرض:

لما أهبط الله آدم عليه السلام وزوجته حواء

(١) الجواب الكافي (١٣٧) [دار المعرفة، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٩١) [دار الفكر]، ومجموع الفتاوى (١٧/٤٩٧)، وكتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) [المكتب الإسلامي، ط٦].

إلى الأرض، هبطا على التوحيد ونشأت على ذلك ذريتهما، واستمر الأمر على ذلك عشرة قرون[(١)].

ثم حدث الشرك بعد ذلك في قوم نوح عليه السلام، حيث أظهروا الغلو في صالحيهم وعبَّادهم، حتى انتهى بهم ذلك إلى عبادتهم من دون الله تعالى، فأرسل الله إليهم نوحًا عليه السلام؛ لدعوتهم إلى توحيد الله، فكان أول رسول بعث لمقاومة الشرك بالله والدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده.

ثم حدث الشرك بعد ذلك في قوم هود عليه السلام، ثم قوم صالح عليه السلام، ثم قوم إبراهيم عليه السلام، ثم توالى ذلك في الأمم والأقوام بعد ذلك، فكلما حدث الانحراف عن التوحيد الذي جاء به نبي من الأنبياء عليهم السلام أرسل الله إليهم من يدعوهم إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى، ونبذ عبادة غير الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد تتابع ذلك الضلال والانحراف إلى أن حدث عند العرب.

٢ ـ بدء ظهور الشرك عند العرب:

كانت العرب على دين أبيهم إبراهيم عليه السلام فكانوا على الحنيفية، موحدين لله تعالى، معظمين لشعائر دينه، إلى أن بعدت الفترة بين العرب ونور النبوة، واندرس العلم، وتسربت الوثنية إلى قبائل العرب، وانتشرت بينهم عبادة الأصنام، وتنافسوا في عبادتها، ففارقوا دين إبراهيم عليه السلام وإن كانوا ينتسبون إلى ذلك، وقد بقيت معهم بقايا من الحنيفية.

وكان سبب ذلك هو عمرو بن لحي الخزاعي، وما جلبه للعرب من أصنام، حتى غيَّر دين إبراهيم وابنه إسماعيل عليه السلام، ولذا رآه النبي ﷺ يجر أمعاءه في النار، كما ورد ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«رأيت عمرو بن عامر الخزاعيَّ يَجرُّ قُصْبه في النار، وكان أول من سيَّب السَّوائب»**[(٢)(٣)].

٣ ـ بدء ظهور الشرك عند المسلمين:

لما انتشر الشرك والخرافة بين قبائل العرب، واشتدت ظلمة الجهل والضلال، بعث الله محمد ﷺ لطمس معالم الشرك والوثنية، وحماية حمى التوحيد، فبلغ ﷺ أكمل البلاغ، وكسر الأصنام بيده، وتبعه أصحابه رضي الله عنهم في

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٢٠٤) [دار المعرفة، بيروت].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٢٣)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦١).

هدم معاقل الشرك، حتى زال ما كان منتشرًا بين قبائل العرب من عبادة الأصنام، وظهرت دعوة التوحيد الصافية، إلا أن هذه الوثنية، لم تلبث أن ظهرت بعد ذلك عند بعض المسلمين، حيث وقعوا فيما أخبر عنه ﷺ بقوله: «**لتتبعن سنن من قبلكم، شبرًا بشبر**»[١].

وكان أول من أظهر الشرك، وفتح بابه عند المسلمين فرقة الشيعة، حيث ظهر عندهم الغلو في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ثم انتشر عندهم تعظيم المشاهد والدعاء عندها[٢]، ثم انتقل ذلك إلى بعض جهلة المسلمين من الصوفية القبورية وغيرهم، حتى عظمت المصيبة بظهور الشرك، وانتشار المشاهد وتعظيمها في كثير من بلدان المسلمين، وهي أضرحه كلها تعظَّم وتُدعى من دون الله تعالى[٣].

الفروق:

الفرق بين شرك الألوهية وشرك الربوبية:

١ ـ أن وقوع الشرك في الألوهية إنما يكون فيما يتعلق بالعباد من أفعال كالذبح والنذر ونحوهما، وأما الشرك في الربوبية فيقع فيما يتعلق بأفعال الله تعالى كالخلق والرزق ونحوهما.

٢ ـ الشرك في الألوهية متضمن للشرك في الربوبية، والشرك في الربوبية مستلزم للشرك في الألوهية، فبينهما تضمن واستلزام.

٣ ـ أن وقوع الشرك في الألوهية هو أصل انحراف بني آدم؛ حيث كثر الانحراف فيه، بخلاف الشرك في الربوبية[٤].

٤ ـ أن شرك الألوهية هو موضوع دعوة الرسل عليهم السلام؛ فإنهم أرسلوا بالدعوة إلى توحيد الألوهية، والنذارة من الشرك في هذا الباب.

الآثار:

١ ـ الشرك الأكبر في الألوهية مخرج من ملة الإسلام.

٢ ـ أنه موجب للخلود في النار والحرمان من الجنة.

٣ ـ أنه أكبر الكبائر وأعظم ما نهى الله تعالى عنه.

٤ ـ أنه محبط لجميع الأعمال.

٥ ـ أنه يفرق الأمة ويمزقها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٦)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ الفوزان (١/ ١٨١) [الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة ٢، ١٤٢٣هـ].

(٤) معارج القبول (١/ ٤٧٤).

٢ ـ «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.
٣ ـ «معارج القبول»، لحافظ حكمي.
٤ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.
٥ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية.
٦ ـ «القول السديد»، للسعدي.
٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
٨ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
٩ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

الشِّرك في الربوبية

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول: الشركة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء؛ إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكًا لك»[1]، وَجَمْعُ الشَّرِيكِ شُرَكَاءُ، **ويطلق الشرك على المعاني الآتية:**

١ ـ المخالطة، والمشاركة[2].

٢ ـ التسوية بين شيئين[3].

٣ ـ النصيب والحظ[4].

التعريف شرعًا:

هو صرف شيء من خصائص الربوبية لله ﷻ إلى غيره. ولعل هذا هو التعريف الأنسب.

ومما يشهد له من تعريفات العلماء **ما يلي:**

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو: «إثبات فاعل مستقل غير الله؛ كمن يجعل الحيوان مستقلًّا بإحداث فعله، ويجعل الكواكب، أو الأجسام الطبيعية، أو العقول، أو النفوس، أو الملائكة، أو غير ذلك مستقلًّا بشيء من الإحداث، فهؤلاء حقيقة قولهم تعطيل الحوادث عن الفاعل»[5].

٢ ـ وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «هو اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب والعظمة والكبرياء ونحو ذلك»[6].

٣ ـ وقيل: «هو تسوية غير الله بالله

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥).
(٢) انظر: المفردات للراغب (٤٥١).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٤٤)، ولسان العرب (٧/ ٩٩).
(٤) انظر: لسان العرب (٧/ ٩٩ ـ ١٠٠).
(٥) درء التعارض (٧/ ٣٩٠) [جامعة الإمام، ط٢].
(٦) أعلام السُّنَّة المنشورة (٢٤) [وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ].

فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره؛ كالخلق، والرزق، والإيجاد، والإماتة، والتدبير لهذا الكون، ونحو ذلك»[(١)].

الحكم:

الشرك في الربوبية هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، كما قال ﷺ: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله**»[(٢)]، إلا أن الشرك في الربوبية ليس على درجة واحدة في التحريم؛ إذ إن منه ما هو مخرج من ملة الإسلام؛ كمن اعتقد أن مع الله متصرفًا في تدبير الكون أو غير ذلك من معاني الربوبية، وهذا بلا شك هو أعظم الذنوب على الإطلاق. ومنه ما لا يصل إلى الخروج من ملة الإسلام، وإنما هو دون ذلك، مثل شرك الألفاظ؛ كقول الإنسان: لولا الله وأنت، لولا الله وفلان، وقوله: ما شاء الله وشئت، وكذلك الحلف بغير الله وما أشبه ذلك[(٣)].

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (١/ ٧٣) [وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم ٦٩١٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٦٥) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ]، وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٧٨) [ط٣، ١٤٠٨هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٩٤ ـ ٩٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ]، وشرح فتح المجيد للغنيمان (الدرس الثاني).

الحقيقة:

الشرك في الربوبية هو أحد أقسام الشرك الأكبر، وهو شرك يتعلق بذات الله عز وجل، وهو صرف خصائص الربوبية كلها، أو بعضها لغير الله عز وجل، أو تعطيله عز وجل عنها بالكلية[(٤)]، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس]، ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السُّنَّة قوله النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»[(٥)].

(٤) انظر: المفيد في مهمات التوحيد (١١٢) [دار الإعلام، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٤)، =

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[١]. وفي حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «**آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير**» الحديث[٢].

أقوال أهل العلم:

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مبيِّنًا معنى شرك الربوبية ـ: «أن يجعل لغيره معه تدبيرًا ما، كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ]، فبيّن سبحانه أنهم لا يملكون ذرة استقلالًا، ولا يشركونه في شيء من ذلك، ولا يعينونه على ملكه، ومن لم يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا، فقد انقطعت علاقته»[٣].

- وقال ابن القيِّم رحمه الله: «الشرك شركان؛ شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. والشرك الأول **نوعان**:

أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء] فالشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن لا يستلزم أصل التعطيل؛ بل قد يكون المشرك مقرًّا بالخالق سبحانه وصفاته، ولكن عطل حق التوحيد، وأصل الشرك وقاعدته التي ترجع إليها هو التعطيل؛ وهو ثلاثة أقسام: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس؛ بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثَمّ خالق ومخلوق، ويقولون: ها هنا شيئان؛ بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته»[٤].

= ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٩) من حديث ابن عباس، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨) من حديث أبي سعيد، واللفظ له.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٥) [ط١، ١٤٠٤هـ].

(٤) الجواب الكافي (٩٠).

ـ وقال ابن أبي العز الحنفي: «فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجودًا في الناس، بيّن القرآن بطلانه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١]. فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإلٰه الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إلٰه آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة؛ بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلٰهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه»[1].

الأقسام:

الشرك في الربوبية ينقسم إلى قسمين:

١ ـ شرك التعطيل:

وهو أقبح الأقسام وأعظمها جرمًا وأخبثها، وهو شرك فرعون الذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأن الحياة مادة، فلا يوجد خالق، ولا توجد إعادة، ولا توجد جنة ولا نار، يكفرون بالله جلّ وعلا، وينكرون وجوده، فهم واقعون في الشرك الأعظم، وهم في الواقع لم يستعملوا عقولهم، ولا ما حولهم من الآيات، ولم يتفكروا في أنفسهم.

ومن ذلك شرك أصحاب وحدة الوجود؛ الذين جعلوا الله هو الوجود كله.

٢ ـ شرك من جعل مع الله ربًّا:

كفعل النصارى الذين قالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، وكذلك اليهود الذين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنه شرك المجوس الذي جعلوا التصرف إلى إلٰهين: إلٰه الظلمة وإلٰه النور، وقالوا: إن الإلٰه المحمود المعبود هو إلٰه النور، فهو الخير الذي يحب الخير ويأمر به ويريده؛ ولهذا يعبدون النار لأنها هي أصل النور عندهم، وهذا شرك في الربوبية.

ومنه شرك القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق فعله. والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات].

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه عزّ وجلّ.

---

(١) شرح الطحاوية (٣٧ ـ ٣٨) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

وينقسم باعتبار كونه أصغر وأكبر إلى قسمين:

أ ـ الأكبر:

وهو مخرج من ملة الإسلام؛ كمن اعتقد أن مع الله متصرفًا في تدبير الكون أو غير ذلك من معاني الربوبية، وهذا بلا شك هو أعظم الذنوب على الإطلاق.

ب ـ الأصغر:

وهو غير مخرج من ملة الإسلام، مثل شرك الألفاظ؛ كقول الإنسان: لولا الله وأنت، لولا الله وفلان، وقوله: ما شاء الله وشئت، وكذلك الحلف بغير الله وما أشبه ذلك؛ فإن هذا شرك في الربوبية، وقد يكون هذا شركًا أكبر على حسب ما يقوم في قلب القائل وعقيدته، فهذا الشرك في الربوبية(١).

الآثار:

١ ـ الشرك الأكبر في الربوبية مخرج من ملة الإسلام.

٢ ـ أنه موجب للخلود في النار والحرمان من الجنة.

٣ ـ أنه أكبر الكبائر وأعظم ما نهى الله تعالى عنه.

٤ ـ أنه محبط لجميع الأعمال.

٥ ـ أنه يفرق الأمة ويمزقها.

(١) انظر: تجريد التوحيد (٢٥)، وشرح فتح المجيد للغنيمان (الدرس الثاني)، وانظر: أعلام السُّنَّة المنشورة (٨٥).

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٢ ـ «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

٣ ـ «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

٤ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

٥ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٦ ـ «القول السديد»، للسعدي.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٩ ـ «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر زكريا.

الشريعة

التعريف لغة:

الشريعة في اللغة: يدور معناها على الوضوح، والانفتاح بامتداد واتساع، يقول ابن فارس: «الشين والراء والعين أصلٌ واحد، وهو شيء يَفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشَّريعة، وهي مَورِد الشاربة الماء. واشتق من ذلك الشِّرْعة في الدين، والشريعة»(٢).

ويقول الأزهري: «شَرَع: بَيّن وأوضح، والشَّريعة في كلام العرب: المَشْرعة التي يَشْرعها الناس، فيشربون منها ويستقون، والعرب لا تسميها شَريعة

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٢) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

حتى يكون الماء عِدًّا لا انقطاع له، ويكون ظاهرًا معينًا لا يُستقى منه بالرِّشاء وبها سمي ما شرع الله للعباد شَرِيعة»[(١)].

التعريف شرعًا:

لفظ الشريعة يراد به عدة معان:

الأول: أن الشريعة لفظ يشمل العقائد والأعمال، قال ابن تيمية: «وكذلك اسم الشريعة والشرع والشرعة، فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال»[(٢)]. وقال ابن الأثير عن الشريعة: «وهو ما شرع الله لعباده من الدين؛ أي: سنَّه لهم وافترضه عليهم»[(٣)].

الثاني: أن الشريعة يراد بها فقه الأحكام، يقول شيخ الإسلام: «الشريعة هي الأمر والنهي، والحلال والحرام، والفرائض والحدود، والسُّنن والأحكام»[(٤)]. وقال الجرجاني: «الشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة هي الطريق في الدين»[(٥)].

الثالث: أن الشريعة هي: «العقائد التي يعتقدها أهل السُّنَّة من الإيمان»[(٦)]، وعلى هذا المعنى سمّى الآجري كتابه الشريعة، وكذا ابن بطة في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية.

فالشريعة تشمل العقائد والأعمال، وقد تطلق على العمل وحده، أو على الاعتقاد وحده. أما تخصيص الشريعة بمعنى الأعمال التي يسمى علمها علم الفقه، وأنه لا يطلق إلا عليه فهو غير صحيح.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

ورد في كتب اللغة العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي، فالشريعة في اللغة والشرع هي المنهل الذي يؤخذ منه وفيه البيان والوضوح، ولا انقطاع فيه.

سبب التسمية:

سميت مسائل العقيدة بالشريعة؛ لأنها مما شرعه الله وسنَّه لعباده، فلا يتعبد ولا يعرف إلا بما شرع وبيّن.

الأسماء الأخرى:

الشريعة في إطلاقها على العقائد لها أسماء بنفس المعنى؛ كالسُّنَّة في أحد معانيها، وأصول الدين، ويسميها البعض الفقه الأكبر[(٧)].

المسائل المتعلقة:

قول الصوفية في التفريق بين الشريعة والحقيقة:

يفرِّق الصوفية بين الشريعة والحقيقة،

---

(١) تهذيب اللغة (١/ ٤٢٥) [الدار المصرية للتأليف].

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦٠) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٦٢).

(٥) التعريفات (١٦٧) [عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧).

ويجعلون الغاية هي الحقيقة المغايرة للشريعة! والشريعة هي علم الظاهر، والحقيقة علم الباطن الذي هو للخواص! والحقيقة عندهم ترك الأمر والنهي، والاكتفاء بشهود القدر، وشهود الربوبية، يقول القشيري: «الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر»[(١)].

وحقيقة قولهم كما قال ابن الجوزي: «إنه على الحقيقة طيٌّ لبساط الشريعة»[(٢)].

مذهب المخالفين:

خالف الصوفية الالتزام بالشريعة، فأسقطوها عن الخواص واكتفوا بالحقيقة، فأبطلوا التكاليف، وقعدوا عن العبادات، وجعلها دين العوام، أما الخواص فلهم الحقيقة والتي عنوا بها شهود الربوبية والقضاء والقدر؛ بل يصل الأمر بهم هنا إلى القول بوحدة الوجود، وكل هذا كفر أكبر، وخروج عن الدين، ومخالفة لما جاء به الرسل من الشرائع، قال ابن القيِّم: «قالوا: لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسُّنَّة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار، ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها من الآيات البينات»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»، لابن بطة.

٢ ـ «تاريخ التشريع الإسلامي»، لمناع القطان.

٣ ـ «تلبيس إبليس»، لابن الجوزي.

٤ ـ «الشريعة»، للآجري.

٥ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٩)، لابن تيمية.

٦ ـ «مصادر التشريع ومنهج الاستدلال والتلقي عند أهل السُّنَّة ومخالفيهم»، لحمدي عبد الله.

٧ ـ «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية»، لإدريس محمود إدريس.

شعيب عليه السلام

اسمه ونسبه:

ذهب الأكثرون إلى أن شعيبًا عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام، فذكروا أنه: ابن عيفا بن نويب بن مدين بن إبراهيم. وقيل: إنه ابن نوبب بن رعيل بن عيفا بن مدين بن إبراهيم. وقيل: إنه ليس ولد إبراهيم وإنما هو من ولد بعض المؤمنين

(١) الرسالة القشيرية (١٦٨) [دار الشعب، ١٤٠٩هـ].
(٢) تلبيس إبليس (٣٢٤).
(٣) إغاثة اللهفان (١/١١٩).

به وأمه ابنة لوط عليه السلام[(١)].

وقيل: إنه ابن ميكيل بن يشجن. وقيل. شعيب بن يشجن بن لاوي بن يعقوب، ويقال: شعيب بن ثويب بن عبقا بن مدين بن إبراهيم[(٢)]. وقيل غير ذلك[(٣)].

نبوته:

ذكر الله نبوة شعيب عليه السلام في آيات عديدة، منها قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣].

دعوته:

كان شعيب يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، ونبذ عبادة غير الله كائنًا من كان، والنهي عن التطفيف في الكيل والوزن، والبعد عن الإفساد في الأرض والصد عن سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود].

قومه وموقفهم منه:

قوم شعيب كانوا قومًا عربًا يسكنون مدين، وهي قرية قريبة من أرض معان عرفت بهم، من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز، قريبًا من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة. وكانوا كفارًا يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، وينقصون المكيال، ويعكفون على عبادة الشجرة المعروفة بالأيكة[(٤)].

---

(١) انظر: المنتظم في التاريخ (١/ ٣٢٤) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/ ٤٢٧) [دار هجر، ط١].

(٣) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣/ ٧٠) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، والكامل في التاريخ (١/ ١٣٨) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية (١/ ٤٢٧) [دار هجر، ط١]، وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (١٧٥).

ولما جاءهم شعيب عليه السلام انقسموا اتجاه دعوته إلى قسمين: قسم آمن به وصدق بنبوته، وقسم جحد نبوته وأنكر رسالته، قال الله تعالى حكاية عن قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف]. وقالوا لشعيب عليه السلام على سبيل الاستهزاء والتنقص والتهكم[1] كما أخبر الله عنهم: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود].

وحذّر كفار قومه منه ومن دعوته، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأعراف].

واتهموه بالسحر ورموه بالكذب، كما قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء].

بل وصل بهم الأمر إلى تهديده تارة بالطرد والإبعاد، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف]، وتارة بالرجم ودفنه حيًّا كما في قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود].

فذكّرهم شعيب بعظمة الله، وأنه أحق أن يخشى، وحذرهم من شديد بطشه وعظيم انتقامه، فقال لهم فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ [هود].

وسلك في نصحهم مسلك الترغيب والترهيب، وحثهم على أخذ العبر من الهالكين قبلهم، فقال لهم كما ذكر الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود].

ولما أصرّوا على الكفر والعناد والمكابرة، دعا الله عليهم: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ﴾ [الأعراف: ٨٩].

(١) انظر: صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) (١٧٧).

فأهلكهم الله ودمَّرهم بالصيحة، وعذاب يوم الظلة، والرجفة، ونجّى عبده شعيبًا ومن معه من المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود]، وقال سبحانه: ﴿...فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وهم أصحاب الأيكة على الأصح[(١)]، المنتقم منهم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر].

وذكر ابن كثير أنه «قد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام في أحد قولي العلماء»[(٢)].

وفاته:

أشار ابن قتيبة إلى أن وفاة نبي الله شعيب عليه السلام كانت بعد هلاك قومه الكافرين، فقال: «لحق شعيب والذين آمنوا معه من أصحاب الأيكة إلى مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا»[(٣)]، وقيل إنه دفن في حطين[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل النبي شعيب عليه السلام هو الرجل الصالح بمدين صاحب موسى؟

اختُلف في ذلك على أقوال؛ أشهرها أن المراد بصاحب مدين هو نبي الله شعيب هذا. وقيل: إنه ابن أخي شعيب، وقيل: هو رجل مؤمن من قوم شعيب، وقال بعضهم: كان شعيب قبل زمان موسى بمدة طويلة تزيد على الأربعمائة سنة، ويؤيد ذلك قول شعيب لقومه: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود]، وهلاك قوم لوط كان في زمن إبراهيم خليل الله عليه السلام بنص القرآن[(٥)]، قال ابن كثير بعد أن ذكر نحو ما تقدم: «ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٩٥)، وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) للهلالي (١٨٣).

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (٢/ ١٦) [مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ].

(٣) المعارف لابن قتيبة (٤٢) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م].

(٤) انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي) (١٢٩) [مكتبة الخانجي، ط٢]، وزبدة الحلب في تاريخ حلب (٤٠٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٨).

بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده»[(١)].

وقال السعدي: «وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيبًا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟ وأيضًا، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيبًا، لذكره الله تعالى، ولسمَّته المرأتان، وأيضًا فإن شعيبًا ﷺ قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما»[(٢)].

- المسألة الثانية: حقيقة كفر قوم شعيب، خاصة أن ذمهم كان في التطفيف والكيل:

لا يختلف كفر قوم شعيب عن كفر الكفار الآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحج]، فأصحاب مدين هم قوم شعيب كذبوا نبي الله شعيبًا في نبوته واتهموه بالسحر، كما قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء].

وردّوا دعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك ولم يقبلوها منه، فقالوا: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود].

ومع هذا؛ فإنهم كانوا فاسدين في بعض الجوانب الأخلاقية، حيث كانوا يقعدون في الطرقات للإفساد في الأرض، والصد عن سبيل الله، وينقصون الكيل والميزان، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف]،

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٩).
(٢) تفسير السعدي (٦١٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

ولانحرافهم الكبير في هذا الجانب جاء ذمهم فيه كثيرًا في القرآن الكريم، وهذا لا يعني أن حقيقة كفرهم كان هذا الجوانب فقط. قال السعدي: «فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾؛ أي: أخلصوا له العبادة، فإنهم كانوا يشركون به، وكانوا ـ مع شركهم ـ يبخسون المكيال والميزان، ولهذا نهاهم عن ذلك، فقال: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ﴾ [هود] بل أوفوا الكيل والميزان بالقسط»[١]. وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨﴾ [الحجر]، «فبيَّن في هذه الآية أن ظلمهم هو تكذيب رسولهم وتطفيفهم في الكيل، وبخسهم الناس أشياءهم»[٢].

ـ المسألة الثالثة: سبب عدول القرآن في آية الشعراء عن وصف شعيب بأنه أخٌ للقوم الذين أرسل إليهم:

تلمّس العلماء السبب في ذلك، واجتهدوا في تعليل ذلك، فذهب فريق منهم إلى أنه لا فرق بين أهل مدين وأصحاب الأيكة فهم قوم واحد، وأن عدم وصف أصحاب الأيكة بالإخوة لشعيب في سورة الشعراء كان لعبادتهم الأيكة، عند ابن كثير، وعند غيره كابن الجوزي حذف ذكر الأُخوّة تخفيفًا.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: «إن قيل: لِمَ لَمْ يقل: (أخوهم) كما قال في الأعراف؟ فالجواب: أن شعيبًا لم يكن من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل أخوهم، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قول مقاتل بن سليمان، وقد ذكرنا في سورة هود عن محمد بن كعب القرظي أن أهل مدين عذبوا بعذاب الظلة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة ـ كما زعم مقاتل ـ فقد تساووا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة ـ وهو مذهب ابن جرير الطبري ـ كان حذف ذكر (الأخ) تخفيفًا، والله أعلم»[٣].

وقال ابن كثير: «هؤلاء ـ أعني أصحاب الأيكة ـ هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا: (أخوهم شعيب)؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦﴾ [الشعراء] لم يقل: (إذ قال لهم أخوهم شعيب)، وإنما قال: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾ [الشعراء: ١٧٧]، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبًا. ومن الناس من

(١) تفسير السعدي (٣٨٧).
(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٨٨).
(٣) زاد المسير (٦/ ١٤١) [المكتب الإسلامي، ط٣].

لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا عليه السلام بعثه الله إلى أمّتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم... والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة»[1].

وقال الفريق الآخر: إن شعيبًا بعث إلى أمّتين: أهل مدين وهم قومه؛ ولذا وصف بأنه أخوهم، وأما أصحاب الأيكة فهم ليسوا من قومه؛ لذا لم يوصفوا بأنهم إخوته، وذهب إلى هذا البغويُّ والقرطبيُّ وغيرهما.

قال البغوي: «﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [الشعراء: ١٧٧] ولم يقل: (أخوهم)؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال: (أخاهم شعيبًا)؛ لأنه كان منهم، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة»[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تاريخ دمشق» (ج٢٣)، لابن عساكر.

٢ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج١)، لابن الجوزي.

٣ ـ «الكامل في التاريخ» (ج١)، لابن الأثير.

٤ ـ «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، لأبي المحاسن الأسدي.

٥ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٦ ـ «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)» لسليم الهلالي.

٧ ـ «قصص الأنبياء» (ج٢)، لابن كثير.

٨ ـ «تفسير السعدي».

الشفاعة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والفاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مقارنة الشيئين، من ذلك الشَّفْع خلاف الوَتْر. تقول: كان فردًا فشفَعْتُه، وشَفَعَ فلانٌ لفلانٍ؛ إذا جاء ثانِيه ملتمسًا مطلبه ومُعِينًا له»[3].

وشَفع لي يشفع شفاعة وتَشفّع: طلب[4]. والشَّفع: الزيادة، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. والشافع: الطالب لغيره يستشفع

(١) تفسير ابن كثير (٦/١٥٨ ـ ١٥٩).

(٢) تفسير البغوي (٦/١٢٧) [دار طيبة، ط٤]، وانظر: تفسير القرطبي (١٣/١٣٤) [دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٣/٢٠١) [دار الفكر].

(٤) انظر: لسان العرب (٨/١٨٤) [دار صادر].

به إلى المطلوب[(١)].

التعريف شرعًا:

قال ابن حجر: «الشفاعة وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه»[(٢)]. وقيل: «الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية أو خلاصه من مضرة ما»[(٣)]. وقيل: «هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة»[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مناسبة المعنى الشرعي للاشتقاق ظاهرة؛ لأنك إذا توسطت له؛ صرت معه شفعًا تشفعه[(٥)].

الحكم:

حكم الشفاعة يتضح بالنظر إلى شروطها وأقسامها، فالشفاعة الشرعية درجة عالية يقوم بها أفضل الخلق، وهم الأنبياء والملائكة والمؤمنون، ويختص نبينا ﷺ لفضله ببعض أنواعها. أما ما فقد شروط الشفاعة الشرعية فمنه ما هو محرم ومنه ما هو كفر، كما سيأتي في مذهب المخالفين.

الحقيقة:

وحقيقة الشفاعة: أن الله تعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه[(٦)].

الأدلة:

دلَّ الكتاب والسُّنَّة على إثبات الشفاعة عند الله يوم القيامة. فمن الكتاب قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وأما من السُّنَّة؛ فالأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدًّا، وقد صرح الأئمة المحققون بتواترها، ومنها قوله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: «... **ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله...**» الحديث[(٧)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٣٣) [دار الفكر].

(٣) تفسير أبي السعود (٢/ ٢١٠) [دار إحياء التراث العربي]، وانظر: روح المعاني (٥/ ٩٧) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/ ١٦٨) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/ ١٦٨).

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٩٥).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)، وبنحوه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

۞ أقوال أهل العلم:

قال أبو بكر الإسماعيلي مبينًا عقيدة أهل السُّنَّة: «ويقولون: إن الله يخرج من النار قومًا من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق»[(١)].

وقال الطحاوي: «والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد، فبحسب توحيد العبد لله وإخلاصه دينه لله، يستحق كرامة الشفاعة وغيرها»[(٣)].

وقال ابن القيِّم: «فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له، وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية»[(٤)].

۞ الشروط:

لا تصح الشفاعة عند الله ﷻ إلا بشرطين[(٥)]:

الأول: إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع، بدليل قوله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

الثاني: رضا الله عن المشفوع له، بدليل قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

۞ الأقسام:

الشفاعة تنقسم إلى قسمين:

١ ـ باطلة منفية، وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة.

٢ ـ صحيحة مثبتة، وهي ما تحققت فيها شروط الشفاعة[(٦)]، وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع يوم القيامة، منها ما هو خاص به، ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، **وهي**[(٧)]:

١ ـ الشفاعة العظمى، وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم، وهذه الشفاعة مما اختص بها نبيِّنا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم.

---

(١) اعتقاد أهل السُّنَّة (٤٣).
(٢) متن العقيدة الطحاوية (١٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤١).
(٤) إغاثة اللهفان (١/٢٢٠).
(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٧٩) [الدار البيضاء للنشر، ط٣، ١٤١٢هـ].
(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١/٣٣٢) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/١٦٨).
(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٨٣ ـ ٢٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وفتح الباري (١١/٤٢٨).

٢ ـ شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.

٣ ـ شفاعته ﷺ في أقوام قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

٤ ـ شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

٥ ـ شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦ ـ شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

٧ ـ شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

٨ ـ شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

الفروق:

الفرق بين الشفاعة والتوسل:

أن الشفاعة فيها طلب، وإذن، ورضا، ويقوم الشفيع بطلب الشفاعة من الرب.

أما التوسل فهو التقرب بالعمل الصالح، فالذي يقوم بها هو المتوسل نفسه، وهو صاحب الحاجة.

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية العامة الذين يستعملون لفظ الشفاعة في معنى التوسل، وبيَّن أن هذا خطأ لغة وشرعًا. فيقول أحدهم: اللَّهُمَّ إنا نستشفع إليك بفلان وفلان؛ أي: نتوسل به، ويقولون لمن توسل في دعائه بنبيٍّ أو غيره، قد تشفع به من غير أن يكون المستشفع به شفع له ولا دعا له بل وقد يكون غائبًا لم يسمع كلامه ولا شفع له، وهذا ليس هو لغة النبي ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة؛ بل ولا هو لغة العرب، فإن الاستشفاع طلب الشفاعة، والشافع هو الذي يشفع للسائل فيطلب له ما يطلب من المسؤول المدعو المشفوع إليه[(١)].

مذهب المخالفين:

المخالفون في الشفاعة على أقوال:

الأول: قول المعتزلة والخوارج بإنكار شفاعة نبيِّنا ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

الثاني: المشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، فيسألونهم بغير إذنهم، وتجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم، وهذا كفر.

الثالث: قول ابن سينا وأمثاله أن الشفاعة تنفع لتعلق الشفيع بالمشفوع وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع، وشُبِّه ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرآة، والمرآة تطرح شعاعها على

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٣٢).

الماء، والشعاع الذي على الماء يظهر فيه الحائط، وأن العبد إذا تعلق بالملائكة والأنبياء كان ما ينزل عليهم من الرحمة ينزل عليه من ذلك بتوسطهم، كما ينتفع أتباع المتبوع بما يحصل له من الجاه والمنزلة، وهذا الذي قاله هو شر من قول المشركين وهذه هي الشفاعة التي أبطلها الله ورسوله ﷺ[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إثبات الشفاعة»، للذهبي.

٢ ـ «الشفاعة عند أهل السُّنَّة والرد على المخالفين فيها»، لناصر الجديع.

٣ ـ «الشفاعة عند المثبتين والنافين»، لعفاف الونيس.

٤ ـ «الشفاعة»، لمقبل الوادعي.

٥ ـ «تلخيص كتاب الاستغاثة»، لابن كثير.

٦ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٧ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الشفاعة»، لعبد الله الغفيلي [بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية].

(١) انظر: الرد على البكري (١/١٥٦) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ].

الشكر

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشين والكاف والراء أصول أربعة متباينة بعيدة القياس؛ فالأول: الشكر: الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه. ويقال: إن حقيقة الشكر الرضا باليسير. يقولون: فرس شكور، إذا كفاه لسمنه العلف القليل»[2].

والشكر: الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، يقال: شكرته، وشكرت له، واللام أفصح، والشكران: خلاف الكفران، ويقال: شكرت الإبل تشكر: إذا أصابت مرعى فسمنت عليه[3].

التعريف شرعًا:

«الشّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبّة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة»[4].

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٠٧) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (٢/٧٠٢) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (٥/٤٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، ومختار الصحاح (١٦٧) [المكتبة العصرية، ط٥]، والعين (٥/٢٩٢) [مكتبة هلال].

(٤) مدارج السالكين (٢/٢٣٤) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ]. وانظر: المفردات في غريب القرآن (٤٦١) [دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ]، والكليات (٥٢٣) [مؤسسة الرسالة، بيروت].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي يدور حول معنى الثناء والعرفان وهو ما يتضح في التعريف الشرعي المنقول عن ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ.

الحكم:

الشُّكر واجب شرعي؛ بل هو حقيقة الإيمان الشرعي؛ لأن الشكر يكون بالقلب، واللسان، والعمل، والإيمان مجموع للقول والعمل والنية، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ][1].

الحقيقة:

حقيقة الشكر: هو الثناء على المنعم، ومحبته، والعمل بطاعته، فيكون بالقلب، واللسان، والجوارح.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحقيقة الشكر: هو الثناء على المنعم، ومحبته، والعمل بطاعته»[2].

فمبنى الشكر على ثلاثة أركان: معرفة النعمة وقدرها، والثناء بها على مسديها، واستعمالها في ما يحب موليها ومعطيها. فمن كملت له هذه الثلاثة، فقد استكمل الشكر، وكلما نقص العبد منها شيئًا فهو نقص في إيمانه وشكره، وقد لا يبقى من الشكر ما يعتد به ويثاب عليه[3].

المنزلة:

الشكر من المنازل العظيمة والتي تحتل مرتبة عالية في الشريعة، وهي فوق منزلة الرضا، والرّضا مندرج في الشّكر؛ إذ يستحيل وجود الشّكر بدونه[4].

والشكر قرين الإيمان في القرآن، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٤٧]، وعلّق الله سبحانه المزيد بالشّكر والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم]، وقد أثنى الله سبحانه على أوّل رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشّكر، فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء]، كما أثنى سبحانه على خليله إبراهيم بشكره نعمه فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل][5].

---

(١) انظر: عدة الصابرين (٢٠٥) [دار عالم الفوائد، ط١].

(٢) طريق الهجرتين (٢/٧٥٣) [دار عالم الفوائد، ط١].

(٣) الدرر السَّنية في الأجوبة النجدية (١/٤٦٢) [دار القاسم، ط٧، ١٤٢٥هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٣٢) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ].

(٥) انظر: عدة الصابرين (١١٧) [دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ].

الأدلة:

الأدلة الدالة على فضيلة الشكر ومكانته كثيرة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل]، وقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

وأما من السُّنَّة: فقد وردت أحاديث عدة في هذا الباب، منها: حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له»**[(١)].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا»**[(٢)].

وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«يا معاذ! والله إني لأحبك. أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللَّهُمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ للطّاعم الشّاكر من الأجر مثل ما للصّائم الصّابر»**[(٤)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يشكر الله من لا يشكر النّاس»**[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال أحمد بن عبد الرحمٰن بن قدامة رحمه الله: «الشّكر يكون بالقلب واللّسان والجوارح. أمّا بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة، وأما باللسان فهو إضمار الشكر لله بالتحميد،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٣٦)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٩).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٢٢)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٣)، وأحمد (٣٦/ ٤٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٧٥١)، وقوى سنده ابن حجر في البلوغ (رقم ٣٢٥) [دار أطلس، ط٣]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٣٦٢) [مؤسسة غراس، ط١].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٨٦) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الصيام، رقم ١٧٦٤)، وأحمد في مسنده (١٣/ ٢٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الأطعمة، رقم ٧١٩٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢١٧٩).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨١١)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٥٤) وصحَّحه، وأحمد (١٢/ ٤٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧٦) [مكتبة المعارف، ط١٤٢٥هـ].

وأما بالجوارح فهو استعمال نعم الله تعالى في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قد صرَّح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسُّنَّة أن الشكر يكون بالاعتقاد، والقول، والعمل، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة. قلت: وباب سجود الشكر في الفقه أشهر من أن يذكر، وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يتكلم فيها على لفظ الحمد والشكر، مثل كتب التفسير، واللغة، وشروح الحديث، يعرفه آحاد الناس، والكتاب والسُّنَّة قد دلا على ذلك»[(٢)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «أصل الشكر: هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل، والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلًا بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له، ويحبه، ويرض به وعنه، لم يشكرها أيضًا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه، ورضي به وعنه، واستعملها في محابِّه وطاعته فهذا هو الشاكر»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المفاضلة بين الفقير الصابر والغني الشاكر:

اختلف أهل العلم في أيهما أفضل؛ الفقير الصابر أم الغني الشاكر: فرجح هذا طائفة من العلماء والعباد الفقير الصابر، ورجح طائفة الغني الشاكر، وهما روايتان عن الإمام أحمد. وأما الصحابة والتابعون فلم ينقل عنهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر، والراجح أن أفضلهما أتقاهما، فإن استويا في التقوى فهما سواء[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر: «والتّحقيق عند أهل الحذق أن لا يجاب في ذلك بجواب كلّيّ؛ بل يختلف الحال باختلاف الأشخاص والأحوال، نعم عند الاستواء من كل جهة وفرض رفع العوارض بأسرها فالفقير أسلم عاقبة في الدار الآخرة ولا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيء والله أعلم»[(٥)].

(١) مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمٰن بن قدامة المقدسي (٣٥٣) [دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤١٥هـ]. وانظر: عدة الصابرين (١٤٩) [دار ابن كثير، ط١].

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

(٣) طريق الهجرتين (١/ ٢٠٣) [دار عالم الفوائد، ط١].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ١١٩ ـ ١٢٠)، وعقد لهذه المسألة ابن القيم بابًا في كتابه عدة الصابرين (١٧٥) [دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٥) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥٨٣) [دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ].

ـ **المسألة الثانية: شكر المخلوق:**

شكر المخلوق إذا كان من باب شكره على حسن أفعاله، ولا يتضمن تعظيمًا ولا حبًّا لا يليق إلا بالله فلا بأس به، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[(١)].

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الكلام يتأول على **وجهين**؛ **أحدهما:** أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر»[(٢)].

۞ الفروق:

الفرق بين الشكر والصبر:

الشكر رتبة أعلى من الصبر، فالشاكر صبر، وزاد شكرًا، وقيل: إنهما متلازمان[(٣)].

وقيل: الصبر: عدم الجزع، والشكر: أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك[(٤)].

الفرق بين الشكر والحمد:

الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان إحسانًا إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ﴾ [سبأ: ١٣]، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان؛ فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه[(٥)].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفرق بينهما: أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته. والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب؛ ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا. ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه. وهو المحمود عليها. كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) معالم السنن (٤/١١٣) [المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٣٠٥).

(٤) الدرر السَّنية في الأجوبة النجدية (٢/ ١٥٤).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٣٣ ـ ١٣٤)، والدرر السَّنية في الأجوبة النجدية (٤/٢٨٩).

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس. فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان»[١].

الثمرات:

من ثمرات الشكر: أن الشاكرين الله تعالى هم في مأمن من عذاب الله تعالى وعقابه؛ لأن ضده وهو كفران النعمة مما قد توعد الله صاحبه، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

وهو سبب عظيم من أسباب زيادة الرزق وبركته؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

سبب لرضا الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

مذهب المخالفين:

الخوارج ومن وافقهم قالوا: الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، لكن متى انتفى الشكر انتفى الإيمان بالكلية، وهذا مبني على أصله مذهبهم في التكفير بالذنوب والمعاصي.

وهذا المذهب ظاهر البطلان من أصله، وأما عن مسألة التكفير بترك الشكر: فالذي هو متقرر بالنصوص الشرعية: أن الكفر **نوعان؛ أحدهما:** كفر النعمة، **والثاني:** الكفر بالله، والكفر الذي هو ضد الشكر: إنما هو كفر النعمة، لا الكفر بالله، فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة، لا الكفر بالله، والكفر إنما يثبت إذا ثبت عدم الشكر بالكلية، فمن ترك الأعمال شاكرًا بقلبه ولسانه فقد أتى ببعض الشكر وأصله[٢].

المصادر والمراجع:

١ ـ «استنشاق نسيم الأنس»، لابن رجب الحنبلي.

٢ ـ «التسبيح»، لمحمد بن إسحاق كندو.

٣ ـ «الحمد على ضوء الكتاب والسُّنَّة وأقوال السلف الصالح»، لوليد بن عيسى السعدون.

٤ ـ «الشكر»، لابن أبي الدنيا.

٥ ـ «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، لابن القيِّم.

٦ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيِّم

٧ ـ «معالم السنن» (ج٤)، للخطابي.

٨ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، لمجموعة من الباحثين.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٣٥ ـ ١٣٨).

الشَّكور

التعريف لغة:

الشَّكُور: اسم مشتق من الفعل: شَكَر يَشْكُر شُكْرًا وشَكرًا وهو شاكرٌ وشَكُور، ومعناه: الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، ويطلق على الامتلاء والغُزْر في الشيء[(١)]، ويقال: إن أصل الشكر في الكلام: الظهور، ومنه يقال: شَكِير النبت. وشَكَر الضرع؛ إذا امتلأ، وامتلاؤه: ظهوره، ويقال: دابة شكور، وهو السريع السمن، فسرعة سمنه ظهور أثر صاحبه عليه[(٢)].

ولهذا قال الليث: «الشُّكْرُ: عرفان الإحسان ونشره، وحمد موليه»[(٣)]، ففيه إظهار أثر نعمة المنعم بالقول والفعل.

التعريف شرعًا:

الشكور: اسم ثابت لله ﷻ يدل على أن الله ﷻ يتقبل اليسير من الطاعة، فيُثيب عليه الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر[(٤)].

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) [دار الجيل]، الصحاح (٢/ ٢٦٥) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م].

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٧) [دار الثقافة العربية، ١٩٧٤هـ].

(٣) تهذيب اللغة (٣/ ٣١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٦٥) [ط٢، ١٤١٢هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشترك المعنى اللغوي والشرعي لكلمة الشكر في الثناء على المحسن، فهو من الله ﷻ قبوله لحسنات العباد وإثابتهم عليها، ومن العبد الثناء على المنعم بالقول والفعل ودوام الطاعة.

الحكم:

يجب إثبات الشكور اسمًا لله ﷻ والإيمان بأن الله شكور وذو شكر، يتفضل على عباده بقبول حسناتهم وإثابتهم عليها، ويضاعفها أضعافًا مضاعفة، فضلًا منه ورحمة.

الحقيقة:

الله ﷻ هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء، ويثيب عليه بالعطاء الجزيل، فإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة، فهو الذي وفقه للبذل وشكره عليه[(٥)].

الأدلة:

ورد ثبوت اسمه تعالى (الشكور) في القرآن الكريم، وأجمعت الأمة على ثبوته.

فمما ورد في القرآن قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر]،

(٥) انظر: عدة الصابرين (٢٤٠) [دار الكتب العلمية].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر].

وأما الإجماع فقد ذكره القرطبي فقال: «وجاء شكور في عداد الأسماء، وأجمعت عليه الأمة»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ [التغابن: ١٧]: «يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله»[(٢)].

وقال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسماء الله تعالى: الشاكر والشكور: المخلوق يشكر من أحسن إليه، والله يشكر لنا إحساننا إلى أنفسنا»[(٣)].

وقال ابن القيِّم: «وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور؛ بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء، فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى ويلقي له الشكر بين عباده ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك»[(٤)].

وقال السعدي: «الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورًا وإيمانًا وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطًا، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق»[(٥)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اسم الله الشاكر:

لقد ورد اسم الله (الشاكر) في القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء].

قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن أسماء الله تعالى: الشاكر»[(٦)].

وقال السعدي: «الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى»[(٧)].

---

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٢١) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢٨).
(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٠) [دار الراية].
(٤) عدة الصابرين لابن القيم (٢٤٠) [دار الكتب العلمية].
(٥) تفسير السعدي (٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٦) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٠).
(٧) تفسير السعدي (٧٦).

كما ذكره ابن عثيمين ضمن الأسماء الواردة في القرآن[(١)].

ـ المسألة الثانية: يشتق من اسمه تعالى (الشكور):

الشكر صفة لله تعالى، فيوصف الله ﷻ بأنه شاكر وشكور وذو شكر، والشكر من صفاته الفعلية الدالة على سعة فضله وكرمه وجزيل عطائه وعظم ثوابه، وقد تقدمت الأدلة على ذلك، والله يجازي كل شكور.

الفروق:

الفرق بين الشاكر والشكور:

الشاكر اسم فاعل، والشكور فعول بمعنى فاعل إلا أنه صيغة مبالغة يفيد كثرة الشكر.

وقيل: الشاكر من وقع منه الشكر، والشكور المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته، ومع ذلك لا يوفي حقه؛ لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرًا آخر لا إلى نهاية، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ][(٢)].

الفرق بين الحمد والشكر:

قال ابن القيِّم: «الفرق بينهما: أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا، ومتعلقه: النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله. والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد يقع بالقلب واللسان»[(٣)].

الآثار:

١ ـ يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو الشاكر والشكور على الإطلاق، وأن شكره تعالى واجب على كل مكلف من غير خلاف؛ لأنه الذي يقبل القليل ويعطي الكثير.

٢ ـ ويجب الاجتهاد في شكره سبحانه والثناء عليه بالقلب واللسان وكل الجوارح، وذلك من خلال الامتثال بأوامره سبحانه واجتناب نواهيه، فشكر القلب أن لا يشغله بغير ذكره ومعرفته،

(١) انظر: القواعد المثلى (٧٩)، عليه شرح فتح العلي الأعلى.

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٣٠٢) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٤٦).

وشكر اللسان أن لا يستعمل في غير ثنائه ومدحه، وشكر الجوارح أن لا تستعمل في غير طاعته.

٣ ـ وعلى المسلم أن يشكر من أسدى إليه معروفًا من الناس، وقد ربط الله ﷻ شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان]. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[(١)].

٤ ـ التوجه إلى الله وسؤاله باسميه الشاكر والشكور، متوسلًا بهما إليه أن يتقبل صالح أعماله ويغفر زلاته، فإنه غفور شكور[(٢)].

مذهب المخالفين:

قد خالف في هذا الاسم الجهمية والمعتزلة، فالجهمية لا يثبتون لله أيَّ اسم لا شاكرًا ولا شكورًا ولا غيرهما، فالله عندهم لا يسمى بشيء؛ وذلك لظنهم أن إثبات الأسماء يلزم منه التشبيه، والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم شاكر بلا شكر كما أنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحيٌّ بلا حياة... إلخ[(٣)].

الرد عليهم[(٤)]:

١ ـ أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، وهذا يقتضي أن تكون دالّة على معانٍ عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، فلو كانت أعلامًا محضة لكانت غير دالّة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلًا عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء.

٢ ـ قولهم هذا مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي؛ لأن من المعلوم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وأنه لا يمكن أن يقال: عليم لمن لا علم له وشكور لمن لا شكر له.

٣ ـ أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨١١)، والترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٥٤) وصحَّحه، وأحمد (١٢/٤٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧٧٦) [مكتبة المعارف، ط١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٣٢٦ ـ ٣٢٨)، فقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٠٨) [ط١، ١٤٢٩].

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٣٥) [مكتبة التخصصية المصرية، ط٣، ١٣٨٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/٣٤ ـ ٣٥) [دار الوفاء، ط٣، ١٣٢٦هـ]، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٢/٥٢٦) [مؤسسة قرطبة، ط١].

(٤) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين (٢٩، ٣١) [دار الوطن، ١٤٢٤هـ].

وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر]، فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفًا محضًا لكان ذكرها مجتمعة لغوًا من القول لعدم الفائدة.

٤ ـ أن الاتفاق في الاسم العام لا يقتضي تماثل المسميات في ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص، فما سمى الله به نفسه اختص به عند الإضافة، وكذلك ما تسمى به العبد اختص به[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمود عبد الرزاق.

٢ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٥ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٦ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٧ ـ «صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ كتاب «التوحيد»، لابن منده.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود.

الشهادة

يراجع مصطلح (الشهيد).

شهادة أنَّ محمدًا رسول الله

التعريف لغة:

الشَّهادة: مصدر الفِعل الثلاثي المجرَّد (شَهِد)؛ ومعناه: الحُضور والعِلْم والإعلام، والخبر القاطِع، والمشهَد: محضر الناس، والمُشاهَدَة: المعاينة. ومنه سُمِّي القتيل في سبيل الله: شهيدًا؛ لأنَّ ملائكة الرحمة تشهده ـ أي: تحضره ـ، أو لسقوطه على الشاهدة ـ وهي: الأرض ـ، وقيل غير ذلك[(٢)].

والرَّسُول: هو مَن أُرْسِل في رسالة، والذي يُتابِع أخبار مَن بعثه؛ فهو مُرْسَل ورَسُول، وجمعه: رُسْل ورُسُل. ويُطلَق الرسول على الرِّسالة نفسها. والراء والسين واللام أصلٌ واحدٌ مطرد منقاس يدل على: الانبعاث والامتداد؛ ومنه الرَّسْل: السير السَّهْل، وشَعْر رَسْل: إذا كان مسترسلًا[(٣)].

(١) انظر: التدمرية لابن تيمية (٢٠ ـ ٢١) [مكتبة العبيكان، ط٨، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٢/٤٩٤) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣/٢٢١) [دار الفكر ببيروت، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٣٧٢) [مؤسسة الرسالة ببيروت، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: الصحاح للجوهري (٤/١٧٠٩)، وتهذيب =

۞ التعريف شرعًا:

معنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: «طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع»(١).

۞ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للشَّهادة حول: الحضور والعلم القاطع، وحقيقة الشهادة في اصطلاح الشَّرع: العلم القاطع بنبوَّة نبيِّنا محمد ﷺ، وكأنَّ المسلم قد حضر هذا بنفسه، وما ذكر مما تقتضيه هذه الشهادة ـ من الطاعة والتصديق وغيرهما ـ هو من لوازم هذا الحضور والعلم القاطع وتوابعهما. فيظهر بهذا أنَّ بين المعنيين تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

۞ الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد اعتقادًا يقينيًّا جازمًا أن شهادة (أن محمدًا رسول الله) ركن من أركان الإسلام لا يتم الإسلام إلا به، وهي من لوازم شهادة (أن لا إلٰه إلا الله)؛ فلا تصح إحداهما بدون الأخرى، فمن شهد أن لا إلٰه إلا الله وكذَّب بمحمَّد ﷺ لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، حتى يأتي بهذين الرُّكنين وتلك الشَّهادتين، اللَّتين هما أوَّل ركن من أركان الإسلام الخمسة.

۞ الحقيقة:

تحقيق شهادة (أنَّ محمَّدًا رسول الله) قائم على ركنين عظيمين؛ هما: التصديق والانقياد.

فالتصديق بهذه الشهادة قائم على إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله تعالى، ويكون ذلك بالإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم، وأنه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات.

والإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع، وبأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها، وأدى الأمانة، ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.

والإيمان بعصمته ﷺ، وبما له من حقوق خلاف ما تقدم ذكره؛ كمحبته وتعظيمه ﷺ.

وتصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به

= اللغة للأزهري (١٢/ ٣٩١) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٩٢).

(١) ثلاثة الأصول لابن عبد الوهاب (٥٧) [مع حاشية ثلاثة الأصول لعبد الرحمٰن القاسم، ط٥، ١٤٠٧هـ]. وانظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٩٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض]، وجامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٢٧٣) [مطبعة المدني، مصر]، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٠٥)، وتيسير العزيز الحميد (٨٢) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٣، ١٣٩٧هـ]، وفتح المجيد (٧١) [دار المؤيد بالرياض، ط٨، ١٤٢٣هـ].

من عند الله حق يجب اتباعه. وهذا يجب عليه ﷺ وعلى كل أحد.

فيجب تصديق النبي ﷺ في جميع ما أخبر به عن الله ﷻ، من أنباء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال، وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله ﷻ.

أما الرُّكن الثاني فهو طاعته واتباع شريعته: بأن يعزم على العمل بما جاء به ﷺ، وهو يعني: الانقياد له ﷺ، وذلك بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه وزجر، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]. فيجب على الخلق اتباع شريعته، والالتزام بسُنَّته، مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله، وأن معصيته معصية لله؛ لأنه هو الواسطة بين الله وبين الثقلين في التبليغ[(١)].

المنزلة:

شهادة (أن محمدًا رسول الله) هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة؛ إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، فالشهادة لهذا النبي الكريم ﷺ قرنت بالشهادة لله تعالى، فلا تحصل النجاة والسعادة بدونها؛ إذ هي الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ومما يدل على علو منزلة هذه الشهادة أيضًا: أنَّ العبد لا يدخل في دين الإسلام إلا بشهادتي التَّوحيد: (أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله)، وأنَّ نواقض شهادة (أنَّ محمَّدًا رسول الله) هي نفسها نواقض شهادة (أن لا إلٰه إلا الله)، فمن نقض أيًّا من الشَّهادتين فقد نقض الأخرى ولا بد، وإن كانت شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله قد تختص ببعض النواقض التي هي بها ألصق؛ ومنها: جحد نبوَّة النبي ﷺ أو فضله، أو التنقُّص من قدره، أو سبّه أو شتمه ـ عياذًا بالله ـ، أو الاستهزاء به أو بشيء من سُنَّته، أو تكذيبه، أو اعتقاد جواز التعبُّد بغير شرعه، أو أنَّ أحدًا يسعه الخروج عن شرعه والتعبُّد بغير دينه، أو بغض ما جاء به ﷺ أو بعضه، إلى غير ذلك من النواقض المعلومة المشهورة.

كل هذا يدلُّ على رفيع منزلة هذه الشهادة عند الله تعالى.

الأدلة:

دلَّ على هذا المعتقد أدلَّة كثيرة من القرآن الكريم، والسُّنَّة الصَّحيحة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر:

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٩١).

٧]، وقوله جَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النسا]، وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، والآيات في هذا الباب كثيرةٌ معروفةٌ، تزيد على الثّلاثين موضِعًا.

ومن السُّنَّة الصحيحة: حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله** ـ وفي رواية مسلم: **عبده ورسوله** ـ، **وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والحجّ، وصوم رمضان**»[١].

وجاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله**»[٢].

وجاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والنَّاس أجمعين**»[٣].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٥٧)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «قاعدة نافعة في: وجوب الاعتصام بالرسالة، وبيان أن السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ، وأنّ الضّلال والشّقاء في مخالفته، وأنّ كلّ خير في الوجود ـ إما عام وإما خاص ـ فمنشؤه من جهة الرسول ﷺ، وأنّ كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه: مخالفة الرسول ﷺ أو الجهل بما جاء به، وأنَّ سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرِّسالة»[٤].

وقال ابن القيِّم: «رأس الأدب مع الرّسول ﷺ: كمال التّسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمِّله معارضة خيال باطل يسمِّيه معقولًا، أو يحمِّله شبهة أو شكًّا، أو يقدِّم عليه آراء الرِّجال وزبالات أذهانهم! فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة والخضوع والذلّ والإنابة والتوكُّل؛ فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرّسول؛ فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظِّمه، فإن أذنوا له

(٤) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣).

نفَّذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السَّلامة أعرض عن أمره وخبره وفوَّضه إليهم، وإلا حرَّفه عن مواضعه، وسمَّى تحريفه تأويلًا وحملًا؛ فقال: نؤوِّله ونحمله! فلأن يلقى العبد ربَّه بكلِّ ذنب على الإطلاق ـ ما خلا الشِّرك بالله ـ خير له من أن يلقاه بهذه الحال!»[١].

الشُّروط:

«شروط شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، هي:

١ ـ الاعتراف برسالته، واعتقادها باطنًا في القلب.

٢ ـ النطق بذلك، والاعتراف به ظاهرًا باللسان.

٣ ـ المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

٤ ـ تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة.

٥ ـ محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

٦ ـ تقديم قوله على قول كل أحد، والعمل بسُنَّته»[٢].

المسائل المتعلقة:

ـ عدم اشتراط لفظ أشهد:

لا يشترط في التلفظ ـ عند الدخول في الإسلام ـ بكلمة الشهادة أن يقول: (أشهد)، فلو قال: (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) حُكم بإسلامه، وأن المراد بالشهادتين: ذلك، لا أن يقول: لفظ: (أشهد)، وقد نقل الحليمي الاتفاق على ذلك[٣].

والأدلة الصحيحة على ذلك كثيرة، منها:

قول النبي ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إلٰه إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه**»[٤]، ولم يأت فيها ذكر (أشهد).

وقول النبي ﷺ لعمه أبي طالب: «**يا عم قل: لا إلٰه إلا الله**»[٥]. ولم يقل لفظ: (أشهد).

وقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**»[٦].

وغيرها من الأحاديث.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٨٧) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) عقيدة التوحيد للفوزان (٣٩).

(٣) انظر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٤٧١)، وتبصرة الحكام (١/ ٢٦٢)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤/ ١٦٥)، والطرق الحكمية لابن القيم (٢٠٢)، والمحلى لابن حزم (١٠/ ٦٤٠)، والاختيارات الفقهية لابن تيمية (٣٦١)، ووسائل الإثبات لمحمد الزحيلي (١/ ٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٩٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٣٩٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

الآثار:

من الآثار المترتبة على تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله:

- حصول السّعادة والهدى في متابعة الرّسول ﷺ.

- حصول الضّلال والشّقاء في مخالفته ﷺ.

- أنّ كلّ خير في الوجود ـ إمّا عامّ وإمَّا خاصّ ـ فمنشؤه من جهة الرَّسول ﷺ، وأنَّ كلَّ شرٍّ في العالم مختصٌّ بالعبد فسببه: مخالفة الرَّسول ﷺ أو الجهل بما جاء به.

- أنَّ سعادة العباد في معاشهم ومعادهم بتحقيق هذه الشهادة[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أعلام السُّنَّة المنشورة»، لحافظ الحكمي.

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ ـ «جامع الرسائل» (ج١)، لابن تيمية.

٤ ـ «حقوق النبي ﷺ على أمّته في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٥ ـ «زاد المعاد» (ج٣)، لابن القيِّم.

٦ ـ «شرح الأصول الثلاثة»، لابن عثيمين

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ.

٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣، ١٩)، لابن تيمية.

١٠ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيِّم.

الشهادة لمعيَّن بجنة أو نار

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الشين والهاء والدال أصل واحد يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه؛ من ذلك: الشهادة؛ يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام؛ يقال: شهد يشهد شهادة»[(٢)].

والشهادة خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل على كذا، والشاهد: هو العالم الذي يبيِّن ما علمه، وشهد الشاهد عند الحاكم: أي: بيَّن ما يعلمه وأظهره، والمشاهدة: المعاينة، وشهده شهودًا؛ أي: حضره[(٣)].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/٩٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/٢٢١) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (٢٧/٢٣٤٨) [دار المعارف، القاهرة]، والقاموس المحيط (٣٧٢) [مؤسسة الرسالة].

التعريف اصطلاحًا:

الشهادة لمعين بجنة أو نار هو الحكم عليه في الآخرة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، والقطع بذلك[(١)].

الحكم:

لا يجوز الشهادة لمعين بجنة أو نار، إلا من شهد له النص من القرآن والسُّنَّة بذلك؛ كشهادة القرآن أن أبا لهب وامرأته في النار، وكالوليد بن المغيرة، الذي سماه الله بالوحيد، وغيرهم من أهل النار، وكذلك من شهد له القرآن والسُّنَّة بالجنة؛ كالأنصار والمهاجرين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وغيرهم ممن نص على تعيينهم[(٢)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار. فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا؛ عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «**أوَغير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبًا ولا ورقًا، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضُّبيب، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله يحلُّ رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه، قلنا له: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «**كلَّا والذي نفسه بيده؛ إن الشملة لتلتهب عليه نارًا، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم**». قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك أو شراكين. فقال: يا رسول الله أصبت يوم خيبر. فقال

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/٥٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، ومجموع الفتاوى (٣٥/٦٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١٤١٦هـ]، وطريق الهجرتين (١/٥٨٧) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٤/١٥٦) [دار الفكر، ط١٤٠١هـ]، وشرح الطحاوية (١/٤٣٦، ٥٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٢).

رسول الله: «**شراك من نار أو شراكان من نار**»[(١)].

وعن أُمِّ العلاء رضي الله عنها أنها قالت: اقتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغُسِّل وكُفِّن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ. فقلت: رحمةُ الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك أن الله أكرمه**». فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ فمن يكرمه الله؟ فقال: «**أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي**». قالت: فوالله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله: «ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار؛ لأن علم ذلك يغيب عنهم لا يدرون على ماذا الموت أعلى الإسلام أم على الكفر، ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مجتنبًا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ولم يذكر عنهم ذنبًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البيِّنة]، ومن شهد له النبي ﷺ بعينه، وصح له ذلك عنه؛ فإنهم يشهدون له بذلك اتباعًا لرسول الله ﷺ، وتصديقًا لقوله»[(٣)].

وقال الصابوني رحمه الله: «ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار؛ لأن ذلك مغيَّب عنه، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، أعلى إسلام، أم على كفر»[(٤)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا لا يشهد لمعيَّن بالجنة إلا بدليل خاص، ولا يشهد على معيَّن بالنار إلا بدليل خاص، ولا يشهد لهم بمجرد الظن من اندراجهم في العموم؛ لأنه قد يندرج في العمومين، فيستحق الثواب والعقاب لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٣٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٤٣).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (٦٨ ـ ٦٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٩١) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/٦٨) [مجمع الملك فهد =

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: مراد السلف بقولهم الشهادة بدعة:

قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل: البراءة بدعة، والولاية بدعة، والشهادة بدعة؟ قال: «البراءة أن تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله. والولاية: أن تتولى بعضًا وتترك بعضًا. والشهادة: أن تشهد على أحد في النار»[(١)].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «وهذا معنى قول السلف: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة، يروى ذلك عن جماعة من السلف، من الصحابة والتابعين؛ منهم: أبو سعيد الخدري، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وغيرهم، ومعنى الشهادة: أن يشهد على معيَّن من المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر، بدون العلم بما ختم الله له به»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: هل يشهد للجنة بمن استفاض صلاحه واستقامته عند الناس؟

اختلف أهل العلم قديمًا في هذه المسألة على **ثلاثة أقوال**[(٣)]:

القول الأول: أنه لا يشهد لأحد إلا للأنبياء عليهم السلام، وهذا قول محمد ابن حنفية، والأوزاعي، وعلي بن المديني، وغيرهم، مع أن بعضهم كابن المديني يقول: إن العشرة المبشرين في الجنة، لكن يأبى قول القائل: أشهد أنهم في الجنة[(٤)].

القول الثاني: وهو أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء النص به، وهذا قول كثير من أهل الحديث.

القول الثالث: وهو أنه يشهد للجنة لكل مؤمن جاء النص به، ولمن شهد له المؤمنون بذلك؛ كمن استفاض صلاحه وعلمه وورعه؛ كالإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من أئمة الدين والصلاح.

ولهم أدلة استدلّوا بها من السُّنَّة، منها: ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: مَرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا. فقال النبي ﷺ: **«وجبت»**. ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا. فقال: **«وجبت»**. فقال عمر بن الخطاب: ما

= لطباعة المصحف الشريف، ط١٤١٦هـ].

(١) السُّنَّة للخلال رقم (٧٦٣) (٢/ ٤٧٩) [دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٩٧).

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٢٩٥) و(٦/ ٢٠٣)، والنبوات (١/ ١٥٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٣٨).

(٤) جرت في ذلك مناظرة بين علي بن المديني وأحمد بن حنبل؛ حيث ألزمه الإمام أحمد أنه ما دام يقول عن العشرة أنهم في الجنة لزمه الشهادة لهم بذلك، فلا يشترط في الشهادة لفظ أشهد. انظر: منهاج السُّنَّة (٦/ ٢٠٣) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، وزاد المعاد (٣/ ٦٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١٤، ١٤٠٧هـ].

وجبت؟ قال: «**هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**»[(١)].

وكذلك استدلوا بحديث أبي زهير الثقفي أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالنباوة أو البناوة ـ قال: والنَّباوة من الطائف ـ: قال: «**يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار**». قالوا: بم ذلك يا رسول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن والثناء السيّئ**»[(٢)].

وقد مال إلى هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فقال عقب ذكره للأقوال: «والتحقيق أن هذا قد يعلم بأسباب، وقد يغلب على الظن، ولا يجوز للرجل أن يقول بما لا يعلم»[(٣)].

فمن الأسباب التي يراها شيخ الإسلام ابن تيمية: إخبار النبي ﷺ، وتواطؤ شهادات المؤمنين، الذين هم شهداء الله في الأرض، وتواطؤ رؤيا المؤمنين.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٧)، ومسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٤٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٢١)، وأحمد (٣٩/ ٥٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤١٣) وصحَّحه، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٤١) [دار العربية، ط٢]، وحسَّنه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(٣) النبوات (١/ ١٥٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقول بكون الرجل المعيَّن من أهل الجنة قد يكون سببه: إخبار المعصوم، وقد يكون سببه تواطؤ شهادات المؤمنين، الذين هم شهداء الله في الأرض، وقد يكون سببه تواطؤ رؤيا المؤمنين؛ فإن النبي ﷺ قال: «**لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن الرجل الصالح أو ترى له**»[(٤)]»[(٥)].

وهناك من أهل العلم من قال: إن هذا خاص بالصحابة الذين زكاهم النبي ﷺ، وكانوا ينطقون بالحكمة، وهذا بخلاف من بعدهم[(٦)].

ولهذا ذهب بعض أهل العلم المعاصرين أنه لا يشهد لأحد بجنة أو نار إلا من شهدت له النصوص.

قال الفوزان: «نحن لا نشهد لأحد مهما بلغ من الصلاح والتقى، لا نشهد له بالجنة؛ لأننا لا نعلم الغيب، ولا نحكم لأحد من المسلمين بالنار، مهما عمل من المعاصي؛ لأننا لا ندري بما ختم عليه، ومات عليه، وهذا في المعيَّن، فنحن ما لنا إلا الظاهر فقط،

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٧٩)، بنحو اللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام.

(٥) منهاج السُّنَّة (٣/ ٤٩٧ ـ ٤٩٩).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ١٥٢) [دار طيبة، ط١، ١٤٢٦هـ].

وكذلك لا يحكم لأحد بالنار، إلا من شهد له بذلك الرسول، سواء بجنة أو نار»[١].

ـ المسألة الثالثة: حكم أطفال المسلمين الذين يموتون قبل البلوغ:

اختلف أهل العلم في أطفال المسلمين على **قولين مشهورين**[٢]:

القول الأول: وهو أنهم في الجنة، وحكي في ذلك الإجماع.

عن جعفر بن محمد حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يسأل عن أطفال المسلمين؟ فقال: «ليس فيه اختلاف أنهم في الجنة»[٣].

وممن نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «قد أجمع العلماء على أن أطفال المسلمين في الجنة، ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافًا»[٤].

وحكاه النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا؛ فقال: «أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفًا»[٥].

وممن حكى الإجماع أيضًا ابن كثير[٦]، وحكاه ابن حزم عن جمهور أهل العلم، بما فيهم أطفال المشركين[٧].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا القول في أطفال المسلمين هو المعروف من قواعد الشرع»[٨].

واستدلّوا بأدلة منها: **من القرآن:** قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور: ٢١].

ومن السُّنَّة: حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**»[٩].

وعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم: «**صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه** ـ أو قال: **أبويه** ـ **فيأخذ بثوبيه** ـ أو قال:

---

(١) التعليقات المختصرة على متن الطحاوي (١٦٣) [دار العاصمة، ط١٤٢١هـ].

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٦/٣٤٨ ـ ٣٤٩) (١٨/١١١)، والفصل لابن حزم (٤/١٢٧) [دار الجيل، ط٢]، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/١٠٧١) [دار العاصمة، ط١٤٢١هـ]، وطريق الهجرتين (٢/٨٤١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد لأبي بكر الخلال (١١ رقم ١٢) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) التمهيد (٦/٣٤٨ ـ ٣٤٩).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٦/٢٠٧) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٩هـ].

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٤٦٠).

(٧) انظر: الفصل (٤/١٢٧).

(٨) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٨٣).

(٩) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨١).

بيده ـ كما آخذُ أنا بصَنِفَةِ ثوبك هذا فلا يتناهى ـ أو قال: **فلا ينتهي ـ حتى يدخله الله وأباه الجنة»**(١)، وغيرها.

القول الثاني: وهو مذهب التوقف، وقد يكون المراد به: إما أنهم في التيه، فيجوز أن يدخلوا جميعهم الجنة، ويجوز أن يدخلوا جميعهم النار، أو المراد به: أن الله أعلم بما كانوا عاملين(٢).

واستدلوا بأدلة منها: حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار. فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «**أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»**(٣).

قالوا: هذا الحديث صريح صحيح في التوقف فيهم، فإن الصبي كان من أولاد المسلمين، وقد دعي النبي ﷺ للصلاة عليه(٤).

وكذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المشهور وفيه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»**(٥).

قالوا: وجه الدلالة منه: أن جميع من يولد من بني آدم إذًا كتب السعداء والأشقياء منهم قبل أن يخلقوا، وجب علينا التوقف في جميعهم؛ لأنَّا لا نعلم هذا الذي توفي منهم هل كتب سعيدًا، أم شقيًّا؟(٦).

والجواب: أنه إن كان المراد بالتوقف أنهم في التيه، وأنه يجوز أن يدخلوا الجنة، ويجوز أن يدخلوا النار، كما هو قول المجبرة، فهو قول باطل، مبني على أصل باطل، ومخالف لإجماع أهل العلم، ومخالف للأحاديث السابقة الصريحة في دخولهم الجنة.

وأما إن كان المراد بالتوقف أن الله أعلم بما كانوا عالمين، فهذا أيضًا مخالف للسُّنَّة الصحيحة الصريحة، وللإجماع، فالخلاف فيهم لا يعتد به، فلهذا أنكر الإمام أحمد وجود الاختلاف فيهم، وقال: «إنما اختلفوا في أطفال المشركين»(٧).

وأما عن حديث عائشة أم المؤمنين، **فجوابه من وجهين:**

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٥).

(٢) انظر: التمهيد (٦/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) (١٨/ ١١١ ـ ١١٢)، ودرء التعارض (٨/ ٤٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٢).

(٤) أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٦) أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٧٢).

(٧) أحكام أهل الملل لأبي بكر الخلال (١٢ رقم ١٤).

أحدهما: أن يكون المراد به أنه لا يشهد لكل معين من أطفال المسلمين أنه في الجنة، وإن أطلق في الجملة أنهم في الجنة، وهذا أقوى الوجهين.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا الحديث يدل على أنه لا يشهد لكل طفل من أطفال المؤمنين بالجنة، وإن أطلق على أطفال المؤمنين في الجملة أنهم في الجنة، لكن الشهادة للمعين ممتنعة؛ كما يشهد للمؤمنين مطلقًا أنهم في الجنة، ولا يشهد لمعين بذلك إلا من شهد له النبي ﷺ؛ فهذا وجه الحديث الذي أشكل على كثير من الناس»[(١)].

الثاني: يحتمل أن يكون ذلك قبل نزول الخبر أنهم يدخلون الجنة[(٢)].

وأما الجواب عن حديث عبد الله بن مسعود فإنه يدل على أن الله تعالى كتب شقاوة الأطفال وسعادتهم وهم في بطون أمهاتهم، ولا ننفي أن تكون الشقاوة والسعادة بأشياء علمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منهم، وهم عاملوها لا محالة، تفضي بهم إلى ما كتبه وقدره[(٣)].

ـ المسألة الرابعة: حكم أطفال الكفار الذين يموتون قبل البلوغ:

اختلف أهل العلم قديمًا وحديثًا في هذه المسألة على أقوال كثيرة[(٤)]، **أشهرها ثلاثة أقوال**[(٥)]:

القول الأول: وهو أنهم كلهم في نار جهنم؛ لأنهم ماتوا على غير الإسلام، وهذا قول طائفة من أهل السُّنَّة، وقول جماعة من المتكلمين، اختاره القاضي أبو يعلى، ونسبه إلى الإمام أحمد، وتعقبه ابن تيمية، وقال: هو غلط عليه[(٦)]، ونسبه ابن حزم إلى الأزارقة من الخوارج[(٧)].

وقد استدلّوا بأدلة لا تقوى، وهي ضعيفة[(٨)]، وأجود ما احتجوا به حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله ذراري

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٨٦٤).

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (١٨١) [ط١، ١٤١٨هـ].

(٣) أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٧٢ ـ ١٠٧٣)، وانظر: الاعتقاد للبيهقي (١٨٣).

(٤) أقل الأقوال ثلاثة، حكاها النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٧، ١٢/ ٥٠)، وأكثرها عشرة حكاها ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٨٦)، وحكى فيها ثمانية أقوال في طريق الهجرتين (٢/ ٨٤٢)، وحكى فيها ابن تيمية خمسة أقوال في درء التعارض (٨/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، وغيرهم.

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١١١) [ط١٣٦٩هـ]، والفصل لابن حزم (٤/ ١٢٧) [دار الجيل، ط٢]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤/ ٣٧٢)، ودرء التعارض (٨/ ٤٣٥) [جامعة الإمام، ١٤١١هـ]، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ١٠٧١) [دار العاصمة، ط١٤٢١هـ]، وطريق الهجرتين (٢/ ٨٤١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٤) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٤/ ١٧٨) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٢)، وانظر منه: (٤/ ٣٠٣).

(٧) الفصل (٤/ ١٢٧).

(٨) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٨٤٧)، وفتح الباري لابن حجر (٤/ ١٧٨).

المؤمنين؟ فقال: «**من آبائهم**». فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟! قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**». قلت: يا رسول الله فذراري المشركين؟. قال: «**هم من آبائهم**». فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟! قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(١)].

والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن حديث عائشة رضي الله عنها قد ضعفه غير واحد من أهل العلم، وعلى تقدير ثبوته فإن النبي قال: «**هم من آبائهم**» ولم يقل هم معهم، وفرق بين الحرفين، وكونهم منهم لا يقتضي أن يكونوا معهم في أحكام الآخرة، بخلاف كونهم منهم فإنه يقتضي أن تثبت لهم أحكام الآباء في الدنيا، من التوارث، والحضانة، والنسب وغير ذلك[(٢)].

الثاني: أنه يدلُّ على أن الذين يلحقون بآبائهم هم الذين علم الله أنهم لو عاشوا لاختاروا الكفر، وعملوا به، فهؤلاء مع آبائهم، وقول عائشة رضي الله عنها بلا عمل؛ أي: أنهم يلحقون بهم بلا عمل عملوه في الدنيا، ولا ينفي هذا أن يلحقوا بهم بأسباب أخرى، يمتحنهم بها في عرصات القيامة[(٣)]، كما سيأتي تحقيقه.

القول الثاني: أنهم كلهم في الجنة، وهو قول طائفة من المفسرين، والمتكلمين، واختاره ابن الجوزي، ورجحه النووي[(٤)]، وذكر ابن حجر أن تراجم البخاري في صحيحه تشير إلى أنه من الذاهبين إلى هذا القول بعدما كان يرى التوقف فيهم[(٥)] ونسبه ابن حزم إلى الجمهور، ونصره[(٦)].

ومن هؤلاء من يقول: إنهم خدم أهل الجنة، ومنهم من يقول: هم من أهل الأعراف[(٧)]، وأهل الأعراف مآلهم إلى الجنة على الصحيح؛ لأن الأعراف ليست دار قرار[(٨)].

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة؛ من أظهرها: ما رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «**فانطلقنا فأتينا على روضة معْتَمَّة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر من ولدان رأيتهم قط. قال: قلت لهما: ما**

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧١٢)، وأحمد (٤١/ ٩٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحح إسناده الألباني في أحكامه على سنن أبي داود (٨٥١) [مكتبة المعارف، ط١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٢/ ٨٦٢)، وأحكام أهل الذمة له (٢/ ١١٠٨).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٨٤٥).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٢/ ٥٠).

(٥) فتح الباري (٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٦) الفصل (٤/ ١٢٧).

(٧) انظر: درء التعارض (٨/ ٤٣٥).

(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٠).

هذا، ما هؤلاء؟. قال: قالا لي: انطلق انطلق. ـ إلى أن قال ـ: وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة. قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟. فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين»[١].

قالوا: هذا الحديث صحيح صريح في أنهم في الجنة، ورؤيا الأنبياء حق.

واستدلّوا أيضًا بحديث أبي هريرة أنه قال: قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**»[٢].

قالوا: فقد أخبر النبي ﷺ: «**أن كل مولود يولد على الفطرة، وإنما يهوّده وينصّره أبواه، فإن مات قبل التهويد والتنصير مات على الفطرة**».

واحتجّوا أيضًا بالآيات التي فيها نفي العذاب عمن لم تبلغه الدعوة؛ كقوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وغيرها.

(١) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٥)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

القول الرابع: التوقف، والمراد بالتوقف هو قول النبي ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[٣]، فمن علم الله منه إذا بلغ أطاع أدخله الجنة، ومن علم منه أنه يعصي أدخله النار، ثم هم صنفان[٤]:

الأول: منهم من يقول: إنه يجزيهم بمجرد علمه فيهم، كما يحكى هذا القول عن أبي العلاء القشيري المالكي.

الثاني: وهم الأكثرون يقولون: لا يجزي على علمه بما سيكون حتى يكون، فيمتحنهم يوم القيامة، ويمتحن سائر من لم تبلغه الدعوة في الدنيا، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، فهناك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه، ويجزيهم على ما ظهر من العلم، وهو إيمانهم وكفرهم، لا على مجرد العلم، وهذا القول منقول عن غير واحد من السلف؛ من الصحابة والتابعين[٥]، وهو المذهب الثامن الذي حكاه ابن القيِّم في طريق الهجرتين[٦]، وحكاه الأشعري عن أهل السُّنَّة والجماعة في مقالاته[٧].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٥٩٧)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: درء التعارض (٨/٤٣٦).

(٥) انظر: درء التعارض (٨/٤٣٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٢٤٦، ٢٨١، ٣٠٣) (٢٤/٣٧٢).

(٦) طريق الهجرتين (٢/٨٦٤).

(٧) مقالات الإسلاميين (١/٣٤٩).

وهذا القول الأخير هو الذي رجحه ابن تيمية، وابن القيِّم، وابن كثير، وغيرهم من أهل العلم سلفًا وخلفًا[(١)]، وهو الذي تدل عليه الأصول المعلومة من الكتاب والسُّنَّة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ [القصص].

ومن السُّنَّة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(٣)].

وعن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة: أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: يا رب، لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: يا رب جاء الإسلام والصبيان يقذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسولك، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولًا أن ادخلوا النار. قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»[(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.

٢ ـ «الآداب الشرعية»، لابن مفلح.

٣ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيِّم.

٤ ـ «أحكام أهل الملل»، لأبي بكر الخلال.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٦ ـ «أحكام أهل الذمة»، لابن قيم الجوزية.

٧ ـ «زاد المعاد»، لابن القيِّم.

٨ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيِّم.

(١) انظر: أحكام أهل الملل (١٤ رقم ٢٢)، والتمهيد لابن عبد البر (١٨/١١١ ـ ١١٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤/٣٧٢)، وطريق الهجرتين (٢/٨٦٤)، وتفسير ابن كثير (٨/٤٥٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٦/٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (ذكر الأخبار عن وصف قوم يحتجون على الله يوم القيامة، رقم ٧٣٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، واللفظ له، والطبراني في الكبير (١/٢٨٧) [مكتبة ابن تيمية، ط ٢]، وصحَّحه عبد الحق الإشبيلي وابن القيم. انظر: طريق الهجرتين (٣٩٧ ـ ٣٩٨) [دار السلفية، ط٢]، وصحَّحه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (٣/٤١٩).

٩ ـ «النبوات»، لابن تيمية.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

١١ ـ «أهل الفترة ومن في حكمهم»، لموفق شكري.

الشُّهداء

التعريف لغة:

الشُّهداء: جمع شهيد على وزن (فَعيل)، يقال: شهد فلان بحق فهو شاهد وشهيد، واستشهد فلان فهو شهيد؛ إذا مات شهيدًا[(١)].

قال الجوهري: «والشهيد: القتيل في سبيل الله. وقد استشهد فلان، والاسم: الشهادة»[(٢)].

التعريف شرعًا:

قال ابن الأثير: «الشهيد في الأصل: من قُتل مجاهدًا في سبيل الله، ويجمع على شهداء، ثم اتُّسع فيه فأُطلق على من سماه النبي ﷺ من؛ المبطون، والغرق، والحرق، وصاحب الهدم، وذات الجنب، وغيرهم»[(٣)].

وعلى هذا يكون للشهداء **معنيان:**

١ ـ **معنى عام:** وهم الذين أطلق عليهم تسمية شهداء وإن لم يموتوا في المعركة.

٢ ـ **معنى خاص:** الذين قتلوا في سبيل الله في المعركة.

سبب التسمية:

مما قيل في سبب تسمية الشهداء بذلك:

١ ـ أنّ ملائكة الرحمة تشهدهم.

٢ ـ أنهم يشهدون في تلك الحالة ما أعد لهم من النعيم.

٣ ـ أنهم تشهد أرواحهم عند الله.

٤ ـ أن الله تعالى وملائكته شهود لهم بالجنة.

٥ ـ أنّهم ممّن يستشهد يوم القيامة على الأمم الخالية.

٦ ـ لسقوطهم على الشاهدة؛ أي: الأرض.

٧ ـ لأنهم أحياء حضور عند ربهم.

٨ ـ لأنهم يشهدون ملكوت الله وملكه.

المنزلة:

للشهداء منزلة عظيمة عند الله ﷻ، شرَّفهم الله وخصَّهم بها، وما هذا إلا لما بذلوا من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ﷻ. فقد أخبر الله ﷻ أنّ منزلتهم رفيعة، فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

كما أخبر سبحانه أنهم أحياء يرزقون،

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦/٤٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١].
(٢) الصحاح (٢/٤٩٤) [دار العلم للملايين].
(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/٥١٣) [المكتبة العلمية].

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران].

وأنّ لهم أجرهم ونورهم، فقال تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وأخبر النبي ﷺ أنّ: «**للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»[(١)].

وأخبر ﷺ كذلك أنّ «**أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل**»[(٢)].

ولما للشهداء من منزلة عند الله تعالى، يتمنّون الرجوع والشهادة مرة أخرى في سبيل الله، ففي الحديث قال ﷺ: «**ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**»[(٣)].

الأدلة:

أما من القرآن:

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

وأمّا من السُّنَّة:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنّ النبي ﷺ

(١) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصحَّحه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، وأحمد (٢٨/ ٤١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨١٧)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٧).

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

قال: «**إن في الجنة مِائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ: أيّ العمل أفضل؟ قال: **إيمان بالله ورسوله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **حج مبرور**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»[٣].

الأقسام:

قسَّم العلماء الشهداء إلى ثلاثة أقسام[٤]:

١ ـ شهداء في أحكام الدنيا وثواب الآخرة:

وهم الذين قتلوا في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال، وهذا القسم لا يغسَّلون ولا يصلّى عليهم، ويدفنون في ثيابهم.

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٢٩)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٤).

(٤) انظر: المجموع للنووي (٥/ ٢٦٤) [دار الفكر].

٢ ـ شهداء في ثواب الآخرة دون أحكام الدنيا:

كالمبطون والمطعون وصاحب الهدم ومن قتل دون ماله، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميتهم شهداء، وهؤلاء يغسَّلون ويصلّى عليهم، ولهم في الآخرة ثواب الشهداء، ولا يلزم أن يكون ثوابهم مثل ثواب القسم الأول.

٣ ـ شهداء في أحكام الدنيا:

وهم الذين قتلوا في حرب الكفار لكنهم قاتلوا لغرض دنيوي، أو غلّوا من الغنيمة، وشبه ذلك ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيدًا، فلا يغسّلون ولا يصلّى عليهم، لكن ليس لهم ثوابهم الكامل في الآخرة.

المراتب:

تتفاوت مراتب الشهداء ودرجاتهم، ولا يلزم من وصفهم بأنهم شهداء أن تتساوى منازلهم.

ففي الحديث: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة...**»[٥].

قال ابن حجر بعد ذكر بعض من وصف في النصوص بالشهادة: «قال ابن

(٥) تقدم تخريجه.

التين: هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ، بأن جعلها تمحيصًا لذنوبهم وزيادة في أجورهم، يبلغهم بها مراتب الشهداء، قلت: والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الشهيد من أسماء الله:

وقد ورد هذا الاسم في كثير من النصوص، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٣٣﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النساء]. ومعناه: «الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له، عليم بتفاصيله»[(٢)].

ومن معانيه أيضًا: شهادته لنفسه بالوحدانية، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران].

قال ابن أبي العز: «فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع، علمه بذلك سبحانه، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به»[(٣)].

ـ المسألة الثانية: حكم قول: فلان شهيد:

الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة عدم الشهادة والقطع للمعين بالجنة والنار، إلا من شهد له الله تعالى أو رسوله ﷺ بذلك. فعن زهير بن عباد قال: «كل من أدركت من المشايخ؛ مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وغيرهم لا يكفّرون أحدًا بذنب، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة وإن لم يعص الله، ولا أنه في النار وإن عمل الكبائر، ومن خالف هذا فهو عندهم مبتدع»[(٤)].

وقال أبو القاسم التيمي: «ومن مذهب أهل السُّنَّة: أنهم لا يشهدون على أحد من أهل القبلة بالنار، وإن مات على كبيرة من الكبائر، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة، إلا لمن شهد له النبي ﷺ»[(٥)].

وقد اختلف أهل العلم في إطلاق لفظ الشهيد على المعين على **قولين**[(٦)]:

(١) فتح الباري (٦/ ٤٤) [دار المعرفة].
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣) [دار الكتاب العربي].
(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١٠].
(٤) أصول السُّنَّة لابن أبي زمنين (٢٢٢) [مكتبة الغرباء].
(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٨٦) [دار الراية، ط٢].
(٦) انظر: أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي لعبد الرحمٰن =

القول الأول: أنّه لا يجوز الحكم على شخص بعينه أنّه شهيد إلا من جاء الوحي بالشهادة له، وأمّا على سبيل الإجمال والإطلاق فلا بأس بذلك.

قال البخاري: «باب: لا يقول فلان شهيد». قال ابن حجر: «أي: على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي...»(١).

واستدلّوا بعدة أدلة، منها: قوله ﷺ: **«والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله»**(٢).

القول الثاني: جواز الشهادة لمعيَّن بالشهادة.

واستدلَّ أصحاب هذا القول ببعض الآثار المروية عن الصحابة ومن بعدهم في إطلاق هذا اللفظ على بعض من مات في المعركة.

والراجح ـ والله أعلم ـ عدم جواز الشهادة لمعين بأنه شهيد، إلا من شهد له الوحي بذلك، أو أطلق عليه في النصوص على سبيل الإجمال والإطلاق أو الاستثناء؛ كأن يقال: أرجو له الشهادة، أو شهيد إن شاء الله.

الثمرات:

ثمرات الشهادة في سبيل الله كثيرة، تضافرت النصوص في بيانها وقد مر طرف منها في منزلة الشهداء، **ومن هذه الثمرات**(٣):

- أن الشهداء لا يفتنون في قبورهم.
- أنّ الشهداء يغفر لهم كل شيء إلا الدَّين.
- أنّ الشهداء لا يجدون ألم القتل إلا كما يجد الواحد مس القرصة.
- أنّ الأرض لا تأكل أجساد الشهداء.
- أن الشهداء يأتون يوم القيامة؛ اللون لون الدم والريح ريح المسك.
- أنّ الشهداء يتمنون الرجوع إلى الدنيا؛ ليقتلوا مرة أخرى.
- أنّ الشهداء يشفعون لسبعين من أقاربهم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للتيمي.

٢ ـ «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير.

= العمري (٥٣ ـ ٦٩) [رسالة ماجستير بجامعة أم القرى]، والشهادة لمعين بالشهادة لسليمان الدبيخي (١٩ ـ ٣٦).

(١) فتح الباري (٦/ ٩٠).

(٢) هذا اللفظ مركب من **حديثين**:

أولهما: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٨٧)، بلفظ: **«مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله...»** الحديث.

والثاني: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٠٣)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٦)، بلفظ: **«لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله...»** الحديث.

(٣) انظر: الشهادة وأجر الشهيد في ضوء الكتاب والسُّنَّة لصالحة فطاني (١٩١ ـ ٢١٩) [رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، نوقشت عام ١٩٨٥م].

٣ ـ «المجموع شرح المهذب»، للنووي.

٤ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

٥ ـ «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٧ ـ «أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي»، لعبد الرحمٰن العمري.

٨ ـ «الشهادة لمعين بالشهادة»، لسليمان الدبيخي.

٩ ـ «الشهادة وأجر الشهيد في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لصالحة فطاني.

الشهيد (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

يدور معنى كلمة (الشهيد) في اللغة حول الحضور والعلم والرؤية والسمع والإدراك.

فحرف «الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرُج شيءٌ من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشَّهادة، يجمع الأصولَ التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام والشهيد: القتيل في سبيل الله، يقال: شهد فلان عند القاضي، إذا بيّن وأعلم لمن الحق وعلى من هو»[1].

وقال الأزهري: «والشهيد في أسماء الله وصفاته، قال أبو إسحاق: هو الأمين في شهادته، قال: وقيل: الشهيد: الذي لا يغيب عن علمه شيء وشهد فلان بحق فهو شاهد وشهيد»[2].

التعريف شرعًا:

الشهيد: المتفرد بالعلم المحيط بكل شيء، وبشهوده علمًا وسمعًا وبصرًا لسائر شؤون خلقه سبحانه[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لا شك أن المعنى اللغوي هو المعنى الشرعي بعينه، مع التنبيه على أن المعنى اللغوي أوسع من المعنى الشرعي، حيث يشمل معانيَ أخرى كالقتيل في سبيل الله ونحوه.

الحكم:

يجب إثبات اسم الله الشهيد لله ﷻ كما أثبته لنفسه ﷻ على الوجه اللائق به ﷻ[4].

الحقيقة:

الشهيد صيغة مبالغة لاسم الفاعل

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٢١) [دار الجيل، ط٢]، وانظر: القاموس المحيط (٣٧٢) [مؤسسة الرسالة].

(٢) تهذيب اللغة (٦/٤٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٧٥) [دار الثقافة العربية، ط٣]، ومدارج السالكين (٣/٤٦٦) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ]، وتفسير السعدي (٩٤٨) [مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٦٦)، وتفسير السعدي (٩٤٨).

(شاهِد) جاء على وزن (فعيل)؛ للمبالغة التي تدل على الإحاطة التامة بالشيء علمًا وسمعًا وبصرًا، وهذا المعنى وهو الذي دلَّت النصوص على إثباته لله والله أعلم[١].

الأدلة:

دلَّت النصوص الصريحة على ثبوت اسم الله الشهيد جل جلاله، من ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج].

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «الشهيد: هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد كعالم وعليم؛ أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء»[٢].

وقال ابن القيِّم في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت]: «فشهد سبحانه لرسوله ﷺ بقوله أن ما جاء به حق، ووعده أن يرى العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضًا، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجلّ، وهو شهادته سبحانه على كل شيء، فإن من أسمائه الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ بل هو مطلع على كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله»[٣].

وقال السعدي: «الشهيد؛ أي: المطلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه»[٤].

المسائل المتعلقة:

- الشهادة صفة من صفات الله دلَّ عليها اسمه الشهيد:

كما في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت].

و«أصل الشهادة: الرؤية، وقد شاهدت الشيء: رأيته، والشهد: العسل على ما شوهد في موضعه، وقال بعضهم: الشهادة في الأصل إدراك الشيء من جهة سمع أو رؤية فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود»[٥].

الفروق:

الفرق بين الرقيب والشهيد:

يدور معنى كل من الرقيب والشهيد

(١) انظر: شأن الدعاء (٧٥)، وتفسير السعدي (٩٤٨، الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨) [دار ابن القيم، ط٢]، ومدارج السالكين (٣/٤٦٦).
(٢) شأن الدعاء (٧٥).
(٣) مدارج السالكين (٣/٤٦٦).
(٤) تفسير السعدي (٩٤٨).
(٥) الفروق اللغوية للعسكري (٩٦) [دار العلم والثقافة].

حول معنى الإحاطة العلمية التامة الكاملة بجميع المخلوقات. لكن الرقيب فيه زيادة حفظ[(١)].

فالشهيد هو المحيط بالأمور علمًا وسمعًا وبصرًا، والرقيب هو الحفيظ الذي لا يغيب عن حفظه شيء من شؤون خلقه، فما من كبيرة ولا صغيرة، ولا ظاهرة ولا خفية، في السماوات والأرض وما بينهما، إلا هو مطلع عليها. قال الزجاج: «الرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه. يقال: رقبت الشيء أرقبه رَقَبَة، وقال الله تعالى ذكره: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق] وهو تعالى الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء»[(٢)].

وذكر السعدي أن هذين الاسمين مترادفان، فقال: «(الرقيب) و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة]، ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد»[(٣)].

الآثار:

من الآثار العظيمة المترتبة على الإيمان باسم الله الشهيد: مراقبة الله في السر والعلن، والاجتهاد في طلب محابه تبارك وتعالى والسعي إلى تحقيق مراضيه، والبعد عن مساخطه، واجتناب مناهيه قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض حديثه عن اسمي الرقيب والشهيد: «(الرقيب) و(الشهيد) مترادفان، وكلاهما يدلُّ على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة]، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة، والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر، وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله

(١) المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٥٠٧) لزين محمد شحاته [مكتبة العواصم].

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥١) [دار المأمون للتراث، ط٥، ١٤٠٦هـ].

(٣) الحق الواضح للسعدي (٥٨).

وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله الغصن.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «تفسير السعدي».

٤ ـ «الحق الواضح المبين»، السعدي.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لسعيد القحطاني.

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

الشَّيء

التعريف لغة:

الشَّيء: عبارة عن كل موجود، إما حسًّا كالأجسام، إمّا معنىً كالأقوال، وقيل: إنه يختص بالموجود، وقيل هو أعم العام[2].

التعريف اصطلاحًا:

الشيء: اسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان[3].

وقيل: هو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيشمل الموجود والمعدوم، ممكنًا أو محالًا[4].

الحكم:

يجوز إطلاق لفظة (شيء) على الله ﷻ أو على صفة من صفاته من باب الإخبار، لا من باب الأسماء، فلا يجوز أن تقول: (الشيء) اسم من أسماء الله تعالى، ويجوز أن تخبر فتقول: الله شيء، لكنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[5].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من أسمائه الحسنى، وبين ما يخبر به عنه قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. مع قوله: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى

(١) الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨ ـ ٥٩).

(٢) انظر: تاج العروس (١/٢٩٣) [طبع وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٨/١٠).

(٤) انظر: الكليات للكفوي (٥٢٥) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ].

(٥) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٢١٧).

وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩]. ولا يقال في الدعاء: يا شيء»[١].

۞ الأدلة:

من الأدلة التي تدل على جواز إطلاق لفظ: (الشيء) على الله تعالى من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فوجه الله صفة ذات لله تعالى، والقرآن كلام الله، وهو صفةٌ من صفاته، والقول في الصفة كالقول في الذات.

وأما الأدلة من السُّنَّة؛ فمنها: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لرجل: «**أمعك من القرآن شيء؟**» قال: نعم؛ سورة كذا وسورة كذا، لسور سماها[٢].

وقوله ﷺ في خبر عمران بن الحصين رضي الله عنه: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**»[٣].

وقوله ﷺ: «**لا شيء أغير من الله**»[٤].

قوله ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[٥].

وأخيرًا: إن العقل يدل على ذلك؛ فمن المعلوم أن الشيء عبارة عما يصح أن يعلم ويخبر عنه وذات الله تعالى كذلك فيكون شيئًا.

۞ أقوال أهل العلم:

وردت أقوال كثيرة لأهل العلم في جواز إطلاق الشيء على الله؛ بل يكاد يكون إجماع من أهل السُّنَّة على ذلك[٦]، **ومن ذلك:**

أن البخاري بوّب في «صحيحه»[٧] بابًا فقال: «باب: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [الأنعام: ١٩]. فَسَمَّى الله تعالى نفسه شيئًا وسمَّى النبي ﷺ القرآن شيئًا وهو صفة من صفات الله وقال: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]».

وقال الإمام الدارمي: «لأن الكلمة قد

(١) درء التعارض (١/٢٩٨) [طبعة جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢٢)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٢).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦١٤٧)، ومسلم (كتاب الشعر، رقم ٢٢٥٦).

(٦) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (١/١٧٢)، وشعب الإيمان للبيهقي (١/١٣٨)، والانتصار للعمراني (١/٢٤٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٤٢)، و(٩/٣٠٠ ـ ٣٠١)، وبدائع الفوائد (١/١٦٢) [مكتبة مصطفى الباز، ط١]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٤٠٢ ـ ٤٠٣).

(٧) صحيح البخاري (٦/٢٦٩٨) (كتاب التوحيد).

اتفقت من الخلق كلهم أن الشيء لا يكون إلا بحد وصفة، وأن لا شيء ليس له حد ولا صفة، فلذلك قلتم: لا حد له، وقد أكذبكم الله تعالى فسمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء وخلاق الأشياء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فهو سمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء وخلاق الأشياء، وله حد وهو يعلمه لا غيره»[1].

وقال ابن القيِّم: «إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا»[2].

الفروق:

الفرق بين الشيء والموجود:

قيل: هما بمعنى واحد؛ وذلك أن الموجودين لا بد أن يتفقا في اسم الشيء، فإذا لم يكن هناك قدر اتفقا فيه أصلًا لزم أن لا يكونا جميعًا موجودين[3]، وعليه؛ فمعنى شيء هو معنى موجود.

(١) الرد على الجهمية للدارمي (٩٨).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).
(٣) انظرا: الدرء لابن تيمية (٢/ ٤١٥).

مذهب المخالفين:

المخالفون لأهل السُّنَّة في هذا اللفظ **قسمان؛** **الأول:** الجهم بن صفوان وعبد الله الناشئ ومن اتبعهما، ينكرون أن يطلق على الله لفظ (الشيء)، ونُقل عن جهم أيضًا قوله: لا أقول إن الله شيء، ولا أنه لا شيء، وربما قالت الجهمية: هو شيء لا كالأشياء، فإذا نفى القدر المشترك مطلقًا لزم التعطيل العام[4]. ويحكى عن الجهم أنه كان يقول: لا أقول إن الله سبحانه شيء؛ لأن ذلك تشبيه له بالأشياء، ولأنه تعالى خالق كل شيء فلا شيء إلا مخلوق.

القسم الثاني: الأشاعرة والماتريدية[5]، حيث جعلوا (الشيء)

(٤) انظر مقولة الجهم هذه في: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٨٠) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، والملل والنحل للبغدادي (١/ ٨٦ ـ ٨٧)، والفصل في الملل لابن حزم (٤/ ١٥٥) [مكتبة الخانجي، القاهرة]، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي (٩٦) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، ١٩٧٧م]، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٦٨) [دار الكتب العلمية، ط. ١٤٠٢هـ]، ودرء التعارض (٥/ ١٧٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٧٥) (٨/ ٤٦٠) (١٢/ ٣١١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٠٣) [دار المعرفة، ط. ١٣٧٩هـ]، ومقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية (١/ ٣٨٥) لياسر القاضي [مكتبة أضواء السلف].
(٥) انظر: لوامع البينات للرازي (٣٥٩) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ]، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمٰن المحمود (٣/ ١٠٤١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، والماتريدية دراسة وتقويمًا لأحمد الحربي (٢٢٠) [دار العاصمة، ط١، =

اسمًا من أسماء الله، فجعلوه من باب الأسماء لا من باب الإخبار.

الردّ على القسمين:

أما قول الجهم وأتباعه فباطل؛ لأن الله نفى عن نفسه المثيل والند والسمي والكفؤ في كتابه في أكثر من آية، وكذلك ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك ولو في أصل الوجود، ولكن بينهما تميز كبير وواضح، يقول شيخ الإسلام في رده على الجهم في نفيه إطلاق الشيء على الله بزعمه نفي التشبيه: «وقوله باطل؛ فإنه سبحانه وإن كان لا يماثله شيء من الأشياء في شيء من الأشياء فمن المعلوم بالعقل أن كل شيئين فهما متفقان في مسمى الشيء، وكل موجودين فيها متفقان في مسمى الوجود، وكل ذاتين فهما متفقان في مسمى الذات»[(١)]. فبما أن وجود الله يليق به، وهو لا يشبه وجود المخلوق، فكذلك يقال في جميع الصفات والأخبار، فالقول فيها من باب واحد.

ويجاب أيضًا: بأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] والمستثنى داخل في المستثنى منه، فوجب أن يكون شيئًا[(٢)].

أما الجواب على كلام الأشاعرة والماتردية: فهو أن يقال: إن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء، وباب الأسماء توقيفي، وأما باب الإخبار فغير توقيفي كما تقرر قريبًا من كلام ابن تيمية وابن القيِّم رحمهما الله.

وكذلك أسماؤه سبحانه وتعالى كلها حسنى، دالّة على أوصاف الكمال التي يمدح بها، ويثنى عليه بها[(٣)]، والشيء ليس فيه ما يدل على صفة كمال، ولا مما يمدح ويثنى به على الرب جل جلاله؛ إذ غاية ما فيه إثبات الموجود.

كما أن الله تعالى شرع لعباده دعاءه بأسمائه الحسنى فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والشيء قد لا تظهر فيه مشروعية الدعاء به.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيِّم.

٢ ـ «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، للملطي.

٣ ـ «الحيدة والاعتذار في الرد على

= ١٤١٣هـ]، وأحال إلى كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي (٤٢، ٩٤)، وانظر أيضًا: التفسير الكبير للرازي (١/٢٦ ـ ٢٨) [دار إحياء التراث العربي].

(١) درء التعارض (٢/٤١٥)، وانظر أوجه الرد على هذه المقالة والتفصيل فيها: مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية لياسر القاضي (١/٤٤٠ ـ ٤٤٨).

(٢) انظر: الحيدة والاعتذار للكناني (٤٨)، والانتصار في الرد على المعتزلة للعمراني (٢/٥٨١).

(٣) انظر: الحجة لقوام السُّنَّة (١/١٧٨)، وشرح النونية للهراس (٢/٥٠٣).

من قال بخلق القرآن»، لعبد العزيز بن يحيى الكناني.

٤ ـ «الرد على الجهمية»، للدارمي.

٥ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

٦ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٦)، لابن تيمية.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد خليفة التميمي.

٩ ـ «مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية» (ج١)، لياسر القاضي.

١٠ ـ «نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد»، للدارمي.

الشَّيطان

التعريف لغة:

أصله: شطن، قال ابن فارس: «الشين والطاء والنون أصلٌ مطّرد صحيح يدلُّ على البُعد، يقال: بئر شطون؛ أي: بعيدة القعر، والشطن: الحبل، وهو القياس لأنه بعيد ما بين الطرفين»[(١)]، وعلى هذا فالنون في (الشيطان) أصلية. وقيل: هو من: شاط يشيط، فأصله: شيط وهو «يدل على ذهاب الشيء إما احتراقًا وإما غير ذلك»[(٢)]، وعلى هذا فالنون زائدة. قال بعض العلماء: «كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، ويدل عليه كلام العرب»[(٣)]. والشيطان: البعيد المتمرد[(٤)].

التعريف شرعًا:

الشيطان يطلق على إبليس وجنوده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقد يطلق على غيرهم إذا وجد فيه صفاتهم، قال الطبري: «الشيطان في كلام العرب: كل متمرِّد من الجن والإنس والدوابِّ وكل شيء»[(٥)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الشرع خصص المعنى اللغوي من كل متمرد هالك إلى إبليس وجنوده، وسمي

(١) مقاييس اللغة (٥٢٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٥٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٧٦) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومنهاج السُّنَّة (٥/١٨٩ ـ ١٩٠) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].

(٤) انظر: جامع البيان (١/٦٢) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٥) جامع البيان (١/٦١)، وانظر: الصحاح (٥/٢١٤٤) [دار العلم للملايين، ط٣]، ومقاييس اللغة (٥٢٤)، وتفسير ابن كثير (١/١٧٦)، والكليات للكفوي (٥٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ].

هو بذلك لعتوِّه وتمرده على ربه ﷻ[1].

سبب التسمية:

«سُمي الشيطان شيطانًا؛ لبُعده عن الحق وتمرده»[2]، قال الطبري: «إنما سُمي المتمرد من كل شيء شيطانًا؛ لمفارقة أخلاقة وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبُعده من الخير»[3].

الأسماء الأخرى:

إبليس.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود الشيطان، وأنه عدو الإنسان يدعوه إلى النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر].

الحقيقة:

الشياطين حقيقة لا خرافة، وهم المتمردون من الجن، وأن لهم قبيلًا[4] وذرية، قال تعالى عن كبيرهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

الأهمية:

الشيطان عدو الإنسان، ومعرفة العدو اللدود ومعرفة مدى عداوته تجعل الإنسان يهتم به وبمقاومته ومخالفته[5]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء]، وقال في بيان مدى عداوته: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة].

الأدلة:

الأدلة كثيرة منها ما تقدم، ومنها

(١) انظر: عالم الجن والشياطين (١٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١/ ١٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧٦).

(٣) انظر: جامع البيان (١/ ٦٢).

(٤) **قبيله**: أي: صنفه وجنسه الذي هو منه، جمعه: قُبُل، وهم الجن، وقال ابن زيد: نسله. انظر: جامع البيان (٥/ ١٩٥)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٨٨).

(٥) آكام المرجان للشبلي (٢٠٠) وما بعدها [مكتبة القرآن، ٢٠٠١م]، ووقاية الإنسان من الجن والشيطان (٣٥٩) [مكتبة الصحابة، ط١٠، ١٤١٨هـ].

قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢] والآيات في هذا كثيرة.

وأما الأحاديث فهي الأكثر، منها: قول النبي ﷺ: «**إن الشيطان عرض لي فشد عليّ ليقطع الصلاة عليّ؛ فأمكنني الله منه فذعَتُّه**[١]**، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان** عليه السلام: «**ربِّ هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي**»، **فرده الله خاسيًا**»[٢]، ونحو هذا من الأحاديث الكثيرة.

الأقسام:

دلت بعض النصوص على أن الشياطين **أقسام**: **قسم** من الإنس، **وقسم آخر** من الجن، **وقسم ثالث** من الدواب، والدليل على قسمي الإنس والجن من الشياطين قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]، والدليل على القسم الثالث من الشياطين قول النبي ﷺ: «**الكلب الأسود شيطان**»[٣].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: خلق الله الشيطان من النار:

لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢، وص: ٧٦]، وقول النبي ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»[٤].

- المسألة الثانية: الأمور التي تعصم من الشيطان:

مما يعصم من الشيطان الاعتصامُ بالكتاب والسُّنَّة، والتوكل على الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ [النحل]، والمداومة على الأذكار المحصنة من الشيطان؛ كالاستعاذة، وقراءة المعوذتين والإخلاص، وقراءة آية الكرسي، وقراءة سورة البقرة، وقراءة خاتمة سورة البقرة، وقراءة (لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) مئة مرة، وكثرة ذكر الله من قراءة القرآن والتكبير والتسبيح والتهليل، وكظم التثاؤب ووضع اليد على الفم، وغيرها

---

(١) أي: خنقتُه. انظر: النهاية في غريب الحديث (١/٦٠٥) [دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العمل في الصلاة، رقم ١٢١٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٤١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٥١٠).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٦).

مما ورد في النصوص وجمعه بعض العلماء[١].

ـ المسألة الثالثة: عُبّاد الشيطان:

إن كل من عصى أوامر الله تعالى فهو من عُبّاد الشيطان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [يس]، لكن اشتهرت طائفة بعبدة الشيطان أو عباد الشيطان، وهم الذين اتخذوا الشيطان معبودًا يتقربون إليه بأنواع من القرب، واخترعوا لهم طقوسًا سمَّوها عبادات، إما اتقاء شره، وإما تقربًا إليه؛ لتحقيق بعض الغايات التي يتوهّمونها[٢]، وهؤلاء غير الفرقة الشيطانية[٣] واليزيدية[٤]، والفَرق أن اليزيدية والشيطانية يحرِّمون الزنا واللواط، وهما والسحر بأنواعه من الأساسيات عند عبدة الشيطان[٥]، ولعبدة الشيطان شعارات خاصة من أشهرها: دائرة داخلها نجمة خماسية يظهر داخلها رأس كبش، وهي ترمز إلى شيطان وألوهيته عندهم، ورسم الصليب المعقوف، وهو رمز التهكم على الأديان كلها، والصليب الشيطاني وهو صليب في آخره علامة استفهام مقلوبة[٦]، كما أن لهم طقوسًا خاصة؛ منها: ارتداء اللباس الأسود، وإطالة الشعور، ورسم أشكال مخيفة على أبدانهم بالوشم؛ كالأفاعي والجماجم أو صور يُدمج فيها أكثر من حيوان[٧]، ولهم حفلات موسيقية بأغانٍ صاخبة تشبه أصوات الأرواح الخبيثة، يعقبها شرب الخمر، وممارسة الجنس واللواط الجماعي[٨]، ويغلب عندهم العنف على

---

(١) انظر: تفسير المعوذتين (١٠٥) [دار الحديث، القاهرة]، وما يعتصم به من الشيطان (١٥ ـ ٣١) [المكتبة التوفيقية، مصر]، وفقه الأدعية والأذكار (٣/ ١١ ـ ١٠٠) [دار ابن عفان، ط١].

(٢) انظر: الجذور التاريخية لعبدة الشيطان (٢٨٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد ١١، العدد الثاني]، ظاهرة عبادة الشيطان (٩) [بحث تكميلي بالجامعة الإسلامية بغزة].

(٣) وهي فرقة رافضية تنسب إلى محمد بن علي ابن النعمان الأحول المعروف عند أهل السُّنَّة بشيطان الطاق. انظر: الفرق بين الفرق (٧١) [المكتبة العصرية].

(٤) بهذا الاسم فرقتان منسوبتان إلى الإسلام:

الأولى: فرقة من الإباضية الخوارج، رئيسها يزيد بن أنيسه الذي زعم أن الله سيبعث رسولًا من العجم وينزل عليه كتابًا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد.

والثانية: فرقة صوفية كانت تعرف في البداية باسم العدوية نسبة إلى مؤسسها عدي بن مسافر الأموي، ثم صارت فرقة سياسية، ثم انحرفت عن الإسلام، لهم كتابان: باسم جلوه، ومصحف رش، يقولون بتناسخ الأرواح، ويعبدون الشيطان، ويسمونه بطاووس مَلَك. انظر: مجلة الراصد، العدد الثالث (١٠)، عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة (٤٦ ـ ٤٧) [المكتب الإسلامي، ط٨، ١٤٢٥هـ]، وانظر: مقالات الإسلاميين (٦٨) [دار الصادر، ط١، ١٤٢٧هـ]، والفرق بين الفرق (١٠٤).

(٥) مجلة الراصد (١٦ ـ ١٧) [العدد ٣١ محرم]، وعبدة الشيطان على ضفاف النيل (١٤٩) [مركز الحضارة العربية، ط١، ١٩٩٨م].

(٦) انظر: ظاهرة عبادة الشيطان (٩٥ ـ ٩٨).

(٧) مجلة الراصد (١٦ ـ ١٧) [العدد ٣١]، وعباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة (٩٠، ١٤٥).

(٨) عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة (٩٥)، والجذور التاريخية لعبدة الشيطان (٣١٠).

غيرهم وخاصة على الأطفال والعجائز والحيوانات[١]، بحيث يصل إلى شرب دمائهم واشتهروا بمصاصي الدماء[٢]، ولهم وصايا تسعة منها تنبثق نشاطاتهم وأعمالهم الإجرامية[٣].

ـ **المسألة الرابعة: حديث: «يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب»[٤]:**

لا يدلُّ هذا الحديث على عدم وقوع عبادته في الجزيرة؛ لأنه لما حصلت الفتوحات وقوي الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا أيس أن يُعبد سوى الله في هذه الجزيرة، فالحديث خبرٌ عما وقع في نفس الشيطان في ذلك الوقت وليس بإخبار عن الواقع، فلا يدل على انتفائه في الواقع[٥].

ـ **المسألة الخامسة: اختلف العلماء في معنى حديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٦]:**

قال المباركفوري: يحتمل الحقيقة بأن جعل له قدرة على الجري في باطن الإنسان، ويحتمل الاستعارة لكثرة وسوسته[٧]. وقال ابن عثيمين: قال بعض أهل العلم: إن هذا يعني الوساوس التي يلقيها في القلب فتجري في العروق. وظاهر الحديث: أن الشيطان نفسه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهذا ليس ببعيد على قدرة الله ﷻ، كما أن الروح تجري مجرى الدم، وهي جسم، إذا قبضت تكفن وتحنط وتصعد بها الملائكة إلى السماء[٨].

۞ الفروق:

الفرق بين الشيطان والجن:

الفرق بينهما «أن الشيطان هو الشرير من الجن، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرًا: شيطان، ولا يقال: جني؛ لأن قولك: شيطان يفيد الشر، ولا يفيده قولك: جني، وإنما يفيد الاستتار، ولهذا يقال على الإطلاق: لعن الله الشيطان. ولا يقال: لعن الله الجني. والجني اسم الجنس والشيطان صفة»[٩].

الفرق بين إبليس والشيطان:

الفرق بينهما هو أن إبليس أكبر الشياطين ورئيسهم، وهو الذي أبى السجود لآدم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا

(١) ظاهرة عبادة الشيطان (١٠٧ ـ ١٠٩).
(٢) عبدة الشيطان على ضفاف النيل (١٣٨ ـ ١٤٤).
(٣) ظاهرة عبدة الشيطان (٦٩ ـ ٨١)، ومجلة الراصد (١٧ ـ ٨١)، تجربة شخصية مع عبدة الشيطان (١٥١) [دار الخيال، ط١، ١٩٩٧م]
(٤) أخرجه مسلم بلفظ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**» (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٢).
(٥) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٢٠٥) [دار الثريا، ط٢، ١٤٣٢هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٨٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].
(٦) أخرجه البخاري (كتاب الاعتكاف، رقم ٢٠٣٩)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢١٧٥).
(٧) تحفة الأحوذي (٣/ ٢٥٢).
(٨) القول المفيد (٢/ ٢٧٣).
(٩) الفروق اللغوية للعسكري (٢٧٧) [دار العلم والثقافة].

مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، والشيطان يطلق على إبليس وجنوده، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

الحكمة:

في خلق الشيطان حكم كثيرة؛ منها: أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه، ومنها: خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه وسقوطه من مرتبته العالية[1]، فالخلاصة أن الحكمة في خلق الشيطان حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ولكان الحاصل بعضها لا كلها[2].

مذهب المخالفين:

أنكرت الملاحدة المتفلسفة حقيقة الشياطين، فقالوا: الشياطين قوى النفس الخبيثة[3]، كما زعم بعض العصريين المحدثين: أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث[4]. ويكفي في الرد عليهم أن الله ﷻ أثبت أنهم الحقيقة، حيث أمر كبيرهم بالسجود؛ بل ثبت منهم الأخذ والرد في الكلام، فكيف يمكن من قوى النفس والجراثيم والميكروبات السجود والأخذ والرد في الكلام، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

المصادر والمراجع:

١ ـ «آكام المرجان»، للشبلي.
٢ ـ «تفسير المعوذتين»، لابن القيِّم.
٣ ـ «تجربة شخصية مع عبدة الشيطان»، لعبد الله كمال.
٤ ـ «الجذور التاريخية لعبدة الشيطان»، لمحمد يوسف الشوبكي ويحيى علي يحيى الدجني
٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيِّم.
٦ ـ «ظاهرة عبادة الشيطان»، لطارق عمر التلباني.
٧ ـ «عالم الجن والشياطين»، لعمر الأشقر.
٨ ـ «عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة»، ليوسف البنغلي.
٩ ـ «ما يعتصم به من الشيطان»، لمجدي الشهاوي.
١٠ ـ مجلة «الراصد» [العددان: ٣ و٣١].

---

(١) انظر: شفاء العليل (٣٦٨ ـ ٣٩٤) [دار الكتب العلمية، ط٣].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/١٤٨ ـ ١٥٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٣٤٦)، وعالم الجن والشياطين (١٧).

(٤) عالم الجن والشياطين (١٣).



حرف الصاد

صالح عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود بن جاثم بن إرم بن سام بن نوح[(١)].

وقد ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه المشهور أن صالحًا عليه السلام من جملة الأنبياء العرب، ففي الحديث أنه قال رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أبا ذر، أربعة ـ يعني: من الرسل ـ سريانيون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيّك محمد صلى الله عليه وسلم**»[(٢)].

نبوَّته:

أرسل الله تعالى صالحًا عليه السلام إلى ثمود؛ وهم عاد الثانية، وقد ذُكر في القرآن في سياق بيان إرسال الرسل ودعوتهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل]، وغيرها من الآيات التي دلَّت على نبوة صالح عليه السلام ورسالته.

دلائل نبوَّته:

من دلائل نبوة صالح عليه السلام الناقة العظيمة، التي أخرجها الله تعالى لقومه، التي لا يشبهها شيء من النوق، وقد أضافها الله تعالى إلى نفسه المقدسة؛ لشرفها وفضيلتها. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٢٢٦) [دار المعارف بمصر، ط٢]، والمنتظم في التاريخ لابن الجوزي (١/ ٢٥٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٠٤) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١/ ١٧١) [دار التراث، ط٢]، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، وأشار إلى ضعفه ابن كثير في التفسير (٢/ ٤٧٠) [دار طيبة، ط٢]، وقال الألباني: «ضعيف جدًّا». التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٣٨٧) [دار باوزير، ط١، ١٤٢٤هـ].

ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ [الإسراء: ٥٩].

قال السعدي رحمه الله: «ثم أقام لهم بيِّنة عظيمة، وآية وبرهانًا ونعمة على جميع القبيلة بأسرها، وقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣]، التي لا يشبهها شيء من النُّوق في ذاتها وشرفها ومنافعها: ﴿لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ على صدقي، وعلى سعة رحمة ربكم»[(١)].

دعوته:

دعا صالح عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك ما كانوا يعبدون من دونه، وذكّرهم بنعم الله عليهم، وما آتاهم من الجنات والعيون والزروع والبيوت العظيمة، وذكرهم بأيام الأمم المجاورة لهم، فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء]، وغيرها من الآيات.

قومه وموقفهم منه:

قوم صالح عليه السلام هم ثمود نسبةً إلى جدهم ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا يسكنون الحجر، بين الحجاز والشام، وكانوا بعد قوم عاد،

(١) قصص الأنبياء (٤١) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ].

وكانوا يعبدون الأصنام، فلما بعث الله إليهم صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، وترك عبادة الأصنام، كفروا به وكذبوه، وهم جمهور قومه، ونالوا منه بالمقال والفعال، وهمّوا بقتله، وعقروا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم، وما آمن معه إلا طائفة قليلة، وقد ذكر الله موقفه منهم في غير ما آية من كتابه العزيز؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الشعراء].

وفاته:

ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله أن بعض أهل العلم زعم أن صالحًا عليه السلام توفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأنه أقام في قومه عشرين سنة(١)، والله أعلم بذلك، وقد تقرر أن قبور الأنبياء غير معلومة أماكنها، اللَّهُمَّ إلا قبر نبينا محمد ﷺ، وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام على خلاف فيه.

المسائل المتعلقة:

- إحياء ديار ثمود وزيارتها:

لا يجوز إحياؤها، أو استثمار أراضيها ومساكنها، ولا يجوز زيارتها للسياحة، أو التنزه، ونحو ذلك، وإنما الذي ينبغي لمن مر بها أن لا يدخلها، أو يقيم بها، وإن دخلها فلا يدخلها إلا وهو باكٍ متّعظ بحالهم، وما أصابهم من العذاب؛ لورود السُّنَّة بالنهي عن دخولها، فضلًا عن الإقامة فيها، أو إحيائها.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم**».

(١) تاريخ الطبري (١/ ٢٣٢).

ثم تقنَّع بردائه وهو على الرحل، وفي رواية: ثم زجر فأسرع حتى خلَّفها[1].

وعنه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم**»[2].

وهذا هو الذي يؤيده القرآن، وأن المطلوب هو الاتعاظ والاعتبار بمواضع الهلاك والعذاب؛ قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

قال العلامة ابن القيِّم رحمه الله في ذكر الفوائد المستنبطة من غزوة تبوك: «ومنها: أن من مر بديار المغضوب عليهم والمعذبين، لم ينبغ له أن يدخلها، ولا يقيم بها؛ بل يسرع السير، ويتقنَّع بثوبه حتى يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكيًا معتبرًا»[3].

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٨٠)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٠٢)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٠).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧].

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فنحن لا ننظر إليها نظر إعجاب، ونفتخر بها، أو ننظر إليها اقتصاديًّا، كما تفعل الدول غير المسلمة، أو المسلمة المقلدة لها؛ لأن هذا يخالف ما جاء به ديننا نحوها؛ من عدم العناية بها وحمايتها، فضلًا عن استثمارها. ولا تجوز الإقامة فيها، ولا فتح مشاريع استثمارية فيها، من مطاعم ومقاهٍ وفنادق، مما يرغّب في زيارتها، ويجلب الكفار السياح إلى بلاد المسلمين»[4].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج١)، للقاضي عياض.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء»، لابن كثير، انتخب كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤ ـ «دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها»، لمحمد خليل هراس.

٥ ـ «قصص الأنبياء المعروف بالعرائس»، للثعلبي.

٦ ـ «قصص الأنبياء»، للسعدي.

٧ ـ «قصص الأنبياء القصص الحق»،

(٤) حكم إحياء الآثار والعناية بأمور الجاهلية وشخصياتها، الموقع الرسمي للشيخ صالح الفوزان.

لشيبة الحمد.

٨ ـ كتاب «تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين من كتاب المستدرك على الصحيحين» (ج٢)، للحاكم النيسابوري.

٩ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ حكمي.

الصالحون

التعريف لغة:

الصالحون: جمع الصالح، اسم فاعل من الصلاح.

والصلاح ضد الفساد.

قال ابن فارس: «الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحًا»[(١)].

ويقال: رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، مصلح في أعماله وأموره[(٢)].

التعريف شرعًا:

الصالحون: هم الذين صلح ظاهرهم وباطنهم؛ فصلحت أعمالهم[(٣)].

وقيل: المستقيمون في أنفسهم، وقيل: القائمون بما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد[(٤)].

سبب التسمية:

إنما سُمّوا صالحين؛ لصلاح حالهم، واستقامة أمرهم، فالصالحون قد أصلحوا جميع أمورهم فلم يكن فيها شيء من الفساد، فاستوت سريرتهم وعلانيتهم وأقوالهم وأعمالهم على ما يرضي ربهم[(٥)].

الأسماء الأخرى:

للصالحين أسماء أخرى؛ كالمؤمنين، والمتقين، وأولياء الله، وكلها أسماء متقاربة تدل على الصلاح والاستقامة.

الحكم:

الصلاح أمر مطلوب من العباد؛ إذ يجب على كل واحد إصلاح نفسه والسعي في تكميلها، ومجاهدتها على طاعة الله.

الحقيقة:

حقيقة الصالحين تتجلى في كونهم صلح باطنهم وظاهرهم، وهذا الصلاح إنما هو راجع في الحقيقة إلى صلاح قلوبهم، ولذلك قال ﷺ: «**ألا وإن في**

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٠٣) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/١٤٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١]، ولسان العرب (٢/٥١٦) [دار صادر، ط٤].
(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/٢١١) [دار هجر، ط١]، وتفسير السعدي (١٨٥) [مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ].
(٤) الكليات للكفوي (٥٦١) [مؤسسة الرسالة، ط٢].
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٧) [مجمع الملك فهد].

الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[١]

والله سبحانه هو الذي يجعل من يشاء صالحًا، فمن استعان بالله وبذل الأسباب حريٌّ بهذا الصلاح، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾ [العنكبوت].

المنزلة:

منزلة الصالحين عظيمة، ومكانتهم جليلة عند الله ﷻ وعند خلقه كذلك، فإنّ الله تعالى أبان عن هذه المنزلة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم]، قال مجاهد: «يحبهم ويحبّبهم إلى المؤمنين»[٢].

ولعظيم هذه المنزلة قرنها الله تعالى بمنزلة النبيين والصديقين؛ تكريمًا لهم وبيانًا لمنزلتهم، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

بل وصف الله تعالى بها أنبياءه الذين هم خيرته من خلقه، فقد وصف الله تعالى إبراهيم بأنه من الصالحين، فقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾ [النحل].

ووصف نوحًا ولوطًا بذلك، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ الآية [التحريم: ١٠].

ووصف عيسى بذلك، فقال: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾ [آل عمران].

ووصف زكرياء ويحيى وإلياس بذلك، فقال: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥﴾ [الأنعام].

ووصف إسحاق ويعقوب بذلك، فقال: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ [الأنبياء].

وكذلك وصف إسماعيل وإدريس وذا الكفل، فقال: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾ [الأنبياء].

الأدلة:

من القرآن: قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾ [العنكبوت].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾ [العنكبوت].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٩).

(٢) تفسير الطبري (١٥/٦٤٣).

وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

وأمّا الأحاديث النبوية فكثيرة، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]»[1].

وقوله ﷺ: «**إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ـ فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»[2].

أقوال أهل العلم:

١ ـ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا ذكرت الصالحين فحيِّ أهلًا بعمر، كنّا نعدّ أنّ السكينة تنطق على لسان عمر»[3].

٢ ـ عن معاوية بن قرة قال: «قال لقمان لابنه: يا بني، جالس الصالحين من عباد الله؛ فإنك تصيب من محاسنهم خيرًا، ولعله أن يكون آخر ذلك أن تنزل عليهم الرحمة، فتصيبك معهم...»[4].

٣ ـ قال سفيان بن عيينة: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»[5].

٤ ـ كان مالك بن دينار يقول: «اللَّهُمَّ أنت أصلحت الصالحين، فأصلحنا حتى نكون صالحين»[6].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حقيقة الصالحين:

مما ينبغي أن يعلم أن الصلاح ليس شعارًا يُرفع ولا حقيقة له، ولا ادعاء يُدّعى دون برهان عليه؛ بل هو أمر له أساس متين يقوم بنيانه عليه.

وهذا الأساس الذي يقوم عليه هذا البنيان وبه تعرف حقيقة الصالحين هو ما بيّنه النبي ﷺ بقوله: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[7].

فصلاح حركات العبد بجوارحه،

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٤٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣١)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٢).
(٣) الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم (١/ ٢٨١) [مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤١٥هـ].
(٤) الزهد لأحمد (١/ ٨٧) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٨٥) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٦) التوبة لابن أبي الدنيا (٧٥) [مكتبة القرآن].
(٧) سبق تخريجه.

بحسب صلاح حركة قلبه، ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحًا كانت هذه الجنود صالحة[(١)].

وبهذا يعلم أنّ صلاح القلب هو الذي يبين حقيقة الصالحين ويزيد في منزلتهم ومكانتهم.

- المسألة الثانية: الغلوّ في الصالحين سبب كفر بني آدم:

حذر النبي ﷺ من الغلو، فقال ﷺ: «**إياكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين**»[(٢)].

ومن شر أنواع الغلو التي تدخل في هذا التحذير الغلوُّ في الصالحين؛ إذ هو من أعظم أسباب وقوع الشرك، وهو الباب المفضي إلى الشرك قديمًا وحديثًا.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح] أنه قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت»[(٣)].

الثمرات:

من الثمرات الجليلة التي خص الله بها عباده الصالحين:

١ - أنّه يتولاهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف]. قال ابن رجب: «وذلك يتضمن أنه يتولى مصالحهم في الدنيا والآخرة، ولا يكلهم إلى غيره»[(٤)].

٢ - أن الله يدخلهم في رحمته، كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنبياء].

٣ - أنّ الله أعدّ لهم الدرجات العلا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه].

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٢١٠) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٢هـ]..

(٢) أخرجه النسائي (كتاب مناسك الحج، رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب المناسك، رقم ٢٨٦٧)، وصحَّحه شيخ الإسلام في الاقتضاء (١/ ٣٢٨) [دار عالم الكتب، ط٧]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠). وانظر: تيسير العزيز الحميد (٢٥٤) [المكتب الاسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٤) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس (٦٣) [دار البشائر الإسلامية ط١، ١٤١٤هـ].

٤ ـ أنّ الله وعدهم بالمغفرة، فقال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء].

٥ ـ أنّه يحفظ ذريتهم من بعدهم ولذلك، قال الله عن الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ الآية [الكهف]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «حُفِظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح»[١].

وقال ابن كثير: «فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم»[٢].

٦ ـ أنّ الله أعد لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]»[٣].

(١) تفسير الطبري (١٥/٣٦٦) [دار هجر، ط١].
(٢) تفسير ابن كثير (٥/١٨٦) [دار طيبة، ط٢].
(٣) سبق تخريجه.

۞ مذهب المخالفين:

الناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

١ ـ أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

٢ ـ وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

٣ ـ وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم؛ لأن الصالحين أنفسهم يتبرؤون من أن يدّعوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى ﷺ: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦][٤].

۞ المصادر والمراجع:

١ ـ «الزهد للإمام»، أحمد.
٢ ـ «تفسير الطبري».
٣ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.
٤ ـ «حلية الأولياء»، لأبي نعيم الأصبهاني.
٥ ـ «الإمامة والرد على الرافضة»، لأبي نعيم الأصبهاني.
٦ ـ «تفسير ابن كثير».
٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

(٤) انظر: القول السديد للسعدي (٧٩) [دار المغني، ط١].

٨ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٩ ـ «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس»، لابن رجب الحنبلي.

١٠ ـ «القول السديد»، للسعدي.

الصَّبر (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الصاد والباء والراء **أصولٌ ثلاثة؛ الأول**: الحَبْس، **والثاني**: أعالي الشيء، **والثالث**: جنسٌ من الحجارة.

فالأول: الصَّبْر، وهو الحَبْس. يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر؛ أي: حَبَسْتُها»[(١)].

وصَبَرَ فلان عند المصيبة، يَصْبِرُ فهو صابرٌ وصَبيرٌ وصَبُورٌ. وصبَرتُه أنا: حبسته، والصبر في الأصل يطلق على الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]. وكل من حبسته لقتل، أو يمين فهو قتلُ صبْرٍ، ويمينُ صبْرٍ[(٢)].

فهذه معاني الصبر في اللغة، والذي يهمنا منها هو الحبس، سواء كان هذا الحبس معنويًّا؛ كحبس النفس عن الجزع، ومنعها عن الانتقام، أو حبسها على الطاعة، ومنعها عن المعصية، أو كان هذا الحبس حسيًّا؛ كحبس شيء ما عن الهروب والفرار ونحو ذلك.

التعريف شرعًا:

الصبر: صفة فعلية لله تعالى تعني عدم معاجلة الله لمن يشاء من العصاة بالعقوبة والانتقام، وعدم قطع الرزق والخير منهم، مع أذيتهم له بالشرك والكفر.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يلتقي المعنى الشرعي مع المعنى اللغوي في جزء منه، وهو الحلم وعدم الانتقام. فمعنى الصبر في اللغة أوسع، وما جاء منه في حق الله قيده الشرع بعدم معاجلة العاصي بالانتقام وعدم قطع الخير منه تفضلًا وإحسانًا.

الحكم:

يجب إثبات اتصاف الله بصفة الصبر الثابتة له في السُّنَّة النبوية كما يليق بجلاله وعظمته.

الحقيقة:

نقل النووي عن المازري قوله:

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٢٩) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٧١) [دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م]، والصحاح (٢/٧٠٧) [دار العلم للملايين، ط٣]، والقاموس المحيط (٤٢١) [مؤسسة الرسالة، ط٨].

«حقيقة الصبر: منع النفس من الانتقام أو غيره»[(١)].

ومعناه في صفات الله ﷻ أنه: لا يعاجل من يشاء من العصاة بالانتقام رغم استحقاقهم لذلك، رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وتفضلًا عليهم؛ بل يؤخرهم إلى أجل مسمى[(٢)]. قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

قال ابن القيِّم:

«وهو الصبور على أذى أعدائه
شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا
شتمًا وتكذيبًا من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعلمه
لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكن يعافيهم ويرزقهم وهم
يؤذونه بالشرك والكفران»[(٣)]

وقال حافظ الحكمي: «الصبور الذي لا أحد أصبر منه على أذى سمعه؛ ينسبون له الولد، ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم، وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه، لا يخفى عليه منهم شيء، ثم هو يرزقهم يعافيهم»[(٤)].

الأدلة:

دلت السُّنَّة الصحيحة على ثبوت صفة الصبر لله ﷻ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم**»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبارات المجملة لا نُطلِقُها إذا لم يجئ بها الشرعُ إلا مفسَّرةً، فالشرع جاء بالحب والرضا والفرح والضحكْ والبشبشة ونحو ذلك، وجاء أنه يُؤذى ويصبر على الأذى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقال النبي ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله**» فهذه الصفات حقٌّ نطق بها الكتاب والسُّنَّة، واتفق عليها سلف الأمة وعامة أهل العلم والإيمان من أهل المعرفة واليقين، ودل العقل القياسي والعقل الإيماني على صحتها، فلا

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/١٤٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ].
(٢) أسماء الله الحسنى آثارها وأثرها لمحمد بكر إسماعيل (٤٠١) [دار المنار، ط١، ١٤٢١هـ].
(٣) قصيدة ابن القيم مع شرح ابن عيسى (٢/٢٢٨) [المكتبة الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ].
(٤) معارج القبول (١/٥٤) [دار ابن القيم، ط١].
(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٨)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٤).

خروج عن هذه الأدلة والسُّنَّة والجماعة وزمرة الأولياء والأنبياء»[(١)].

وقال ابن القيِّم: «أما الصبر فقد أطلقه عليه أعرف الخلق به وأعظمهم؛ تنزيهًا له بصيغة المبالغة، وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق، ولا يماثله من وجوه متعددة؛ منها: أنه عن قدرة تامة، ومنها: أنه لا يخاف الفوت، والعبد إنما يستعجل لخوف الفوت، ومنها أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ولا نقص بوجه ما»[(٢)].

وقال السعدي: «وصبره أكمل صبر؛ لأنه عن كمال قدرة، وكمال غنى عن الخلق، وكمال رحمة وإحسان، فتبارك الرب الرحيم الذي ليس كمثله شيء»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- يتعلق بهذه الصفة اسم (الصبور):

وقد عدَّه بعض أهل العلم من الأسماء الحسنى؛ لوروده في حديث سرد الأسماء عند الترمذي، وقد اختلف العلماء في هذا السرد «هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة؟ فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم؛ لأن كثيرًا من هذه الأسماء كذلك.

وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج؛ لخلو أكثر الروايات عنه»[(٤)].

والخلاصة: أن سرد الأسماء في الحديث مدرج من بعض الرواة ولم يصح رفعه عند المحققين من أهل الحديث[(٥)]. قال الإمام الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كبير شيءٍ من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث،... وليس له إسناد صحيح»[(٦)].

وقال ابن كثير: «والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ، أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه»[(٧)].

وبعض من عد هذا الاسم من الأسماء الحسنى استدل بالحديث المتقدم: «**ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله**»، فصاغوا من أصبر: الصبور، وهذا فيه نظر كما لا يخفى.

وعليه؛ فإن اسم (الصبور) غير

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٦٤ ـ ٦٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) عدة الصابرين (٢٣٥ ـ ٢٣٦) [دار الكتب العلمية].

(٣) الحق الواضح المبين للسعدي (٥٨) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٤) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٤٣) [دار الكتب العلمية].

(٥) انظر: تحفة الأحوذي (٩/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤)، وضعيف سنن الترمذي (٣٨٣) [دار المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٦) جامع الترمذي (٥/ ٥٣١) [مطبعة مصطفى البابي، ط٢، ١٣٩٧هـ].

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

ثابت لله ﷻ، وعدُّه من الأسماء الحسنى أمر يحتاج إلى دليل يسنده؛ وبرهان يسعفه؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية.

الفروق:

الفرق بين الصبر والحلم:

والفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن الصبر ثمرة للحلم.

والثاني: أن الصبر صفة فعلية توجد عند وجود مقتضاها بخلاف الحلم فإنها صفة ذاتية.

يقول الإمام ابن القيِّم في بيان الوجه الأول:

«والفرق بين الصبر والحلم: أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر»[(١)].

ويقول في الوجه الثاني: «وكونه حليمًا من لوازم ذاته سبحانه، وهي صفة ذاتية له لا تزول.

وأما الصبر فإذا زال متعلقه، كان كسائر الأفعال التي توجد لوجود الحكمة، وتزول بزوالها فتأمله، فإنه فرق لطيف ما عثرت الحذاق بعشره، وقلَّ من تنبه له ونبه عليه، وأشكل على كثير منهم هذا الاسم، وقالوا: لم يأت في القرآن، فأعرضوا عن الاشتغال به صفحًا، ثم اشتغلوا بالكلام في صبر العبد وأقسامه، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه، لعلموا أن الرب تعالى أحق به من جميع الخلق، كما هو أحق باسم العليم والرحيم والقدير والسميع والبصير والحي وسائر أسمائه الحسنى من المخلوقين، وأن التفاوت الذي بين صبره سبحانه وصبرهم؛ كالتفاوت الذي بين حياته وحياتهم، وعلمه وعلمهم، وسمعه وأسماعهم، وكذا سائر صفاته.

ولما علم ذلك أعرف خلقه به، قال: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله**»، فعلم أرباب البصائر بصبره سبحانه؛ كعلمهم برحمته وعفوه وستره، مع أنه صبر مع كمال علم وقدرة وعظمة وعزة، وهو صبر من أعظم مصبور عليه»[(٢)].

الآثار:

الإيمان بصفة الصبر يترك في النفس آثارًا طيبة، حيث إنه إذا عرف أن ربه متصف بالصبر على أكمل وجه، وأنه لا يعاجل من يشاء من الظالمين بالعقوبة؛ بل يمهلهم مع أذاهم له وكفرهم به، ويدرُّ عليهم بالنعم وأنه تعالى يحب الصابرين، دفعه ذلك إلى التخلق بالصبر، فيصبر على طاعة الله وإخلاص العبادة له، ويصبر عما حرمه الله عليه من المعاصي والفجور، وسائر المحرمات،

(١) عدة الصابرين (٢٣٦) [دار الكتب العلمية].

(٢) عدة الصابرين (٢٣٦ ـ ٢٣٧).

ويصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يجزع ولا يسخط بل يسلم الأمر لله.

مذهب المخالفين:

ينكر المعطلة صفات الله ﷻ بصفة عامة، وأما بخصوص صفة الصبر فقد نقل الحافظ النووي عن المازري قوله: «حقيقة الصبر: منع النفس من الانتقام أو غيره، فالصبر نتيجة الامتناع، فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله»[(١)].

وقال القرطبي: «ووصفه تعالى بالصبر لم يرد في التنزيل، وإنما ورد في حديث أبي موسى، وتأوله أهل السُّنَّة على تأويل الحلم. قال ابن فورك وغيره: وجاء في أسمائه (الصبور) للمبالغة في الحلم عمن عصاه»[(٢)].

ولا شك أن هذا تأويل للصفة عما يجب فيها، والواجب إثباتها لله على ما يليق به ﷻ كما وردت من غير تأويل ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

يقول الغنيمان متعقبًا لكلام المازري: «فيه نظر؛ وذلك أن رسوله ﷺ أطلق على ربه الصبر، وأنه ما أحد أصبر منه، وهو ﷺ أعلم الخلق بالله تعالى وأخشاهم له، وأقدرهم على البيان عن الحق، وأنصحهم للخلق، فلا استدراك عليه، فيجب أن يبقى ما أطلقه ﷺ على الله تعالى بدون تأويل، إلا إذا كان يريد بذلك تفسير معنى الصبر، ولكن الأولى أن يبقى كما قال؛ لأنه واضح ليس بحاجة إلى تفسير»[(٣)].

وأما تأويل صفة الصبر بالحلم، فهو تعطيل لصفة الصبر؛ لأن الله وصف نفسه بالصبر على لسان رسوله ﷺ كما في الحديث المتقدم، ووصفها أيضًا بالحلم في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝٢٣٥﴾ [البقرة]، فيجب إثبات الصفتين معًا لله تعالى.

المصادر والمراجع:

١ ـ «جامع الأصول» (ج٤)، لابن الأثير.

٢ ـ «الحق الواضح»، للسعدي.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

٥ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ ـ «عدة الصابرين»، لابن القيِّم.

٧ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٨ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/١٤٦) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٧٣) [دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ].

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٩٣ ـ ٩٤) [مكتبة الدار بالمدينة، ط١].

الحسنى»، لمحمد الحمود النجدي.

الصَّبر

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الصاد والباء والراء أصول ثلاثة؛ الأول: الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة»[(١)].

الصبر هو: الحبس. يقال: صبَّرت نفسي على أمر؛ أي: حبستها، والصبر: حبس النفس عن الجزع، والجزع نقيض الصبر[(٢)].

قال الراغب: «الصبر: الإمساك في ضيق، يقال: صبَّرت الدابة: حبستها بلا علف، وصبرت فلانًا: خلفته خلفة لا خروج له منها»[(٣)].

وقال الفيروزآبادي: «الصَّبر في اللغة: الحَبْس والكفّ في ضيق، ومنه قيل: فلانٌ صُبِرَ: إذا أُمسك وحُبِس للقتل»[(٤)].

وقيل: أصل الكلمة من الشدة والقوة، وقيل: مأخوذ من الجمع والضم ومنه صُبْرة الطعام[(٥)].

التعريف شرعًا:

تعددت تعاريف أهل العلم للصبر، وكلها تدور حول: حبس النفس عن محارم الله ومنعها عن الجزع والتسخط، ومجاهدتها وضمها بشدة على ملازمة أمره سبحانه[(٦)].

قال ابن القيِّم في تعريفه: «حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية»[(٧)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله»[(٨)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الصبر شرعًا فيه معنى الصبر لغة،

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٧٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١]، والصحاح (٢/ ٧٠٦) [دار العلم للملايين، ط٤]، والقاموس المحيط (٤٢١ ـ ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط٧].
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب (١/ ٢٧٣) [دار المعرفة].
(٤) بصائر ذوى التمييز (٣/ ٣٧١) [المكتبة العلمية].
(٥) انظر: عدة الصابرين (١٧) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، والصحاح (٢/ ٧٠٧).
(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (١/ ٢٧٣)، وإحياء علوم الدين (٤/ ٥٤) [دار الكتب العلمية، ط١]، وعدة الصابرين (١٩ ـ ٢٧)، ومدارج السالكين (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٨٢) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٧) الروح (٢٤١) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].
(٨) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦/ ١٢).

وهو الحبس والمنع، ولكنه في الشرع حبس ومنع مخصوص كما تقدم في التعريف الشرعي.

الحكم:

الصبر واجب باتفاق المسلمين، واجب على أداء الواجبات وترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها.

وقد يكون الصبر مستحبًّا، وذلك إذا كان على أداء المستحبات وترك المكروهات وعلى مقابلة الجاني بمثل فعله.

ولعظم منزلة الصبر من الإيمان قرن بالصلاة في القرآن في أكثر من خمسين موضعًا[(١)].

الحقيقة:

حقيقة الصبر: خلق فاضل من أخلاق النفس، تمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

فيتضمن الصبر: حبس النفس على طاعة الله ومجاهدتها على الثبات عليها، وحبس النفس عن معصية الله ومجاهدة النفس على البعد عنها، وحبس النفس على المصائب والآلام المقدَّرة[(٢)].

فظهر من هذا: أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى[(٣)].

المنزلة:

منزلة الصبر من الدين عظيمة، ومرتبته جليلة، وفضائله كبيرة، وثماره يانعة، وآثاره حميدة، كيف لا وهو نصف الإيمان! فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، كما قال غير واحد من السلف «الصبر نصف الايمان»[(٤)]، ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، الشورى: ٣٣، سبأ: ١٩، لقمان: ٣١][(٥)].

بل إنه لا بقاء للإيمان بلا صبر كما قال علي رضي الله عنه[(٦)]؛ وإن كان فإيمان قليل

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٥هـ]، ورسالة واستعينوا بالصبر والصلاة لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (١/ ٧٩ ـ ٨٤) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ]، ورسالة قاعدة في الصبر ضمن جامع المسائل (المجموعة الأولى ١٦٣ ـ ١٧٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ]، وإحياء علوم الدين (٤/ ٥٩)، وعدة الصابرين (٣٥ ـ ٥٨)، ومدارج السالكين (٢/ ١٩٥).

(٢) انظر: عدة الصابرين (١٩، ٢٦).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٦٥)

(٤) انظر آثار السلف في ذلك في: تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٥٧٨) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) انظر: عدة الصابرين لابن القيم (٢٠٥)، ومدارج السالكين له (٢/ ١٩٠).

(٦) اخرجه معمر في جامعه ـ كما في مصنف عبد الرزاق (١١/ ٤٦٩، رقم ٢١٠٣١) ـ، وابن أبي الدنيا في الصبر (٢٤) [دار ابن حزم، ط١]، وأبو نعيم في =

في غاية الضعف، وصاحبه ممن ﴿يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحج: ١١].

فالصبر آخية المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها، وساق إيمانه الذي لا اعتماد له إلا عليها.

ولما كان الايمان نصفين؛ نصف صبر ونصف شكر كان حقيقًا على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين، فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم، وترقّوا إلى أعلى المنازل بشكرهم، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[(١)].

الأدلة:

وقد تنوعت أدلة القرآن العظيم في الصبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة].

وقوله ﷻ: ﴿...وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة].

وقوله ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].

وأما الأحاديث النبوية فكثيرة جدًّا في هذا الباب، ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**»[(٢)].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له**»[(٣)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال:

= الحلية (١/ ٧٥) [دار الفكر]، من طرق عن علي رضي الله عنه قال: «لا إيمان لمن لا صبر له».

(١) انظر: عدة الصابرين (٩ ـ ١٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٦٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٩).

«**اتقي الله واصبري**» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(١).

۞ أقوال أهل العلم:

قال عمر رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»(٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عليه»(٤).

۞ الأقسام:

يقسم الصبر إلى أقسام متعددة باعتبارات متنوعة، منها تقسيمه باعتبار متعلقه، وهو بهذا الاعتبار **ثلاثة أقسام**:

١ ـ صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها.

٢ ـ صبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.

٣ ـ صبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

فالأولان: صبر على ما يتعلق بالكسب. **والثالث**: صبر على ما لا كسب للعبد فيه(٥).

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المفاضلة بين الصبر والشكر.

حكي في المفاضلة بين الصبر والشكر **ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن الصبر أفضل.

والثاني: أن الشكر أفضل.

والثالث: أنهما سواء.

واستدل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه.

والتحقيق في هذا أن يقال: إن كلًّا من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر لا يمكن وجوده إلا به، وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه، وإلا فحقيقة

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٨٣)، ومسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله) تعليقًا مجزومًا به، وذكر ابن حجر من وصله في الفتح (١١/٣٦٧) [دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ]، ويكفي في صحته جزمُ البخاري به.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/٣٧٤) [دار ابن القيم، ط١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٦٦) وصحَّحه، والبيهقي في شعب الإيمان (١/١٥١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ]، وصحح سنده ابن حجر في تغليق التعليق (٢/٢٢) [المكتب الإسلامي ودار عمار، ط١].

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر والثواب عليه (٢٧).

(٥) انظر: المفردات للراغب (١/٢٧٣ ـ ٢٧٤)، وإحياء علوم الدين (٤/٥٩)، وعدة الصابرين (٣٥ ـ ٥٨)، ومدارج السالكين (٢/١٩٥).

الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة والفعل، فإن الشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته، والصبر أصل ذلك.

فالصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر واذا كان الصبر مأمورًا به فأداؤه هو الشكر.

فكلًّا من الصبر والشكر بينهما تلازم؛ بحيث يفتقر كل واحد منهما في وجود ماهيته إلى الآخر، ومتى تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه شكرًا، وإذا تجرد الصبر عن الشكر بطل كونه صبرًا، أما الأول فظاهر، وأما الثاني فإنه إذا تجرد عن الشكر كان كفورًا، ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافاة السخط للصبر.

ومن هذه المسألة نشأت مسألة أخرى؛ وهي: أيهما أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟

والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تعالى، فإن فرض استواؤهما في التقوى استويا في الفضل، فإن الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافية والبلاء، وإنما فضل بالتقوى.

والتقوى مبنية على أصلين: الصبر والشكر، وكل من الغني والفقير لا بد له منهما، فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل[(١)].

(١) انظر هذه المسألة في: عدة الصابرين (٢٩٤ ـ ٢٩٨).

الفروق:

الفرق بين مقامي الصبر والرضا:

«أن الصبر: كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، وتمنِّي زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يُخفِّفه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرِّضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية»[(٢)].

الفرق بين الصبر والقسوة:

«أن الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد؛ وأما القسوة: فيبس في القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله»[(٣)].

الثمرات:

الناظر في نصوص القرآن والسُّنَّة يجد أن للصبر ثمارًا يانعة، وعواقب حسنة، ونتائج مباركة، وهي كثيرة جدًّا؛ **ومنها**:

- محبة الله ﷻ للصابرين، وصلاته عليهم، ورحمته بهم، ومعيَّته لهم، والتي تقتضي الحفظ والكلاءة والنصرة والتوفيق والتسديد.

- الجزاء الكبير للصابرين بأحسن ما

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٣٦) [ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) الروح (٢٤٤ ـ ٢٤٥).

كانوا يعملون، يوفونه بغير حساب.

- النجاة من سخط الله وعذابه، والفلاح والفوز برضوانه وجنته.

- المنزلة العالية والدرجة الرفيعة في الدنيا والآخرة.

- الإمامة في الدين وهداية الآخرين بأمر الله ربِّ العالمين.

- الاهتداء والتفكر والاعتبار.

- الانتصار والغلبة والتمكين.

- اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة.

- الاستعانة به على فعل العبادات، وترك المحرمات، ومواجهة المصائب والآلام.

- تحقيق الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

- قوة الإيمان بالله والرضا بحكمه، وذوق حلاوة هذا الإيمان والتلذذ به.

- الاستضاءة والحكمة في كل الأحوال.

- اكتساب الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة.

- مشابهة الأنبياء والصالحين في الصبر في منازل العبودية، ومن تشبه بقوم فهو منهم، والمرء مع من أحب.

المصادر والمراجع:

١ - «بصائر ذوي التمييز» (ج٣)، للفيروزآبادي.

٢ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٣ - «الروح»، لابن القيِّم.

٤ - «شعب الإيمان» (ج١)، للبيهقي.

٥ - «الصبر»، لابن أبي الدنيا.

٦ - «عدة الصابرين»، لابن القيِّم.

٧ - «قاعدة في الصبر ضمن جامع المسائل»، لابن تيمية.

٨ - «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.

٩ - «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيِّم.

الصَّحابة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الصاد والحاء والباء أصل واحد؛ يدل على مقارنة شيء ومقاربته من ذلك الصاحب، والجمع: الصحب، كما يقال: راكب وركب، ومن الباب: أصحب فلان؛ إذا انقاد، وأصحب الرجل؛ إذا بلغ ابنه، وكل شيء لاءم شيئًا فقد استصحبه»[(١)].

فمدلول كلمة صحب يبين أن لفظ الصحبة يدل على ملازمة شيء لشيء، وهذه الملازمة تحصل بأحد أمرين:

الأول: ملازمة بالبدن، وهو

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٥) [دار الجيل، ط١٤٢٥هـ].

المعاشرة، فإذا عاشر شخص آخر قيل: صاحبه، وهذا هو الأشهر والأكثر.

الثاني: بغير البدن، وهو المتابعة والانقياد، فإذا تابع شخص آخر قيل: صاحبه، كما يقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي، وأصحاب أحمد، وأصحاب مالك؛ لملازمتهم مذهبهم، فالصحبة هنا تحققت بالمتابعة لا بالمعاشرة.

ودلالة لفظ الصحبة على هذا المعنى حقيقة، وليست مجازًا كما قال الفيومي: ويطلق مجازًا على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال: أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة[١].

التعريف شرعًا:

الصحابي: هو كل من رأى النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام ولو تخللت ردة على الأصح[٢].

الحقيقة:

لا خلاف بين أهل اللغة في أن لفظ: (صحابي) مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص؛ بل هو جار على كل من صحب غيره قليلًا كان أو كثيرًا، كما أن القول مكلم، ومخاطب، وضارب، مشتق من المكالمة، والمخاطبة، والضرب، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلًا كان أو كثيرًا، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال: «صحبت فلانًا حولًا، ودهرًا، وسنة، وشهرًا، ويومًا، وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم»[٣].

فالصُّحبة تتحقق بالزمن اليسير؛ إذ هي اسم جنس تعم قليل الصحبة وكثيرها، وأدناها أن يصحبه زمنًا قليلًا، وليس لها حد في الشرع، ولا في اللغة، والعرف فيها مختلف، والنبي ﷺ لم يقيد الصحبة بقيد، ولا قدرها بقدر؛ بل علق الحكم بمطلقها، ولا مطلق لها إلا الرؤية، وأيضًا فإنه يقال: صحبه ساعة وصحبه سنة وشهرًا، فتقع على القليل والكثير، فإذا أطلقت من غير قيد لم يجز تقييدها بغير دليل؛ بل تحمل على المعنى المشترك بين سائر موارد الاستعمال.

ولا ريب أن مجرد رؤية الإنسان لغيره لا توجب أن يقال قد صحبه، ولكن إذا رآه على وجه الاتباع له، والاقتداء به

(١) المصباح المنير (١٢٧) [مكتبة لبنان، ط١٩٨٧م].

(٢) انظر: نزهة النظر (١١١) [مطبعة الضباح، ط٢]، والتقييد والإيضاح (٢٥١) [دار الحديث، ط٢]، ومنهاج السُّنَّة (٨/٣٨٨ ـ ٣٨٩) [ط١، ١٤٠٦هـ].

(٣) الكفاية في علم الرواية (٥١) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ].

دون غيره، والاختصاص به، ولهذا لم يعتد برؤية من رأى النبي ﷺ من الكفار والمنافقين، فإنهم لم يروه رؤية من قصده أن يؤمن به، ويكون من أتباعه، وأعوانه، المصدقين له فيما أخبر، المطيعين له فيما أمر، الموالين له، المعادين لمن عاداه، الذي هو أحب إليهم من أنفسهم، وأموالهم وكل شيء[(١)].

المنزلة:

منزلة الصحابة ومكانتهم مما يقتضيها حالهم، واختيار الله ﷻ لهم لتبليغ رسالة النبي ﷺ من بعده، وشواهدها متعددة، وفي وصف الله ﷻ لهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس أبين دليل، وأوضح حجة على عظم منزلتهم، ورفعة مكانتهم.

قال شيخ الإسلام: «وقول عبد الله بن مسعود: كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا[(٢)] كلام جامع، بيَّن فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب، وبين فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبين فيه تيسر ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف، والذي قاله عبد الله حق، فإنهم خير هذه الأمة؛ كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ، حيث قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[(٣)].

وهم أفضل الأمة الوسط، الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فليسوا من المغضوب عليهم، الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين؛ بل لهم كمال العلم وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمة خير الأمم، وأن لا يكونوا خير الأمة وكلاهما خلاف الكتاب والسُّنَّة. وأيضًا فالاعتبار العقلي، يدل على ذلك، فإن من تأمل أمة محمد ﷺ، وتأمل أحوال اليهود، والنصارى، والصابئين، والمجوس، والمشركين؛ تبين له من فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع، والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

والصحابة أكمل الأمة في ذلك، بدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان

(١) انظر: منهاج السُّنَّة (٨/ ٣٨٧ ـ ٣٩٨)، بتصرف، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ١١٢) [دار الصميعي، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: جامع بيان العلم (٢/ ٩٤٧) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ]، وذم الكلام للهروي (٤/ ٣٨) [دار الغرباء، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٥٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٣).

الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه، وعلى أمثاله»[(١)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾ [الحديد]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح].

ومن السُّنَّة: عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا ـ **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[(٣)].

وعن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ أو قال: قال ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيِّه ﷺ،

(١) منهاج السُّنَّة (٢/ ٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٥٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٨٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٧٥).

فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[١].

وقال ابن أبي زمنين الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن قول أهل السُّنَّة: أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم. وقد أثنى الله عَزَّ وَجَلَّ في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم بمحبتهم والدعاء لهم»[٢].

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «على أنه لو لم يرد من الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم، أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء»[٣].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتقرر بهذا أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خير العالم بأسره من أوله إلى آخره، لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة، ولهذا لم يعدل مثلُ أُحُد ذهبًا مدَّ أحدهم، ولا نصيفه. فإن لم يكونوا رأس الأولياء، وصفوة الأتقياء؛ فليس لله أولياء، ولا أتقياء، ولا بررة، ولا أصفياء»[٤].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المفاضلة بين الصحابة وغيرهم:

دلَّت النصوص الصحيحة على أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أفضل الأمة فلا يصل إلى فضلهم ودرجتهم أحد مهما بلغ من العمل.

«ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله به عليهم من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى»[٥].

وقد دلَّ الكتاب والسُّنَّة والإجماع، وما يصدق ذلك من المنقولات المتواترة من أدلة العقل على أن الصحابة أفضل الخلق بعد الأنبياء[٦]:

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/٩٤٤)، وذم الكلام للهروي (٤/٣٨).
(٢) أصول السُّنَّة (٢٦٣) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٥هـ].
(٣) الكفاية (٤٦ ـ ٤٩).
(٤) الفتح الرباني للشوكاني كما في ذب الإمام الشوكاني عن أصحاب النبي (٣١).
(٥) مجموع الفتاوى (٣/١٥٦).
(٦) انظر: منهاج السُّنَّة (٦/٣٠٥).

ومن النصوص الدالة على أفضليتهم: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

وهذا إلى يوم القيامة فلا يزال الذين أنفقوا من قبل الفتح أعظم درجة، فلا يسبقهم أحد.

وقوله ﷺ: «**لا تسبّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[(١)].

وهذا الخطاب شامل لجميع الأمة إلى قيام الساعة فلا يبلغ أحد ـ مهما عمل ـ مد أحدهم ولا نصيفه، فكيف يفضل عليه[(٢)].

ـ المسألة الثانية: ترتيب الصحابة في الفضل:

أفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، هكذا كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

كما يدلُّ عليه النص الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم»[(٣)].

ويدل عليه إجماع الصحابة رضي الله عنهم في تقديمهم عثمان على علي رضي الله عنه في الخلافة؛ لفضل عثمان كما صح عن عبد الله بن مسعود قال: «أمَّرنا خير من بقي، ولم نَأْلُ»[(٤)].

وقد رأى بعض أهل السُّنَّة من أهل الكوفة تقديم علي على عثمان، ثم استقر قول أهل السُّنَّة على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن المبارك: «نأخذ باجتماع أصحاب ﷺ، وندع ما سواه، وقد اجتمعوا على أن عثمان خيرهم، فعثمان خير هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر، وبعدهم علي، ثم خير هذه الأمة بعد هؤلاء الأربعة أصحاب الشورى، ثم أهل بدر، ثم الأول فالأول من سائر أصحاب النبي ﷺ»[(٥)].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٥٢٧)، ومنهاج السُّنَّة (٦/٢٢٦)، والجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد (١١٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ]، والأجوبة العراقية (١٨٠) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٢٨هـ]، وانظر أيضًا: (١٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٧).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٦٣) [دار صادر، ط١]، وأحمد في فضائل الصحابة (١/٤٦١) [جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٧هـ]، والآجري في الشريعة (٤/١٧٥٣) [دار الوطن، ط٢]، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٦٩ ـ ١٧٠) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وقال الهيثمي في المجمع (٩/٨٨) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح».

(٥) أصول السُّنَّة لابن أبي زمنين (٢٧٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيانه لأصول اعتقاد أهل السُّنَّة: «ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلَّت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة. مع أن بعض أهل السُّنَّة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما، بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر؛ أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليًّا، وقوم توقفوا لكن استقر أهل السُّنَّة على تقديم عثمان»[1].

ثم يأتي في الفضل بعد الأربعة الخلفاء بقية الستة تتمة العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، فهؤلاء العشرة لا يتقدمهم أحد في الفضل والخير.

عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[2].

ثم يأتي بعدهم في الفضل: أهل بدر، وهم الذين شهدوا غزوة بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، وإن كان أهل بدر من المهاجرين هم أفضل من أهل بدر من الأنصار، وكانوا بضعة عشر وثلاثمائة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كذبت لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية**»[3].

عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر رضي الله عنه ـ قال: «جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **ما تعدون أهل بدر فيكم؟** قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: **وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة**»[4].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن رمى حاطب بن

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٣/ ٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٩٢).

بلتعة بالنفاق: «**أليس من أهل بدر، فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم**»(١).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخير هذه الأمة بعد نبيّها: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله، لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمس: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام، ثم من بعد أصحاب الشورى: أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله على قدر الهجرة والسابقة أولًا فأولًا»(٢).

وقال ابن تيمية في بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: «ويقدمون المهاجرين على الأنصار»(٣).

ثم يليهم في الفضل أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وكانوا ألفًا وأربعمائة، وقد أثنى الله عليهم في كتابه كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

كما أثنى عليهم رسوله الكريم ﷺ؛ حيث ورد عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قال لنا رسُولُ الله ﷺ يوم الحديبيَّة: «**أنتم خير أهل الأرض**»، وكنَّا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة(٤).

كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**»(٥).

- المسألة الثالثة: السابقون الأولون:

هم كل من أسلم وأنفق من قبل الفتح والمراد بالفتح: صلح الحديبية، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٤).

(٢) اعتقاد الإمام أحمد ضمن شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٩) [مؤسسة الحرمين الخيرية، ط٨، ١٤٢٤هـ].

(٣) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١٥٤)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٥٦).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

﴿أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين[1]، وهو ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف؛ فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، ولأن النسخ ليس من فعلهم الذي يفضلون به، ولأن التفضيل بالصلاة إلى القبلتين لم يدل عليه دليل شرعي، كما دلَّ على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق، والجهاد، والمبايعة تحت الشجرة، ولكن فيه سبق الذين أدركوا ذلك على من لم يدركه، كما أن الذين أسلموا قبل أن تفرض الصلوات الخمس هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم، والذين أسلموا قبل أن تجعل صلاة الحضر أربع ركعات هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم، والذين أسلموا قبل أن يؤذن في الجهاد، أو قبل أن يفرض هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل أن يفرض صيام شهر رمضان هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل أن يفرض الحج هم سابقون على من تأخر عنهم، والذين أسلموا قبل تحريم الخمر هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل تحريم الربا كذلك، فشرائع الإسلام من الإيجاب والتحريم كانت تنزل شيئًا فشيئًا، وكل من أسلم قبل أن تشرع شريعة فهو سابق على من تأخر عنه، وله بذلك فضيلة، ففضيلة من أسلم قبل نسخ القبلة على من أسلم بعده هي من هذا الباب»[2].

- **المسألة الرابعة: عدالة الصحابة:**

أصحاب رسول الله ﷺ بعد أن عدلهم الله ﷻ، ورضي عنهم، ووصفهم بالصدق وبالفلاح، ووعدهم الحسنى، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ، ونهى عن سبهم، لا يحتاجون إلى تعديل أحد بعد تعديل الله، وتعديل رسوله ﷺ.

ومن المعلوم أنه لا تعديل أبلغ من

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/٥١) [دار الكتب العلمية].

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٢/٢٦ ـ ٢٧) [ط١، ١٤٠٦هـ].

تعديل الله ﷻ؛ لأنه يخبرنا عن صحة ظواهرهم وبواطنهم[(١)].

فلا يسوغ لأحد أن يستدرك عليهم في العدل والفضل شيئًا؛ لأن رضا الله ﷻ، ورضا رسوله ﷺ، رتبة لا يبلغها إلا من بلغ الغاية في الكمال، فإذا زكاهم الله ﷻ، وأثنى عليهم رسوله ﷺ، ونهى عن سبهم فهل يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله، ويرى هذه التزكية، وهذا الثناء أن يتردد في موافقة الله وموافقة رسوله ﷺ في الثناء عليهم.

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

قال الحافظ العلائي: «فلا أعدل ممن ارتضاه الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ونصرته، والسبق إليه، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»[(٢)].

وعملًا بهذه التزكية، والتعديل من الله ورسوله ﷺ أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على الالتزام بها، فلا يبحث في تعديل أحد ثبتت صحبته للنبي ﷺ، سواء دخل في الفتنة التي حصلت بين الصحابة ﵃ أو لم يدخل، فكل صحابي فهو عدل، إذ ثبوت الصحبة قطع بالعدالة والتزكية، وليس المراد بعدالة كل واحد من الصحابة ﵃ أن العصمة له ثابتة والمعصية عليه مستحيلة، ولكن المعنى بهذا أن روايته مقبولة، وقوله مصدق، ولا يحتاج إلى تزكية كما يحتاج غيره إليها[(٣)].

ومسوِّغات عدالة الصحابة واستغنائهم عن تعديل أحد كثيرة؛ **منها**:

١ ـ ثناء الله ﷻ عليهم، ومدحه إياهم، ووصفه لهم بكل جميل، وصفهم بالإيمان والصدق والفلاح وغير ذلك، وأخبر ﷻ أنه رضي عنهم، ورضوا عنه، فمن ادعى بعد ذلك في أحد منهم أنه قد سخط عليه لزمه بيان ذلك بدليل قاطع عن الله ولا سبيل إلى ذلك.

٢ ـ ثناء النبي ﷺ عليهم، وإخباره بما منحهم الله تعالى من كونهم خير القرون من أمته وأفضلها، وإن أحدًا ممن يأتي بعدهم لا يبلغ أدنى جزء من شأنهم.

فثناء الله ﷻ وثناء رسوله ﷺ على الصحابة متحقق لا شك فيه، وكل من أثنى الله ورسوله ﷺ عليه فهو عدل؛ فالصحابة عدول[(٤)].

(١) انظر: إحكام الفصول للباجي (٣٧٤) [دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٢) تحقيق منيف الرتبة للعلائي (٦٦) [دار العصمة، ط١، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: تحقيق منيف الرتبة (٨٦)، والبحر المحيط للزركشي (٤/٣٠٠) [دار الصفوة، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٤) انظر: شرح مختصر الروضة (٢/١٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ]، وانظر: إحكام الفصول (٣٧٤).

٣ ـ وصفهم بالخير كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: [آل عمران: ١١٠]، وقوله ﷺ: «**خير الناس قرني**» الحديث. والخير هنا اسم جنس مضاف، أو صيغة أفعل مضافة، فتعم جميع أنواع الخير، «فمتى جعل أحد من الصحابة في التعديل كمن بعده؛ حتى ينظر في عدالته، ويبحث عنها لم يكن خيرًا ممن بعده مطلقًا»(١).

٤ ـ إجماع أهل السُّنَّة على عدالتهم؛ **ومن نصَّ على هذا:**

أ ـ الحافظ ابن عبد البر، حيث قال: «الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السُّنَّة والجماعة؛ على أنهم كلهم عدول»(٢).

ب ـ الحافظ النووي حيث قال: «للصحابة رضي الله عنه بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم؛ لكونهم عدولًا على الإطلاق بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وإجماع من يعتد به في الإجماع على تعديل جميعهم، ومن لابس الفتن فكذلك، بإجماع من يعتد به»(٣).

(١) تحقيق منيف الرتبة (٧٢).

(٢) الاستيعاب (١/١٢٩)، وانظر: التمهيد (٢٢/٤٧) [وزارة الأوقاف المغربية، ط١].

(٣) إرشاد طلاب الحقائق للنووي (١٩٥) [دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ].

ـ المسألة الخامسة: كمال علمهم:

علم الصحابة مما يقتضيه حالهم، واختيار الله عز وجل لهم لتبليغ رسالة النبي ﷺ من بعده، وشواهده متعددة، وفي وصف الله عز وجل لهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس أبين دليل، وأوضح حجة على كمال علمهم؛ إذ الخيرية لا بد أن تشتمل على العلم الصحيح الذي لا سبيل إلى حصول مرضاة الله إلا به.

ومن أقوال أهل العلم في كمال علم الصحابة رضي الله عنهم:

قال الشافعي: «وهم فوقنا في كل علم، واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم ومن أدركنا ممن أرضى، أو حكي لنا عنه ببلدنا، صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سُنَّة إلى قولهم إن اجتمعوا، وقول بعضهم إن تفرقوا فهكذا نقول: إذا اجتمعوا أخذنا باجتماعهم، وإن قال واحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله، فإن اختلفوا أخذنا بقول بعضهم، ولم نخرج من أقاويلهم كلهم»(٤).

وقال ابن تيمية: «ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرًا

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (١١٠ ـ ١١١) [دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١].

وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله؛ كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصومًا وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم»[(١)].

ـ المسألة السادسة: الاقتداء بالصحابة:

الاقتداء بالصحابة والالتزام بفهمهم للنصوص شأن تقتضيه النصوص ويدل عليه الاعتبار والإجماع؛ لكمالهم في العلم والعمل وسلامة منهجهم قطعًا المتحقق بثناء الله ﷻ عليهم ورضاه عنهم، وتحقق كمالهم في العلم والعمل.

ومن المسوغ للأخذ بفهمهم:

١ ـ «أن الصحابة سمعوا من النبي ﷺ من الأحاديث الكثيرة ورأوا منه من الأحوال وعلموا بقلوبهم من الأمور ما يوجب لهم من فهم ما أراد بكلامه ما يتعذر على من بعدهم، فليس من سمع ورأى وعلم حال المتكلم كمن كان غائبًا ولم ير ولم يسمع منه، ولكن علم بعض أحواله وسمع بواسطة، وإذا كان الصحابة سمعوا لفظه وفهموا معناه كان الرجوع إليهم في ذلك واجبًا متعينًا ولم يحتج مع ذلك إلى غيرهم، ولهذا قال الإمام أحمد: أصول السُّنَّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه وأصحابه كما قال النبي ﷺ في صفة الفرقة الناجية: **هو ما كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**، أو قال: **ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(٢)].

٢ ـ اتفاقهم على الهدى والرشد وحسن فهم وبعدهم عن التفرق والاختلاف.

قال شيخ الإسلام: «ومن استقرأ أخبار العالم في جميع الفرق؛ تبين له أنه لم يكن قط طائفة أعظم اتفاقًا على الهدى والرشد، وأبعد عن الفتنة والتفرق والاختلاف من أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير الخلق بشهادة الله لهم بذلك»[(٣)].

ـ المسألة السابعة: محبتهم ونشر محاسنهم، والاستغفار لهم:

محبة الصحابة ﷺ ومودتهم والاستغفار لهم، ونشر محاسنهم، تفرضها أشياء كثيرة، فمن نظر في سيرة

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٤).

(٢) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (١٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) منهاج السُّنَّة (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٧).

القوم وأحوالهم مع رسول الله ﷺ وما قاموا به من نصرة الإسلام وبذلهم أنفسهم وأموالهم طاعة لله ورسوله وكمالهم في الصدق والإخلاص ومكارم الأخلاق وزهدهم في الدنيا من اطلع على هذه الحقائق لم يملك إلا أن يحبهم ويترضى عنهم[(١)].

والنصوص الشرعية تدل على أن محبة الصحابة رضي الله عنهم وموالاتهم واجبة؛ لأنه قد ثبت أن الله يحبهم، ومن كان الله يحبه وجب علينا أن نحبه؛ فإن الحب في الله والبغض في الله واجب، وهو أوثق عرى الإيمان، وكذلك هم من أكابر أولياء الله المتقين، وقد أوجب الله موالاتهم؛ بل قد ثبت أن الله رضي عنهم ورضوا عنه بنص القرآن، وكل من رضي عنه الله فإنه يحبه والله يحب المتقين والمحسنين والمقسطين والصابرين، وهؤلاء أفضل من دخل في هذه النصوص من هذه الأمة بعد نبيّها ﷺ[(٢)].

قال اللالكائي: «سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحث على حب الصحابة، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن مساوئهم»[(٣)].

(١) الصارم المسلول (٥٨١) [عالم الكتب، ط١٤٠٢هـ].
(٢) انظر: منهاج السُّنَّة (٧/ ١٠٤) بتصرف.
(٣) شرح أصول أهل اعتقاد أهل السُّنَّة (٧/ ١٢٤١) [مكتبة طيبة، ط١].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]: «هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظًّا في الفيء»، ما أقاموا على محبتهم، وموالاتهم، والاستغفار لهم، وأن من سبهم، أو واحدًا منهم، أو اعتقد فيه شرًّا إنه لا حق له في الفيء، روى ذلك مالك، وغيره. قال مالك: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر][(٤)].

ـ المسألة الثامنة: الشهادة بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ:

من حق الصحابة رضي الله عنهم الشهادة لمن شهد له النبي ﷺ منهم بالجنة، وعلى هذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، فهم يشهدون لمن شهد له النبي ﷺ بالجنة.

قال الصابوني: «فأما الذين شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم؛ بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقًا

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

منهم للرسول ﷺ فيما ذكره ووعده لهم، فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك»[(١)].

وقال ابن تيمية: «ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة»[(٢)].

- **المسألة التاسعة: سلامة القلب من الغل والكراهية لهم**: سلامة قلب المؤمن من الغل والكراهية لأصحاب رسول الله ﷺ أمر يحبه الله ﷻ ويثني على المتصف به[(٣)]:

ولذا قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر] فصدق الصحابة رضي الله عنهم في إيمانهم بالله ورسوله ﷺ وثناء الله ورسول الله ﷺ عليهم وما اتصفوا به من جميل الأوصاف الجميلة تستلزم سلامة القلب من الغل لهم والكراهية لهم؛ بل تقتضي المحبة لهم والتعظيم، «ومن عرف السيرة وأيام رسول الله عليه الصلاة والسلام وما قاموا به من الأمر ثم كان مؤمنًا يحب الله ورسوله لم يملك أن لا يحبهم»[(٤)].

وقد كثرت أقوال الأئمة في التأكيد على سلامة القلوب لأصحاب رسول الله ﷺ وطهارتها من الكراهية لهم أو الغض من شأنهم.

قال الشوكاني: «أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]؛ أي: غشًّا وبغضًا وحسدًا. أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الاطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولًا أوليًا؛ لكونهم أشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمر الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلًّا لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلَّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيّه ﷺ وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم، إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله سبحانه والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طرقه

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٩٨) [مكتبة الغرباء، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥٣).

(٣) الصارم المسلول (٥٧٤).

(٤) الصارم المسلول (٥٨١).

من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة»[١].

- **المسألة العاشرة: الإمساك عما شجر بينهم:**

المراد بما شجر بينهم: الاختلاف الواقع بينهم بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو ما يعرف بموقعة الجمل وصفين.

معنى الإمساك عما شجر بينهم: ترك ذكر الأخبار الواردة في الفتنة بينهم في الجمل وصفين وأن لا يحدث بها كتابة وقراءة وإقراء وسماعًا وتسميعًا[٢].

قال حنبل: «أردت أن أكتب كتاب صفين والجمل عن خلف بن سالم، فأتيت أبا عبد الله أكلمه في ذاك وأسأله فقال: وما تصنع بذاك وليس فيه حلال ولا حرام؟ قال حنبل: فأتيت خلف فكتبتها، فبلغ أبا عبد الله فقال لأبي: خذ الكتاب فاحبسه عنه ولا تدعه ينظر فيه»[٣].

قال الخطيب البغدادي: «وليجتنب المحدث رواية ما شجر بين الصحابة، ويمسك عن ذكر الحوادث التي كانت منهم، ويعم جميعهم بالصلاة عليهم، والاستغفار لهم»[٤].

تحقيقًا لمراد الله ومراد رسوله ﷺ في الثناء على الصحابة وسلامة القلوب لهم وأنهم لا يذكرون إلا بخير وإغلاقًا للسبل التي قد تؤدي إلى النيل من أصحاب رسول الله ﷺ أجمع أهل السُّنَّة على الإمساك عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ إذ لا يخلو حالهم من أمرين:

الأول: اجتهاد، فهم بين أجر وأجرين، أجر للمخطئ وأجران للمصيب.

الثاني: إذا قُدِّر ذنب فلهم من السوابق والخير العظيم، وقد سبق لهم من الله عز وجل الثناء والرضا والوعد بالجنة، وهذه السيئات مغمورة بالحسنات العظيمة، ومكفرة بأسباب عديدة بحيث يتحقق لهم وعد الله بالحسنى. قال أبو القاسم الأصبهاني: «وما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فقال السلف: من السُّنَّة السكوت عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**»[٥]. ومعلوم أنه لا يأمرنا

---

(١) فتح القدير (٥/٢٦٨) [دار الوفاء].

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/٣٨٧) [مؤسسة الخافقين، ط٢، ١٤٠٢هـ].

(٣) السُّنَّة للخلال (٢/٤٦٤) رقم (٧٢٣).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١١٩) [مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/٩٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وقال الهيثمي: «فيه يزيد بن ربيعة، وهو ضعيف». مجمع الزوائد (٧/٢٠٢) [مكتبة القدسي].
وأخرجه أيضًا الطبراني في الكبير (١٠/٢٤٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨) =

بالإمساك في ذكر محاسنهم، وإنما أمرنا بالإمساك عن ذمهم. وقال عمر بن عبد العزيز وسئل عن أمر الحرب التي جرت بينهم فقال: دماء كفى الله يدي فيها فلا أحب أن أغمس لساني فيها وأرجو أن يكونوا ممن قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر]»[(١)].

والمسوِّغ لقول أهل السُّنَّة في الإمساك عما جرى بين الصحابة أمور عدة، **منها:**

١ ـ أن العلم بتفاصيل كل واحد منهم باطنًا وظاهرًا وحسناته وسيئاته واجتهاداته أمر يتعذر علينا معرفته، فكان كلامنا في ذلك كلامًا فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام[(٢)].

٢ ـ «أن الخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضًا وذمًّا، ويكون هو في ذلك مخطئًا بل عاصيًا فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك كما جرى ـ لأكثر من تكلم في ذلك ـ فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله ﷺ، إما من ذم من لا يستحق الذم وإما من مدح أمور لا تستحق المدح»[(٣)].

٣ ـ أننا لسنا قضاة عليهم حتى نحكم بينهم، ولا نسأل عما حصل بينهم[(٤)] والله ﷻ هو الذي يحكم بينهم، فأمرهم إليه وهو أرحم الراحمين.

٤ ـ أن هذه فتنة انقضت وولت ولا تعلق للناس بها، وليس فيها شيء من مسائل الحلال والحرام حتى نتعبد بعلمها[(٥)].

ـ المسألة الحادية عشرة: حكم سب الصحابة:

السب هو: «الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس، على اختلاف اعتقاداتهم؛ كاللعن، والتقبيح ونحوه»[(٦)].

سبّ الصحابة ﭫ كبيرة من كبائر الذنوب بالإجماع كما حكاه السفاريني بقوله: وكون سب أصحابه كبيرة، هذا بلا خلاف، وإنما اختلفوا هل يكفر من سبهم أم لا؟[(٧)].

= [دار الفكر]، من حديث ابن مسعود ﭬ، وقال الهيثمي: «فيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٢).
وروي من طرق أخرى، وقد قواه بمجموعها الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٥، رقم ٣٤).

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٢٦) [دار الراية، ط١].
(٢) انظر: منهاج السُّنَّة (٤/ ٣١١) بتصرف.
(٣) المرجع السابق (٤/ ٤٤٩).
(٤) انظر: المرجع السابق (٦/ ٢٥٤).
(٥) انظر: المرجع السابق (٥/ ١٤٦).
(٦) الصارم المسلول (٥٦١).
(٧) الذخائر لشرح منظومة الكبائر للسفاريني (٣٢٥) [دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ].

وقلما يخلو مصنف في الكبائر من ذكره فيها، وكتب أهل العلم المشهورة في الكبائر وغيرها شاهدة بهذا.

وممن عدَّه من الكبائر: الحافظ الذهبي، وابن القيِّم، وابن النحاس، وابن حجر الهيتمي، وابن المبرد الحنبلي، والسفاريني وغيرهم[(١)]. وتحريم السب دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة[(٢)].

فمن أدلة الكتاب والسُّنَّة:

١ ـ النصوص الكثيرة الصريحة في النهي عن سبهم مثل حديث: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[(٣)].

٢ ـ النصوص الدالة على فضلهم، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، وما جاء فيهم من الأوصاف الحميدة مثل هم الصادقون والمفلحون.

٣ ـ النصوص الدالة على محبة الله ورضاه عنهم ومحبة رسوله ﷺ لهم وثنائه عليهم.

ويرى كثير من أهل العلم: أن سبّ الصحابة كفر بالله ﷻ، كفر مخرج من الملة[(٤)]، وممن نقل عنه تكفير ساب الصحابة: سفيان الثوري، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والبخاري، والطحاوي كما في عقيدته المشهورة، لما ذكر الصحابة قال: «وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[(٥)].

وهو قول معظم الحنفية[(٦)]، ومن أدلتهم: أن سب الصحابة رضي الله عنهم مصادم للمتواتر من الكتاب والسُّنَّة الدال على فضلهم، وعلو مقامهم، ومحبة الله ﷻ لهم، ورسوله ﷺ، ومقتضٍ لتكذيب الله ورسوله ﷺ في الثناء عليهم، والرضا عنهم، ووعدهم الجنة، ووصفهم بالصدق والإيمان، وغير ذلك[(٧)].

ورأى آخرون: أنه ليس بكفر؛ لكن فاعله يؤدب ويحبس حتى يرجع عن قوله. وممن نقل عنه هذا القول عمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل في رواية،

(١) انظر: الكبائر وتبيين المحارم للذهبي (١٤٩ ـ ١٥١) [دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ]، وأعلام الموقعين وتنبيه الغافلين لابن النحاس (١٩٨) [مكتبة الحرمين، ط٢]، وإرشاد الحائر إلى علم الكبائر لابن عبد الهادي (٣٦) [دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٥هـ]، والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (٢/٣٧٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ]، والذخائر لشرح منظومة الكبائر (٣٢٤)، وتذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر (٣٠٣) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٤هـ]، وشم العوارض في ذم الروافض للقاري (٨٨) [دار الراية الأثرية، ط١].

(٢) وقد توسع شيخ الإسلام ابن تيمية في جمع الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على تحريم سب الصحابة في كتابه الصارم المسلول (٥٧١)، وانظر: شم العوارض(٩٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ذب الإمام الشوكاني (٥٢).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٠٤) (٧٢).

(٦) الأجوبة العراقية (١٤٦).

(٧) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن عبد الهادي (٣/١١٢٠) [الجامعة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٧هـ]، والأجوبة العراقية (١٤٤).

وإسحاق بن راهويه وكثير من الحنابلة، وهو المشهور من مذهب مالك[(١)].

والمتمعِّن في المنقول عن العلماء في حكم من سب الصحابة يمكنه أن يجمع بين القولين، وذلك بحمل قول من يرى تكفير الساب على المقالات الغليظة، وخصوصًا الطعن في دينهم.

ومن لا يرى التكفير يحمل قوله على المقالات الخفيفة؛ كأن يقول عن أحدهم: إنه بخيل، أو جبان، ونحو ذلك. فبهذا يكون القولان قولًا واحدًا.

والذي يظهر أن السب متفاوت؛ ليس في درجة واحدة فلا يعطى حكمًا واحدًا؛ بل ينظر في حقيقة السب، وفيمن وقع عليه السب، فلا بد من التفصيل في الحكم، فمن السب ما هو كفر، ومنه ما ليس بكفر.

فمن قال: إن الصحابة ارتدوا، أو فسقوا، ونحو ذلك فهو كافر.

ومن قال في أحدهم: إنه بخيل أو جبان ونحو ذلك. فلا يكفر.

كما أن من وقع عليه السب من الصحابة لا يعطى سابه حكمًا واحدًا؛ لأن الصحابة ليسوا في درجة واحدة، بعضهم أفضل من بعض، فسب الفاضل منهم، ومن بانت منزلته، وعظمت مكانته؛ كأبي بكر وعمر ليس كسب غيرهما من متأخري الصحابة، الذين لم يشتهروا، أو لم تثبت لهم فضيلة بخصوصهم.

ولذا رأى كثير من أهل العلم تكفير ساب أبي بكر وعمر؛ لأن الأمة أجمعت على إمامتهما[(٢)].

وممن يرى التفصيل: شيخ الإسلام ابن تيمية كما في قوله: «فمن أصناف السابَّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه»[(٣)].

وذكر بعض الحالات التي يكفر فيها والتي لا يكفر فقال: «وأما من سبَّهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم، وأما من لعن وقبح مطلقًا فهذا محل الخلاف فيهم؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد، وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا، لا يبلغون بضعة عشر نفسًا،

(١) الصارم المسلول (٥٦٨).

(٢) انظر: إلقام الحجر لمن زكّى سابّ أبي بكر وعمر للسيوطي (٧١ ـ ٧٢) [دار اللواء، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ].

(٣) الصارم المسلول (٥٨٧).

أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم، والثناء عليهم؛ بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسُّنَّة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران]؛ وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارًا أو فساقًا. ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم»[(١)].

ـ المسألة الثانية عشرة: عقوبة من أساء إليهم:

عقوبة من أساء إلى الصحابة رضي الله عنهم مأثورة عن أصحاب رسول الله ﷺ كما صح عن علي أنه قال في من فضَّله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: عليه ما على المفتري.

فعن علقمة قال: سمعت عليًّا على المنبر فضرب بيده على منبر الكوفة يقول: «بلغني أن قومًا يفضلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدمة، من قال شيئًا من هذا فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري؛ إن خيرة الناس رسول الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، وقد أحدثنا أحداثًا يقضي الله فيها ما أحب»[(٢)]. ورواه عن علي رضي الله عنه أيضًا سويد بن غفلة[(٣)]، والحكم بن جحل[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من لعن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم؛ كمعاوية وعمرو بن العاص، أو من هو أفضل من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان أو علي أو أبي بكر أو عمر أو عائشة أو نحو هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم فإنه يستحق العقوبة البليغة باتفاق المسلمين وتنازعوا؛ هل يعاقب بالقتل أو ما دون القتل»[(٥)].

(١) الصارم المسلول (٥٨٦).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٤٨٠) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/ ٥٨٨) [دار ابن القيم، ط١]، وحسَّنه الألباني في ظلال الجنة.

(٣) أخرجه من طريقه: ابن الأعرابي في معجمه (١/ ٣٠٣) [دار ابن الجوزي، ط١]، والآجري في الشريعة (٤/ ١٧٢٥) [دار الوطن، ط٢].

(٤) أخرجه من طريقه: عبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة (١/ ٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٥) مختصر الفتاوى المصري لابن تيمية (٦٠٩)، ومجموع الفتاوى له (٣٥/ ٥٨).

وإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضِّل عليًّا على أبي بكر وعمر أو من يفضل عمر على أبي بكر مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سبّ ولا عيب علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير[(١)].

والعقوبة قد تصل إلى القتل، فعن سعيد بن عبد الرحمٰن بن أبزى قال: قلت لأبي: ما تقول في رجل سبّ أبا بكر؟ قال: يقتل، قلت: سبّ عمر؟ قال: يقتل[(٢)].

قال الشوكاني بعد ما تحدث عن حال الرافضة: «ولقد كان القضاة من أهل المذاهب في البلاد الشامية، والمصرية، والرومية، والمغربية يحكمون بإراقة دم من ظهر منه دون ما يظهر من هؤلاء، حسبما تحكيه كتب التواريخ، وقد أصابوا أصاب الله بهم»[(٣)].

۞ الحكمة:

١ ـ أن إيمان المرء لا يكمل إلا بمحبتهم؛ إذ محبتهم جزء من الإيمان.

٢ ـ إبراز تميزهم في أدائهم الأعمال الشرعية، وتوضيح الطريقة التي كانوا عليها بحيث يقتدى بهم، ويسار على منهجهم، ويعرف قدرهم في العلم والفهم، وأن ما هم عليه هو المنهج السليم، المرضي لله ورسوله ﷺ.

٣ ـ والتنبيه عما لهم من الحقوق التي فرط فيها كثير من الناس، واستساغوا النيل منهم، والتهوين من شأنهم، والعدول عن منهجهم وطريقهم.

۞ مذهب المخالفين:

يرى الرافضة أن الصحابة كلهم كفروا إلا سبعة عشر صحابيًّا وسموهم[(٤)]، ويرى الخوارج بكفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الخوارج الذين يكفرون عليًّا، أو النواصب الذين يفسقونه؛ إنه كان ظالمًا طالبًا للدنيا، وإنه طلب الخلافة لنفسه، وقاتل عليها بالسيف، وقتل على ذلك ألوفًا من المسلمين، حتى عجز عن انفراده بالأمر، وتفرق عليه أصحابه، وظهروا عليه فقاتلوه»[(٥)].

ويكفي في الرد على كلتا الطائفتين ما سبق تقريره تحت المسائل، من فضل الصحابة، وعقوبة من سبهم، أو لعنهم، أو كفرهم.

---

(١) الصارم المسلول (٥٨٦).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٢٩) [مكتبة الإيمان، ط١]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧/ ١٣٣٩) [دار طيبة، ط٨].
وانظر: الصارم المسلول (٥٨٤).

(٣) ذب الإمام الشوكاني (٧٨).

(٤) انظر: روضة الكافي للكليني (١١٥) [دار الأضواء، بيروت]، وبحار الأنوار للمجلسي (٦/ ٧٤٩) [طبعة دار الطباعة المخصوصة، الهند، ١٢٩٧هـ].

(٥) منهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٥٩).

المصادر والمراجع:

١ ـ «عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة الكرام»، لناصر الشيخ.

٢ ـ «فضائل الصحابة»، للإمام أحمد بن حنبل.

٣ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر.

٤ ـ «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث»، لأحمد شاكر.

٥ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

٦ ـ «الشريعة»، للآجري.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣)، لابن تيمية.

٨ ـ «الإمامة والرد على الرافضة»، للأصبهاني.

٩ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر.

١٠ ـ «عدالة الصحابة بين المسلمين»، لمحمد الفهداوي.

١١ ـ «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب»، لمحمد بن عبد الواحد المقدسي.

صحف إبراهيم عليه السلام

التعريف لغة:

الصُّحُف: جمع صحيفة، (فَعيلة) جُمِعَت على (فُعُل)؛ كسَفينة وسُفُن، وتُجمَع أيضًا على: صحائِف. وهي: الكتاب، أو: التي يُكتَب فيها. وسُمِّي المُصْحَف مُصْحَفًا؛ لأنه أُصْحِف؛ أي: جُعِل جامعًا للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفتَين[(١)].

التعريف شرعًا:

صحف إبراهيم: هي الكتب التي أنزلها الله عزّ وجل على نبيّه وخليله إبراهيم عليه السلام بوحي منه سبحانه وتعالى[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

ليس بين المعنى اللغوي والشرعي لصحف إبراهيم تباين واختلاف؛ فالصحف لغة هي الكتب التي يكتب فيها، وصحف إبراهيم عليه السلام هي: كتبه التي أنزلها الله عليه عزّ وجل.

وهذا المعنى ـ وإن كان مشتركًا بين جميع الكتب السماوية ـ فلا مانع من تخصيص صحف إبراهيم به وصحف موسى أيضًا؛ فالتسمية تكون لأدنى

---

(١) انظر: الصحاح (٤/ ١٣٨٤) [دار العلم للملايين، ط٤]، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٥٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٣٤) [دار الفكر، ط٢].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٤)، وتفسير ابن عطية (٨/ ١٢٥) [طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط٢، ١٤٢٨هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والتحرير والتنوير (٢٧/ ١٢٩) [دار سحنون، ١٩٩٧م].

ملابسة ولا يراعى فيها الاشتقاق والمعنى كما هو معروف.

الحكم:

حقيقة الإيمان بصحف إبراهيم عليه السلام: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن الله عز وجل أنزل على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام صحفًا مكتوبة؛ فهي كلام الله تعالى غير مخلوقة. وأنَّ الله تعالى أنزلها عليه جملة واحدة في شهر رمضان كباقي الكتب السماوية، في أوَّل ليلة منه.

الحقيقة:

ذكر الله تعالى بعض ما أنزله على إبراهيم عليه السلام في هذه الصُّحف، **في موضعين من القرآن الكريم:**

الأول: قول الله جل جلاله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم]. فكلُّ هذا في صحف إبراهيم وموسى[1].

والثاني: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: مضمون ومعنى هذا الكلام ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى]. وقيل: بل سورة الأعلى كلّها في هذه الصحف. والأول قول قتادة وابن زيد، واختيار الطبري، وحسَّنه وقوّاه ابن كثير[2].

ويعتقد المسلم أيضًا: أنَّنا لا نعلم عن وجود صحف إبراهيم عليه السلام شيئًا، ويتعذَّر الحصول عليها الآن، والظاهر أنَّها فقدت واندثرت من زمن مبكِّر؛ بل هي أولى بالضَّياع والاندثار من الكتب المتأخِّرة عنها كالتوراة والزَّبور والإنجيل، والله أعلم.

وهل كانت صحف إبراهيم كثيرة، ولهذا جمعت؟ أم أنَّها جمعت لكونها مضافةً إلى اثنين[3] في قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى]، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم]؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؟ الظاهر أنَّها كثيرة، ويدلُّ على هذا حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل، وفيه: «وأنزل على إبراهيم عشر صحائف»[4]،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٧٩، ٩٣) [دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١١٣، ١٢١)

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢٣)، وتفسير البغوي (٨/ ٤٠٣) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٤)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٣) [دار طيبة، ط٢].

(٣) انظر: تفسير الرازي (٢٩/ ٢٧٩) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩١).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، =

لكن إسناده ضعيف جدًّا؛ بل فيه كذاب.

المنزلة:

الكتب السماوية ذات منزلة عظيمة، فالإيمان بها يعد أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام.

ومن هذه الكتب: صحف إبراهيم عليه السلام، فالله أنزلها على إبراهيم عليه السلام هدى ورحمة، ومما يدل على منزلة هذه الصحف أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بها فقال سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة]. ومما يدل على منزلتها أيضًا أن من أنكر شيئًا مما أنزل الله فهو كافر كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء].

= رقم ٣٦١) [الإحسان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ]. قال الهيثمي في موارد الظمآن (١/ ٥٤) [دار الكتب العلمية، بيروت]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني؛ قال أبو حاتم وغيره: كذَّاب»، وحكم عليه الألباني بالضعف الشديد في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٢) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٢١هـ].

الأدلة:

قال الله جل جلاله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى].

وثبت في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان**» الحديث[1]، وفيه دليل على إنزال صحف إبراهيم في شهر رمضان.

أقوال أهل العلم:

قال ابن باز: «نؤمن بكتب الله جميعًا على الإجمال والتفصيل، نؤمن بجميع الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنها التوراة والإنجيل والزبور والقرآن الذي هو أعظمها المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، صحف موسى وصحف إبراهيم، نؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله على رسله»[2].

وقال ابن عثيمين: «صحف إبراهيم

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٧) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٧٥) [مكتبة العلوم والحكم بالموصل، ط٢]، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٧) [مكتبة القدسي]: «فيه عمران بن داور القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات»، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٧٥).

(٢) لقاءات الباب المفتوح (لقاء رقم ١٧٦).

صحف أنزلها الله تعالى على إبراهيم فيها المواعظ والأحكام»[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٢ ـ «أضواء البيان» (ج١)، للشنقيطي.

٣ ـ «تفسير الطبري» (ج٢٢، ٢٤).

٤ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج٨)، لابن كثير.

٥ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١٧، ٢٠)، للقرطبي.

٦ ـ «الرسل والرسالات»، لعمر سليمان الأشقر.

٧ ـ «روح المعاني» (ج٢٧، ٣٠)، للآلوسي.

٨ ـ «فتح القدير» (ج٥)، للشوكاني.

٩ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

١٠ ـ «هداية الحيارى»، لابن القيِّم.

صحف الأعمال

التعريف لغة:

الصَّحيفة: المبسوط من الشيء؛ كصحيفة الوجه. **والصحيفة**: التي يكتب فيها، وجمعها: صحائف، وصحف[٢].

(١) لقاءات الباب المفتوح (لقاء رقم ١٧٦).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥٦٣) [دار إحياء التراث

قال ابن فارس: «الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في شيء وسعة. يقال: إن الصحيف: وجه الأرض. **والصحيفة**: بشرة وجه الرجل، ومن الباب: الصحيفة، وهي التي يكتب فيها، والجمع: صحائف، والصحف أيضًا كأنه جمع صحيف»[٣].

التعريف شرعًا:

الصُّحف: هي التي يكتب فيها الكرام الكاتبون أعمال العباد، ثم يؤتى بها يوم القيامة، ويحصى ما فيها ويعد على العبد؛ ليعلم العبد أن الله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء؛ فيُعطى المؤمن كتابه بيمينه، وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره[٤].

الأسماء الأخرى:

السِّجل، الكتاب.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود صحف تكتب فيها أعمال العباد، كما وردت في نصوص الكتاب والسُّنَّة.

العربي، ١٤٢٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٧٦) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٥٦٣).

(٤) ينظر: لوائح الأنوار السنية (٢/٢٠٦ ـ ٢٠٨)، واللآلي البهية في شرح الواسطية (٢/٢٣٨) [دار العاصمة، ط١]

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته»**[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى؛ إن لك عندنا حسنة؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السِّجّلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السِّجلات، وثقلت البطاقة. فلا يثقل مع اسم الله شيء»**[(٢)].

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»**[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «وأن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حسابًا يسيرًا، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرًا»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٨٥)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٣٩) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٠)، وأحمد (١١/ ٥٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٥)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٨١٨)، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٣٥) [دار العربية، ط٢]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٦١٨) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (٢٩٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط٢، ١٤٢٧هـ].

وقال السفاريني: «والحاصل: أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسُّنَّة والإجماع»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: وقت أخذ الصحف:

ظاهر النصوص تبيِّن أن وقت أخذ الصحف يكون عند الحساب، بعد الشفاعة العظمى؛ بعدما يشفع النبي ﷺ عند الله ﷻ حتى يقضي ويفصل بين العباد، ويحاسب سبحانه العباد على أعمالهم[(٢)]. وقبل الميزان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، والله أعلم.

قال القرطبي: «فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، فدلَّ على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب؛ لأن الناس إذا بعثوا لا يكون ذاكرين لأعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ [المجادلة: ٦]»[(٣)].

ـ المسألة الثانية: كيفية أخذ الصحيفة:

دلَّت النصوص على أن المؤمن يأخذ صحيفته بيمينه من أمامه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق]. وأما الكافر فيأخذ صحيفته بشماله من وراء ظهره، قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق]. وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة]. قال الشنقيطي: «لا منافاة بين أخذه بشماله، وإيتائه وراء ظهره؛ لأن الكافر تُغَلُّ يمناه إلى عنقه، وتُجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه»[(٤)].

وذكر السفاريني أن المؤمن الفاسق يأخذ كتابه بشماله من أمامه[(٥)]، ولم

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/١٨١) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].

(٢) وهذا ظاهر حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٦١٩) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٤) دفع إيهام الاضطراب (٣٤٤) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٥) ينظر: لوامع الأنوار البهية (٢/١٨٣)، ولوائح الأنوار السنية (٢/٢٠٩).

يذكر دليلًا على قوله. وقال يوسف بن عمرو من المالكية: «اختلف في عصاة الموحدين، فقيل: يأخذون كتبهم بأيمانهم، وقيل بشمائلهم. وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل: يأخذونها قبل الدخول في النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها، وقيل: يأخذونها بعد الخروج منها»[(١)]. والله أعلم.

- **المسألة الثالثة: تطاير الصحف:**

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**»[(٢)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**»[(٣)]. وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: **يا عائشة، أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم، ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة: وكلت بمن ادعى مع الله إلٰهًا آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد. قال: فينطوي عليهم ويرمي بهم في غمرات، ولجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: ربِّ سلم، ربِّ سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه**»[(٤)].

الحكمة:

من الحكمة في وجود صحف للعباد تعرض عليهم يوم القيامة: تعريف العباد ما لهم عنده من جزاء على الخير والشر، وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة. وإظهار عدل الله جل جلاله وبيان فضله على

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧٧)، وأحمد (٣٢/ ٤٨٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وضعفه الترمذي (عقب حديث رقم ٢٤٢٥)، والألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٤٣٢).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٢٥)، ثم قال: «ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة»، وضعفه الألباني في الموضع نفسه.

(٤) أخرجه أحمد (٤١/ ٣٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٩) [مكتبة القدسي]: «فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف».

عباده، قال الثعلبي: «إنما يؤتى بالصحف إلزامًا للعباد، ورفعًا للجدل والعناد»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد»، لابن جبرين.
٢ ـ «البحور الزاخرة» (ج٢)، للسفاريني.
٣ ـ «التذكرة» (ج٢)، للقرطبي.
٤ ـ «الحياة الآخرة» (ج٢)، لغالب عواجي.
٥ ـ «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.
٦ ـ «فتح الباري» (ج٨، ١١)، لابن حجر العسقلاني.
٧ ـ «اللآلي البهية في شرح العقيدة الواسطية» (ج٢)، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.
٨ ـ «لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية» (ج٢)، للسفاريني.
٩ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج٢)، للسفاريني.
١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.
١١ ـ «اليوم الآخر: القيامة الكبرى»، لعمر الأشقر.

(١) نقله عنه السفاريني في لوائح الأنوار (٢/٢٠٦)، ولم نجده في تفسير الثعلبي «الكشف والبيان».

صحف موسى عليه السلام

يراجع مصطلح (التوراة).

الصِّدق

التعريف لغة:

الصاد والدال والقاف: أصلٌ يدلُّ على قوّةٍ في الشيء، مِن قَولٍ وغَيرِه، والصِّدق: خلاف الكَذِب، سمِّيَ بذلك لقوّته في نفسه، ولأنَّ الكذِبَ لا قُوَّة له؛ بل هو باطلٌ. وأصل هذا من قولهم: شيءٌ صَدْقٌ؛ أي: صُلْب، ورُمْح صَدقٌ. ويقال: صَدَقُوهم القِتالَ، وفي خلاف ذلك كَذَبوهم.

والصِّدِّيق: الملازم للصِّدْق، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل. ورجل صِدْقٌ وامرأة صِدْقٌ، وُصِفا بالمصدر يريدون المبالغة. ويقال: صَدَّقه قَبِل قولَه، والْمُصَدِّقُ: الذي يُصَدِّقُكَ في حديثك، وصدَقَه الحديث أنبأه بالصِّدْق. ويقال: صَدَقْتُ القومَ؛ أي: قلت لهم صِدْقًا[(٢)].

والصدق: هو الخبر المطابق للواقع.

والتصديق: هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر. وقيل: هو الحكم

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٣٩) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ]، والصحاح (٤/١٥٠٦) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (١٠/١٩٣) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والمصباح المنير (١/٣٣٥) [المكتبة العلمية].

بمطابقة الخبر للواقع[١]. إلا أن التصديق لا يكون محصورًا في التصديق الخبري، وإنما يكون في التصديق العملي؛ أي: تصديق الخبر بالامتثال والدعوى بالعمل، فهو بمعنى التحقيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات]؛ أي: قد حققت وامتثلت الأمر وحقيقته بإضجاعك ولدك وهمك بذبحه باستسلام وانقياد[٢].

التعريف شرعًا:

الصِّدق: هو الموافقة بين الظاهر والباطن في الأعمال والأحوال، وهو من أجلِّ عبادات القلب، ومن أعظم شروط كلمة التوحيد[٣].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصدق: هو حصول الشيء وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه، كما يقال: عزيمة صادقة. إذا كانت قوية تامة، وكذلك: محبة صادقة، وإرادة صادقة. وكذا قولهم: حلاوة صادقة: إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة. لم ينقص منها شيء»[٤].

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (٥٩، ١٣٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١١/٥٠٤) [دار المعرفة، ط١٣٧٩هـ].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٠٢) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٧/٣٠) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٩١، ٢٥٨) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ].

(٤) مدارج السالكين (٢/٢٦٧).

الحكم:

يجب على المسلم أن يواطئ قلبُه لسانَه وجوارحَه، وأن يكون صادقًا مع الله تعالى في إخلاصه له تعالى بأن يجعل باطنه أعمر من ظاهره، وأن يبتعد عن مداهنة النفس والإعجاب بها.

ويجب عليه أن يُسوي أعمال القلب والجوارح على الإخلاص كاستواء الرأس على الجسد، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه، وقيامها به تكون صدِّيقِيَّتُه، ويكون وفاؤه لربه[٥].

الحقيقة:

حقيقة الصدق: أن يكون في الأقوال والأعمال والأحوال؛ فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال؛ كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة؛ كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق[٦].

وحقيقة كون الصدق شرطًا من شروط كلمة التوحيد أن يقولَ العبدُ هذه الكلمة صادقًا من قلبه، والصّدق أن يواطئ

(٥) انظر: المرجع السابق (٢/٢٥٨).

(٦) مدارج السالكين (٢/٢٥٨).

القلبُ اللّسانَ، ولذا قال الله تعالى في ذمِّ المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون]، فوصفهم سبحانه بالكذب؛ لأنَّ ما قالوه بألسنتهم لم يكن موجودًا في قلوبهم.

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١][١].

المنزلة:

الصدق عبادة قلبية عظيمة، تنشأ عنها جميع العبادات القلبية، فهو روح الأعمال، وهو مقام الإسلام وأساس الإيمان، وبه تميز أهل الإيمان من أهل النفاق وسكان الجنان من أهل النيران، وهو أساس بناء الدين.

ودرجة الصدق تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، لذا أمر الله تعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين.

وقسَّم سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

فأخبر أن الصدق أمره عظيم، وأنه محل الجزاء، وأنه من صفات المؤمنين، وعكسه الكذب من صفات المنافقين.

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر[٢].

الأهمية:

تتضح أهمية الصدق في النقاط التالية:

- أن الصدق أساس الحسنات وجماعها.
- أن الصدق هو الصفة المميزة بين النبي والمتنبئ.
- أنه الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق.
- أن الصدق أصل البر كما أن الكذب أصل الفجور.
- أن الصادق تنزل عليه الملائكة، كما أن الكاذب تنزل عليه الشياطين.
- أنه مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين.
- أنه ركن الأحاديث والأخبار التي بها يقوم الإسلام؛ وركن الفتيا التي هي إخبار المفتي بحكم الله، وركن المعاملات التي تتضمن أخبار كل واحد

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٦٥)، والصدق والصادقون لأحمد خليل جمعه (٣٧) [دار الكلم الطيب، ط١٩٩٤م].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

من المتعاملين للآخر بما في سلعته، وركن الشهادة الخاصة عند الحكام التي هي قوام الحكم والقضاء[(١)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١﴾ [محمد]، وأخبر سبحانه: أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ [المائدة].

ومن السُّنَّة المطهرة: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار**»[(٢)].

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: أن أعرابيًّا سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام، فأخبره، قال: هل علي غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**»[(٣)]، فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقًا.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا إلٰه إلا الله صادقًا بها دخل الجنة**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله: «الصّدق الوفاء لله بالعمل»[(٥)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق؛ فإن أساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب؛ ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٧٤ ـ ٧٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١).

(٤) أخرجه أحمد (٣٢/ ٤٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٦) [مكتبة القدسي]: «رجاله ثقات»، وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٣١٤) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٢٦٢).

﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات]. وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]. فأخبر أن الصادقين في دعوى الإيمان هم المؤمنون الذين لم يتعقب إيمانهم ريبة وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم»[١].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «منزلة الصدق هي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه. ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين»[٢].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند كلامه على حديث: «**من شهد أن لا إله إلَّا الله صادقًا من قلبه حرمه الله على النَّار**» ـ: «فأما من دخل النَّار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها؛ فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلَّة الصدق في قولها... من صدق في قول: لا إلٰه إلَّا الله لم يحب سواه ولم يرج سواه ولم يخش أحدًا إلَّا الله، ولم يتوكل إلَّا على الله، ولم يبق له بقيَّة من آثار نفسه وهواه»[٣].

الأقسام:

١ ـ **الصدق مع الله**: ويكون في تحقيق عبوديته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعل العمل كله خالصًا لله لا رياء فيه ولا سمعة.

٢ ـ **الصدق مع رسول الله** ﷺ: ويكون ذلك بتصديقه فيما أخبر وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

٣ ـ **الصدق مع النفس**: فلا يخدع نفسه، ويعترف بعيوبه وأخطائه ويصححها.

٤ ـ **الصدق مع الناس**: بأن لا يكذب المسلم في حديثه وتعامله مع الآخرين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١١ ـ ١٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٥٧).

(٣) كلمة الإخلاص (٤٤ ـ ٤٥).

المراتب:

للصدق ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الصادق.

المرتبة الثانية: الصدوق.

المرتبة الثالثة: الصدِّيق.

فأعلى هذه المراتب: مرتبة الصديقية: وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك لما كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ذروة سنام الصدِّيقية سمي: الصدّيق على الإطلاق. والصدّيق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق[(١)].

فالصادقون: هم الذين استوت ظواهرهم مع بواطنهم. والصديق: الدائم التصديق، المبالغ في الصدق، وأحسن ما يفسر به الصدّيق قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر]، وعليه فيكون الصِّدِّيق: هو الذي علم ما أخبر به النبي ﷺ جملة وتفصيلًا، وصدَّق ذلك تصديقًا كاملًا في العلم والقصد والقول والعمل[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: التصديق:

يطلق تصديق القلب على شيئين:

الأول: التصديق الخبري العلمي الذهني، بمعنى أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى المخبر والخبر ذاته مجردًا عما سوى ذلك من أعمال القلوب، وهذا هو قول القلب.

الثاني: التصديق العملي؛ أي: تصديق الخبر بالامتثال والانقياد، وهذا هو الذي قصده السلف عند إطلاق التصديق، فمن قال من السلف بأن الإيمان هو: التصديق، فإنه يقصد بذلك المعنيين؛ قول القلب وعمله، أو عمل القلب المتضمن لتصديقه[(٣)].

وقد قدمنا أن التصديق لا يكون محصورًا في التصديق الخبري، وإنما يكون في التصديق العملي؛ أي: تصديق الخبر بالامتثال والدعوى بالعمل، فهو بمعنى التحقيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات]؛ أي: قد حققت وامتثلت الأمر وحقيقته بإضجاعك ولدك وهمّك بذبحه باستسلام وانقياد[(٤)].

وفي قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٥٨).

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٤/٢٦٧).

(٣) انظر: الشريعة للآجري (٢/٦١١) [دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح أصول الاعتقاد (٤/٩٣١) [دار طيبة، ط٨، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٠٢)، وتفسير ابن كثير (٧/٣٠).

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾؛ أي: هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال»[(١)].

وبهذا يتضح معنى تصديق القلب عند السلف إذا أُفرد، وأنهم يريدون بذلك التصديق الخبري المستلزم لعمل القلب، أو عمل القلب المتضمن لقوله، أو هما جميعًا.

ومن الخطأ أن يظن أن مرادهم بالتصديق عند الإطلاق هو مجرد نسبة الصدق إلى الخبر، أو ما أشبهه كالمعرفة المجردة، أو العلم المجرد. بل مرادهم بتصديق القلب: إقراره ومعرفته مع عمله، مثل حب الله ورسوله ﷺ، وغير ذلك من أعمال القلوب، فالتصديق إذن إنما يتم **بأمرين**؛ **أحدهما**: اعتقاد الصدق، **والثاني**: محبة القلب وانقياده[(٢)].

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٨٨).

(٢) انظر: كتاب الإيمان لابن تيمية (١٧٦)، والصارم المسلول له (٣/٩٦٦)، وكتاب الصلاة لابن القيم (٢٨)، ومعارج القبول (٢/١٧).

وأما أن يفرد ويراد به قول القلب فقط فهذا لم يرد عن السلف؛ بل هو من اصطلاحات أهل البدع[(٣)].

ـ المسألة الثانية: الصِدِّيق أو (الصدِّيقيّة):

الصدِّيقيّة: هي درجة أعلى وأكمل من درجة التصديق، فالصدِّيقية هي كمال التصديق، فمتى صدَّق الرجل علمه بعمله وحقق بفعله ما يقوله بلسانه، ومتى تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله وصار سره لا يختلف عن جهره كان صدِّيقًا[(٤)].

والصدِّيق أيضًا هو الذي كمل انقياده للرسول ﷺ وكمل إخلاصه لربه عَزَّ وَجَلَّ، لذلك كانت الصدِّيقيّة هي الدرجة التالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين[(٥)]. وفي هذا قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾ [النساء].

ـ المسألة الثالثة: الصدق أحد شروط كلمة التوحيد:

يعدُّ الصدق أحد شروط كلمة التوحيد

(٣) انظر: أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها (١/١٤١ ـ ١٤٣) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٤/٢٦٦)، ومدارج السالكين (٣/٨)، وتفسير القرطبي (٦/٤٤٩)، وتفسير الماوردي (٣/٤٣) [دار الكتب العلمية، بيروت].

(٥) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٥٧).

(لا إلٰه إلا الله)، وإنما كان أحد شروط التوحيد؛ لأنه محل الابتلاء، وبه يتميز المؤمن من المنافق، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]. وحقيقة هذا الشرط أن يقولَ العبدُ هذه الكلمة صادقًا من قلبه، بحيث يواطئ قلبُه لسانَه ويرسخ في اعتقاده الصدق بها ويعزم على العمل بموجبها، والمنافقون لم يكونوا صادقين في هذه الكلمة لذلك قال الله تعالى في ذمِّهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة] فوصفهم سبحانه بالكذب؛ لأنَّ ما قالوه بألسنتهم لم يكن موجودًا في قلوبهم.

فالصِّدق في قول كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله) منجاة من النار، كما قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار**»[(١)]. فاشترط ﷺ في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بها بدون مواطأة القلب[(٢)]. فلا بد في الصدق بها أن يكون صادقًا في جميع أقواله، وأحواله، ومعاملته مع الله، واستواء ظاهره وباطنه، وهذا هو الصدق الذي ينفع صاحبه يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ [المائدة][(٣)].

الثمرات:

من ثمار الصدق:

- الصدق طريق الأبرار إلى الجنة.
- الصدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها.
- الصدق دليل القوة والثقة بالنفس.
- الصادقون هم أحباب الله تعالى المقربون، ويحبهم الناس، ويثقون بهم، ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم.
- الصدق من أعظم أسباب النجاة لمن تمسك به.
- رفقاء أهل الصدق هم النبيون والشهداء والصالحين وكفى بها رفقة[(٤)].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: معارج القبول (١/ ٢٧٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٧٠)، وتفسير السعدي (٦٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) انظر: نضرة النعيم (٦/ ٢٥١٦).

الآثار:

للصدق آثار حميدة، منها:

- أنه يورث التقوى والمغفرة والأجر العظيم، وقد حث الله ﷻ المؤمنين على الالتزام بالصدق وأثنى عليهم.

- أنه أساس في تقوية القيم الروحية وتزكية النفوس البشرية وتطهير القلوب والرقي بالأمم إلى الفضيلة.

- **ومن آثاره**: ظهور علاماته في وجه الصادق، فالصادق تظهر علامة صدقه على وجهه وصوته، فكان رسول الله ﷺ يتحدث إلى من لا يعرفه، فيقول: والله ما هذا بوجه كذاب ولا صوت كذاب. ولا شك أن أهمية الصدق تؤثر على الصادق كما تؤثر على المخاطب مما يحمله على قبول قول المتكلم الصادق واحترامه.

- أنه منجاة لصاحبه، كما في قصة كعب بن مالك لما تخلف عن غزوة تبوك[1].

- أنه طمأنينة وراحة نفسية، يُخَلِّص صاحبه من الْمُكَدِّرات في تعامله مع الآخرين.

- بالصدق تحسن العاقبة لأهله في الدنيا والآخرة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأخلاق الإسلامية وأُسُسُها»، لعبد الرحمٰن الميداني.

٢ ـ «أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السُّنَّة والجماعة ومخالفيهم»، لسهل العتيبي.

٣ ـ «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»، لابن حبان البستي.

٤ ـ «الصدق الفضيلة الجامعة»، لسليمان بن محمد الصغير.

٥ ـ «الصدق والصادقون في القرآن العظيم والسُّنَّة النبوية»، لأحمد خليل جمعة.

٦ ـ «الصدق في القرآن الكريم»، لمذكر محمد عارف.

٧ ـ «كلمة الإخلاص»، لابن رجب.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٧، ٢٠)، لابن تيمية.

٩ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيِّم.

١٠ ـ «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» (ج٦)، لمجموعة من الباحثين.

الصِّدِّيقون

التعريف لغة:

الصِّدِّيق: وصف (صيغة) مبالغة من الفعل الثلاثي (صدقَ)؛ بمعنى: المبالغة في الوصف بالصِّدق. ويجوز أن يكون مشتقًّا من الفعل الثلاثي المضعَّف (صدَّق)؛ بمعنى: الوصف بالمبالغة في

---
(١) أخرجها البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٩).

التصديق[١]. فالصِّدِّيق هو: الملازم للصِّدق. والصِّدق: خلاف الكذب، يقال: صدَقَ في الحديث، وصَدَقَه الحديث[٢].

التعريف شرعًا:

الصِّدِّيق: «هو الذي لم يدع شيئًا مما أظهره باللِّسان إلا حققه بقلبه وعمله»[٣].

وقيل: هو «من صدَّق قوله اعتقاده، وحقق صدقه فعله»[٤].

وقيل: «هو الذي صدق في قوله وفعله المبالغ في الصدق؛ أي: الكثير الصدق، كما تفيده المبالغ»[٥]. وقيل غير ذلك[٦].

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (٣/ ٥٤٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ]، والدُّرّ المصون (٤/ ٣٧٨) [دار القلم، دمشق]، والتحرير والتنوير (٦/ ٢٨٦، ١٢/ ٢٨٤، ١٦/ ١١٢).

(٢) انظر: الصحاح (٤/ ١٥٠٥) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٣٩) [دار الفكر ببيروت، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٣) التعريفات للجرجاني (١٧٤) [دار الكتاب العربي ببيروت، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٥١) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ]، ودستور العلماء لنكري (٢/ ١٧٣) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٥١).

(٥) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (٥٤٢).

(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٤٧٩) [دار العِلْم والدَّار الشَّاميَّة بدمشق، ١٤١٢هـ]، والتحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٤). وانظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٥١٦) [دار ابن القيم بالدمام، ط٢، ١٤١٤هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الصدِّيق لغة هو: من يبالغ في الصدق ويلازمه؛ ظهر ذلك على جوارحه فصار لا يدع شيئًا مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله، فاتصافه بالصِّدق مع الله ومع نفسه ومع الناس.

سبب التسمية:

سمي الصدِّيق بهذا الاسم ـ وهو أبلغ من الصَّدوق والصَّادق ـ؛ مبالغة في اتصافه بالصِّدق ـ مع الله ومع الناس ـ أو التصديق؛ وذلك «لفرط صدقه في امتثال ما يكلِّفه الله تعالى به، لا يصده عن ذلك شيء؛ فالصِّدق هو بلوغ نهاية الصِّفة في الموصوف بها»[٧]، أو: «لأنَّه صدق وعد ربِّه في الكفِّ عن المحرمات مع توفر أسبابها»[٨].

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت درجة الصدِّيقية، وأنها تأتي بالمرتبة بعد درجة النبوَّة، وأن الصدِّيقين هم أفضل الخلق وأكملهم إيمانًا بعد الأنبياء والرُّسل عليهم السلام، ولذا كان نعت الصدِّيقية وصفًا لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين ـ أبي بكر

(٧) التحرير والتنوير (١٦/ ١١٢)، بتصرُّف.

(٨) المصدر السابق (٦/ ٢٨٦). وانظر: بدائع الفوائد لابن القيِّم (١/ ١٢٧) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومدارج السالكين له (١/ ٤٤٣).

الصدِّيق رضي الله عنه ـ، ولو كان بعد النُّبوَّة درجة أفضل منها لكانت نعتًا له؛ فدلَّ ذلك على فضل الصدِّيقية وتقدمها على غيرها من المراتب.

وقد يوصف النبيُّ بالصدِّيق؛ كما أطلق على إبراهيم، وإدريس، ويوسف عليهم السلام؛ مبالغة في اتصافهم بالصِّدق في امتثال أمر الله تعالى.

الحقيقة:

عرفت مرتبة الصِّديقيَّة بأنها: «كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل»[(١)]، وقيل: «كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر، ظاهرًا وباطنًا»[(٢)]، وقيل: «كمال الإيمان بما جاء به الرَّسول علمًا وتصديقًا وقيامًا به، فالصدِّيقية شجرة، أصولها: العلم، وفروعها: التَّصديق، وثمرتها: العمل»[(٣)]، وقيل غير ذلك[(٤)].

المنزلة:

الصديقيَّة هي أعلى درجات المكلَّفين السُّعداء المنعم عليهم بعد مرتبة النُّبوّة والرِّسالة، وأرفع درجات الكمال والإيمان بعدها، وأفضل مواهب العبد وأعظم كراماته التي يكرم بها؛ فالصدِّيقون هم أفضل الخلق وأكملهم إيمانًا بعد الأنبياء والرُّسُل عليهم الصَّلاة والسلام؛ فبها سبق الصدِّيق أبو بكر رضي الله عنه غيره.

فأعلى الدّرجات: الأنبياء، ثم الصّدّيقون، ثم الشُّهداء، ثم الصالحون.

الأدلة:

أمَّا الدليل على أنَّ الصّديقيّة أفضل المراتب بعد النُّبوَّة والرِّسالة؛ فمن الأدلة قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ﴾ [الحديد: ١٩].

وثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أنَّ النبي ﷺ صعد أُحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان؛ فرجف بهم؛ فقال ﷺ: «**اثبت أُحد؛ فإنَّما عليك: نبيّ، وصدِّيق، وشهيدان**»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيِّم: «الصدِّيقون هم أئمّة أتباع الرّسل، ودرجتهم أعلى الدرجات

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٧٠) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٧٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٩) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: طريق الهجرتين (٥١٦)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٤٢١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٥).

بعد النُّبوة. وإن جرى قلم العالِم بالصدّيقيّة وسال مداده بها؛ كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصدِّيقيَّة! وإن سال دم الشَّهيد بالصدِّيقيَّة وقطر عليها؛ كان أفضل من مداد العالِم الذي قصّر عنها؛ فأفضلهما: صدِّيقهما، فإن استويا في الصدّيقيّة استويا في المرتبة. والله أعلم»[(١)].

وقال ابن باز: «الصديقون هم الذين كمل تصديقهم لله ولرسله، واستقاموا على أمره، وصاروا خير الناس بعد الأنبياء، وعلى رأسهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فهو رأس الصديقين، وأكملهم صديقية، بفضله وتقواه، وسبقه إلى الخيرات، وقيامه بأمر الله خير قيام، وكونه قرين رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، ومساعده بكل ما استطاع من قوة رضي الله عنه وأرضاه»[(٢)].

وقال ابن عثيمين: «فمن حقق الإيمان ـ ولا يتم تحقيق الإيمان إلا بالصدق والتصديق ـ فهو صدِّيق:

الصدق في العقيدة: بالإخلاص، وهذا أصعب ما يكون على المرء، حتى قال بعض السلف: ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص، فلا بد من الصدق في المقصد ـ وهو العقيدة ـ والإخلاص لله عزّ وجلّ.

الصدق في المقال: لا يقول إلا ما طابق الواقع، سواء على نفسه أو على غيره، فهو قائم بالقسط على نفسه وعلى غيره.

الصدق في الفعال: وهي أن تكون أفعاله مطابقة لما جاء به النبي ﷺ، ومن صدق الفعال أن تكون نابعة عن إخلاص، فإن لم تكن نابعة عن إخلاص، لم تكن صادقة؛ لأن فعله يخالف قوله.

فالصِّدّيق إذًا من صدق في معتقده وإخلاصه وإرادته، وفي مقاله وفي فعاله»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المحدَّث دون الصّدِّيق:

تقدّم تقرير فضل مرتبة الصّدّيقيّة على سائر مراتب المكلّفين السعداء بعد منزلة النّبوّة والرّسالة؛ فمرتبة التَّحديث دونها في الفضل؛ فالصدِّيق ـ الذي يأخذ من مشكاة النّبوَة ـ أكمل وأفضل وأتم مقاماً من المحدَّث؛ لأنَّه استغنى بكمال صدّيقيّته ومتابعته عن التَّحديث والإلهام والكشف، بخلاف المحدَّث؛ فيجب عليه عرض ما يُحدَّث به على الكتاب

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٢٩٨).

(٢) بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعًا (١٩) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) شرح العقيدة الواسطية (١/١٥٥) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٢١هـ].

والسُّنَّة؛ لأنَّه يقع فيه الخطأ الذي يحتاج إلى تقويمه بنور النُّبوة، فإن وافقه قبله، وإلا ردَّه ولم يلتفت إليه.

- المسألة الثانية: وصف النبي بالصدِّيق:

وقد يوصَف النبيّ بالصّدّيق؛ كما أطلق على إبراهيم، وإدريس، ويوسف عليهم السلام؛ مبالغةً في اتصافهم بالصِّدق في امتثال أمر الله تعالى.

- المسألة الثالثة: درجات الصديقين:

لمَّا كانت هذه الأمّة المحمّديّة - أُمّة النبي ﷺ - هي أفضل الأمم على الإطلاق؛ كان صدِّيقوها - رجالها ونساؤها - أفضل من صدِّيقي غيرها؛ فالمصدِّق بمحمد ﷺ أفضل من المصدّق بموسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما؛ فأبو بكر الصّدّيق أفضل الصّدّيقين ورأسهم - وأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين -، وخديجة وعائشة الصّدّيقتان وغيرهما أفضل من غيرهما من نساء الأمم السّابقة الصّدّيقات - إلا مريم؛ ففيها خلاف - رضي الله عنهم.

والصّدّيقون يتفاوتون فيما بينهم في درجات الصّديقيّة نفسها ومراتبها وأحوالها؛ فالصّديقيّة - كالولاية والتَّقوى والبرِّ ونحو ذلك - مرتبة تقبل التجزيء والانقسام، والكمال والنقصان، بحسب التفاوت في أصل الإيمان، زيادةً ونقصانًا كما أجمع عليه المسلمون؛ فبحسب كمال التقوى والصِّدق في الأحوال - باستواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوُسع وبذل الطاقة في العلم والمتابعة والانقياد -، وقيامها بالمؤمن؛ تكون صدِّيقيَّته؛ ولذا كان لأبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه - كامل الصّديقيّة - ذروة سنام الصّدّيقيّة؛ بحيث صار هذا اللَّقب علمًا عليه وحده.

- المسألة الرابعة: وقوع الذنب من الصدِّيق:

إذا علمنا ما سبق؛ فلا يشكل وقوع الذنب وظلم النَّفس من الصّدّيق أو الوليّ؛ فالصّدّيقون تجوز عليهم جميع الذّنوب باتفاق الأئمَّة[1]؛ فاصطفاء الله تعالى للعبد وتقريبه له لا ينافي ظلم العبد لنفسه - أحيانًا - بالذنوب والمعاصي، وهذا الظلم للنفس - وهو درجات متفاوتة في القدر والوصف - لا ينافي الصّديقيّة أو الولاية، ولا يخرج العبد عن كونه من المتَّقين؛ بل يجتمع فيه الأمران: يكون وليًّا لله صديقًا متقيًا، وهو مسيء ظالم لنفسه، يستغفر ربَّه ويتوب إليه، ولا يصرّ على الذنب.

ونكتة المسألة: أنَّ الصدّيق - بل

(١) انظر: مختصر الفتاوى المصرية للبعلي (١٠٠، ١٠٦) [مطبعة المدني بمصر، ١٤٠٠هـ].

والنبي ﷺ ـ إنما كملت مرتبته وانتهت درجته وتمَّ علوّ منزلته في نهايته لا في بدايته! وإنَّما نال ذلك بفعل ما أمر الله تعالى به من الأعمال الصالحة وأفضلها التوبة، وما وجد قبل التوبة فإنَّه لم ينقص صاحبه، ولا يتصور أنَّ بشرًا يستغني عن التوبة(١).

وأمَّا الدليل على وقوع الذنب من الصدِّيق وظلمه لنفسه بالذّنوب والمعاصي، وأنَّ هذا لا ينافي صدّيقيّته وولايته زيادة على الإجماع؛ فقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٣٥﴾ [الزُّمَر]؛ فهؤلاء الصّدّيقون المتقون أخبر ربّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ لهم أعمالًا سيّئة يكفّرها.

وقال صدِّيق الأمّة الأكبر أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للنبيِّ ﷺ: علِّمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: «**قل: اللَّهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذّنوب إلا أنت؛ فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني؛ إنَّك أنت الغفور الرحيم**»(٢)، والأدلّة الدّالة على وقوع الذّنب من المؤمنين والمتَّقين، واستغفار الأنبياء والمرسلين ودعائهم مغفرة ذنوبهم أكثر من أن تذكر في هذا المقام.

ـ المسألة الخامسة: أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

ثبتت صدِّيقية أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنصوص الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ النبي ﷺ صعد أُحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان؛ فرجف بهم؛ فقال ﷺ: «**اثبت أُحد؛ فإنَّما عليك: نبيّ، وصدِّيق، وشهيدان**»(٣)؛ وعن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصدِّيق، ولكنهم الذين يصومون ويُصلّون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون]»(٤). وهذه الدرجة

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٦٤)، ومنهاج السُّنَّة النبوية لابن تيميَّة (٧/ ٢٢٧) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومختصر الفتاوى المصرية للبعلي (١٠٠، ١٠٥، ١٩٦، ٥٦٦)، وطريق الهجرتين (٣٠٨، ٥١٦)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٣، ٢٩٨)، وبدائع الفوائد (١/ ١٢٧)، والبداية والنهاية (٢/ ٧١) [دار إحياء التراث العربي، ط١].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٤)، ومسلم (كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٥).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٧٥)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٩٨)، وأحمد (٤٢/ ١٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وفي سنده =

خاصة به رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ سماه بها دون غيره من هذه الأمة، وكان سبب تسميته بالصِّدِّيق: أنه بادر إلى تصديق الرسول ﷺ حين كذبه الناس، ولازمه الصدق فلم تقع منه هناة أبدًا. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعَوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أَوَقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أَوَتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق»(١).

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على اعتقاد تفاوت الصِّدِّيقين فيما بينهم في درجات الصِّدِّيقيّة ومراتبها وأحوالها: إثبات تفاضل المؤمنين في الإيمان، وهذا التفاضل يكون بأعمال القلوب وبأعمال الجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية. وفي هذا ردٌّ على المرجئة من الجهميَّة والكلابية والكرَّامية والأشاعرة وغيرهم، ومن وافقهم كالمعتزلة والخوارج، النافين لذلك، والقائلين بأنَّ الإيمان شيء واحد لا يتعدّد، وأهله فيه سواء؛ فهو لا يزيد ولا ينقص!

ومن الثمرات أيضًا: أنَّ العبد إذا علم أنَّ مقياس التفاضل بين الخلق في الشَّرع إنَّما هو بالتفاضل بينهم في العبوديَّة، وأنَّ أفضل الخلق أكملهم وأتمّهم عبوديّة لله؛ «فكمال المخلوق في تحقيق عبوديَّته لله، وكلّما ازداد العبد تحقيقًا للعبوديَّة؛ ازداد كماله وعلت درجته»(٢)، فالصّدّيق ما فضّل على غيره إلا لكمال عبوديّته لله تعالى بعد الأنبياء والمرسلين كان في ذلك أكبر الأثر في حثِّه وتحريضه على السعي لتحقيق العبوديّة لله تعالى على أكمل صورها؛ مما يقوّي إيمانه بربّه، ويزيد يقينه بوعده عز وجل وموعوده.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أبو بكر الصديق رضي الله عنه»، لعلي

= انقطاع، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء (١٥١١) [دار ابن حزم، ط١]، لكن له شاهد يعتضد به، ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٠٧) وصحَّحه، لكن تعقبه الألباني، وبيَّن أن في سنده ضعفًا، ثم ذكر له شواهد يتقوى بها. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٣٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٧٦ ـ العبوديَّة).

الطنطاوي.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج٢)، لابن كثير.

٣ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيِّم.

٤ ـ «التحرير والتنوير» (ج٦، ١٢، ١٦)، لابن عاشور.

٥ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيِّم.

٦ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١١)، لابن تيمية.

٧ ـ «مختصر الفتاوى المصرية»، للبعلي الحنبلي.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج١، ٢)، لابن القيِّم.

٩ ـ «مفتاح دار السعادة» (ج١)، لابن القيِّم.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٧)، لابن تيمية.

الصِّراط

التعريف لغة:

الصِّراط: الطريق[١]، قال ابن منظور: «الصراط والسراط والزّراط: الطريق»[٢]، والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج[٣].

التعريف شرعًا:

جسر ينصب على متن جهنم يوم القيامة، أدق من الشعر، وأحدّ من السيف، يرده الأولون والآخرون حسب أعمالهم فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في النار[٤].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي مأخوذ من اللغوي، إلا أن له أوصافًا تقيده وله أحكام خاصة متعلقة به.

الأسماء الأخرى:

الجسر.

الحكم:

الاعتقاد الجازم بأنه حق، ووجوب الإيمان بذلك، والتصديق بما ثبت من صفاته وما يتعلق به مما جاءت به نصوص الكتاب والسُّنَّة.

الحقيقة:

الصراط: جسر يمر عليه الناس يوم القيامة، وهو أحدّ من السيف، يمر أولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٤٩) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ]، والقاموس المحيط (٨٧١) [دار الفكر، ط٣]، ومختار الصحاح (١٥١) [مكتبة لبنان، ١٩٨٧م].

(٢) لسان العرب (٧/ ٣٤٠) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: الكليات (٥١٣) [دار الفكر، ط٣].

(٤) انظر: شرح النووي (٣/ ٢٠)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٥٤)، ولوامع الأنوار (٢/ ١٩٢)، رسائل الآخرة (٣/ ١٣١٢).

الطير، وأشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ويجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار.

المنزلة:

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث.

الأدلة:

لم يأت التصريح بذكر الصراط في القرآن، ولكن بالإشارة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم]، إذ فسر الورود بالمرور على الصراط[1].

وقد جاء التصريح بذكره وصفاته في السُّنَّة المطهرة، كما في حديث أبي هريرة وفيه قوله ﷺ: «**يضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللَّهُمَّ سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟**» قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى يُنَجّى**»[2].

وجاء في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما صفة مرور الناس على الصراط، يقول النبي ﷺ: «**يمر أولكم كالبرق**» قال: قلت: بأبي أنت وأمي: أي شيء كمر البرق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا**»، قال: «**وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار**»[3].

وفي تقسيم الأنوار لواردي الصراط، قال ﷺ: «**نجيء نحن يوم القيامة...**»، قال: «**فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك**»، قال: «**فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب**

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٧٩) [دار عالم الكتب، ط١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٥).

وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوء نجم في السماء، ثم كذلك»[١].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد: «ونؤمن بالصراط والميزان والجنة والنار، والحساب لا ندفع ذلك، ولا نرتاب»[٢].

وقال الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان»[٣].

وقال ابن الحداد: «وفتنة القبر ونعيمه حق، وعذابه حق، والبعث بعد الموت حق، وقيام الساعة والوقوف بين يدي الله يوم القيامة للحساب والقصاص، والميزان حق، والصراط حق»[٤].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: قيام الرحم والأمانة على جنبتي الصراط تطلب حقها:

لقوله ﷺ: «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك فيأتون محمدًا ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالًا، فيمر أولكم كالبرق**»[٥].

قال النووي: «وأما إرسال الأمانة والرحم، فهو لعظم أمرهما، وكثير موقعهما، فتصوران مشخوصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى؛ لتطالب كل من يريد الجواز بحقهما»[٦].

ـ المسألة الثانية: معنى الورود في قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم]:

المراد بالورود: مرور الناس على الصراط المنصوب على متن جهنم[٧].

وقد دلَّت عليه النصوص الشرعية، **منها:**

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩١).
(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السُّنَّة (٦/١١٧٩)، وراجع: الإبانة للأشعري (٢٠).
(٣) انظر: الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (٢/٤٩١).
(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٠٣).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٥).
(٦) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/٢٣) [دار الكتب العلمية].
(٧) انظر: الجواب الصحيح (١/٢٩٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، ودرء التعارض (٣/٣١١) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٢هـ].

وفي الحديث أن أم مبشر سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**» قالت: بلى، يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. فقال النبي ﷺ: «**قد قال الله** ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم]»[(١)].

وعن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرد الناس النار كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم**»[(٢)].

وقد اختلف العلماء في معنى الورود الوارد في الآية؛ فذهبت طائفة من العلماء في القديم والحديث إلى أن المراد به المرور على الصراط، مستندين على تفسير النبي ﷺ للورود بأنه المرور على الصراط كما في رواية مسلم المتقدمة[(٣)].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد سرد الأقوال في معنى الورود: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار.

وورودهم هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدوس فيها»[(٤)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح، رواه مسلم في صحيحه[(٥)] عن جابر: بأنه المرور على الصراط، والصراط هو الجسر، فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة من كان صغيرًا في الدنيا ومن لم يكن»[(٦)].

ويرى بعض العلماء أن المراد بالورود دخول النار[(٧)]، ولا حجة لهم قوية[(٨)].

وقد تُعُقب أيضًا بقول «ابن مسعود

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).
(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٥٩) وحسَّنه، وأحمد (٢/ ١٣٢) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٥٢)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٤٢١) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١١).
(٣) انظر: رسائل الآخرة (٣/ ١٣٢٩ ـ ١٣٣٥).
(٤) تفسير الطبري (٨/ ٣٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٧٩) [دار عالم الكتب، ط١٤١٢هـ].
(٧) انظر: جامع البيان (٨/ ٣٦٤)، وزاد المسير (٥/ ٢٥٥) [المكتب الإسلامي، ط٤]، وشرح السُّنَّة (٤/ ٦٩٤) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ]، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٨٩) [دار قباء للنشر]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٠٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وروح المعاني (١٦/ ١٢١) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ]، وأضواء البيان (٤/ ٣٥٠) [عالم الكتب].
(٨) انظر: رسائل الآخرة (٣/ ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤).

والحسن وقتادة: إنّ ورودها ليس دخولها، وحجتهم في ذلك قوية جدًّا؛ لأن العرب تقول: وردنا ماء كذا ولم يدخلوه»[(١)].

وقد حاول ابن حجر الجمع بين القولين، فقال: «وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك ولا تنافي بينهما؛ لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، ولكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم، فأعلاهم درجة من يمر كلمح البصر ويؤيد صحة هذا التأويل ما رواه مسلم من حديث أم مبشر»[(٢)]، وساق حديث حفصة المتقدم.

ـ المسألة الثالثة: الورود من حيث العموم والخصوص:

ذهب طائفة من العلماء إلى أن الورود على الصراط عام مستدلّين بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١].

قال القرطبي عن الخطاب في الآية: «قال الجمهور: المخاطب العالم كله، ولا بد من ورود الجميع»[(٣)].

وقال السفاريني: «يرده الأولون والآخرون»[(٤)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ [مريم]، فخبر منه تعالى عن الناس مسلمهم وكافرهم بأنه لا أحد منهم إلا سيرد جهنم، وذلك مرور كل منهم على الصراط المضروب على متن جهنم»[(٥)].

وذهب بعض العلماء إلى أن الكفار يستثنون من الورود على الصراط؛ لأنه يصار بهم إلى جهنم[(٦)].

ـ المسألة الرابعة: الورود من حيث النجاة:

كل من يرد النار يلجها إلا المتقون، إذ أفادت النصوص حصر النجاة فيهم، وقد مرَّ في الكلام على الصراط ما يفيد تمايز الناس في المرور على الصراط وأن منهم ناجيًا، ومكدوسًا في النار بعمله.

الحكمة:

من حكم المرور على الصراط[(٧)]:

١ ـ إظهار عدل الله تعالى في حصول

(١) تهذيب اللغة (١٤/ ١١٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].
(٢) فتح الباري (٣/ ١٤٩) [دار الفكر].
(٣) التذكرة (٣٨٩).
(٤) لوائح الأنوار السنية (٢/ ٢١١) [مكتبة الرشد، ط١]، وانظر: النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب (٢/ ٣٧٩) [المطبعة الإسلامية، ط١، ١٣٥٢هـ].
(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٣٦) [الرئاسة العامة، ط١، ١٤١١هـ].
(٦) انظر: النشر الطيب (٢/ ٣٧٩)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/ ١٨٥) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].
(٧) انظر: رسائل الآخرة (٣/ ١٣١٧).

التمايز بين المؤمنين عند جوازهم الصراط على قدر الأعمال.

٢ ـ إظهار عدله تعالى عند نجاة المتقين ممن أطاعوه دون غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢﴾ [مريم].

٣ ـ تحقق ما وعد به المتقون عيانًا من رؤية للنار وعبور للصراط، فإنهم يقولون عند نجاتهم منها: «**الحمد لله الذي نجانا منك بعد الذي أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدًا**»[1]، وفي هذا إظهار لفضل الله تعالى وعظيم نعمته على المتقين.

مذهب المخالفين:

خالف في الصراط طوائف من أهل الكلام وغيرهم؛ إذ تأولوه بما يقتضي إنكاره.

١ ـ وممن أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى، من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار، لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسُّنَّة والجماعة، وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة[2].

كما أنكره جمهور الأباضية[3] وتأوَّلوه تأويلًا مجازيًّا، إذ قالوا: هو «الطريق الواضح والدين المستقيم»[4]، وهذا صرف للفظ عن ظاهره بلا مسوغ يمنع من حمله على ظاهره.

وأنكره المعتزلة والجهمية بشبه الاستبعاد، فزعموا: «إنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة»[5].

وفي قولهم رد لنصوص الوحي المثبتة للصراط وروده، وهذا من أبطل الباطل؛ لصراحة النصوص الصحيحة الواردة في الصراط وصفته.

وأيضًا «ليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه»[6] مما

---

(١) أخرجه الدارقطني في رؤية الله (٢٦٤) [مكتبة المنار، ١٤١١هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٤٢٤) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٩) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: معارج القبول (٢/٢٣٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: الإباضية عقيدة ومذهبًا (١٦١) [دار الجيل، ٢٠٠٠م].

(٤) انظر: المرجع السابق (١٢٦).

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/٢١٥) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، وانظر: مقالات الإسلاميين (٢/١٦٤، ٢٦٤) [المكتبة العصرية، ط١٤١١هـ]، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/٨١٢) [مكتبة لينة، ط١].

(٦) لوائح الأنوار السَّنية (٢/٢١٦) [مكتبة الرشد، ط١].

يعني أن المشي على الصراط داخل في نطاق الإمكان، وليس في عبوره تعذيب للمؤمنين، فإن لنصبه والمشي عليه حِكَمًا عظيمة كما تقدم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبانة»، للأشعري.
٢ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيِّم.
٣ ـ «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.
٤ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لهراس.
٥ ـ «شرح اعتقاد أهل السُّنَّة»، للالكائي.
٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.
٧ ـ «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج٢).
٨ ـ «القيامة الكبرى»، للأشقر.
٩ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج٢)، للسفاريني.
١٠ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤)، لابن تيمية.
١١ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

الصراط المستقيم

التعريف لغة:

الصراط في اللغة: بمعنى الطريق.

قال الشاعر:

أَكُرُّ على الحروريِّين مُهْري
وأحملُهم على وَضَح الصِّراطِ

والصاد فيه مبدلة من السين، قلبت الصاد سينًا لقرب مخارجها[(١)].

وأما المستقيم في اللغة، فهو مشتق من الاستقامة، وهي: الاعتدال، يقال: قام الشيء واستقام؛ أي: اعتدل واستوى[(٢)].

فالمستقيم بمعنى: المنتصب والمستوي من غير اعوجاج[(٣)].

قال ابن جرير الطبري: «أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن (الصراط المستقيم) هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب.

فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي:

أميرُ المؤمنين عَلَى صِرَاطٍ
إذا اعوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقيمِ

يريد على طريق الحق.

والشواهد على ذلك أكثرُ من أن تُحصى ثم تستعيرُ العربُ (الصراط) فتستعمله في كل قولٍ وعمل وُصِف

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٤٩) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ]، لسان العرب (٧/ ٣٤٠) [دار صادر، ط١].
(٢) انظر: لسان العرب (١٢/ ٤٩٩).
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (١/ ١٤٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

باستقامة أو اعوجاج، فتصفُ المستقيمَ باستقامته، والمعوجَّ باعوجاجه»[(١)].

التعريف شرعًا:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصراط المستقيم هو ما بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ بفعل ما أمر، وترك ما حظر، وتصديقه فيما أخبر، ولا طريق إلى الله إلَّا ذلك، وهذا سبيل أولياء الله المتقين، وحزب الله المفلحين، وجند الله الغالبين، وكل ما خالف ذلك فهو من طرق أهل الغي والضلال»[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تقدم أن الصراط المستقيم في اللغة بمعنى الطريق الواضح، وأنه يطلق على كل قول أو فعل مستقيم لا اعوجاج فيه، وهكذا القول فيما جاء به الشرع، فهو طريق يسلكه أهل الإيمان، بالتزامهم ما جاء به قولًا وعملًا واعتقادًا، وهو بيِّنٌ مستقيم لا اعوجاج فيه، وكل ما خالفه كان مائلًا معوَجًّا[(٣)].

الأسماء:

القرآن، الحق، الإسلام.

الحقيقة:

حقيقة الصراط المستقيم: أنه طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلًا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، وهو ما كان عليه رسول الله وأصحابه علمًا وعملًا، وذلك بإفراد الله تعالى بالعبودية، وإفراد رسوله ﷺ بالطاعة، فلا يشرك به أحدًا في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحدًا في طاعته، وأن يعلم المؤمن في كل وقت الحقَّ الذي أَمره به الشارع في ذلك الوقت من اعتقاد أو قول أو عمل، فيؤثره، ويقدمه على ما سواه، ويحبه، ثم يعمل به، وينقاد إليه، وأن يعلم ما نهي عنه، فيجتنبه، ويبغضه، ثم يدعو من سواه إلى المأمور، ويحذرهم من المحظور، ويجاهد أعداءه بحسب الإمكان[(٤)].

الأدلة:

لقد جاء ذكر الصراط المستقيم في مواضع عديدة من القرآن، ومن السُّنَّة، وقد تقدم بعضها، **ومن ذلك**:

قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٧١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١/ ١٩٧).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٦٧) [جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ]، وتفسير السمعاني (١/ ٣٨) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٦٩) (٥/ ١٦٠) (١٤/ ٣٧) (٢٢/ ٤٠٠)، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ٨١) [مكتبة الفرقان، ط١، ١٤٢٢هـ]، ومنهاج السُّنَّة النبوية (١/ ٧) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومدارج السالكين (١/ ٥٨ ـ ٥٩)، وبدائع الفوائد (٢/ ٢٧٦).

﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨﴾ [النساء].

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى].

أقوال أهل العلم:

قال أبو العالية الرياحي: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينًا، ولا شمالًا، وعليكم بسُنَّة نبيّكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء»[(١)].

وقال الشاطبي: «فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السُّنَّة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف، الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع، وليس المراد سبل المعاصي؛ لأن المعاصي من حيث هي معاصٍ لم يضعها أحدٌ طريقًا تسلك دائمًا على مضاهاة التشريع، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات.

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: قد سئل مالك بن أنس عن السُّنَّة، قال: هي ما لا اسم له غير السُّنَّة، وتلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(٢)].

وقال السعدي: «الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصًا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمٰن إبراهيم ﷺ، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف؛ كاليهود

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٣٣٨) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ]، والسُّنَّة للمروزي (١/١٣) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/٥٧) [المكتبة التجارية الكبرى، مصر].

والنصارى والمشركين»[(١)].

الأركان:

للصراط المستقيم ركنان:

الأول: صدق المحبة لله، والإقرار له بالوحدانية، وهذا هو مضمون شهادة ألا إله إلا الله.

والثاني: الاستقامة على أمر الله، وحسن المعاملة، بصرف الإرادة إلى ما فيه مرضاة الله ورسوله ﷺ، وهذا هو مضمون شهادة أن محمدًا رسول الله[(٢)].

فالأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون أيضًا عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ـ ولا بد ـ ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالًا»[(٣)].

(١) تفسير السعدي (٢٨٢).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٦).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١١) [مطبعة السُّنَّة المحمدية، ط٢، ١٣٦٩هـ].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الجمع بين أقوال السلف في معنى (الصراط المستقيم):

لقد تعددت الأقوال المقولة عن السلف في بيان معنى الصراط المستقيم وحقيقته، وهذا التعدد من قبيل الخلاف اللفظي، أو خلاف التنوع، وليس من قبيل خلاف التضاد، فمما نقل عنهم في ذلك:

١ ـ أنه كتاب الله، جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٤)]، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٥)].

والمراد بهذا التفسير: اتِّباع القرآن[(٦)].

٢ ـ أنه الإسلام، صح تفسيره بذلك مرفوعًا[(٧)]، كما قال به جمع من

(٤) روي مرفوعًا، أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٠٦)، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٧٤)، قال الترمذي: «هذا حَدِيثٌ غريبٌ، لا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الوَجْهِ، وإسْنادُهُ مَجْهُولٌ، وفي الحارث مَقَالٌ».

وروي موقوفًا على عليٍّ، أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، قال ابن كثير: «وهو أشبه». تفسير ابن كثير (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٣) وصحَّحه، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥/ ١٦٠) و(١٣/ ٣٣٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب الأمثال، رقم ٢٨٥٩) وحسَّنه، وأحمد في مسنده (٢٩/ ١٨١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في مستدركه (كتاب =

الصحابة؛ كابن عباس[(١)]، وابن مسعود[(٢)]، وجابر بن عبد الله[(٣)]، والنواس بن سمعان ﷺ، وغيرهم من الصحابة ومن بعدهم[(٤)].

٣ ـ أنه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ﷺ، قال به ابن عباس[(٥)]، وأبو العالية، والحسن[(٦)].

ووجه ذلك: أن الله قد بيَّن أن الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم عليهم، وبيَّن في آية النساء أن الصدِّيقين من الذين أنعم الله عليهم، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أن أبا بكر ﷺ من الصدِّيقين، فاتَّضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم، الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم[(٧)].

٤ ـ أنَّه الحق، قال به مجاهد[(٨)].

٥ ـ أنَّه طريق رسول الله ﷺ، وما تركنا عليه، قال به ابن مسعود ﷺ[(٩)]، وبكر بن عبد الله المزني[(١٠)].

٦ ـ أنَّه الطريق الهادي إلى دين الله، روي عن ابن عباس[(١١)]، وبه قال مجاهد.

٧ ـ أنَّه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضًا[(١٢)].

٨ ـ وقال سهل بن عبد الله: «طريق السُّنَّة والجماعة»[(١٣)].

الجمع بين أقوال السلف في بيان معنى الصراط.

ما تقدم من أقوال الصحابة والسلف في معنى الصراط هي أقوال صحيحة متَّفقة، والخلاف بينها هو من خلاف التنوع لا التضاد، وإنما عبَّر كل واحد

= الإيمان، رقم ٢٤٥) وصحَّحه، وصحَّحه ابن كثير في تفسيره (١/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، والألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٤١) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وفي سنده ضعف.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٤) وصحَّحه، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٧٥، ١٧٦).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٥)، وصحَّحه.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٠)، والطبري في تفسيره (١/ ١٧٥)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، برقم ٣٠٢٣) (٢/ ٢٨٤) وصحَّحه. وانظر الأقوال السابقة أيضًا في: تفسير ابن كثير (١/ ١٣٨).

(٧) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٨) [دار الفكر، ط١٤١٥هـ].

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٠)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣٩).

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٥٣) [مكتبة الرشد، ط١].

(١٠) تفسير البغوي (١/ ٥٤) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ].

(١١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٧٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(١٢) زاد المسير (١/ ١٥) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(١٣) تفسير البغوي (١/ ٥٤)، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥/ ١٦٠) (١٣/ ٣٨٢).

منهم عن الصراط المستقيم بعبارة غير عبارة صاحبه، فالمسمَّى واحد، وإنما تعددت صفات المسمَّى، فكل عبارة من العبارات تدلُّ على معنى قد لا تدل عليه العبارة الأخرى، مع أن كل المعاني حق، فالصراط المستقيم يوصف بتلك المعاني كلها، فكل معنى من تلك المعاني يجب اتِّباعه، فهي أقوال متلازمة لا متباينة، بمنزلة تسمية القرآن بأسمائه، والرسول ﷺ بأسمائه؛ بل بمنزلة تسمية أسماء الله تعالى بأسمائه الحسنى[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ـ بعدما ذكر الأقوال الأربعة الأولى ـ: «وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ، واقتدى باللَّذين من بعده أبي بكر وعمر، فقد اتَّبع الحق، ومن اتَّبع الحق فقد اتَّبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا، ولله الحمد»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: إضافة الصراط:

إضافة الصراط في النصوص على **نوعين:**

أ ـ إضافته إلى الله تعالى؛ لأنه تعالى هو الذي شرعه ونصبه. وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ب ـ إضافته إلى العباد؛ لأنهم أهل سلوكه وهو المنسوب لهم وهم المارون عليه. وذلك كآية الفاتحة[(٣)].

ـ المسألة الثالثة: إفراد الصراط المستقيم، وجمع سبل الضلال:

لقد جاء ذكر الصراط المستقيم بلفظ الإفراد، وفائدة إفراده بيان أنه صراط واحد.

وأما طرق الباطل فتأتي بالجمع، كما في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وكما في حديث ابن مسعود السابق؛ «وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله موصل إلى الله»[(٤)].

«والمقصود أن طريق الحق واحد؛ إذ مَرَدُّه إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة؛ فإنها لا ترجع

(١) انظر للأهمية: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ١٦٠) (٦/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) (٧/ ٣٩) (١٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧، ٣٨١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٩)، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري (١/ ١٧١).
(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ١١).
(٤) المرجع السابق (١/ ١٥).

إلى شيء موجود، ولا غاية لها يوصل إليها؛ بل هي بمنزلة بنيات الطريق، وطريقُ الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد.

ولما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، فقد أفرد النور وجمعت الظلمات، وعلى هذا جاء قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فوَحَّد ﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهو الله الواحد الأحد، وجمع ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لتعددهم وكثرتهم، وجمع ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهي طرق الضلال والغي؛ لكثرتها واختلافها، ووحد ﴿ٱلنُّورُ ۝٣٠﴾ وهو دينه الحق وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه»[(١)].

٣ ـ حاجة العبد الماسة إلى الهداية للصراط المستقيم.

إن حاجة العبد لهدايته إلى الصراط المستقيم هي أعظم الحاجات؛ بل هي من الضرورات التي لا يعدلها حاجة الإنسان إلى طعام أو لباس ونحو ذلك، ولهذا كان الدعاء بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم أوجب الأدعية، فكان من الواجب على العبد أن يكرر هذا الدعاء في كل يوم وليلة بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]. فلا حاجة للعبد أعظم من أن يُهدى إلى الصراط المستقيم، ولا شيء أنفع له من تلك الهداية.

فالصراط المستقيم يتضمن علومًا وإرادات، وأعمالًا، وتروكًا، ظاهرةً وباطنةً تجري عليه كلّ وقتٍ، فتفاصيل الصّراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها، وما علمه فقد يقدر عليه وقد لا يقدر، وما قدر عليه فقد تريده نفسه، وقد تتركه تهاونًا وكسلًا، كما أنه لو عمل به فقد يقوم به بكمال شروطه من الإخلاص والمتابعة، وقد ينقص في ذلك.

والهداية إلى الصراط المستقيم تتضمن التوفيق إلى الكمال في ذلك كله في الدنيا.

وفي الآخرة يُنصب الصراط المستقيم على ظهر جهنم، وهو الصراط الموصل للعباد إلى الجنة.

فمن كان مستقيمًا على الصراط الدنيوي استقام أمره في الصراط الأخروي، ومن حاد في الدنيا حاد في الأخرى.

فتبين أن حاجة العبد إلى الصراط المستقيم في الدارين هي أعظم

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٢٧).

الحاجات ومنتهى الغايات[(١)].

الفروق:

الفرق بين إخباره تعالى أن الصراط عليه، وإخباره أنه على الصراط:

أولًا: إخباره تعالى أن الصراط عليه.

فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾ [الحجر].

وأصح ما قيل في تفسيره: قول الحسن: «صراط إليَّ مستقيم»[(٢)]، والأقرب في معناه: أنه طريق موصلٌ إليّ، كما قال مجاهد في تفسيرها: «الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يعرِّج على شيء»[(٣)].

وإنما ذكر في الآية (على) دون (إلى) لسر لطيف، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى، وهو حق، كما قال في حق المؤمنين: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، والله ﷻ هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى، فكان في الأداة (على) هذا المعنى ما ليس في الأداة (إلى).

ثانيًا: إخباره تعالى أنه سبحانه وتعالى على الصراط المستقيم. كما في قوله تعالى:

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٣٧ ـ ٣٩)، والجواب الكافي (٨٤ ـ ٨٦)، وبدائع الفوائد (٢/ ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٤).

(٣) المرجع السابق (١٧/ ١٠٤).

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود].

فهو سبحانه أحقُّ من كان على صراط مستقيم، فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة، وأفعاله كلها مصالح وحكم ورحمة وعدل وخير، فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله البتة، لخروج الشر عن الصراط المستقيم[(٤)].

الثمرات:

وصف دين الله وكتابه بأنه الصراط المستقيم يدل على **أمور**:

١ ـ استقامته، وسلامته من الاعوجاج والزيغ.

٢ ـ إيصاله إلى المقصود، وإصابته للحق الثابت.

٣ ـ أنه أقرب الطرق الموصلة إلى المطلوب، بخلاف ما سواه من الطرق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى]، والصراط المستقيم هو أقرب الطرق إلى المطلوب، بخلاف الطرق المنحرفة الزائفة، فإنها إما أن لا توصل، وإما أن توصل بعد تعب عظيم، وتضييع مصالح أخر، فالطرق المبتدعة إن عارضت كانت باطلًا، وإن لم تعارض فقد تكون باطلًا، وقد تكون حقًّا

(٤) مدارج السالكين (١/ ١٥ ـ ٢١) بتصرف.

لا يُحتاج إليه مع سلامة الفطرة»[(١)].

٤ ـ سعته للمارين عليه[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاعتصام»، للشاطبي.

٢ ـ «الصراط المستقيم في القرآن الكريم»، لحسين عبد الجليل.

٣ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيِّم.

٤ ـ «تفسير ابن كثير».

٥ ـ «تفسير البغوي».

٦ ـ «تفسير السعدي».

٧ ـ «تفسير الطبري».

٨ ـ «الجواب الكافي»، لابن القيِّم.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

الصَّعْقة

التعريف لغة:

الصعق: الصوت الشديد[(٣)]، والصعقة: الصَّيحة يُغْشى منها على من يسمعها أو يموت[(٤)].

قال ابن الأثير: الصعق أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه، وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيرًا، والصعقة المرة الواحدة منه[(٥)].

التعريف شرعًا:

هي نفخة الصور الأولى، وبعدها يصعق من في السماوات ومن في الأرض ويموتون إلَّا من شاء الله، ثم بعد النفخة الثانية يفيق الخلق أجمعون؛ قيامًا للحساب[(٦)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الصعق في التعريف الاصطلاحي مأخوذ من المعنى اللغوي، إلا أنه صعق مخصوص يكون ذلك إذا أمر الله به صاحب القرن.

سبب التسمية:

سُمِّيت بذلك؛ لأن الخلق يصعقون عند سماع الصيحة.

الأسماء الأخرى:

تسمى الراجفة والصيحة[(٧)]، قال

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٩١) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، وانظر: مدارج السالكين (١/ ٦٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٠ ـ ١١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) تهذيب اللغة (١/ ١٢٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، وانظر: الصحاح (٥/ ١٩٣) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٨) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ١٣٠)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٣٠، ٤٤٤).

(٧) رواه البخاري معلقًا (كتاب التفسير، رقم ١٨٨١)، ووصله ابن جرير (١٢/ ٤٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وانظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٣٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٩٣) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [النازعات]، قال ابن عباس: «الراجفة: النفخة الأولى»[(١)]، وقال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾ [يس]، قال عكرمة: «هي النفخة الأولى في الصور»[(٢)].

الحكم:

الإيمان بالصعقة واجب، لدلالة النصوص على ذلك؛ إذ هي إحدى مفردات اليوم الآخر التي تسبق الحشر والنشر.

الحقيقة:

إذا نفخ في الصور النفخة الأولى فإن الخلق يصعقون ويموتون إلَّا من شاء الله تعالى، وهو غشي يلحق من سمع صوتًا شديدًا، ثم إذا نفخ النفخة الثانية قام الناس لرب العالمين.

المنزلة:

هي إحدى مفردات يوم القيامة.

الأدلة:

من أدلتها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر].

(١) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا (كتاب الرقاق، باب نفخ الصور)، ووصله الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) تفسيرالقرطبي (١٥/٣٨) [دار إحياء التراث العربي].

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**» فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ ـ يعني: وقد بليت ـ قال: «**إن الله عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زيد القرواني: «وأنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[(٤)].

قال القرطبي: «باب في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهم الملائكة أو الشهداء أو حملة العرش، صعق: مات»[(٥)].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصحَّحه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٨٥).

(٥) التذكرة للقرطبي (١٨٨).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المستثنى من الصعق:

اختلف العلماء في تعيين الذين عناهم الله تعالى بالاستثناء في قوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، حتى عدَّ منها عشرة أقوال: فمنهم من قال: الأنبياء، ومنهم من قال الشهداء، وقيل: موسى وحده، وقيل: الوِلْدان في الجنة، والحور العين، وقيل غير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه... والنبي ﷺ قد توقف في موسى؛ هل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر والله أعلم»[١].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٦١). وانظر: التذكرة للقرطبي (١٨٨).

ـ المسألة الثانية: عدد الصعقات وبيان المراد بحديث: «فلا أدري؛ أكان فيمن صعق فأفاق قبلي...»:

قال القرطبي: «باب في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهم الملائكة أو الشهداء أو حملة العرش، صعق: مات»[٢].

وذكر بعض أهل العلم أن الصعقة تكون بعد النفخة الأولى[٣].

وهذه الصعقة تختلف عن الصعقة الواردة في قوله ﷺ: «**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله**»[٤].

وفي رواية: «**فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»[٥].

فالذي يظهر أن هذه الصعقة تكون بعد البعث، وهي التي استثني منها

(٢) التذكرة (١٨٨).
(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ١٣٠)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٣٠، ٤٤٤)، وراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٣٠)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود (٣/ ٢٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢].
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٣).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٩٨).

موسى عليه السلام، وقد أشار القاضي عياض إلى ذلك، إذ قال: «يحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماوات والأرض، يدل عليه قوله: «**فأفاق قبلي**»؛ لأنه إنما يقال أفاق من الغشي، وأما الموت فيقال: بعث منه، وصعقة الطور لم تكن موتًا»[(١)]، وقال ابن كثير: «الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة، يحصل أمر يصعقون منه والله أعلم به، وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء وتجلَّى للخلائق الملك الدَّيان، كما صعق موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى، ولهذا قال عليه السلام: «**فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»»[(٢)].

وهو ما ذهب إليه ابن القيِّم؛ إذ قال: «هذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم، قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ٤٥﴾ [الطور]، ولو كان هذا الصعق موتًا لكانت موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء»[(٣)].

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ١٣٠) [دار الكتب العلمية].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٠) [دار طيبة، ط٢].

(٣) الروح (٣٣) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، وانظر: فتح الباري (١٠/ ٢٥٠) [دار الفكر].

الفروق:

الفرق بين الصعق والنفخة:

أما النفخ، فهو النفخ في الصور، فإذا أمر الملك بالنفخ في الصور، فإنه يفزع من ذلك الخلق، فزعًا شديدًا، ثم يصعقون، ويموتون، إلَّا من شاء الله تعالى.

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيِّم.

٢ ـ «التذكرة»، للقرطبي.

٣ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج١٥)، للنووي.

٤ ـ «فتح الباري» (ج١٠)، لابن حجر.

٥ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٦ ـ «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور»، لابن رجب.

٧ ـ «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور»، للسيوطي.

٨ ـ «البحور الزاخرة في أمور الآخرة»، للسفاريني.

٩ ـ «الروح»، لابن القيِّم.

الصفات الاختيارية

التعريف لغة:

الصفات: جمع صفة، وهي مشتقة من الفعل (وَصَفَ)، فالواو والصاد والفاء:

أصل واحد وهو تحلية الشيء. ووصفته أصِفُه وصفًا؛ إذا حلَّيتُه ونَعتُه. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء. والهاء في الصفة عوض عن الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية[1].

الاختيارية: اسم مؤنث منسوب إلى اختيار. والاختيار: هو الاصطفاء، والاسم منه هو الخِيار، وهو طلب خير الأمرين. وخيرته بين الشيئين: فوضت إليه الاختيار، فاختار أحدهما وتخيَّره.

وخار الله لك في الأمر: جعل لك فيه الخير[2].

التعريف شرعًا:

الصفات الاختيارية: هي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته يفعلها متى شاء وكيف شاء؛ كالمجيء والنزول، والرضا والغضب، والفرح، والضحك، والاستواء، والخلق.

ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب والسُّنَّة[3].

الأسماء الأخرى:

تسمى الصفات الاختيارية أيضًا بالصفات الفعلية، والصفات العارضة[4].

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى متصف بالصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته، وأنه يفعلها إذا شاء كيف شاء ومتى شاء، كما نطق بذلك الكتاب والسُّنَّة وأجمع عليه سلف الأمة.

الأدلة:

الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جدًّا، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، فهو فاعل لما يشاؤه إذا شاء، وهو موجب له بمشيئته وقدرته. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١١]، فهذا بيِّن في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، لم يأمرهم في الأزل. وكذلك قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١١٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٩/ ٣٥٦) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٢) لسان العرب (٤/ ٢٦٧)، المصباح المنير (١/ ١٨٥) [ط. المكتبة العلمية]، والقاموس المحيط (٣٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ].

(٣) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ١) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها لمحمد خليفة التميمي (٦٩) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ] بتصرف.

عمران]، فإنما قال له بعد أن خلقه من تراب، لا في الأزل. وكذلك قوله في قصة موسى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص]، فهذا بين في أنه إنما ناداه حين جاء لم يكن النداء في الأزل، كما يقوله الكُلَّابية. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله، فإنه جزم قوله: ﴿يُحْبِبْكُمُ﴾ به، فجزمه جوابًا للأمر، وهو في معنى الشرط، فتقديره: [إن تتبعوني يحببكم الله]. ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله، فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتِّباعهم للرسول.

ومن السُّنَّة حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**وإذا قال** [أي: الإمام]: **سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد، يسمع الله لكم**»[1]. فجعل سمعه لنا جزاء وجوابًا للحمد، فيكون ذلك بعد الحمد والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله وإجابته. وفي حديث الشفاعة المشهور: فيقول كل واحد من الرسل إذا أتوا إليه: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»[2]، وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله.

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلةً كجرِّ السلسلة على الصفا**»[3]، فقوله: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع**» يدل على أنه يتكلم به حين يسمعونه، وذلك ينفي كونه أزليًّا، وأيضًا فما يكون كجر السلسلة على الصفا يكون شيئًا بعد شيء، والمسبوق بغيره لا يكون أزليًّا. وهذا كله بمشيئته واختياره سبحانه وتعالى[4].

أقوال أهل العلم:

قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ ـ وذكر أشياء منها: ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٣﴾﴾

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ٩/١٤١) [دار طوق النجاة، ط١] معلقًا مجزومًا، دون قوله: «صلصلة كجر السلسلة على الصفا».
وأخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(٤) انظر هذه الأدلة ودلالاتها في: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٢٢٢ ـ ٢٣٤).

فكأنه كان ثم مضى. فقال ابن عباس رضي الله عنه: «سمَّى نفسه ذلك، وذلك قوله؛ أي: لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن»(١).

وقال الفضيل بن عياض: «إذا قال لك جهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء»(٢).

وقال الإمام أحمد: «إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام»(٣).

وقال أبو سعيد الدارمي: «فالله المتكلم أولًا وآخرًا، لم يزل له الكلام؛ إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]»(٤).

وقال محمد بن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنَّة: أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]»(٥).

وحكى ابن تيمية إجماع السلف والأئمة على إثبات الصفات الاختيارية، فقال: «إنه سبحانه خالق كل شيء من الأعيان وصفاتها وأفعالها بأفعاله الاختيارية القائمة بنفسه كما دلَّت على ذلك نصوص الأنبياء، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها»(٦).

وقال أيضًا: «الصفات الاختيارية: هي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل كلامه وسمعه وبصره(٧) وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه؛ ومثل خلقه وإحسانه وعدله؛ ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسُّنَّة»(٨).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، ٦/١٢٨) [دار طوق النجاة، ط١].

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٣٦) [دار المعارف، ط١٣٩٨هـ]، وابن بطة في الإبانة الكبرى ـ الكتاب الثالث: الرد على الجهمية (٣/٢٠٤ ـ ٢٠٥) [دار الراية، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (١٣٩) [دار الثبات، ط١].

(٤) الرد على الجهمية للدارمي (١٥٥) [دار ابن الأثير، ط٢، ١٤١٦هـ].

(٥) أصول السُّنَّة لابن أبي زمنين (٨٨) [مكتبة الغرباء، ط١، ١٤١٥هـ].

(٦) منهاج السُّنَّة النبوية (١/٣٣٦) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، وانظر: درء التعارض (٢/٢٠) وما بعدها [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ] فقد ذكر نقولات وافرة عن السلف فيها إثبات مفردات الصفات الاختيارية.

(٧) مثَّل هنا رحمه الله بالسمع والبصر على الصفات الاختيارية من جهة أن الله تعالى يسمع الأصوات الحادثة التي لم تكن قبل ذلك، ويرى المخلوقات الحادثة التي لم تكن موجودة من قبل. انظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٢/١٧) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٨) المصدر السابق (٢/١).

۞ الأقسام:

تنقسم الصفات الاختيارية إلى قسمين:

- صفات اختيارية متعدية، مثل: الخلق والإعطاء ونحو ذلك.

- صفات اختيارية لازمة، مثل: الاستواء والنزول والمجيء والإتيان. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] فذكر الفعلين: المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف به[(١)].

۞ المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: الصفات الاختيارية هي صفات ذاتية فعلية، وهو ما يعبَّر عنه بقديم النوع حادث الآحاد:**

وتوضيح ذلك بأن حدوث الصفات الاختيارية في وقت دون وقت لا يعني: أنه تعالى اتصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها، أو كانت ممتنعة في حقه، أو فعل فعلًا كان ممتنعًا في حقه، كما يزعم بعض أهل التعطيل؛ بل الفعل ممكن في حقه تعالى، في كل وقت؛ لأنه لا يجوز أن يعتقد أنه تعالى كان معطلًا عن الفعل في وقت من الأوقات لأن الفعل كمال، وعدمه نقص.

وذلك مثل: صفة الكلام لله ﷻ، فهي ذاتية باعتبار أنه لم يزل ولا يزال متكلِّما، وصفة فعلية باعتبار تعلق أحاد كلامه تعالى بمشيئته واختياره، فهو يتكلِّم بما شاء كيف شاء متى شاء[(٢)].

- **المسألة الثانية: هل الفعل هو المفعول أم غيره، وهل الخلق هو المخلوق أو غيره؟**

والجواب في هذه المسألة: أن الفعل غير المفعول، والخلق غير المخلوق؛ بل الخلق صفة لله وفعله القائم به، والمخلوق مفعوله المنفصل عنه. وهذا هو قول السلف قاطبة بلا نزاع، وهو الذي تؤيده النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة. قال البخاري: «وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣ ـ ٥)، والتنبيهات اللطيفة للعدي (٤٠) [دار طيبة، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٥٧٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٧٩ ـ ٨٠) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ]، والقواعد المثلى لابن عثيمين ٢٥) [الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ]، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان (٣١) [ط١٢، ١٤١٨هـ]، والصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٦) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاق (٣٢ ـ ٣٣) [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ].

﴿يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك]؛ يعني: السر والجهر من القول، ففعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخلق»[1].

۞ مذهب المخالفين:

ذهبت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم، إلى أنه لا يقوم بذاته شيء من هذه الصفات، ولا غيرها، وبنوا هذا على أصلهم: أن الرب لا يقوم به صفة؛ لأن ذلك بزعمهم يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع؛ إذ الصفة عَرَض، والعرض لا يقوم إلا بجسم.

وأما الكُلَّابية ومن وافقهم من السالمية وغيرهم فيقولون: تقوم صفات بغير مشيئته وقدرته، فأما ما يكون بمشيئته وقدرته، فلا يكون إلا مخلوقًا منفصلًا عنه. يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة، ولا تكون بمشيئته؛ فأما ما يكون بمشيئته فإنه حادث، والرب تعالى لا تقوم به الحوادث ويسمون الصفات الاختيارية مسألة حلول الحوادث، فإنه إذا كلم موسى بن عمران بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته، كان ذلك النداء والكلام حادثًا. وقالوا: إن النداء قائم بذات الله في الأزل، وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال مناديًا له، لكنه لما أتى خلق فيه إدراكًا لما كان موجودًا في الأزل. وقالوا: فلو اتصف الرب به لقامت به الحوادث. قالوا: ولو قامت به الحوادث لم يَخْلُ منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث. ومن ثّم ذهب جميعهم ـ الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة ـ إلى القول: بأن الخلق هو المخلوق، والفعل هو المفعول، وليس لله عند هؤلاء صنع ولا فعل ولا خلق ولا إبداع إلا المخلوقات نفسها، نافين بذلك قيام صفة الفعل والخلق بالله تعالى[2].

۞ الرد عليهم:

إن نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى يلزم عنه أنه لا يفعل شيئًا البتة، وأن يكون بمنزلة الجمادات التي لا تفعل شيئًا، فإنهم جعلوا المفعول عين الفعل، ومن المعلوم أن مفعولًا بلا فعل أبلغ في الاستحالة والبطلان من مفعول بلا فاعل أو هما سواء، فلزمهم من هذا الأصل مخالفة صريح المعقول والمنقول والفطرة والتكذيب بما لا يحصى من النصوص[3].

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري (١١٤).

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي (٣٥) [مكتبة الكليات الأزهرية]، وشرح العقيدة النسفية للتفتازاني (٩٨).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/١٤٢٨) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ]. وانظر في عرض شبههم والرد عليها: مجموع الفتاوى (٥/٣٧٨، ٥٢٨ ـ ٥٢٩) (٦/٢٢٠ ـ ٢٢٣، ٢٣٠ ـ ٢٣١)، ودرء التعارض (٢/٢٠) وما بعدها (٤/٦، ٢٣ ـ ٢٤)، والرد على المنطقيين (٢٣٠ ـ ٢٣١) [دار المعرفة]، وشرح حديث النزول =

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيِّم.

٢ ـ «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٢)، لابن تيمية.

٤ ـ «الرد على الجهمية»، للدارمي.

٥ ـ «الرد على الجهمية والزنادقة»، للإمام أحمد.

٦ ـ «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٧ ـ «رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٨ ـ «شرح حديث النزول»، لابن تيمية.

٩ ـ «الصفات الإلٰهية: تعريفها ـ أقسامها»، للتميمي.

١٠ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية»، للجامي.

١١ ـ «صفات الله عزّ وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاق.

١٢ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

١٣ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٦)، لابن تيمية.

١٤ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج١)، لابن تيمية.

= (٤٠٣ ـ ٤١٣) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٨٢) [مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٤٠٨هـ].

الصفات الخبرية الفعلية

يراجع مصطلح (صفات الله).

الصفات الذاتية

التعريف لغة:

الصفات: جمع صفة، وهي مشتقة من الفعل وَصَفَ، فالواو والصاد والفاء: أصل واحد وهو تحلية الشيء. ووصفته أصِفُه وصفًا؛ إذا حلَّيتُه ونَعتُه. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء. والهاء في الصفة عوض عن الواو، وقيل: الوصف المصدر، والصفة الحلية[(١)]. «والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف؛ كقول الصحابي في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] أحبها؛ لأنها صفة الرحمٰن، وتارة يراد به المعاني التي دلَّ عليها الكلام: كالعلم والقدرة»[(٢)].

الذاتية: اسم مؤنَّث منسوب إلى ذات. والذات: تأنيث ذو، «قال الليث: (ذو): اسم ناقص، وتفسيره: صاحب ذلك؛ كقولك: فلان ذو مال؛ أي: صاحب مال، وتقول في تأنيث (ذو):

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١١٥) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٩/ ٣٥٦) [دار صادر، ط٣].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ].

ذات، تقول: هي ذات مال. قال الأزهري: وذات الشيء: حقيقته وخاصته»[(١)].

التعريف شرعًا:

الصفات الذاتية: هي الصفات التي لا تنفك عن الذات الإلٰهية؛ بل هي ملازمة لها أزلًا وأبدًا؛ كالوجه واليدين والحياة والعلم والقدرة والحكمة والسمع والبصر[(٢)].

سبب التسمية:

سميت بالصفات الذاتية؛ لأنها لا تنفك عن الذات، فهي لازمة لها أزلًا وأبدًا لا تتجدد تجدد صفات الأفعال[(٣)].

الأسماء الأخرى:

- **الصفات اللازمة**: لملازمتها للذات لا تنفك عنها.
- **الصفات الثبوتية**: لدلالتها على معنى ثبوتي وجودي[(٤)].

الحكم:

وجوب الإيمان بالصفات الذاتية التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة الصحيحة على الوجه اللائق به تعالى، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وأنها معلومة المعنى مجهولة الكيف.

الحقيقة:

حقيقة صفات الله الذاتية من الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها، ولا مجال للعقل البشري القاصر للخوض فيها لكونها لم ترد في الكتاب والسُّنَّة الصحيحة.

المنزلة:

إن قدر صفات الرب الذاتية عظيم، ومنزلتها رفيعة، أخذت ذلك من عظمة الله ﷻ؛ لأنه المتصف بها سبحانه، المحيط بكل شيء، المتصف بالكمال المطلق في كل شيء، وكمال عبودية العبد لربه ترجع إلى مقتضى صفاته، فهو إنما تعرف على عباده بصفاته.

الأدلة:

النصوص متواترة على إثبات الصفات الذاتية تواترًا يتعذر حصره، كما أنها صريحة في الدلالة على المراد، وهو الإثبات اللائق بالله تعالى.

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: الصفة العليا[(٥)]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١].

(٢) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (٤٢٩) [١٨، ١٤١٣هـ]، وأسماء الله وصفاته لابن عثيمين [دار الشريعة، ط١]، والصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٣) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية لمحمد أمان الجامي (٢٠٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٠٤).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٢٤) =

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]. وغير هذه الآيات كثير.

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[(١)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أورد هذا الحديث: «تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذي ينفي قول أهل التعطيل وقول أهل التمثيل ما صارت به هي الأصل المعتمد في مسائل الذات»[(٢)]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور ـ وأشار بيده إلى عينه ـ وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**»[(٣)].

= [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٧٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٣).

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها (٦٢) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٧)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن؛ كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**»[(٤)]. وغيرها من الأحاديث.

أقوال أهل العلم:

قال أبو حنيفة: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء؛ بل يصفه بما وصف به نفسه»[(٥)].

وقال أبو نصر السجزي: «ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وذاك إذا ثبت الحديث ولم يبق شبهة في صحته»[(٦)].

ـ وقال ابن عبد البر: «أهل السُّنَّة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

(٥) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٩٣) [وزارة شؤون الأوقاف السعودية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٦) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٧٨ ـ ١٧٩) [الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ].

الحقيقة ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبه»[(١)].

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومذهب السلف ـ رحمة الله عليهم ـ الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها»[(٢)].

وقال ابن تيمية ـ معلقًا على قول الإمام أحمد في رواية حنبل: (لم يزل الله عالمًا متكلمًا غفورًا) ـ: «فبين اتصافه بالعلم، وهو صفة ذاتية محضة»[(٣)].

الأقسام:

تنقسم الصفات الذاتية إلى قسمين:

ـ **صفات ذاتية معنوية**: كالحياة، والعلم، القدرة، والحكمة وما أشبه ذلك.

ـ **صفات ذاتية خبرية**: كاليدين، والوجه، والعينين وما أشبه ذلك[(٤)].

وتنقسم باعتبار أدلة ثبوتها إلى:

١ ـ **صفات شرعية عقلية**: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي، والدليل العقلي، والفطرة السليمة؛ كالعلم والسمع، والبصر، والقدرة ونحوها.

٢ ـ **صفات خبرية سمعية**: وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع؛ كاليد، والوجه، والإصبع ونحوها[(٥)].

مذهب المخالفين:

ذهبت الجهمية: إلى إثبات الذات مجردة عن الصفات، تحت دعوى نفي التشبيه عن الله تعالى، فقالوا: إن كل صفة تطلق على المخلوق لا يصح أن تطلق على الله؛ لأن ذلك يؤدي إلى تشبيه الخالق بالمخلوق. وتبعهم المعتزلة معلِّلين ذلك بأن الصفات أعراض، وأن قيام العرَض بالذات يقتضي حدوثها، وجعلوا إضافة الصفات إلى الله تعالى إما من باب إضافة الملك والتشريف[(٦)]. أما موقف متأخري الأشاعرة ومعهم الماتريدية: فكان نفي جميع الصفات

---

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥) [وزارة عموم الأوقاف بالمغرب].

(٢) ذم التأويل (١١) [الدار السلفية، ط١، ١٤٠٦هـ]. وانظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٦٠ ـ ١٦٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٣٨).

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٧٨) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٢١هـ]، والقواعد المثلى (٢٥) [الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: الصفات الإلٰهية للجامي (٢٠٧).

(٦) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٥١، ٢٧٧) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ]، والمحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار (١٠٧) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (١٦١) [مكتبة الجفان والجابي، ط١، ١٤٠٧هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٦) [مؤسسة الحلبي]، والمواقف للإيجي (٣/ ٦٧) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م]، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السُّنَّة منها (١٠٠ ـ ١٠١) [دار العاصمة، ط١، ١٤٢٠هـ].

الذاتية ما عدا الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني، وهي: «العلم، الحياة، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام». وزاد الباقلاني وإمام الحرمين من الأشاعرة صفة ثامنة هي: «الإدراك». وزاد الماتريدية صفة «التكوين» وإنما أثبتوا الصفات السبع لدلالة العقل عليها دون غيرها[(١)].

الرد عليهم:

إن كل ما قالوه ليس عليه دليل من الشرع ولم يستدل به أحد من السلف.

ثم إن الله تبارك وتعالى قد نفى في كتابه أن تكون صفاته تماثل صفات شيء من المخلوقين فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]، فإن لوازم صفات المخلوقين التي ذكروها لا تلزم صفات الخالق؛ إذ لا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق حتى تقاس صفاته سبحانه على صفاتهم، وكما أنهم أثبتوا ذات البارئ دون تفكير في لوازم ذوات المخلوقين، يلزمهم إثبات صفاته ذاتية أو فعلية دون تفكير في لوازم صفات المخلوقين. وأيضًا يقال لهم: إن مجرد الاشتراك في الأسماء لا يستلزم الاشتراك في الحقائق، وهذا واقع بين المخلوقات نفسها، فوقوعها فيما بين الخالق والمخلوق من باب أولى[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله وصفاته وموقف أهل السُّنَّة منها»، لابن عثيمين.

٢ ـ «التدمرية»، لابن تيمية.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج١)، لابن تيمية.

٤ ـ «الصفات الإلٰهية تعريفها، أقسامها»، لمحمد خليفة التميمي.

٥ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٦ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٥، ٦)، لابن تيمية.

٨ ـ «مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات»، لمحمد خليفة التميمي.

(١) انظر: تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد للقاني (٧٥ ـ ٧٦) [دار الكتب العلمية]، وإشارات المرام من عبارات الإمام لأحمد الماتريدي (١٠٧، ١١٤) [مطبعة البابي الحلبي، ط١٣٦٨هـ]، ونظم الفرائد وجمع الفوائد لعبد الرحيم شيخ زاده (٢٤) [المطبعة الأدبية، ط١، ١٣١٧هـ].

(٢) وانظر لابن تيمية: مجموع الفتاوى (٦/١٤٧، ١٤٨، ٣٤٥، ٥٢٠، ٥٢١)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/٢٨٣) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ]، والصفدية (١/١٢٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٦هـ]، والتدمرية (٤٠ ـ ٤١) [مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ]، والصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة للجامي (٣٠١).

٩ ـ «النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السُّنَّة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي بن محمد سعيداني.

صفات الرسل

يراجع مصطلح (الرسل).

صفات الله ﷻ

التعريف لغةً:

الصفات جمع صفة، وهي من الفعل: (وصف)، قال ابن فارس: «الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء. ووصفته أصفه وصفًا. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء»[(١)].

التعريف شرعًا:

ما قام بالذات الإلٰهية مما يميزها عن غيرها، ووردت بها نصوص الكتاب والسُّنَّة[(٢)].

الحكم:

يجب الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل[(٣)].

الحقيقة:

منهج أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى] رد على المعطلة.

وهذا إنما يستقيم بالأسس التي يقوم عليه منهجهم، **وهي موجزة في الأمور الآتية:**

١ ـ الإيمان بما وردت به نصوص الكتاب والسُّنَّة الصحيحة من الصفات إثباتًا ونفيًا.

٢ ـ تنزيه الله ﷻ عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

٣ ـ قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وهو يذكر طريقة السلف في هذا الباب ـ: «فمن سبيلهم في الاعتقاد الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه، وسمَّى بها نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١١٥) [دار الكتب العلمية].
(٢) الصفات الإلٰهية: تعريفها ـ أقسامها، للتميمي (١٢) [أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ].
(٣) الرسالة التدمرية (٦ ـ ٨).

ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدَثين؛ بل أمروها كما جاءت»[1].

فمعاني صفات الله عَزَّوَجَلَّ الثابتة بالكتاب أو السُّنَّة معلومة، وتُفسر على الحقيقة، لا مجاز ولا استعارة فيها البتة، أمَّا الكيفية فمجهولة[2].

المنزلة:

الإيمان بأسماء الله وصفاته له أهمية عظيمة، فإنه لا يمكن لأحد أن يعبد الله عَزَّوَجَلَّ على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف][3].

الأدلة:

دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة على صفات الله تعالى، **وذلك من ثلاثة وجوه:**

أولًا: دلالة الأسماء عليها:

وهو كل اسم دال على صفة أو أكثر، سواء كان ذلك بدلالة التضمن أو المطابقة أو الالتزام.

ثانيًا: التنصيص على الصفة:

مثل: الوجه واليدين والعينين والكلام والإرادة والمشيئة، وما أشبه ذلك، فهذه بنص من الله عَزَّوَجَلَّ هي صفات. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ثالثًا: التصريح بفعل أو وصف دال عليها:

وهي كل صفة دلَّ عليها فعل من أفعاله كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلًا عن أفرادها: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر][4].

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «إن الأخبار في

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢).
(٢) انظر: التدمرية (٤ ـ ٤٤)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٦ ـ ٤٢).
(٣) انظر: القواعد المثلى (٧) [مكتبة السُّنَّة، ط٢، ١٤١٤هـ].
(٤) انظر: القواعد المثلى (٦٨، ٧١)، والصفات الإلٰهية (١٥).

صفات الله ﷻ جاءت متواترة عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله ﷻ، نقلها الخلف عن السلف قرنًا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله ﷻ به في تنزيله، وبيّنه الرسول عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف، وأنه ﷻ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه، ووصفه الرسول غير زائلة عنه ولا كائنة دونه؛ وذلك أن الله ﷻ امتدح نفسه بصفاته تعالى، ودعا عباده إلى مدحه بذلك، وصدّق به المصطفى وبيّن مراد الله ﷻ فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته وكان ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويلها»(١).

وقال الصابوني: «أصحاب الحديث ـ حفظ الله أحياءهم ورحم الله أمواتهم ـ يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له ﷻ ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه... بل ينتهون إلى ما قاله الله وقاله رسول الله ﷺ من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عمّا تعرفه العرب، وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله»(٢).

وقال ابن عبد البر: «ولا خبر في صفات الله ﷻ إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه، أو قياس، أو تمثيل، أو تنظير؛ فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، أهل السُّنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة»(٣).

وقال ابن تيمية: «الأصل في هذا الباب أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ نفيًا وإثباتًا، فيُثبَت لله ما أثبته لنفسه، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٧) [الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٦ ـ ٢٨).

(٣) التمهيد (٧/ ١٤٥).

غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ـ مع ما أثبته من الصفات ـ من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]. ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ رد للإلحاد والتعطيل»[1].

الأقسام:

لما خاض المتكلمون في تقسيم الصفات اقتضى أن يكون لأهل السُّنَّة منهج في ذلك للرد على أهل البدع، وبيان ما عندهم من الخلل.

ومن هنا تنوعت تقسيمات أهل العلم للصفات، مع إثباتها لله تعالى وتنزيهها عن مماثلة المخلوقات.

أولًا: أقسام الصفات باعتبار ورودها في النصوص: تنقسم الصفات باعتبار ورودها في النصوص إلى صفات ثبوتية، وصفات سلبية.

القسم الأول: الصفات الثبوتية:

وهي ما أثبته الله لنفسه فوصف به نفسه أو أثبته له رسوله ﷺ فوصفه به، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والعلو والربوبية والألوهية، والاستواء على العرش والنزول، والوجه واليدين ونحوها.

القسم الثاني: الصفات السلبية:

وهي التي نفاها الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ؛ لأنها صفات نقص وعيب، لثبوت الكمال المطلق، المنافي لها فإن النفي المجرد المحض لا مدح فيه، نحو: نفي الولد، ونفي اتخاذ الصاحبة ونفي الشريك، ونفي الموت، ونفي النوم ونحوها.

ثانيًا: أقسام الصفات باعتبار تعلقها بمشيئة الله تعالى: إن الله تعالى متصف بالصفات الثبوتية، سواء كانت ذاتية لا تنفك عن الذات أو فعلية متعلقة بالمشيئة. فالصفات الثبوتية باعتبار تعلقها بمشيئة الله إلى **ثلاثة أقسام رئيسة:**

القسم الأول: الصفات الذاتية:

وهي التي لا تنفك عن الله أزلًا وأبدًا، وذلك كحياته تعالى، وعلمه، وقدرته، وعلوه على خلقه، وحكمته، وعظمته ووجهه ويديه ونحوها.

القسم الثاني: الصفات الفعلية:

وهي التي تتعلق بمشيئته سبحانه وتعالى إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كاستوائه تعالى على عرشه، ونزوله إلى السماء

(١) العقيدة التدمرية (٦ ـ ٨).

الدنيا، ومجيئه يوم القيامة، وغيرها.

القسم الثالث: كونها من الصفات الذاتية باعتبار، والفعلية باعتبار آخر:

كصفة الكلام، فإنه باعتبار أصله، ونوعه صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته تعالى فالله سبحانه يتكلم متى شاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

ثالثًا: أقسام الصفات باعتبار طريق إثباتها: تنقسم الصفات باعتبار طرق إثباتها إلى **قسمين:**

القسم الأول: الصفات الخبرية العقلية:

وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي، والعقلي، والفطري؛ كالحياة والقدرة، والعلو، والعلم، والسمع، والبصر، والربوبية، والألوهية، وغيرها.

القسم الثاني: الصفات الخبرية:

وهي التي لا سبيل إلى إثباتها، إلا الخبر عن الله تعالى، أو عن رسوله ﷺ، إلا أن العقل الصحيح الصريح لا يعارضها بل يؤيدها نحو: وجه الله الكريم، وصفة اليدين، والعينين، والساق، والرجل، والأصابع، ونحوها[1].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفات الله تعالى وأسماؤه الحسنى توقيفية:

إن الواجب في باب الأسماء والصفات الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسُّنَّة، فلا يزاد فيها، ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات على وجه التفصيل، فوجب الوقوف في ذلك على النص. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأسماء الله تعالى أحسن الأسماء، كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا يعدل عمَّا سمَّى به نفسه إلى غيره، كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون[2].

---

(١) انظر: التدمرية (٥٧ ـ ٥٨، ١٤٦، ١٤٩ ـ ١٥٠)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٢١٩، ٥١٨ فما بعدها) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، ودعوة التوحيد لهراس (١٦ ـ ١٧)، وشرح الواسطية له (٩٨ ـ ٩٩)، ومنهج ودراسات في الأسماء والصفات (٥)، والصفات الإلٰهية للجامي (١٩٩ ـ ٢٠٩)، والكواشف الجلية (٤٢٩ ـ ٤٣٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (١/١٢٤ ـ ١٢٥، ٤/١٤٥ ـ ١٤٨)، والقواعد المثلى (٥٩، ٦٣)، الصفات الإلٰهية للتميمي (٦٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٢٦)، وبدائع الفوائد (١/١٦٨)، القواعد المثلى (٣٤، ٦٨)، =

ـ المسألة الثانية: منهج أهل السُّنَّة والجماعة إثبات الألفاظ والمعاني في نصوص الأسماء والصفات:

إن طريقة أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وهم مع ذلك يثبتون حقائق الأسماء والصفات، مع نفي مشابهة المخلوقات، فلا يعطلون، ولا يؤوِّلون، ولا يمثلون، ولا يجهلون.

وقالوا: له ذات حقيقة ليست كذوات المخلوقين، وله صفات حقيقة لا مجازًا، ليست كصفات المخلوقين، ولا يمنع ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك مَن أثبت لله شيئًا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها[(١)].

ولهذا؛ فإن اعتقاد أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب على السلف، فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظًا ومعنًى، وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تعالى على حسب مراد الله ورسوله ﷺ[(٢)].

يقول ابن تيمية مبينًا مسلك أهل السُّنَّة والجماعة في نصوص الأسماء والصفات: «والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني»[(٣)].

وقال ابن القيِّم: «وهدى أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى، فأثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، يُثبتون له الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها ولا يكيِّفون شيئًا منها، فإن الله تعالى أثبتها لنفسه وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده بذلك ولا أراده منهم، ولا جعل لهم إليه سبيلًا»[(٤)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: «إن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسُّنَّة من أسماء الله وصفاته لفظًا ومعنى، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز، وأن لها معاني حقيقة تليق بجلال الله وعظمته، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر، ومعاني هذه الأسماء ظاهرة

= معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٤٣ ـ ٤٥).

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

(٢) انظر: القواعد المثلى (٧٧).

(٣) منهاج السُّنَّة (٢/ ٥٥٤).

(٤) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٨٣)، والصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٥ ـ ٤٢٧).

معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض... وأما كنه الصفة وكيفيتها فلا يعلمه إلا الله سبحانه»[(١)].

- **المسألة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر:**

بيَّن أهل العلم أن ظواهر نصوص الكتاب والسُّنَّة الواردة في الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى المتبادر إلى الذهن، ومفهومة، وهي أيضًا مجهول لنا باعتبار الكيفية.

فالعلم والجهل يختلفان بحسب الاعتبار:

- أما على الاعتبار الأول (المعنى) فإن السلف رضي الله عنهم أثبتوا الصفات كما أثبتها الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، والسلف بهذا الإثبات قد خالفوا أهل التعطيل. فهم إنما فوضوا العلم بكيفياتها لا العلم بمعانيها.

- وأما على الاعتبار الثاني (الكيفية) فإن السلف رضي الله عنهم قد أثبتوا الصفات مع نفي المشابهة للمخلوقات. وبهذا الاعتبار خالف السلفُ مذهبَ الممثلة والمشبهة[(٢)].

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١/ ١٧٥).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (١٩٧ ـ ٢٠٠)، والقواعد المثلى (٦٤، ٧٦ ـ ٧٧)، والقول المفيد (٢/ ١٨٩).

ومن الآثار الواردة عن السلف في إثباتهم لألفاظ نصوص الأسماء والصفات ومعانيها، وتفويض الكيفية إلى علم الله **ما يلي:**

- قول الأوزاعي: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالا: أمروها كما جاءت[(٣)].

- وقال الوليد بن مسلم: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمروها كما جاءت. وفي رواية: أمروها كما جاءت بلا كيف[(٤)].

ففي هذه العبارة رد على المعطِّلة والمشبِّهة: ففي قولهم رضي الله عنهم: «أمروها كما جاءت» رد على المعطلة.

وفي قولهم: «بلا كيف» رد على المشبهة.

كما أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله، **وذلك من وجهين:**

الأول: قولهم: «أمروها كما جاءت» فإن معناها إبقاء دلالتها على ما جاءت

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد برقم (٧٣٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧٧)، وانظر: مختصر العلو للذهبي (١٣٨).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد برقم (٩٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٩)، وغيرهم.

به من المعاني، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا: أمروا لفظها، ولا تتعرضوا لمعناها، ونحو ذلك.

الثاني: قولهم: «بلا كيف» فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى؛ لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته، فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه، فنفي كيفيته لغو من القول[(١)].

- ودخل رجل على مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به أن يخرج[(٢)].

قال ابن تيمية: «فقول ربيعة ومالك: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول» موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة»[(٣)].

- المسألة الرابعة: صفات الله تعالى لها كيفية:

صفات الله ﷻ لها كيفية تليق بجلاله سبحانه، وعدم العلم بها لا يعني نفيها، ولم تأت النصوص ببيان حقيقتها أو وصفها، فيتعين الإيمان بها وإن كنّا نجهل حقيقتها، فأهل السُّنَّة يعلمون معنى نزول الله ﷻ واستوائه على عرشه، لكن لا يعلمون كيفية نزوله أو استوائه، قال الإمام أبو بكر ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبيِّنا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل. والله ﷻ لم يترك - ولا نبيّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول»[(٤)].

وهذا هو مراد أهل السُّنَّة بقولهم بلا كيف، ليس مرادهم نفي الكيفية أصلًا، قال ابن القيِّم: «العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (٣٠٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/٣٢).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم (٦٦٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/١٥١) وغيرهم. وانظر: مختصر العلو (١٤١ - ١٤٢)، وفتح الباري (١٣/٤٠٦)، والأثر المشهور عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الاستواء للبدر (٣٨ - ٥٠).

(٣) الفتوى الحموية الكبرى (٣٠٩)، وراجع: الرد على الجهمية للدارمي (٦٧).

(٤) التوحيد لابن خزيمة (١/٢٨٩).

إلا الله، وهذا معنى قول السلف بلا كيف؛ أي: بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته، ولا يقدح ذلك في الإيمان بها ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كيفيته مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم»[1].

ـ المسألة الخامسة: منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الإثبات والتنزيه في باب الأسماء والصفات:

القول الشامل لأهل السُّنَّة والجماعة: إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا لله عَزَّ وَجَلَّ، وتنزيهه تعالى من كل نقص وعيب، وعن مماثلة المخلوقات؛ فإن الله تعالى جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وإنما جمع الله تعالى لنفسه بين النفي والإثبات؛ لأنه لا يتم كمال الموصوف إلا بنفي صفات النقص، وإثبات صفات الكمال، وكل الصفات التي نفاها الله عن نفسه صفات نقص كالإعياء واللغوب، والعجز والظلم، ومماثلة المخلوقين، وكل ما أثبته الله لنفسه فهو صفات كمال، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ﴾ [النحل][2].

ـ أما ضابط الإثبات فهو أن يثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من صفات الكمال على وجه لا نقص فيه بأي حال من الأحوال، لقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]، والمثل الأعلى هو الوصف الأكمل الذي لا يماثله شيء.

ـ وأما ضابط التنزيه، فهو: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه، مع اعتقاد ثبوت كمال ضدها لله تعالى.

والمراد بالنفي هنا:

١ ـ تنزيه الله عن النقص المضاد لكماله.

٢ ـ تنزيهه سبحانه عن أن يكون له مثل في شيء من صفاته.

وقد دلَّت عليهما سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص]، فاسمه الصمد يجمع معاني صفات الكمال، واسمه الأحد يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير[3].

(١) مدارج السالكين (٣/٣٧٦).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/١٤٥)، والقول المفيد (٢/٣١٣).

(٣) انظر: التدمرية (١٢٤)، ومنهاج السُّنَّة (٢/١٨٦ ـ =

ـ المسألة السادسة: منهج أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات: الإثبات المفصل والنفي المجمل:

الأصل في معرفة الله الصفات الثبوتية، وأما الصفات المنفية فهي مكملة للإثبات، وتابعة له، وقد أوضح أهل العلم أن طريقة السلف في باب الأسماء والصفات: الإثبات المفصل والنفي المجمل، وذلك أنهم يثبتون لله تعالى الأسماء والصفات على وجه التفصيل، وأما الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه فكلها صفات نقص ولا تليق به كالعجز والتعب والظلم ومماثلة المخلوقين، والغالب فيها الإجمال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «طريقة الرسل وأتباعهم من سلف الأمة وأئمتها: إثبات مفصل ونفي مجمل، إثبات صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفي النقص والتمثيل، كما دلَّ على ذلك سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص]»[(١)].

كما دلَّت الآيات الكثيرة والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ على إثبات أسماء الرب وصفاته على وجه التفصيل[(٢)].

ـ أسباب ورود التفصيل في النفي في باب الأسماء والصفات:

بيَّن بعض أهل العلم أن التفصيل في الصفات المنفية قد يأتي لأسباب؛ **منها**:

أولًا: نفي ما ادَّعاه الكاذبون المفترون؛ كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ثانيًا: دفع توهم نقص في كماله؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق].

ثالثًا: قصد التهديد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٧٤﴾ [البقرة][(٣)].

ـ المسألة السابعة: المحاذير التي يجب تجنبها في باب الأسماء والصفات:

من المحاذير التي يجب تجنبها في باب الأسماء والصفات: التحريف والتعطيل، والتأويل، والإلحاد، والتكييف، والتمثيل.

= ١٨٧، ٢/٥٢٣)، والجواب الصحيح (٢/٢٦١)، والقواعد المثلى (٥٩، ٦٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٤/١٩، ٢٠١).

(١) منهاج السُّنَّة (٢/١٨٥).

(٢) انظر: التدمرية (٨ ـ ١٢)، ودرء التعارض (٥/ ١٦٣، ٦/٣٤٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٤٧٨، ٦/٣٧)، التسعينية (١/١٧١)، والصواعق المرسلة (٣/١٠٠٩)، وشرح العقيدة الطحاوية (٦٩)، والقواعد المثلى (٧١)، وشرح العقيدة الواسطية (١١٧)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/١١٤، ٧/٢١٤).

(٣) انظر: القواعد المثلى (٦٢)، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٤/١١٥)، وراجع: شرح العقيدة الواسطية لهراس (٨٢)، والصفات الإلهية للتميمي ٥٨ـ ٥٩).

وقد علم مما سبق أن طريقة السلف في باب الأسماء والصفات: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله نفيًا وإثباتًا، فيُثبت لله ما أثبته لنفسه، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه، ولا يتحقق ذلك جليًّا إلا بالتخلي عن محاذير يقع فيها كثير من الناس، ولهذا تجد أهل العلم يجمعون بين تقرير مذهب السلف في الإثبات والنفي في باب الأسماء والصفات، وبين التحذير من التعطيل والتأويل الفاسد، والتمثيل وغيرها[(١)].

يقول أبو عثمان الصابوني: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسُّنَّة ـ حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ـ يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة، والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه، وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدولُ الثقاتُ عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، . . . ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيّفونهما بكيف، ولا يشبِّهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السُّنَّة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه»[(٢)].

ويقول ابن تيمية: «طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ـ مع ما أثبته من الصفات ـ من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته»[(٣)].

- **المسألة الثامنة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات:**

الواجب على المؤمن في باب الأسماء والصفات مراعاة ما أطلقه الله تعالى على نفسه من الأسماء والصفات والوقوف معها، وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقًا لمعنى أسمائه وصفاته، وحينئذ فيطلق المعنى لمطابقته له دون اللفظ[(٤)].

ولأجل هذا فإن أهل العلم قد بيَّنوا نوع العلاقة التي تربط بين أبواب ثلاث،

(١) انظر: العقيدة الواسطية مع شرح ابن عثيمين (٥٦) فما بعدها، ودرء التعارض (١/ ٢٨٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٩٤)، والقواعد المثلى (٦٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٢٣٠).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦).

(٣) التدمرية (٦ ـ ٧).

(٤) انظر: طريق الهجرتين (٥٩٦).

وهي: باب الأسماء وباب الصفات، وباب الإخبار.

وذلك أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، وأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فصار باب الأسماء أخص من البابين الآخرين[(١)].

فيتبين مما تقدم أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة، ومن الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها. ومن الأمثلة عليه: أن من صفات الله تعالى المجيء والنزول، والاستواء على العرش، والإتيان، والأخذ، والإمساك والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، فيوصف الله بهذا الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول إن من أسمائه: الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به[(٢)].

يقول ابن القيِّم: «إن الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يتسم منها بأسماء الفاعل؛ كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسمَّ بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يتسم بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء»[(٣)].

ويقول ابن عثيمين: «الصفات أوسع من الأسماء؛ لأن كل اسم متضمن لصفة، وليس كل صفة تكون اسمًا، وهناك صفات كثيرة تطلق على الله وليست من أسمائه، فيوصف الله بالكلام والإرادة، ولا يسمى بالمتكلم أو المريد»[(٤)].

- كما أن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، ولا يشترط أن يكون باب الإخبار توقيفيًّا، وإنما يكون باسم حسن أو غير سيء مما هو ثابت وحق، بحيث يكون معناه صحيحًا، ومثّل أهل العلم لذلك: بالشيء والموجود والقائم بنفسه، وغير ذلك[(٥)].

يقول ابن القيِّم: «إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به

(١) انظر: معتقد أهل السُّنَّة في الأسماء الحسنى للتميمي (٣٤ ـ ٣٥)، وأسماء الله الحسنى للغصن (١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) انظر: القواعد المثلى (٥٧ ـ ٥٨).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣).

(٤) القول المفيد (٢/ ١٨٨).

(٥) انظر: درء التعارض (١/ ٢٩٨، ٤/ ١٤٠)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ١٤٢)، والجواب الصحيح (٥/ ٨)، وبدائع الفوائد (١/ ١٦٢)، ومدارك السالكين (٣/ ٤٣٣)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧/ ٢٤٥)، والصفات الإلٰهية للتميمي (٣٩).

عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا»[١].

- **المسألة التاسعة: الفرق بين دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته وبين دعاء صفة من صفات الله:**

فرَّق أهل العلم بين دعاء الله بأسمائه وصفاته، وبين دعاء الصفة نفسها، فالأول مشروع كما نصت عليه السُّنَّة.

وأما دعاء الصفة كمن يقول: يا كلام الله اغفر لي وارحمني، ونحو ذلك، فهذا كفر؛ وذلك لأن الصفة غير الموصوف بلا شك، فقدرة الله عز وجل ليس هي الله؛ بل هي صفة من صفاته، فلو تعبَّد الإنسان لصفة من صفات الله لم يكن متعبِّدًا لله تعالى، وإنما تعبَّد لهذه الصفة لا لله، والمسلم إنما يتعبَّد لله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاءُ صفاتِه وكلماتِه، فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعني، أو يا علم الله، أو يا قدرة الله، أو يا عزة الله، أو يا عظمة الله ونحو ذلك»[٢].

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦١).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٨١). وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ١٦٤ - ١٦٦).

الثمرات:

من ثمرات الإيمان بصفات الله عز وجل:

١ - أن العبد يسعى إلى الاتصاف والتحلِّي بها على ما يليق به؛ لأنه من المعلوم عند أرباب العقول أن المحب يحب أن يتصف بصفات محبوبه؛ كما أن المحبوب يحب أن يتحلَّى مُحِبُّهُ بصفاته؛ فهذا يدعو العبد المحب لأن يتصف بصفات محبوبه ومعبوده كلٌّ على ما يليق به، فالله كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، رفيق يحب الرفق، فإذا علم العبد ذلك؛ سعى إلى التحلي بصفات الكرم والرحمة والرفق، وهكذا في سائر الصفات التي يحب الله تعالى أن يتحلَّى بها العبد على ما يليق بذات العبد.

٢ - **ومنها**: أنه إذا آمن العبد بصفات (العلم، والإحاطة، والمعية)؛ أورثه ذلك الخوف من الله عز وجل المطَّلع عليه الرقيب الشهيد، فإذا آمن بصفة (السمع)؛ علم أن الله يسمعه؛ فلا يقول إلا خيرًا، فإذا آمن بصفات (البصر، والرؤية، والنظر، والعين)؛ علم أن الله يراه؛ فلا يفعل إلا خيرًا؛ فما بالك بعبد يعلم أن الله عز وجل يسمعه، ويراه، ويعلم ما هو قائله وعامله، أليس حريٌّ بهذا العبد أن لا يجده الله حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره؟! فإذا علم هذا العبد وآمن أن الله (يحبُّ، ويرضى)؛ عمل ما

يحبُّه معبوده ومحبوبه وما يرضيه، فإذا آمن أن من صفاته (الغضب، والكره، والسخط، والمقت، والأسف، واللعن)؛ عمل بما لا يُغْضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقته ثم يلعنه ويطرده من رحمته، فإذا آمن بصفات (الفرح، والبشبشة، والضحك)؛ أنس لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويتبشبش لهم ويضحك لهم؛ ما عدمنا خيرًا من ربٍّ يضحك.

٣ ـ **ومنها**: أنه إذا علم العبد وآمن بصفات الله ﷻ من (الرحمة، والرأفة، والتَّوْب، واللطف، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء)؛ فإنه كلما وقع في ذنب؛ دعا الله أن يرحمه ويغفر له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله من سترٍ ولطفٍ بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله كلما أذنب، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلًا، كيف ييأس من يؤمن بصفات (الصبر، والحلم)؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أن الله يتصف بصفة (الكرم، والجود، والعطاء)؟!.

٤ ـ **ومنها**: أن العبد الذي يعلم أن الله متصف بصفات (القهر، والغلبة، والسلطان، والقدرة، والهيمنة، والجبروت)؛ يعلم أن الله لا يعجزه شيء؛ فهو قادر على أن يخسف به الأرض، وأن يعذبه في الدنيا قبل الآخرة؛ فهو القاهر فوق عباده، وهو الغالب من غالبه، وهو المهيمن على عباده، ذو الملكوت والجبروت والسلطان القديم؛ فسبحان ربي العظيم.

٥ ـ **ومنها**: أن العبد إذا تدبر صفات الله من (العظمة، والجلال، والقوة، والجبروت، والهيمنة)؛ استصغر نفسه، وعلم حقارتها، وإذا علم أن الله مختص بصفة (الكبرياء)؛ لم يتكبَّر على أحد، ولم ينازع الله فيما خصَّ نفسه من الصفات، وإذا علم أن الله متصف بصفة (الغنى، والملك، والعطاء)؛ استشعر افتقاره إلى مولاه الغني، مالك الملك، الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

٦ ـ **ومنها**: أنه إذا علم أن الله يتصف بصفة (القوة، والعزة، والغلبة)، وآمن بها؛ علم أنه إنما يكتسب قوته من قوة الله، وعزته من عزة الله؛ فلا يذل ولا يخنع لكافر، وعلم أنه إن كان مع الله؛ كان الله معه، ولا غالب لأمر الله ﷻ[1].

مذهب المخالفين:

خالف أهل السُّنَّة طوائف من أهل التعطيل والتشبيه في باب الأسماء والصفات؛ فالفلاسفة يثبتون وجودًا مطلقًا وهو واجب الوجود، فلا صفة له، ولا فعل يقوم به، ولا قدرة له على

(١) انظر: صفات الله ﷻ لعلوي السقاف (٣٠ ـ ٣٦).

فعل، ولا يعلم شيئًا. وهم في حقيقة الحال ينفون جميع الأسماء والصفات.

وهم على مراتب: فمنهم من يصف الله تعالى بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا، يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان، وهذا ابن سينا وأمثاله.

ومنهم من يقول: لا نثبت ولا ننفي، فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، وهكذا بسلب النقيضين، وهذا ينسب لغلاة المعطلة من القرامطة الباطنية المتفلسفة.

ومنهم من يقول: نحن لا نقول: ليس بموجود ولا بمعدوم، ولا حي ولا ميت، فيمتنعون عن كل من المتناقضين، ويحكى هذا عن الحلاج.

ومنهم أهل وحدة الوجود الذين يقولون: إن وجود الخالق هو وجود المخلوق[(١)].

وأما أهل الكلام: فمنهم من ينفي جميع الأسماء والصفات، وهذا مذهب الجهمية.

ومنهم من أثبت الأسماء ونفى الصفات، فيقول: إن الله عالم بذاته لا بعلم، أو يقول: إن الله عالم بعلم هو ذاته، وهكذا بقية الصفات، فهم ينكرون قيام الصفات بالله تعالى حقيقة، وهذا مذهب المعتزلة ومن وافقهم.

ومنهم من يثبت الأسماء وبعض الصفات، إلا أنهم لم يثبتوا لله صفات تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، ونفوا الصفات الاختيارية، وهذا مذهب ابن كلاب، والأشعري في طوره الثاني، وقدماء الأشاعرة؛ كالباقلاني وابن فورك، وغيرهما.

فصفة الكلام والرضا والغضب والمجيء والنزول، وغيرها يؤوِّلونها على **أحد الوجوه الآتية:**

١ ـ إرجاعها إلى الصفات الذاتية، وأنها أزلية لا تتعلق بمشيئته.

٢ ـ أن يجعلوها من باب النسب والإضافة المحضة، بمعنى أن الله خلق العرش بصفة تحت فصار مستويًا عليه، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه، فيصير جائيًا إليهم ونحو ذلك. فهذه صفات الفعل منفصلة عن الله بائنة عنه.

٣ ـ أن يجعلوها أفعالًا محضة في المخلوقات، مثل قولهم في الاستواء: إنه فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قربًا فيصير مستويًا عليه من غير أن يقوم بالله فعل اختياري.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٧ ـ ٨)، وشرح العقيدة الأصفهانية (٥١، ٥٢، ٧٦)، والصفدية (١/٩٦)، وبغية المرتاد (٣٤٩، ٣٩٧)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات للتميمي (٧٤).

وأما الصفات الخبرية فالوارد منها في القرآن يثبتونه، وأما ما ورد في السُّنَّة فمنهم من يثبتها، ومنهم من لا يثبتها.

ومن المتكلمين من يثبت الأسماء ولا يثبت من الصفات إلا سبعَ صفات أو ثمانيَ، وينفي ما عداها، وهذا قول المتأخرين من الأشاعرة والماتريدية.

فالصفات الثبوتية عند متأخري الأشاعرة هي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة، والسمع والبصر، والكلام. وزاد بعضهم: الإدراك.

وعند الماتريدية: الحياة والعلم والقدرة والإرادة، والسمع والبصر، والتكوين[1].

وأما المشبهة؛ فهم الذين شبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، وقالوا: يد كيدي، وبصر كبصري[2].

وقد أنكر علماء السُّنَّة مقالة المشبِّهة والمعطِّلة، وبيَّنوا أن نصوص الكتاب والسُّنَّة الكثيرة جاءت بإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وعليه إجماع أهل السُّنَّة والجماعة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الشريعة»، للآجري.

٢ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٣ ـ «العقيدة الواسطية مع شرحها»، لابن عثيمين.

٤ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٥ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٦ ـ «التوحيد»، لابن خزيمة.

٧ ـ «اجتماع الجيوش الاسلامية»، لابن القيِّم.

٨ ـ «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.

٩ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

١٠ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة»، للالكائي.

١١ ـ «شرح الأصبهانية»، لابن تيمية.

الصفات المثبتة والصفات المنفية

يراجع مصطلح (صفات الله عَزَّ وَجَلَّ).

الصفة والموصوف

يراجع مصطلح (الغير).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٧، ٤/ ١٤٧ـ ١٤٨، ٥/ ٤١٠ ـ ٤١٢، ٤٣٧، ٦/ ٥١ ـ ٥٣، ٦٨ـ ٦٩، ١٤٤ ـ ١٤٩، ٣٥٨، ٥٢٠ ـ ٥٢٥، ١٢/ ٣١١، ١٣/ ١٣١)، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ٥٢٦)، وشرح العقيدة الأصفهانية (٥١، ٥٢، ٧٨)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة (١٠٠)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٣٤)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات للتميمي (١٠١).

(٢) انظر: درء التعارض (٤/ ١٤٥)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٤)،، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ١٠٣، ٢١٧)، ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات (١١٧).

صفَر

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصاد والفاء والراء **ستة أوجه**؛ فالأصل **الأول**: لون من الألوان. **والثاني**: الشيء الخالي. **والثالث**: جوهر من جواهر الأرض. **والرابع**: صوت. **والخامس**: زمان. **والسادس**: نبت»[١].

وصفَر: هو الشهر الذي بعد المحرَّم. وفُسِّر أيضًا بأنه حية في البطن يقال لها الصفر، كانت العرب تقول: أنها تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي[٢].

التعريف شرعًا:

فسر أهل العلم صفر بأقوال ثلاثة[٣]:

أحدها: أنه داءٌ في البطن يقال له: حية، يؤذي الناس والماشية، وكانوا يعتقدون أنه يعدي، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام، وذلك لاشتهاره عندهم بالعدوى.

الثاني: أنه نهي عن النسيء الذي كانت تعمله العرب في جاهليتها، من تأخير المحرم إلى صفر لاستباحة الأشهر الحرم[٤].

الثالث: أنه شهر صفر؛ إذ كانت العرب تتشاءم به، ويقولون: إنه شهر مشؤوم. قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال[٥].

سبب التسمية:

قال بعضهم: إنما سمي صفرًا؛ لأنهم كانوا يمتارون الطعام فيه من المواضع. وقال بعضهم: سمي بذلك لإصفار مكة من أهلها إذا سافروا. وروي عن رؤبة أنه قال: سموا الشهر صفرًا؛ لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفرًا من المتاع، وذلك أن صفرًا بعد المحرَّم فقالوا: صفر الناس منا صفرًا[٦].

الحكم:

التشاؤم بشهر بصفر هو نوع من الطيرة

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٤) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٢/ ٧١٤) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٧/ ٣٥٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وترتيب القاموس المحيط (٢/ ٨٣٠) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٤٩ ـ ١٥٢) [الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ط١٤٠٤هـ]، ومعالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣٣) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، والتمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ١٩٨)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ١٧١) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥) [دار إحياء التراث العربي]، ولطائف المعارف (١٤٧ ـ ١٤٨) [دار ابن كثير، ط٥، ١٤٢٠هـ].

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٢٥).

(٥) لطائف المعارف (٧٤).

(٦) انظر: لسان العرب (٧/ ٣٦٠)، وبلوغ المنى والظفر في بيان لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (١٠٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ].

المحرمة، فجاء الإسلام فأبطل ما كان يعتقده أهل الجاهلية فيه من التشاؤم، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»**[(١)]. والنفي في هذا الحديث لها ليس نفيًا لوجودها فهي موجودة، ولكنه نفي لكونها سببًا؛ إذ لم يجعلها الله سببًا في هذا، فمن تشاءم بصفر فرده تشاؤمه عن حاجته أو حمله على فعل أو ترك آخر، فقد جعل ما ليس بسبب سببًا وهذا من الشرك الأصغر.

يقول ابن رجب رحمه الله في سياق كلامه على حديث: **«لا عدوى ولا هامة ولا صفر»**: «وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها، من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف شيئًا من النعم إلى غير الله، مع اعتقاد أنه ليس من الله، فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله، فهو نوع شرك خفي»[(٢)].

الحقيقة:

اختلف في حقيقته بناء على الاختلاف في تعريفه فقيل[(٣)]: إنما هو مرض في البطن يسمَّى الصفر، كان العرب يعتقدونه معديًا، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، ويكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام، وإلى هذا القول ذهب ابن وهب ومطرف والقاسم بن سلام وأحمد بن حنبل والبخاري وابن جرير وغيرهم.

وقال آخرون: إن قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صفر» أي: شهر صفر المعروف، ثم اختلفوا في تفسيره على **قولين**:

أحدهما: أنّ المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، فكانوا يُحلون المحرَّم ويحرِّمون صفر مكانه، وهذا قول مالك ومعمر بن المثنى رحمهما الله تعالى.

والثاني: أنّ المراد أنّ أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر، يقولون: إنّه شهر مشؤوم، فأبطل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذلك. وهذا أشبه الأقوال كما يقوله ابن رجب رحمه الله: وكثيرٌ من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينهى عن السفر فيه! والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا عدوى ولا صفر ولا هامة»** فقال أعرابي: يا رسول الله،

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).
(٢) لطائف المعارف (١٤٢).
(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١/١٤٩ ـ ١٥٢)، ومعالم السنن للخطابي (٤/٢٣٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٤/١٩٨)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/١٧١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٥)، ولطائف المعارف لابن رجب (١٤٧ ـ ١٤٨).

فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: «**فمن أعدى الأول؟**»(١).

وعنه رضي الله عنه أيضًا قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد**»(٢).

وعن عطاء رحمه الله قال: «يقول ناس: الصفر وجع يأخذ في البطن»(٣).

أقوال أهل العلم:

قال النووي رحمه الله: «ويجوز أن يكون المراد هذا ـ أي: أنه داء يعدي ـ والأول ـ أي: النسيء ـ جميعًا، وأن الصفرين جميعًا باطلان لا أصل لهما ولا تصريح على واحد منهما»(٤).

وقال البغوي رحمه الله: «وقوله: «**لا صفر**»: معناه: أن العرب كانت تقول: الصفر حيَّة في البطن، تصيب الإنسان والماشية، تؤذيه إذا جاع، وهي أعدى من الجرب عند العرب، فأبطل الشرع أنها تؤذي. وقيل في الصفر: إنه تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر. وقيل: إن أهل الجاهلية كان يستشئمون بصفر، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم»(٥).

وقال ابن القيِّم رحمه الله تحت قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا عدوى**»: «هذا يحتمل أن يكون نفيًا أو يكون نهيًا؛ أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**» يدل على أنّ المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأنّ النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدلّ على المنع منه»(٦).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفر الخير:

شاع بين بعض المسلمين تسمية شهر صفر بقولهم: «صفر الخير» تفاؤلًا يردُّ ما يقع في نفسه من اعتقاد التشاؤم فيه كما كان في الجاهلية الأولى.

قال بكر أبو زيد رحمه الله: «وبعضهم يقول: صفر الخير: تفاؤلًا؛ يردّ ما يقع في نفسه من اعتقاد التشاؤم فيه، وهذه لوثة جاهلية من نفس لم يصقلها التوحيد بنوره»(٧).

ـ المسألة الثانية: الأربعاء الأخير من شهر صفر:

اعتقاد بعض الناس أن يوم الأربعاء

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).
(٢) تقدم تخريجه قريبًا.
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٨).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٢١٤ ـ ٢١٥) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٩هـ].
(٥) شرح السُّنَّة (١٢/ ١٧١) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ].
(٦) مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٨٠) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ].
(٧) معجم المناهي اللفظية (٣٤٠) [دار العاصمة].

الأخير من شهر صفر هو أنحس أيام العام، ويستندون في ذلك إلى حديث موضوع يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر**»[(١)].

وزعموا أنّ بعض العارفين ذكر أنه ينزل في كل سنة ثلاثمائة وعشرون ألفًا من البليات، وكل ذلك في يوم الأربعاء الأخير من صفر، فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السُّنَّة، وابتدعوا لذلك صلوات وأذكارًا ودعوات تحفظ من هذه البليات! وهذا من البدع المنكرة والضلالات المردية والاعتقادات الفاسدة.

وقد قال مالك رحمه الله: الأيام كلها أيام الله، وإنما يفضل بعضها بعضًا بما جعل الله من الفضل فيما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وجماع القول: أن التشاؤم بشهر صفر بأي صورة من صور التشاؤم وهو مما حرَّمه الإسلام، ونهى عنه؛ لما في ذلك من شوائب الشرك والبدع المحدثة التي تقدح في التوحيد وتنافي كماله[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ - «بلوغ المنى والظفر في بيان لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»، لجار محمد بن عبد العزيز.

٢ - «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٣ - «غريب الحديث»، لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٤ - «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٥ - «معالم السنن»، للخطابي.

٦ - «مفتاح دار السعادة»، لابن القيِّم.

٧ - «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

٨ - «معجم المناهي اللفظية»، لبكر أبي زيد.

٩ - «لطائف المعارف»، لابن رجب.

١٠ - «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير.

الصلاة على الأنبياء وغيرهم

يراجع مصطلح (الصلاة على النبي ﷺ).

الصَّلاة على النبيِّ ﷺ

التعريف لغة:

الصَّلاة: مصدر الفعل الثلاثي المعتلّ الآخر (صلَّى)؛ ومعناها: الدُّعاء، والرحمة، والثَّناء. ومنه الحديث: «**إذا دُعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليصلِّ، وإن كان مفطرًا فليطعم**»[(٣)]،

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٦/ ٥٨٤) [دار الغرب، ط١]، وهو حديث موضوع. انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٣٤٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ]، والسلسلة الضعيفة (٤/ ٨٣).

(٢) انظر: معجم المناهي اللفظية (٣٤٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب النكاح، رقم ١٤٣١)، وأبو داود (كتاب الصوم، رقم ٢٤٦٠)، من حديث =

ومعنى (فليصلِّ): فليدع لهم بالخير والبركة؛ كما جاء مفسَّرًا بمعناه من أحد رواة الحديث[(١)].

النبيّ (والنبيء): المُخبِر عن الله ﷻ؛ مأخوذ من (النَّبأ)؛ أي: الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله ﷻ. وقيل: بل مأخوذ من (النَّبْوة)؛ أي: الارتفاع؛ كأنه مُفضَّل على الناس برفع منزلته. والجمع: أنبياء، ونُبآء، وأنباء، ونبيئون. والاسم: النُّبُوَّة[(٢)].

التعريف شرعًا:

الصلاة على النبي ﷺ: هي من الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة وتعظيمه وتكريمه، والعناية به، وإظهار شرفه وفضله وحرمته ودعوته، وإعلاء ذكره، وإبقاء شريعته. وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك له من الله تعالى. والمراد: طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة[(٣)].

وهذا هو التعريف الصحيح للصلاة على النبي ﷺ، خلافًا للقول المشهور عند المتأخرين بأن الصلاة من الله هي: الرحمة، ومن العبد: الدعاء[(٤)]، وقصره على ذلك.

والصحيح ما ذكرناه، وهذا الثناء والتعظيم مستلزم للرحمة والمغفرة ولا بد، لكن لا يصح قصر تفسير الصلاة على الرحمة وحدها.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

الصلاة لغة هي الدعاء والتبريك والثناء، ولا بد فيها من كلام؛ فهي نوع من الكلام الطلبي والخبري والإرادة؛ فحقيقتها: ثناء من المصلي على من يصلِّي عليه، وتنويه به، وإشارة لمحاسنه ومناقبه وذكره، وإرادة لإكرامه وتقريبه وإعلاء منزلته[(٥)]. وهذه المعاني هي الحقيقة الشرعية والتعريف المختار للصلاة على النبي ﷺ.

= أبي هريرة رضي الله عنه. وقال هشام بن حسان ـ أحد رواة الحديث ـ في رواية أبي داود: «والصلاة: الدُّعاء».

(١) انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٠٢) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٠٠) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٦٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: الصحاح (١/ ٧٤، ٦/ ٢٥٠٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٨٤)، والقاموس المحيط (٦٧).

(٣) انظر: المنهاج في شُعَب الإيمان للحليمي (٢/ ١٣٤) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٠) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، وجلاء الأفهام لابن القيم (١٦٨، ١٧٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٥٧) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٣٣، ١١/ ١٥٦) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، والقول البديع للسخاوي (٥٠، ٥٢) [دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وفتح المغيث له (١/ ١٠) [دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر للرَّد على هذا القول: جلاء الأفهام (١٦٤ ـ ١٧٩).

(٥) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥).

ويقال أيضًا: إنّه قيل: إنَّ أصل الصلاة في اللّغة: التعظيم والتكريم، ومنه سمّيت الصلاة المخصوصة صلاة؛ لما فيها من تعظيم الرّبِّ ﷻ[(١)]. وهذا التعظيم والتكريم هو من لوازم الثناء وتوابعه، الذي هو المعنى الشرعي المختار للصلاة على النبي ﷺ.

ويمكن أن يقال أيضًا: «إنَّ الصلاة من (الصِّلة)، ولا شكَّ أن الثناء على رسول الله ﷺ في الملأ الأعلى من أعظم الصِّلات؛ لأنَّ الثناء قد يكون أحيانًا عند الإنسان أهمّ من كُلِّ حال، فالذِّكرى الحسنة صلة عظيمة»[(٢)].

فيظهر من هذه الأوجه كلِّها أنَّ بين المعنى اللُّغوي والشرعيّ تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

۞ المنزلة:

الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القربات، وأجلِّ الطاعات، وأوجب شعب الإيمان، وأنفع أدعية العبد له في دنياه وآخرته؛ محبة له ﷺ، وأداء لحقه، وتوقيرًا له وتعظيمًا، فهي من لوازم وتمام محبته وتعظيمه وتوقيره ﷺ.

فحقيقتها: التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره، وقضاء حق النبي ﷺ علينا.

والمواظبة عليها من باب أداء شكره ﷺ، وشكره واجب؛ لما عظم منه من الإنعام؛ فإنه ـ بفضل الله ومنته علينا ـ سبب نجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب، ووصولنا إلى المراتب السنية والمناقب العلية بلا حجاب.

فليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة منا له؛ فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عن ذلك كافأناه بالدعاء؛ فأرشدنا الله ﷻ ـ لما علم عجزنا عن مكافأة نبيِّنا ﷺ ـ إلى الصلاة عليه؛ لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا، وإحسانه مستمر لا ينقطع.

فالصلاة على النبي ﷺ فيها دلالة على نصوع العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة، والاحترام للواسطة الكريمة.

وفضائلها أكثر من أن تُحصى، وتاركها متعرض للعقوبات الكثيرة.

والصلاة على النبي ﷺ واجبة في الجملة على كل مكلف، بإجماع العلماء ـ واختلف في وقت وجوبها وموضعها

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٥٠).
(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ١٦٤) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ]. وانظر: الصحاح (٥/ ١٨٤٢)، والقاموس المحيط (١٣٨٠)، والصِّلات والبُشَر (٢٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ].

على أقوال كثيرة[(١)] ـ، وهي واجبة في كل حين وجوب السُّنن المؤكدة التي لا يسع تركها، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه[(٢)].

الأدلة:

دلَّ على فضل الصَّلاة على النبي ﷺ وعلوِّ منزلتها: الكتاب، والسُّنَّة المتواترة، وإجماع الأمَّة:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب]، وهي ظاهرة الدلالة على فضل الصلاة على النبي ﷺ، ووجوبها في الجملة على كل مكلف، وفيها إخبار من الله تعالى لعباده «بمنزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا!»[(٣)]، ففي هذه الآية من تعظيمه ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها إجماعًا[(٤)].

وثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «**من صلَّى عليَّ واحدة؛ صلَّى الله عليه عشرًا**»[(٥)]، وثبت في حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله؛ إني أُكثر الصلاة عليك؛ فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: **ما شئت**؛ قال: قلت: الربع؟ قال: **ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**؛ قلت: النصف؟ قال: **ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**؛ قلت: فالثلثين؟ قال: **ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**؛ قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: **إذن تُكفى همَّك ويُغفر لك ذنبك**»[(٦)]. وثبت في حديث أبي بردة بن

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٦/ ١٩١) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصوَّرة عن الطبعة المغربية)]، والشفا للقاضي عياض (٢/ ٦٢٧) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، وجلاء الأفهام (٤٥٣)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ١٥٢)، والقول البديع للسخاوي (٥٨)، والمواهب اللَّدنيَّة للقسطلاني (٣/ ٣٢٢) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٥هـ]، وروح المعاني للآلوسي (٢٢/ ٨١) [إدارة الطبعة المنيرية].

(٢) انظر: المنهاج في شُعَب الإيمان للحليمي (٢/ ١٣٤)، وعارضة الأحوذي لابن العربي (٢/ ٢٦٩) [دار الكتب العلمية]، والمحرر الوجيز لابن عطيَّة (٧/ ١٤٥) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط٢، ١٤٢٨هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٢٣١) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٦٨٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، وجلاء الأفهام (٥٢١) وما بعدها، والقول البديع (٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٥٧).

(٤) انظر: فتح الباري (١١/ ١٥٦)، والقول البديع (٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أيضًا بنحوه (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤) ضمن حديث سؤال الوسيلة، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرَّقائق والوَرَع، رقم ٢٤٥٧) وحسَّنه، وأحمد في مسنده (٣٥/ ١٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط١] مختصرًا بنحوه، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٨) =

نيار عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلّى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه؛ صلّى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات**»[(١)].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأجمعت الأمة على فضل الصلاة على النبي ﷺ، وعلو منزلتها، وعظيم درجتها، وأنها واجبة في الجملة على كل مؤمن.

أقوال أهل العلم:

قال أبو العالية في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: «صلاة الله عليه: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدُّعاء»[(٢)].

قال ابن القيِّم: «طلب الصَّلاة من الله تعالى على رسوله ﷺ هو من أجلِّ أدعية العبد، وأنفعها له في دنياه وآخرته»[(٣)].

وقال أيضًا: «الصلاة على النبي ﷺ متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله؛ فالمصلِّي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله؛ كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرَّفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه، فهي متضمِّنة لكلِّ الإيمان؛ بل هي متضمِّنة للإقرار بوجود الرّب المدعو، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا ريب أنَّ هذه هي أصول الإيمان؛ فالصَّلاة عليه ﷺ متضمِّنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبَّته له؛ فكانت من أفضل الأعمال»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المواضع والأوقات التي يشرع فيها الصلاة عليه ﷺ استحبابًا أو وجوبًا:

هذه المواضع كثيرة ـ وكثير منها لا يثبت بدليل صحيح ـ[(٥)]؛ ومنها: في آخر التشهد الأخير، وآخر التشهُّد الأوَّل،

= وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٦٧٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٩٥) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ١٦٧) [دار المعرفة]: «رواته ثقات»، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣٦٠).

(٢) علَّقه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٨٠) [المكتبة السلفية بالقاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ]، ووصلَه: ابنُ أبي حاتم في تفسيره ـ كما في فتح الباري (٨/ ٥٣٣)، والدُّرّ المنثور للسيوطي (١٢/ ٧٢) [دار هجر، ط١، ١٤٢٤هـ] ـ، وإسماعيلُ القاضي في فضل الصَّلاة برقم (٩٥) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٧٧م]، وصحَّحه الألباني في تحقيقه لفضل الصَّلاة.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٦٨٨)، بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(٤) جلاء الأفهام (٥٣٤).

(٥) انظر: جلاء الأفهام (٣٨٠ ـ ٥٢٠)، والقول البديع للسخاوي (٣٥٦ ـ ٤٩٥).

وآخر القنوت، وكلَّما ذكر اسمه ﷺ، وفي صلاة الجنازة، وبعد إجابة المؤذن، وغير ذلك.

ـ المسألة الثانية: الصِّيغ المأثورة عن النبي ﷺ في كيفيَّة الصلاة عليه، في الصلاة وغيرها:

قد وردت في ذلك عدَّة صِيَغ صحيحة[1]؛ أصحها وأشهرها: الصيغتان اللتان علَّمهما النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، وقد اتفق على إخراجهما البخاريّ ومسلم في صحيحيهما؛ **وهما:**

الأولى: من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه؛ وهي: «اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمَّد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنَّك حميد مجيد. اللَّهُمَّ بارك على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنَّك حميد مجيد»[2].

والأخرى: من حديث أبي حميد السَّاعدي رضي الله عنه؛ وهي: «اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد وأزواجه وذريَّته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمَّد وأزواجه وذريَّته، كما باركت على آل إبراهيم؛ إنَّك حميد مجيد»[3].

والأولى التنويع بين هذه الصِّيغ الواردة؛ بأن يأتي بهذه تارة، وبغيرها أخرى؛ لئلَّا يؤدي لزوم إحدى الصيغ إلى هجر الصيغ الأخرى الثابتة، لما في ذلك من الفوائد الكثيرة التي لا يتطلَّب تحصيلها[4].

ولا يشرع الجمع والتلفيق بين هذه الألفاظ لتخرج في صيغة واحدة مجموعة منها؛ بل هو بدعة مخالف للسُّنَّة، كما هي القاعدة المتقرّرة في العبادات الواردة على وجوه متنوّعة[5].

ـ المسألة الثالثة: ما ذكره العلماء في كتب المصطلح وآداب طالب الحديث من أنَّه[6]:

ينبغي على طالب العلم والنَّاسخ

(١) جمعَها الألبانيُّ رحمه الله في كتابه: صِفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنَّك تراها (١٦٥) [مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٦)، وعندَه: **«كما صليتَ على آل إبراهيم... كما باركتَ على آل إبراهيم»**.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٦٩)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٧)، وعندَه: «وعلى أزواجه» بزيادة: (على) في الموضِعَين.

(٤) انظر هذه الفوائد في: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٤٧).

(٥) انظر الكلام على هذه القاعدة في: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢/ ٣٣٥، ٤٥٨، ٢٤/ ٢٤٢)، والفتاوى الكبرى له (٥/ ٣٣٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومنهاج السُّنَّة النبويَّة له (٦/ ١٢٦) [طبعة جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، وجلاء الأفهام (٣٧٣)، وقواعد ابن رجب (١٤) [مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٣٩١هـ]، والشرح الممتع (٢/ ٥٦، ٦٥، ٣/ ٢٩، ٩٨).

(٦) انظر مثلًا: شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٣٩) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، ورسوم التحديث في علوم الحديث للجعبري (١٢٢) [دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ]، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ٤٣، ٤٧)، وتدريب الرَّاوي للسيوطي (١/ ٥٠٣) [مكتبة الكوثر بالرياض، ط٢، ١٤١٥هـ].

ونحوهما المحافظة على كتابة الصَّلاة والتَّسليم على رسول الله ﷺ كلَّما كتبه، ولا يسأم من تكراره، وإن لم يكن في الأصل، ويُستحب التلفّظ بهما بلسانه مع ذلك أيضًا؛ فإنَّ ذلك من أكثر الفوائد التي يتعجَّلها طالب الحديث، ومن أغفل ذلك فقد حرم حظًّا عظيمًا! وأنَّه يكره الاقتصار على الصَّلاة دون التَّسليم، ويكره أيضًا اختصار الصَّلاة والسَّلام والرَّمز لهما ـ بحرف أو حرفين ـ بنحو: (صلعم)، أو: (ص)، ونحوهما، كما يفعل الكسالى وعوام الطَّلبة؛ بل يكتب الصِّيغة بكمالها. وكرهوا أيضًا فصل المضافين في سطرين، خصوصًا نحو: رسول الله ﷺ، وعبد الرحمٰن بن محمد، وما أشبهه.

الفروق:

الفرق بين الصَّلاة على النبيِّ، والسَّلام عليه، والتبريك عليه ﷺ:

تقدم أنَّ معنى صلاة الله تعالى على نبيِّه ﷺ: ثناؤه عليه عند الملائكة وتعظيمه وتكريمه.

ومعنى السَّلام عليه: دعاء الدَّاعي له بأن يسلِّمه الله ﷻ ويحصِّنه من جميع النقائص والآفات والمكاره، في حياته وبعد موته.

ومعنى البركة والتبريك عليه[1]**:** الزِّيادة من الخير والكرامة، وقيل: الثبات على ذلك، من قولهم: بركت الإبل؛ أي: ثبتت على الأرض، ومنه: بركة الماء. وقيل: التزكية والتَّطهير من العيوب كلِّها.

فالتبريك يجمع بين: الزِّيادة والدّوام والثّبات؛ فمعنى «وبارك على محمد وعلى آل محمد»: اللَّهُمَّ أثبت وأدم ذكر محمد ودعوته وشريعته، وما أعطيته من التشريف والكرامة، وضاعفه وزده، وكثِّر أتباعه وأشياعه.

فحاصله: أن يعطوا من الخير أوفاه، وأن يثبت ذلك لهم ويستمر دائمًا.

الثمرات:

ثمرات وفضائل الصَّلاة على النبيِّ ﷺ أكثر من أن تحصى ـ وكثير منها لا يثبت بدليل صحيح ـ[2]؛ ومنها: رفع الدّرجات، ومحو السّيِّئات، وصلاة الله تعالى على العبد، وأنَّها سبب لغفران الذّنوب، ونيل الرَّحمات والبركات، وكفاية الله العبد ما أهمَّه، وأنَّها سبب لقضاء الحوائج، وغير ذلك.

وتاركها متعرِّض للعقوبات الكثيرة[3]؛ ومنها: الدُّعاء بالإبعاد وحصول الشَّقاء،

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٤/ ١٢٥، ١٢٦)، والنهاية في الغريب (١/ ١٢٠)، وجلاء الأفهام (٣٥٤)، وفتح الباري (١١/ ١٦٢)، والقول البديع (٢١١).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (٥٢١ ـ ٥٣٦)، والقول البديع للسخاوي (٢٣٥ ـ ٣٠١).

(٣) انظر: القول البديع للسخاوي (٣٠٢ ـ ٣٢٢).

ووصفه بأنَّه أبخل النَّاس، وأنَّه يتحسَّر يوم القيامة، إلى غير ذلك من العقوبات والخسارات!

مذهب المخالفين:

تقدّم أن التفسير المشهور للصلاة على النبي ﷺ عند المتأخرين هو: الرحمة، وقد ردَّ طائفة من النَّاس هذا التفسير ـ وهو مردود لكن بغير هذا ـ بحجة أن الرحمة معناها: رقَّة القلب أو الطَّبع، وهذا المعنى مستحيل في حق الله تعالى! كما أنَّ الدعاء منه ﷻ مستحيل[1] و«غير معقول في حقِّ الله تعالى؛ فإنه لا يدعو له ـ يعني: لنبيّه ﷺ ـ؛ لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث!»[2].

وهذا القول حقيقته: إنكار رحمة الله تعالى جملة؛ بل إنكار جميع صفاته ﷻ! وهذه الشبهة ـ وهي خوف تمثيل وتشبيه الخالق بالمخلوقين ـ هي أصل ضلال الجهمية المعطلة، ومن تبعهم من المعتزلة، والكلَّابية، والأشاعرة، والماتريديَّة، وغيرهم. وهم يتأوَّلون الرَّحمة بإرادة لوازمها؛ كالرِّضا، وإيصال الخير والنَّفع للعبد، والمعونة، ونحو ذلك.

وهم بذلك قد وقعوا في نظير ما فرُّوا منه! فهذه اللوازم هي مما يتصف به المخلوق أيضًا، فإن كان إثباتها لله تعالى لا يقتضي تمثيلًا ولا تشبيهًا فكذلك الرَّحمة ونحوها من صفاته تعالى، وإلا لزم المحظور ووقعوا في التناقض لا محالة!

فالواجب ـ وهو المذهب الحقّ، مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وسلف الأمَّة ـ إثبات صفات الله تعالى حقيقة، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل.

أما قولهم بأنَّ الدُّعاء من الله تعالى مستحيل وغير معقول؛ فيقال[3]: الدُّعاء طلب، والطَّلب يتضمَّن أمورًا ثلاثة: طالبًا، ومطلوبًا، ومطلوبًا منه، ولا تتقوَّم حقيقته إلا بهذه الأركان الثلاثة، وتغاير هذه ظاهر إذا كان الطالب يطلب شيئًا من غيره؛ كمن يأمر غيره أو ينهاه ويستفهمه، أما إذا كان طالبًا من نفسه؛ فهنا يكون الطالب هو المطلوب منه، ولم يكن هنا إلا ركنان: طالب ومطلوب، والمطلوب منه هو الطالب نفسه. وطلب الإنسان من نفسه غير مشكل؛ لأنَّ الطلب من باب الإرادات، والمريد كما يريد من غيره أن يفعل شيئًا؛ فكذلك يريد من نفسه هو أن يفعله؛ فكذلك يطلب من نفسه،

(١) انظر: جلاء الأفهام (١٧٩).
(٢) تفسير الرازي (٢٥/١٨٣) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].
(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٦٤٢).

والإنسان قد يأمر نفسه وينهاها. فإذا كان معقولًا أنَّ الإنسان يأمر نفسه وينهاها ـ والأمر والنهي طلب، مع أنَّ فوقه آمرًا وناهيًا ـ؛ فكيف يستحيل ممَّن لا آمر فوقه ولا ناهي أن يطلب من نفسه فعل ما يحبُّه وترك ما يبغضه!؟ كما كتب ربُّنا ﷻ على نفسه الرَّحمة ونصر المؤمنين وغير ذلك، وحرَّم عليها الظُّلم وتعذيب المؤمنين وغير ذلك.

فالصَّلاة من الله تعالى على نبيِّه ﷺ طلب من نفسه له بالثناء عليه وتعظيمه وتكريمه؛ فلا يشكل عليها بما ذكر. والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع:

١ ـ «المنهاج في شُعَب الإيمان» (ج٢)، للحليمي.

٢ ـ «التمهيد» (ج١٦)، لابن عبد البر.

٣ ـ «الشفا» (ج٢)، للقاضي عياض.

٤ ـ «المحرر الوجيز» (ج٧)، لابن عطية.

٥ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١٤)، للقرطبي.

٦ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيِّم.

٧ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٦).

٨ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

٩ ـ «القول البديع»، للسخاوي.

١٠ ـ «تفسير السعدي».

الصلاح والأصلح

التعريف لغة:

الصاد واللام والحاء أصل واحد يدلّ على خلاف الفساد. يقال صلُحَ الشَّيءُ يصلُحُ صلاحًا[1]. والإصلاح: نقيض الإفساد. والاسْتِصْلاح: نقيض الاِسْتِفْسَاد. وأَصْلَح الشيء بعد فساده: أقامه. وأَصْلَحَ الدَّابَّةَ: أحسن إليها فَصَلَحَتْ[2]. والأصلح بمعنى الأفضل فيما يصلح العبد.

التعريف اصطلاحًا:

هو الاعتقاد بأن الله ﷻ يجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده[3].

الحكم:

يرى المعتزلة القدرية وجوب فعل الصلاح من الله تعالى نحو عباده، وأنه ﷻ يجب عليه أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح له في دينه، وتنازعوا في وجوب الأصلح في دنياه[4].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٣).

(٢) لسان العرب (٢/ ٥١٧) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣٠١)، والمغني في أبواب العدل والتوحيد (١٤/ ٣٥) [دار الكتب بمصر، ط١]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٩٠)

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٠ ـ ٩٣)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (١/ ٤٥٤).

الحقيقة:

إن مسألة الصلاح والأصلح أو ما يسمونه اللطف هي من دعاوى المعتزلة الفجة في كلامهم عن الله ﷻ، حيث أوجبوا عليه ذلك بمقتضى النظر العقلي، وهو قول خالفوا به أهل الإسلام قاطبة مبني على قولهم في العدل الذي اشتهر قولهم به.

قال عبد الجبار المعتزلي: «ونحن إذا وصفنا القديم تعالى بأنه عدل حكيم، فالمراد به أنه لا يفعل القبيح أو لا يختاره ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة»(١). بهذا القانون العقلي المبتدع ادَّعى المعتزلة أن الله ﷻ يجب عليه فعل الصلاح أو الأصلح لعباده جميعهم.

أقوال أهل العلم:

قال ابن حزم رحمه الله: «وضل جمهور المعتزلة في فصل من القدر ضلالًا بعيدًا فقالوا بأجمعهم ـ حاشا ضرار بن عمرو وحفصًا الفرد وبشر بن المعتمر ويسيرًا ممن اتبعهم ـ أنه ليس عند الله تعالى شيء أصلح مما أعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم، ولا عنده هدي أهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن هدىً مستويًا، وأنه ليس يقدر على شيء هو أصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين»(٢).

وقال ابن تيمية: «فالقدرية يقولون: يجب على الله رعاية الأصلح ـ أو الصلاح ـ في كل شخص معين، ويجعلون ذلك الواجب من جنس ما يجب على الإنسان. فغلطوا حيث شبهوا الله بالواحد من الناس، فيما يجب عليه ويحرم عليه، وكانوا هم مشبهة الأفعال»(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وهم مشبهة الأفعال؛ لأنهم أفعال الله تعالى على أفعال العباد، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد»(٤).

مذهب المخالفين:

المخالفون في الصلاح والأصلح على قولين:

الأول: المعتزلة، قالوا بأنه يجب على الله ﷻ فعل الصلاح لعباده، ويسميها كثير منهم بمسألة اللطف، ومن هنا يصرحون بأن الله واجب عليه أن يفعل بعباده كل ما يوصلهم إلى حسن العاقبة في الآخرة، لذا يقولون:

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣٠١).

(٢) الفصل في الملل لابن حزم (٣/ ٩٢) [مكتبة الخانج].

(٣) منهاج السُّنَّة (٦/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٠هـ].

إن الله ﷻ قد فعل بعباده كل ما يصلحهم وليس في قدرته أكثر من ذلك[(١)].

وقولهم هذا ينسجم مع موقفهم من القدر عمومًا وما يسمونه بالعدل الذي أقاموه على عدل هم يرونه ويقيسون فعل الله ﷻ بفعل خلقه، فالعدل من الخلق هو العدل من الله ﷻ وقد ذُكر كلامهم بشيء من التطويل حتى يدرك المسلم مدى ما ينحدرون إليه من الكلام عن الله ﷻ وأن تصوراتهم في القدر مبنية على نظر قاصر بل عدم التوقير لله ﷻ مع البعد عن المصدر الصحيح في كل ما يتعلق بالله ﷻ ودينه، وهو كتاب الله ﷻ وسُنَّة نبيِّه ﷺ.

ومن تأمل نصوص القرآن والسُّنَّة وجد أن كلام المعتزلة في واد وما يقرره الكتاب والسُّنَّة من الحق في واد آخر.

فقولهم إن الله لا يقدر على لطف يفعله بعباده أكثر مما فعل أو أن ما فعل هو الغاية في إصلاحهم ونحو هذه التخاريف يتعارض مع كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة]، فلا شيء يخرج عن قدرة الله ﷻ وملكه وتدبيره وتصرفه، فمن أين أتى هؤلاء المعتزلة بتلك التحديدات لقدرة الله ﷻ والتعجيز له ﷻ وهو القائل عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر].

أما في باب الهداية والدعوة للحق فقد بيَّن ﷻ أنه لو شاء لآمن الناس كلهم ولهداهم في نصوص كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس]، قال ابن جرير في بيان معنى الآية: «يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه: ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾، يا محمد ﴿رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾ بك، فصدَّقوك أنك لي رسول، وأن ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له حقٌّ، ولكن لا يشاء ذلك؛ لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولًا أنه لا يؤمن بك ولا يتّبعك

(١) انظر: شرح الأصول الخمسه للقاضي عبد الجبار ٥١٩)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٩٦) [المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ]، وغاية المرام للآمدي (٢٢٤) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة]، ومنهاج السُّنَّة (٦/٣٩٦).

فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور، إلا من سبقت له السعادةُ في الكتاب الأوّل قبل أن تخلق السماوات والأرض وما فيهن»[(١)].

فهذه آيات صريحة بأن قدرة الله ﷻ لا يحدها شيء، وأن لديه من الألطاف والقدرة ما لو أراد به لكان الناس طيفًا واحدًا، وهو الإيمان والاستقامة على الطاعة، وأن المانع من ذلك وحده هو أنه لم يشأ ذلك فجميع تلك الآيات وغيره معلقة بالمشيئة.

ومن الأدلة على بطلان كلام المعتزلة وفساده أن الله ﷻ علق الهداية بمشيئته، وهي مشيئة منضبطة بالحكمة والعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]، وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر].

فهذه النصوص التي أجمع علماء الإسلام المعتبرين فيها على أن من شاء الله ﷻ هداه ومن شاء أضلَّه، وأن من اهتدى فإن الله هو الذي هداه فضلًا منه ونعمة، ومن ضلَّ فإن الله هو الذي حرمه الهداية ولم يوفقه لها عدلًا منه.

قال الطحاوي: «يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا»[(٢)].

وقال ابن القيِّم: «وقد اتفقت كل رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية

(١) تفسير الطبري (١٥/٢١١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١٠٦) [وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»[١].

وبهذا كله يتبين أن دعوى المعتزلة في وجوب الصلاح عليه ﷻ لخلقه دعوى ليس لها ما يسندها من كلام الله ﷻ أو كلام رسوله ﷺ.

الثاني: الأشاعرة ومن وافقهم، قال الأشاعرة بما يتفق مع مذهبهم في هذا الباب، فلما قالوا بنفي الحكمة عن الله ﷻ وقالوا بنفي التحسين والتقبيح العقلي جاء قولهم هنا متفقًا مع ذلك، حيث نفوا عن الله ﷻ رعاية الصلاح، فقالوا: ندعي أنه يجوز لله تعالى أن لا يكلف عباده، وأنه يجوز أن يكلفهم ما لا يطاق، وأنه يجوز منه إيلام العباد بغير عوض وجناية؛ وأنه لا يجب رعاية الأصلح لهم، وأنه لا يجب عليه ثواب الطاعة وعقاب المعصية... وأنه لا يجب على الله بعثة الرسل[٢].

قال شيخ الاسلام: «والقدرية المجبرة الجهمية لا يثبتون له حكمة ولا رحمة؛ بل عندهم يفعل بمشيئة محضة، لا لها حكمة ولا رحمة. والجهم بن صفوان رأس هؤلاء، كان يخرج إلى المبتلين من الجذمى وغيرهم: فيقول: أرحم الراحمين يفعل هذا؟! يريد أنه ليس له رحمة»[٣].

وهذا القول يعود إلى تلك أصولهم المتعلقة بالقدر من نفي الحكمة والقول بنفي التحسين والتقبيح العقلي، لذا قالوا لا يجب على الله ﷻ شيء يتفق مع الحكمة أو لا يتفق، والحق فيما يتعلق بالحكمة وكذلك التحسين والتقبيح أن أفعال الله ﷻ تدور مع الحكمة مع أنه لا غالب له، ولا حاكم عليه، ولا موجب ومحتم عليه سبحانه من خلقه، وأن الواجب هو ما أوجبه على نفسه تفضلًا وجودًا ورحمة وتكرمًا.

قال شيخ الإسلام: «قول الجمهور: إن الله عليم حكيم رحيم، قائم بالقسط، وإنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، كما نطقت بذلك نصوص الكتاب والسُّنَّة، وكما يشهد به الاعتبار حسًّا وعقلًا، وذلك واقع منه بحكمته ورحمته، وبحكم أنه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، لا بأن الخلق يوجبون عليه ويحرمون، ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم؛ بل كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، وليس لمخلوق عليه حق، إلا ما أحقه هو على نفسه المقدسة؛ كقوله: ﴿كَتَبَ

---

(١) شفاء العليل (٦٥) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ].

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٨٩) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية (٦/ ٣٩٧) [جامعة الإمام، ط١)].

رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]، وذلك بحكم وعده وصدقه في خبره، وهذا متفق عليه بين المسلمين، وبحكم كتابه على نفسه وحكمته ورحمته»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «درء التعارض»، لابن تيمية.

٢ ـ «شرح الأصول الخمسة»، لعبد الجبار المعتزلي.

٣ ـ «المغني في مسائل العدل والتوحيد».

٤ ـ «مسألة في قول النبي ﷺ لمعاذ: «أتدري ما حق الله على العباد؟»»، لابن تيمية.

٥ ـ «منهاج السُّنَّة»، لابن تيمية.

٦ ـ «التمهيد»، للباقلاني.

٧ ـ «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لأحمد بن عبد الله بن محمد.

٨ ـ «شفاء العليل»، لابن القيِّم.

٩ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

١٠ ـ «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنَّة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمٰن المحمود.

(١) المرجع السابق (٦/ ٣٩٧).

الصمد

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الصاد والميم والدال **أصلان**: أحدهما: القَصْد، **والآخَر**: الصَّلابة في الشَّيء. فالأوَّل: الصَّمْد: القصد. يقال صَمَدْتُه صَمْدًا. وفلان مُصَمَّدٌ، إذا كان سيِّدًا يُقصَدُ إليه في الأمور. وصَمَدٌ أيضًا. والله جلَّ ثناؤه الصَّمَد؛ لأنه يَصْمِد إليه عبادُهُ بالدُّعاء والطَّلَب»[2].

وذكر الأزهري أن الصمد من أسماء الله، ثم نقل طائفة مما ذكر في معناه وخلاصته: أن (الصَّمَد) يكون بمعنى السيد الذي ينتهي إليه السؤدد في كل شيء، والمقصود الذي تتجه إليه الخلائق لقضاء حوائجها، والذي يسند إليه الأمر فلا يقضى دونه، والمُصْمَت الذي لا جوف له، والدائم الباقي بعد فناء الخلق[3].

التعريف شرعًا:

الصمد: هو «السيد الذي يصمد إليه في الحوائج»[4].

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٩) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) [دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م].

(٤) تفسير سورة الإخلاص ٣٥) [الدار السلفية، بومباي، ط١]، وانظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، والتوحيد لابن منده (٢/ ٦٢) [مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، ط١، ١٤٢٣هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي لاسم (الصمد) يلتقي تمامًا مع المعنى الشرعي بل هو بعينه.

الحكم:

يجب الإيمان باسم الله الصمد؛ لدلالة الكتاب والسُّنَّة على ثبوت تسمية الله به[١].

الحقيقة:

اسم الله (الصمد) يدل على اتصاف الله بجملة أوصاف الكمال، ونفي النقائص عنه فالصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، والسيد الذي قد كمل في سؤدده، والذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، والباقي الذي لا يفنى، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغنيّ الذي قد كمل في غناه، والجبّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد[٢].

الأدلة:

دلت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على ثبوت اسم (الصمد) لله تعالى، فمنها قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص].

وثبت في السُّنَّة الحديث القدسي من رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «**كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي: أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي؛ أن يقول: اتخذ الله ولدًا، وأنا الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفؤًا أحد**»[٣].

وجاء أيضًا من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: «سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يدعو وهو يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك، بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، قال: فقال: **والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**»[٤].

---

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٤١، و٢٨٤) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ].

(٢) جاء هذا في أثر عن ابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ]، وحسّن إسناده حكمت بشير في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٦٨١) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ].

وانظر: شأن الدعاء للخطابي (١/ ٨٥) [دار الثقافة، ط١، ١٤٠٤هـ]، والتوحيد لابن منده (٢/ ٦٢)، والفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان لابن تيمية (١٢٣) [مكتبة دار البيان، ١٤٠٥هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٣)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٥) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٧)، وأحمد =

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده: «ومن أسماء الله ﷻ: الصمد»[(١)].

وقال ابن تيمية: «والاسم (الصمد) فيه للسلف أقوال متعددة قد يُظن أنها مختلفة؛ وليس كذلك؛ بل كلها صواب. والمشهور منها **قولان**؛ **أحدهما**: أن الصمد هو الذي لا جوف له. **والثاني**: أنه السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة. والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدها في كتب التفسير المسندة وفي كتب السُّنَّة وغير ذلك»[(٢)].

وقال ابن كثير: «وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السُّنَّة له[(٣)]، بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير (الصمد): وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا ﷻ وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

يتعلق بهذا الاسم صفة الصمدية التي يدل عليها اسمه الصمد، وهي تدل على كماله التام في جميع صفاته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «واسمه الصمد ينفي أن يجوز عليه التفرق والانقسام وما في ذلك من التركيب والتجسيد، وذلك لأنه سبحانه وصف نفسه بالصمدية كما وصف بالأحدية، وهو سبحانه ليس كمثله شيء في جميع صفاته؛ بل هو كامل في جميع نعوته كمالًا لا يشبهه فيها شيء فهو كامل الصمدية كما أنه كامل الأحدية»[(٥)].

وقال أيضًا: «فإنّ الصمد هو الذي لا يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء، فخروج الخارج ولو كان كرشح المسك ينافي الصمدية التي هي من لوازم البارئ، فيكون لزوم الحدث للآكل دالًا على نفي إلهيته منْ هذه الجهة أيضًا. والصمدية هي المنافية للأكل والشرب وسائر ما يدخل ويخرج»[(٦)].

الآثار:

من آثار الإيمان باسم الله الصمد: أن

= (٣٨/٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٥/٢٢٩) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) التوحيد لابن منده (٢/٦٢).

(٢) تفسير سورة الإخلاص (٣٥) [الدار السلفية، ط١].

(٣) هو كتاب مفقود.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥٧١) [دار الفكر، بروت، ١٤٠١هـ]، وانظر: تفسير السعدي (١/٩٣٧)، وفتح الرحيم الملك العلام للسعدي (٥١) [دار ابن الجوزي، ط٢].

(٥) بيان تلبيس الجهمية (٣/٤٨٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٦) جامع المسائل (١/١١٧) [دار عالم الفوائد، ط١].

لا يتوجه العبد بحوائجه ولا يلجأ في دفع الضر إلا إلى الله، ولا يصمد إلا إليه تبارك وتعالى، فيخص الله سبحانه بالدعاء والتضرع والإنابة والخوف والرجاء والمحبة وسائر أنواع العبادة.

مذهب المخالفين:

ذهب المخالفون في هذا الباب إلى وجوب تأويل اسم الله الصمد، لاستدلال المشبهة به ـ كما زعم الرازي ـ على أن الله جسم، وذكر أن الصمد فعل بمعنى مفعول فقط؛ أي: أنه المصمود إليه في الحوائج، وأنكر تفسير الصمد بأنه الذي لا جوف له وحمل هذا التفسير على المجاز[1].

الرد عليهم:

لا شك أن هذا التأويل فاسد من وجوه عديدة يمكن اختصارها **كما يلي**:

- تناقض الرازي في كلامه على اسم الله الصمد يدل على فساد دعواه، فقد ذكر أولًا أن سورة الإخلاص بكاملها من أدلته على نفي ما سماه بالجسمية والحيز والجهة عن الله، وذكر أن السورة محكمة، وأن كل مذهب يخالفها باطل[2].

ولكن لما أراد إبطال تفسير اسم الله الصمد بأنه الذي لا جوف له، ذكر السورة ضمن المتشابه من الآيات والأخبار[3] الذي لا يحتج به في مذهبهم على الصفات، وإنما يؤول أو يفوض.

- إن تفسير اسم الله الصمد بأنه الذي لا جوف له ثابت عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وردّ ما كان كذلك باطل لا محالة.

- إن جعْل (الصمد) بوزن (فَعَل) بمعنى (مفعول) فقط غير صحيح؛ فقد يكون أيضًا (فَعَل) بمعنى (فاعل).

- صيغة (فَعَل) في الصفات قد لا تكون بمعنى المفعول بل تكون بمعنى الفاعل؛ كقولهم: أحَد وبطَل، فلم قلت: إن (فعَلا) هنا بمعنى (مفعول)؟ وهلا تكون بمعنى الفاعل، وهو الصامد المتصمد في نفسه، وإن كان ذلك يستلزم أن يكون مقصودًا لغيره، وهذا أرجح.

- إن تفسير الصمد بأنه الذي لا جوف له مع كونه هو أشهر التفاسير في هذا الاسم الحسن العظيم عن الصحابة والتابعين، وقد روي تفسيره مرفوعًا، وإن كان لا منافاة بين هذا المعنى وبين سائر المعاني التي ذكرها الصحابة والتابعون في معنى هذا الاسم، فإن الاسم ينتظم ذلك كله، فاللفظ يدل عليه دلالة ظاهرة باللغة العربية الفصيحة التي

(١) انظر: أساس التقديس للرازي (١٢٥ ـ ١٢٦) [مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي (٣٠ ـ ٣٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٠٣).

نزل بها القرآن[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى»، لعبد الله الغصن.

٣ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٣، و٧)، لابن تيمية.

٤ ـ «تفسير الطبري» (ج٣٠).

٥ ـ «تفسير سورة الإخلاص»، لابن تيمية.

٦ ـ «الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال»، لابن تيمية.

٧ ـ «شأن الدعاء» (ج١)، للخطابي.

٨ ـ «فتح الرحيم الملك العلام»، للسعدي.

٩ ـ «المناهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، لزين محمد شحاتة.

١٠ ـ «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن الحمود النجدي.

الصنع

التعريف لغة:

الصُّنع مصدر الفعل صنع يصنع صُنعًا؛ إذا عمل شيئًا ما. قال ابن فارس: «الصاد والنون والعين أصلٌ صحيح واحد، وهو عملُ الشيء صُنْعًا. وامرأة صَنَاعٌ ورجلٌ صَنَعٌ؛ إذا كانا حاذقَين فيما يصنعانه. والصَّنِيعة: ما اصطنعتَه مِنْ خير. والتصنُّع: حُسن السَّمْت. وفرسٌ صَنِيعٌ: صَنَعَه أهلُه بحُسْن القِيام عليه. والمَصانع: ما يُصنَعُ من بئرٍ وغيْرِها للسَّقي. ومن الباب: المُصانَعة، وهي كالرِّشْوة»[2].

وقال الجوهري: «الصُّنع بالضم: مصدر قولك: صنَع إليه معروفًا. وصنع به صنيعًا قبيحًا؛ أي: فعل. والصِّناعة: حرفة الصانع، وعمله الصَّنْعة. وصنعة الفرس أيضًا: حسن القيام عليه، تقول منه: صنعت فرسي صَنْعًا وصَنْعة، فهو فرس صنيع»[3].

التعريف شرعًا:

وصف الله بالصنع: يعني: الاعتراف له تعالى بالخلق والإيجاد لسائر المخلوقات على غير مثال وفق تقديره تعالى، وتصرفه فيها كيف يشاء.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنيين علاقة قوية؛ بل إن المعنى اللغوي هو المعنى الشرعي بعينه، مع التنبيه على اختلاف الصنع المضاف إلى الخالق عن الصنع

(١) انظر لهذا الوجوه: بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٨٩ ـ ٥٥٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٣١٣) [دار الجيل، ط٢].

(٣) الصحاح (٦٠٣) [دار المعرفة،، ط١، ١٤٢٦هـ].

المضاف إلى المخلوق في الحقيقة.

الأسماء الأخرى:

الخَلْق: من الأسماء الأخرى للصنع الخلْق وهو الإنشاء والإيجاد على غير مثال، فهو من الصفات الفعلية؛ لأن هناك خالقًا ومخلوقًا وخلْقًا، وهذا الأخير هو الفعل الذي وجدت به المخلوقات وهو المقصود هنا بالصفة الفعلية التي تثبت لله تعالى. وقد يطلق الخلق ويراد به المخلوقات.

الحكم:

يجب الإيمان باتصاف الله بصفة الصنع لثبوتها بالكتاب والسُّنَّة.

الحقيقة:

قال العلَّامة ابن القيِّم: «وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع، فقال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وهو منصوب على المصدر؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] يدل على الصنعة، وقيل: هو نصب على المفعولية؛ أي: انظروا صنع الله، فعلى الأول يكون (صنع الله) مصدرًا بمعنى الفعل، وعلى الثاني يكون بمعنى المصنوع المفعول؛ فإنه الذي يمكن وقوع النظر والرؤية عليه»(١).

(١) شفاء العليل (١٣٢ ـ ١٣٣) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

الأدلة:

يوصف الله عَزَّ وَجَلَّ بأنه صانع كل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وكما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»(٢).

أقوال أهل العلم:

قال أبو موسى المديني: «قوله تبارك وتعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: قوله وفعله»(٣).

وقال أبو بكر السجستاني في قول الله تعالى: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]: «أي: فعل الله عَزَّ وَجَلَّ»(٤).

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؛ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع»(٥).

المسائل المتعلقة:

يتعلق بهذا الوصف لفظ: (الصانع)

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/٦٦) [دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٥هـ]، وابن منده في التوحيد (١/٢٦٧) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ]، والحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان، رقم ٨٦) وصحَّحه، والبيهقي في القضاء والقدر (١/٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٦٣٧).

(٣) المجموع المغيث في الغريب (٢/٢٩٥) [ط١، ١٤٠٨هـ].

(٤) غريب القرآن للسجستاني (٣١٠) [دار قتيبة].

(٥) تفسير ابن كثير (٦/٢١٧) [دار طيبة، ط٢].

الذي أخذه بعض أهل العلم بالاشتقاق، من مثل قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وعدُّوه من الأسماء الحسنى[(١)]، وهذا غير صحيح؛ لأن أسماء الله توقيفية فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ولذا اشتد نكير بعض العلماء المحققين على هذا الصنيع. قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه؛ بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلَط من سماه الصَّانع عند الإطلاق؛ بل هو الفعّال لما يريد؛ فإن الإرادة والفعلَ والصُّنعَ منقسمة، ولهذا إنَّما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلًا وخبرًا»[(٢)].

الفروق:

الفرق بين الخالق وبين الصانع:

- أن الخالق اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسُّنَّة، فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر]، ومن السُّنَّة حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لو سعَّرْت، فقال: **إن الله هو الخالق القابض الباسط الرّزّاق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال**»[(٣)].

وأما الصانع فليس من أسماء الله الحسنى؛ لعدم وروده بصيغة الاسم، وإنما ورد صفة لله تعالى، والله لا يُسمَّى إلا بما سمَّى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فيوصف الله بالصنع، ويخبر عنه بأنه الصانع، ولكن لا يسمى به.

- إن اسم الخالق يدل على الكمال المطلق، بخلاف الصانع؛ فإنه منقسم إلى كمال ونقص، لذا فلا يوصف الله به بإطلاق، ولا ينفى عنه بإطلاق، وإنما يطلق عليه منه كماله كما تقدم بيانه.

مذهب المخالفين:

تقدم بيان اتصاف الله بالصنع، وتفرده

(١) انظر على سبيل المثال: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ١٧٢) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٧٤) [مكتبة السوادي، ط١].

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦٩) [مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٢٠/ ٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، والضياء في المختارة (٦/ ٣٣٧) [دار خضر، ط٣]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦). وأصل الحديث عند أبي داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١) وغيره، دون ذكر لفظة (الخالق) في متنه.

بإيجاد هذا الكون بما يحويه من بديع الصنع، وعجيب الخلق، ويطلق الصنع ويراد به الصفة؛ أي: الفعل، ويطلق أيضًا ويراد به المصنوع[(١)].

وقد تقدم بيان موقف المخالفين من أفعال الله والرد عليهم في مصطلح أفعال الله، وخلاصته: أن المخالفين من الجهمية وسائر المتكلمين لا يفرقون بين الصنع والمصنوع، لذا يجعلون الصنع عين المصنوع، وعليه فهم لا يثبتون لله الصفات الفعلية، وهذا في غاية البطلان لمخالفته الكتاب والسُّنَّة ومأثور سلف الأمة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو.
٢ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيِّم.
٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.
٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٣)، لابن تيمية.
٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيِّم.
٦ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيِّم.
٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٨)، لابن تيمية.
٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد التميمي.
٩ ـ «نهاية الإقدام»، في علم الكلام.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ١٢١)، وشفاء العليل (١٣٢ ـ ١٣٣).

الصنم

التعريف لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصاد والنون والميم كلمة واحدة لا فرع لها، وهي الصنم، وكان شيئًا يُتخذ من خشب أو فضة أو نحاس فيُعبد»[(٢)].

والصنم: واحد الأصنام، قيل: إنه معرب: شَمَنْ، ومعناه الوثن، وهو ينحت من خشب، ويصاغ من فضة، ونحاس، ويطلق الصنم: ويراد به الداهية لغة في الصلمة، وإقليم الأصنام بدمشق، وخبث الرائحة، ونحوه[(٣)].

التعريف اصطلاحًا:

الصنم: ما جعل على صورة إنسان، أو غيره، وعبد من دون الله تعالى[(٤)]، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى؛ بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له صنم[(٥)].

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٣١٤) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].
(٣) انظر: الصحاح (٥/ ١٩٦٩) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٤٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، ولسان العرب (١٥/ ٢١٣ ـ ٢١٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وترتيب القاموس المحيط (٢/ ٨٦١) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].
(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١٦) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ].
(٥) انظر: حاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم (٥٠) [ط٥، ١٤٢٤هـ].

۞ الأسماء الأخرى:

الوثن، التمثال، الند، النصب.

۞ الحكم:

عبادة الأصنام شرك أكبر مخرج من الإسلام وموجب للخلود في النار، وهذا مما هو معلوم بالدين بالضرورة.

۞ الحقيقة:

نحت شيء، وجعله على صورة ذي حياة؛ ليصرف له شيء مما اختصَّ الله به من الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات.

قال ابن القيِّم: «وضع الصنم إنما كان الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته؛ ليكون نائبًا وقائمًا مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة، أو حجرًا بيده، ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده»[(١)].

۞ الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم].

۞ أقوال أهل العلم:

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصنم: التمثال المصور، ما لم يكن صنمًا فهو وثن»[(٢)].

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن، صنمًا كان أو غير صنم»[(٣)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أعظم مكايده ـ أي: الشيطان ـ التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا إلا من لم يرد الله فتنته: ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلى حزبه وأوليائه، من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها، إلى أن عُبِد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثانًا، وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها، ثم جعلت تلك الصور أجسادًا لها ظل، ثم جعلت أصنامًا وعبدت مع الله»[(٤)].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٢٤).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٤٥) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٤) إغاثة اللهفان (١/ ٣٤٦) [دار ابن الجوزي].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: بيع الأصنام:

حرَّم الله تعالى ورسوله ﷺ بيعها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: «**إنّ الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»[(١)].

وقد بيَّن أهل العلم العلة في النهي عن بيعها، فقال ابن حجر رحمه الله: «العلة في النهي عن بيع الأصنام المبالغة في التنفير عنها، ويلحق بها في الحكم الصلبان التي تعظمها النصارى، ويحرم نحت جميع ذلك وصنعته»[(٢)].

ومن علل النهي كذلك: ما فيها من المضاهاة لخلق الله تعالى، كما في حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**»[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلّ مصوِّر في النار، يجعل له بكلّ صورة صورها نفسًا، فتعذبه في جهنم**»[(٤)].

ومن علل النهي كذلك: أنّ صناعة الصورة وبيعها واتخاذها فيه تشبه بمن كانوا يصنعون الصور والتماثيل ويعبدونها من دون الله، سواء كان مصورها وبائعها قاصدًا التشبُّه أم لا[(٥)].

ومن علل النهي أيضًا: أنّ تصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى عبادتها كما وقع لقوم نوح عليه السلام، فقد عظَّموا تلك الصور المصنوعة حتى عبدوها.

قال ابن العربي رحمه الله تعالى: «والذي أوجب النهي عن التصوير في شرعنا ـ والله أعلم ـ ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام، فكانوا يصوِّرون ويعبدون فقطع الله الذريعة وحمى الباب»[(٦)].

- المسألة الثانية: طمس الصور ومحوها وكسرها:

فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: **ألا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته**»[(٧)].

وما أمر الشرع بذلك إلا لكونه من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك، فحسم الشرع مادَّة ذلك فأمر بطمس التماثيل والصور سوء كانت مجسَّمة أو مجسمة؛ لأنّ أصل حدوث الشرك في

(١) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٣٦)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٨١).
(٢) فتح الباري (٤/٤٢٦) [دار المعرفة].
(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).
(٥) فتح الباري (١٠/٤٠٥ ـ ٤٠٦).
(٦) أحكام القرآن (٤/٩).
(٧) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٩).

بني آدم كان سببه تصوير الصالحين ثم تعظيم تلك الصور، ثم الافتتان بها وتأليهها، ثم صنع تماثيل ونُصُب على هيئتها ثم عبادتها واتخاذها أوثانًا تعبد من دون الله.

فتبيَّن بذلك أنّ ما جاءت به الشريعة من الأمر بطمس التماثيل والأصنام ما هو إلا حماية لجناب التوحيد وقطع أسباب الشرك ووسائله.

- المسألة الثالثة: تاريخ ظهور الأصنام:

ظهور الأصنام يعود إلى عصر ما قبل نبي الله نوح عليه السلام، فقد كان الناس على التوحيد بعد أبيهم آدم طيلة عشرة قرون، ثم ظهر الشرك وظهرت الأصنام، فبعث الله نوحًا ومن بعده من الرسل عليهم السلام لإرجاع الناس من عبادة الأصنام إلى عبادة ربِّ السماوات، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣][١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح] قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت»[٢].

- المسألة الرابعة: اتخاذ الأصنام في البيوت للزينة:

اتخاذها للزينة في البيوت، والأماكن المخصصة للجلوس، أو نحوها كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعظم وسائل الشرك، وذرائعه.

قال النووي رحمه الله: «وأما قوله: «**أشد عذابًا**»[٣] فقيل: هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد، وهو صانع الأصنام، ونحوها، فهذا كافر، وهو أشد عذابًا. وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث؛ من مضاهاة خلق الله تعالى، واعتقد ذلك فهو كافر، له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره. فأما من لم يقصد بها العبادة، ولا المضاهاة فهو فاسق، صاحب ذنب كبير، ولا يكفَّر كسائر المعاصي»[٤].

ومما ثبت بالأدلة الصريحة الصحيحة حرمة اتخاذ التماثيل مطلقًا؛ لأنها من جملة التصوير المنهي عنه شرعًا؛ بل إن دخول الصور المجسمة في التحريم من

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٢٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) المنهاج بشرح صحيح مسلم (١٤/ ٩١) [المطبعة المصرية، الأزهر، ط١، ١٣٤٩هـ].

باب أولى، وقد ثبت شرعًا النهي عن اتخاذ الأصنام والتماثيل في البيوت على وجه الخصوص.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير»**[(١)].

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تماثيل»**[(٢)].

ومما يدل على حرمة اتخاذ التماثيل والأصنام في البيوت للزينة[(٣)]:

١ ـ أن ذلك من أعمال الجاهلية، ومظاهر الوثنية، ففيه التشبه بأعداء الدين، وقد جاء الشرع بالنهي عن التشبه بهم.

٢ ـ أن ذلك من أعظم وسائل الشرك، وهل كان شرك قوم نوح عليه السلام إلا بوضع الصور، والتماثيل، ثم عبادتها من دون الله تعالى!؟ والشرع قد جاء بسد كل وسيلة تؤدي إلى الشرك بالله تعالى.

٣ ـ أن هذا العمل يعد من الترف، والإسراف المحرم، وإضاعة المال فيما لا فائدة منه؛ بل وضعه فيما يضر ولا ينفع، وقد نهى الشارع الحكيم عن الإسراف، وإضاعة المال.

الفروق:

الفرق بين الصنم والوثن:

اختلف أهل العلم في التفريق بين الصنم والوثن، فمنهم من لم يفرِّق بينهما بل هما سواء، ومنهم من فرَّق بينهما، فقال بعضهم: إنّ الصنم ما كان له جسم وصورة، فإن لم يكن له جسم وصورة فهو وثن.

وقال آخرون: الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت فيُعبد، والصنم هو الصورة بلا جثة، والصواب أنّ الوثن أعمّ من الصنم، فبينهما عمومٌ وخصوص وجهي، فإن كان مصورًا فهو وثن وصنم[(٤)(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام التصوير في الفقه الإسلامي»، لمحمد واصل.

٢ ـ «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان»، لابن القيِّم.

٣ ـ «التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

٤ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٢).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٥)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٦).
(٣) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد واصل (٣٢٧ ـ ٣٢٨) [جامعة الإمام، ط١٤١٧هـ].
(٤) لسان العرب (١٢/٣٤٩).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/٤٢٢).

٥ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٦ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ «معارج القبول»، للحافظ الحكمي.

١٠ ـ «قواعد ومسائل في توحيد الإلٰهية»، لعبد العزيز الريس.

الصور

يراجع مصطلح (النفخ في الصور).

الصورة (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

الصُّورة ـ بالضم ـ الهيئة والشكل، وتجمع على: صُوَر. يقول ابن فارس: «الصاد والواو والراء، كلمات كثيرة، متباينة الأصول، وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق... فكل كلمة منفردة بنفسها[1]... من ذلك الصورة صورة كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خلقته والله تعالى البارئ المصور»[2].

التعريف شرعًا:

صورة الله هي: صورة حقيقية لائقة بالله لا نعرف كنهها. الله أعلم بها[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي يلتقي مع المعنى الشرعي، ولكن المعنى الشرعي يزيد عليه فيقيده بالصورة اللائقة بالله ﷻ.

الحكم:

يجب إثبات الصورة، التي أثبتها الله لنفسه على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[4].

الحقيقة:

معنى الصورة معروف لغة، وهي في المخلوق هيئة خلقته[5]، وأما حقيقة الصورة في حق الله فهي صورة حقيقة ثابتة لله على الوجه اللائق به لا نعرف كنهها[6].

---

(١) أي: أنها ليست مترابطة، بل كل منها له ما يخصه؛ لأن أصولها متباينة.

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) [دار الجيل، ط٢]، وانظر: الصحاح (٦٠٧) [دار المعرفة، ط١، ١٤٢٦هـ]، والقاموس المحيط (٥٤٨).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ]، ومختصر الصواعق (٥٣٩) [دار الحديث، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: الشريعة للآجري (٣/ ١١٤٧) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ]، والحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ]، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥) [مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ].

(٥) مقاييس اللغة (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠)، والصحاح (٦٠٧) [دار المعرفة، ط١، ١٤٢٦هـ]، والقاموس المحيط (٥٤٨).

(٦) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٥١٥).

الأدلة:

دلت السُّنَّة النبوية على ثبوت الصورة لله، من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم»(١).

وروى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا**»(٢).

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا**»(٣).

ووجه الاستدلال بالحديث الأول والثاني ظاهر، وأما الثالث فهو أن الضمير في قوله: «على صورته» راجع إلى الله على قول أكثر أهل العلم(٤)، ففيه إثبات الصورة لله عز وجل، ومعلوم أن صفات الله لائقة به تعالى، لا تماثل صفات المخلوقين.

أقوال أهل العلم:

قال أبو القاسم الأصبهاني: «ومن مذهب أهل السُّنَّة: الإيمان بجميع ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الله تعالى كحديث: «**لا تقبِّحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته**»(٥)(٦).

وقال ابن تيمية: «ثبوت الوجه والصورة لله، قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسُّنَّة المتواترة، واتفق على ذلك سلف الأمة وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ طائفة من النصوص التي فيها إثبات صورة الله تعالى كقوله: «**فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون**»(٧) ونحو ذلك مما هو من الأحاديث التي اتفق العلماء على صحتها وثبوتها»(٨).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٩) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٢٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤١).
(٤) سيأتي ذكر من خالف في ذلك.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ: الآجري في الشريعة (٣/ ١١٥١) [دار الوطن، ط٢]، من حديث أبي هريرة، وأشار الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه إلى ثبوت معناه. انظر: الشريعة (٣/ ١١٢٨).
وأخرجه أحمد (١٢/ ٣٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧١٠)، بلفظ: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته**»، وصحَّحه ابن منده في التوحيد (٢٢٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥١٩).
(٦) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].
(٧) سبق تخريجه.
(٨) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥).

وقال ابن القيِّم ـ في معرض حديثه عما ينبغي في صفات الله ـ: «وكذلك قوله في حديث النداء: «**فيناديهم بصوت**»[(١)]، فذكر الصوت تحقيقًا لصفة النداء وتقريرًا، ولو لم يذكره لدل عليه لفظ النداء، كما لو قيل: يعلم بعلم ويقدر بقدرة ويبصر ببصر، وهذا ونحوه إنما يراد به تحقيق الصفة وإثباتها، لا تشبيه الموصوف وتمثيله، ومن هذا حديث الصورة»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: خلق آدم على صورة الله:

معناه ـ كما يقول ابن القيِّم ـ أنه «لم يرد به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق الوجه وإثبات السمع والبصر والكلام صفة ومحلًّا، والله أعلم»[(٣)].

وذهب كثير من أهل السُّنَّة إلى أن آدم خلق على صورة الله، ومما استدلوا به على ذلك الحديث المتقدم وهو قوله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»، ووجه الاستدلال أن الضمير راجع إلى الله، فيكون آدم مخلوقًا على صورة الله.

قال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته، بلا كيف»[(٤)]. ثم بعد أن ساق عددًا من الروايات في ذلك قال: «هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولِمَ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين»[(٥)].

وقال ابن بطة العكبري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته بلا كيف. قال الشيخ وكل ما جاء من هذه الأحاديث وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض على المسلمين قبولها والتصديق بها والتسليم لها وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها وصدق بها أن لا يضرب لها المقاييس ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير، لكن تمر على ما جاءت، ولا يقال فيها: لِمَ؟ ولا كيف؟؛ إيمانًا بها وتصديقًا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا كما قال المصطفى نبيِّنا بلا معارضة، ولا تكذيب ولا تنقير، ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن، وأصل الشريعة، فالطعن عليهم والرد لما نقلوه

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/٤٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٣٨) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في ظلال الجنة (١/٢٢٥) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ].

(٢) مختصر الصواعق (٢/٥١٥).

(٣) المرجع السابق (٢/٥١٥).

(٤) كتاب الشريعة للآجري (٣/١١٤٧).

(٥) المرجع السابق (٣/١١٥٣).

من هذه الأحاديث، طعن في الدين ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسيبه والمنتقم منه بما هو أهله»[(١)].

وذكر ابن تيمية أن أهل القرون الثلاثة لم يختلفوا في كون الضمير راجعًا إلى الله، وإنما وقع الخلاف في ذلك بعد أن وجدت بعض طوائف البدع، فذهب بعض علماء أهل السُّنَّة إلى أن الضمير راجع إلى غير الله فيقول: «والكلام على ذلك أن يقال: هذا الحديث[(٢)] لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك، ولكن كان من العلماء في القرن الثالث من يكره روايته، ويروي بعضه، كما يكره رواية بعض الأحاديث لمن يخاف أن[(٣)] يفسد عقله ودينه، وإن كان مع ذلك لا يرون كتمان ما جاء به الرسول ﷺ مطلقًا؛ بل لا بد أن يبلغوه حيث يصلح ذلك ولهذا اتفقت الأمة على تبليغه وتصديقه. وإنما دخلت الشبهة في الحديث لتفريق ألفاظه»[(٤)]. ثم ذكر أن كثيرًا من الفقهاء من جهة، وعامة أهل الأصول والكلام من جهة أخرى صار كل منهم يأخذ من ألفاظ الحديث الجانب الذي يهمه في مجاله، ثم قال: «ولكن ظهر[(٥)] لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة، جعل طائفة الضمير فيه عائدًا إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسُّنَّة في عامة أمورهم؛ كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السُّنَّة»[(٦)].

وذهب بعض علماء السُّنَّة إلى أن الضمير في الحديث عائد إلى غير الله، ومنهم ـ كما ذكر شيخ الإسلام ـ أبو ثور، وابن خزيمة، وغيرهما.

قال ابن خزيمة: «توهم بعض من لم يتحرَّ العلم أن قوله: «**على صورته**» يريد صورة الرحمٰن ﷻ، عن أن يكون هذا معنى الخبر؛ بل معنى قوله: «**خلق آدم على صورته**» الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب والذي قبح وجهه فزجر أن يقول: «ووجه من أشبه وجهك»؛ لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه، فإذا قال

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/ ٢٤٤) [دار الراية، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٢) يعني: الحديث الثالث من الأدلة السابقة.

(٣) هنا وضع المحقق في المتن بين قوسين جملة (نفسه و) والمعنى: بدون هذا أوضح، والله أعلم.

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥).

(٥) أي: تأويل الحديث، كما ذكر المعلق.

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

الشاتم لبعض بني آدم: قبَّح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحًا وجه آدم صلوات الله عليه وسلامه، الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال»[١].

وأما الأمر الثاني وهو المتعلق ببعض الروايات المصرحة بأن الله خلق آدم على صورة الرحمٰن، فقد اختلف أهل العلم في تصحيحها وتضعيفها[٢].

ولا شك أن إثبات الصورة لله لا يدل على التشبيه الذي خشيه الإمام ابن خزيمة، ولا يلزم منه ذلك؛ لأن الصورة هي كبقية صفات الله الثابتة له على الوجه اللائق به، فلا محذور على الإطلاق في إثباتها لله؛ لأن كل قائم بنفسه له صورة تليق به، وعليه فلا داعيَ لصرف الحديث عن ظاهره.

قال ابن قتيبة: «والذي عندي والله تعالى أعلم، أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد»[٣].

- **المسألة الثانية: معنى حديث: «إن الله يتراءى لعباده المؤمنين يوم القيامة في غير صورته، فيقولون: نعوذ بالله منك، ثم يتراءى في صورته التي يعرفونها فيعرفونه فيتبعونه»**[٤]:

أما معناه: فهو أن الله سبحانه يأتي المؤمنين يوم في صورة مختلفة عن الصورة التي رأوه فيها في أول مرة في العرصات، ولذا يستعيذون بالله منه ثم يأتيهم في الصورة التي عرفوه عليها من قبل فيعرفونه ويتبعونه.

وقد ذكر الدارمي في رده على المريسي أن صورة الله لا تتغير ولا تتبدل، وإنما المراد أنه يمثل في أعينهم، فيحسبون أن الصورة مختلفة عن الصورة التي يعرفونها بالأوصاف التي وصف الله بها نفسه في الدنيا، وذكر أن هذا التمثيل هو كما قلَّل الله المؤمنين في غزوة بدر في أعين المشركين، وقلَّل المشركين في أعين المؤمنين، ونحو ذلك وتعقبه ابن

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٤ ـ ٨٥) [مكتبة الرشد، ط٥، ١٤١٤هـ].

(٢) رويت هذه اللفظة في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، واختلف أهل العلم في ثبوتها. انظر: كلام الشيخ حماد الأنصاري في مقال له بعنوان: «تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمٰن»، أورده بكامله الشيخ علي الفقيهي ضمن تعليقاته على كتاب الصفات للدارقطني (٥٨)، وكلام الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٣١٦ ـ ٣٢٢).

(٣) تأويل مختلف الحديث (٢٢١) [دار الجيل ١٣٩٣هـ].

(٤) أخرجه بمعناه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

تيمية في هذا ورده من وجوه عديدة، **من أبرزها:**

الأول: أن قوله في الحديث الذي ذكره الدارمي «في صورته التي يعرفونها» يفسره حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وفيه: «**فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة**»[1]، فالحديث نصَّ على رؤية سابقة، وليس أنها حاصلة بما وصف الله لهم ذاته في الدنيا.

الثاني: أن ما ذكره الدارمي من أنه: «لا يتحول من صورة إلى صورة ولكن يمثل ذلك في أعينهم» يرده ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري: «فيرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة»[2].

الثالث: أنه جاء في بعض الأحاديث: كحديث أبي سعيد، وفيه: «هل بينكم وبينه علامة؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه فيسجدون له»[3]، وهذا يبين أنهم لم يعرفوه بالصفة التي وصف لهم في الدنيا؛ بل بآية وعلامة عرفوها في الموقف.

الرابع: أن التمثيل في الأعين إذا قصد فإنه كان مقيدًا بالرائي لا بالمرئي، لا يقال جاء فلان في صورة كذا ثم تحول في صورة كذا ويكون التصوير في عين الرائي فقط هذا لا يقال في مثل هذا أصلًا[4].

مذهب المخالفين:

ذهب المخالفون إلى نفي الصورة عن الله تعالى، وذكروا أن الواجب على المسلم أن يعتقد بأن الله ليس بذي صورة ولا هيئة؛ لأن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية، وصرفوا ظاهر حديث: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»[5] وما في معناه عن ظاهره إلى معان أخرى بتأويلات شتى؛ حيث جعل بعضهم إضافة الصورة إلى الله من إضافة الملك والخلق إلى مالكه وخالقه، وأوَّلها بعضهم **بوجهين؛** **أحدهما:** أن تكون بمعنى الصفة كقول القائل صورة هذا الأمر كذا وكذا يريد صفته وهيئته، **والثاني:** أن ذكر الصورة جاء لأجل مطابقة آخر الكلام لأوله، حيث ذكرت في أول الحديث معبودات من دون الله وهي كلها صور وأجسام، ولما عطف عليها ذكر الله، ورد لفظ الصورة، إلى غير ذلك من التأويلات المتعسفة[6].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٣).

(٣) أخرجه بنحوه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٩).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٧/ ١٤١ ـ ١٤٦).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٧٠) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٦٣) [مكتبة الرشد، ط٢]، =

الرد عليهم:

لا شك أن نفي الصورة عن الله في غاية البطلان لمصادمته ظاهرة الأدلة الصحيحة الصريحة المتواترة[1]، منها حديث: «**فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون**»[2] وغيره كما تقدم.

ولمصادمته أيضًا: إجماع السلف الصالح أهل القرون المفضلة[3].

وأما التأويلات التي ذكروها فكلها فاسدة لأمور؛ **منها**:

الأمر الأول: أن إثبات الصورة لله هو على وجه لا يماثل فيه المخلوقين على ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وعليه فهذا الإثبات لا يقتضي تكييفًا ولا تشبيهًا بالمخلوقين كما توهموه[4].

الأمر الثاني: أن تلك التأويلات التي صرفوا بها النصوص عن ظاهرها خالية عن الحجة والبرهان، وما كان كذلك فهو فاسد؛ لأن هذا قول على الله بلا علم وهو حرام[5]، ثم إن الأصل إبقاء دلالة النصوص على ظاهرها ولا يجوز الخروج عن هذا الأصل إلا بدليل ولا دليل عند المخالفين هنا.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦، ٧)، لابن تيمية.

٢ ـ «تأويل مختلف»، لابن قتيبة الدينوري.

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج٢)، لأبي القاسم الأصبهاني.

٤ ـ «الصفات»، للدارقطني.

٥ ـ «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمٰن»، لحمود بن عبد الله التويجري.

٦ ـ كتاب «التوحيد» (ج١)، لابن خزيمة.

٧ ـ كتاب «الشريعة» (ج٣)، للآجري.

٨ ـ «المختار في أصول السُّنَّة»، لابن البنا الحلبي.

٩ ـ «المسائل العقدية المتعلقة بآدم» (ج١)، لألطاف الرحمٰن بن ثناء الله.

١٠ ـ «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّ وَجَلَّ من التوحيد» (ج١)، للدارمي.

= ومشكل الحديث لابن فورك (٤١٥) [عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م]، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢/٣٢٣) [المكتبة العتيقة، ودار التراث].

(١) صرح بتواترها شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٣ ـ ٣٧٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٣ ـ ٣٧٥).

(٤) انظر: مختصر الصواعق (٢/٥١٥).

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٢٩٧ ـ ٢٩٨).

ابن صَيّاد

التعريف اصطلاحًا:

ابن صيّاد كاهن من الكهّان ظهر في زمن النبي ﷺ، وقد ظن بعض الصحابة أنه الدجّال، وتوقف النبي ﷺ في أمره، حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال؛ لكنه كان من جنس الكهان[1].

الحكم:

خبر ابن صيّاد ثابت كما دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة، وأنه ظهر في زمن النبي ﷺ، وأنه كان كاهنًا من الكهان.

الحقيقة:

عبد الله بن صيّاد، أو ابن صائد، وسُمّي بهما في الأحاديث، واسمه: صافٍ قبل إسلامه، ثم تسمّى لما أسلم: بعبد الله. كان صغيرًا عند قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، لا يُدْرى من أي قبيلة، قيل: إنه من يهود المدينة، وقيل: من الأنصار، لم يكن مسلمًا في حياة النبي ﷺ، أما إسلامه فكان بعد وفاة النبي ﷺ، يدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه أن ابن صيّاد قال: «ما لي ولكم يا أصحاب محمد؟ ألم يقل نبي الله ﷺ إنه ـ يعني: الدجال ـ يهودي، وقد أسلمت»، وفي لفظ: «أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو كافر وأنا مسلم؟ أَوَليس قد قال رسول الله ﷺ: **لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟**»[2].

كان ابنه عمارة من خيار المسلمين، ومن سادات التابعين، من أصحاب سعيد بن المسيب، روى عنه الإمام مالك وغيره[3].

قال ابن حجر رحمه الله: «وفي الجملة فلا معنى لذكر ابن صيّاد في الصحابة؛ لأنه إن كان الدجّال فليس بصحابي قطعًا؛ لأنه يموت كافرًا، وإن كان غيره فهو حال لقيّه النبي ﷺ لم يكن مسلمًا»[4]؛ لكنه أسلم بعد وفاة النبي ﷺ، قال عنه الذهبي: «تابعي له رؤية»[5].

الأدلة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبل ابن صيّاد، حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أُطُم بني مغالة، وقد قارب ابن صيّاد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده،

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (٢٣٠) [مكتبة دار المنهاج، ط٢، ١٤٣١هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٢٧).

(٣) ينظر: النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢٨) [دار النصر، ط١]، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٨٠) [دار هجر، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) الإصابة (٨/ ٢٨٤).

(٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣١٩) [دار المعرفة].

ثم قال رسول الله ﷺ لابن صيّاد: «**أتشهد أني رسول الله؟**» فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين. فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله ﷺ، وقال: «**آمنت بالله وبرسله**»، ثم قال له رسول الله ﷺ: «**ماذا ترى؟**» قال ابن صيّاد: يأتيني صادق وكذاب. فقال له رسول الله ﷺ: «**خلط عليك الأمر**»، ثم قال له رسول الله ﷺ: «**إني قد خبّأت لك خبيئًا**». فقال ابن صياد: هو الدُّخ. فقال له رسول الله ﷺ: «**اخسأ فلن تعدو قدْرَك**». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ذرني يا رسول الله أضربْ عنقه. فقال له رسول الله ﷺ: «**إن يكنْه فلن تسلَّط عليه؛ وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله**»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خرجنا حجاجًا أو عُمّارًا ومعنا ابن صائد، قال: فنزلنا منزلًا فتفرق الناس، وبقيت أنا وهو، فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه. قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال: ففعل. قال: فرُفعت لنا غنم، فانطلق فجاء بعسّ، فقال: اشرب أبا سعيد. فقلت: إن الحر شديد، واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده ـ أو قال: آخذ عن يده ـ. فقال: أبا سعيد لقد هممت أن آخذ حبلًا فأعلقه بشجرة، ثم أختنق مما يقول لي الناس. يا أبا سعيد! من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار؛ ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو كافر وأنا مسلم؟ أَوَليس قد قال رسول الله ﷺ: هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أَوَليس قد قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟**» قال أبو سعيد الخدري: حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إني لأعرفه، وأعرف مولده، وأين هو الآن. قال: قلت له: تبًّا لك سائر اليوم»[2].

المسائل المتعلقة:

قيل: إن ابن صيّاد هو المسيح الدجال، وقيل: إنه دجال من الدجاجلة الكذابين الذين أنذر بهم النبي ﷺ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين، كلُّهم يزعم أنه رسول الله**»[3]، وليس هو

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٤)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٠٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٥٧).

الدجال الأعور الذي يخرج في آخر الزمان، وهو الصحيح، وإلى هذا ذهب الطحاوي[(١)]، والبيهقي[(٢)]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]، وابن كثير، وابن حجر الهيتمي[(٤)]، والبزرنجي[(٥)]، والسفاريني، والغماري[(٦)] وغيرهم. قال ابن كثير: «قد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صيّاد، وأن ابن صيّاد كان دجالًا من الدجاجلة، ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسيرته»[(٧)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة»، لابن حجر.

٢ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٣ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٨)، لابن حجر.

٤ ـ «إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان»، لعبد الله بن محمد الغماري.

٥ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج٨)، للقاضي عياض.

٦ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٧ ـ «شرح مشكل الآثار» (ج٧)، للطحاوي.

٨ ـ «فتح الباري» (ج١٣)، لابن حجر.

٩ ـ «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.

١٠ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج٢)، للسّفاريني.

١١ ـ «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج١)، لابن كثير.

(١) ينظر: شرح مشكل الآثار (٧/٣٨٣ ـ ٣٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) فتح الباري (١٣/٣٣٨) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ].

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (٢٣٠) [مكتبة دار المنهاج، ط٢، ١٤٣١هـ].

(٤) ينظر: الفتاوى الحديثية (٢٩٣) [مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٣، ١٤٠٩هـ].

(٥) ينظر: الإشاعة لأشراط الساعة (٢٩٤) [دار المنهاج، ط١، ١٤١٧هـ].

(٦) ينظر: إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان (٤٦) [عالم الكتب، ط٣، ١٤١٠هـ].

(٧) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢٨).



الضحك (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الضاد والحاء والكاف قريب من الباب الذي قبله، وهو دليل الانكشاف والبروز. من ذلك الضَّحِك، ضَحِك الإنسان. ويقال أيضًا: الضَّحْك، والأول أفصح. قال ابن دريد: الضاحك حجر شديد البريق يبدو في الجبل، أيَّ لون كان. ويقال في باب الضَّحِك: الأضحوكة ما يُضْحِك منه، ورجل ضُحْكة: يُضْحَك منه. وضُحَكة: يكثر الضحك. فأما الضَّحْك فيقال: إنه العسل. وينشد:

فجاء بمزج لم ير الناس مثله
هو الضَّحْك إلا أنه عمل النحل»[(١)]

فالضَّحِك إذن هو مصدر الفعل: ضَحِكَ يَضْحَك ضَحْكًا وضِحْكًا وضِحِكًا وضَحِكًا، وهو دليل الانكشاف والبروز، من ذلك ضحك الإنسان، وهو انْبِساطُ الوَجْهِ وبُدُوُّ الأَسنانِ من السرُورِ، ومنه سميت الضاحكة: وهي السن التي تلي الناب، والجمع ضواحك؛ لبروزها عند الضحك، والضَّحوك: الطريق الواضح، ويُستَعْمَلُ الضحك أيضًا في السُّرُور المُجَرَّدِ، والضاحك: حجر شديد البريق يبدو في الجبل، أي لون كان[(٢)].

التعريف شرعًا:

الضحك: هو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى يتضمن الإحسان والإنعام. قال ابن تيمية: «فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلًا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال»[(٣)].

وقال ابن عثيمين: «فسره أهل السُّنَّة

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٥٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١]، والصحاح (٦١٦) [دار المعرفة، ط١، ١٤٢٦هـ]، وتاج العروس (٢٧/ ٢٤٩) [دار الهداية]، والقاموس المحيط (٩٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط٨]، والمصباح المنير (٢/ ٣٥٨) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٦٩) [لجنة التراث العربي].
ويعني بذلك قول أبي رزين: «لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا»، أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٨١)، وأحمد (٢٦/ ١٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده ضعيف، لكن له طريق آخر حسَّنه به الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨١٠).

والجماعة بأنه: ضحك حقيقي يليق بالله»[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي للضحك هو مفهومه الشرعي. مع التنبيه على أن الشرع قيد المعنى المتعلق بالله، فجعله معنى خاصًّا بالله يليق بجلاله وعظمته لا نعرف كيفيته. وعليه فإن المعنى اللغوي أعم من المعنى الشرعي.

الحكم:

يجب الإيمان باتصاف الله بصفة الضحك التي أثبتها له أعرف الخلق به ﷺ على الوجه اللائق بالله[(٢)].

الحقيقة:

الضحك هو المعنى الذي يعرفه الناس من اللغة، فيضحك الله تعالى كما يشاء على ما يليق بجلاله وعظمته[(٣)].

الأدلة:

دلت السُّنَّة النبوية دلالة صريحة، على ثبوت صفة الضحك لله ﷻ، **وفيما يلي ذكر طائفة منها:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»[(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في حديث طويل: «فيقول: يابن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت ربّ العالمين؟ فضحك ابن مسعود رضي الله عنه فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: **من ضحك ربِّ العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت ربّ العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر**»[(٥)].

وعن حديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلًا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: **من يضم أو يضيف هذا؟** فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٢٨٦) [دار الوطن ودار الثريا، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٢٧ ـ ٣٣٠) [مجمع الملك فهد، ط١]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٢١ ـ ١٢٢)، ومجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ١٩٧).

(٣) نقض الدارمي على المريسي (٢/ ٧٨٠) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٨هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٢٦)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٩٠).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٧).

قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُرِيانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر]»[(١)].

أقوال أهل العلم:

وضّح أهل العلم ثبوت صفة الضحك لله كما يليق بجلاله وعظمته، وقاموا بالذبِّ عنها، ورد المفاهيم الخاطئة فيها، **وفيما يلي أذكر جملة منها:**

قال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ بلا صفة تصف ضحكه جلَّ ثناؤه، لا، ولا يشبَّه ضحكه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك؛ بل نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جلَّ وعلا؛ إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ، مصدقون بذلك بقلوبنا، منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه»[(٢)].

وقال الآجري تحت «باب الإيمان بأن الله ﷻ يضحك»: «اعلموا وفقنا الله وإياكم إلى الرشاد من القول والعمل، أن أهل الحق يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه ﷻ، وبما وصفه به رسول الله ﷺ وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم. وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به: أن الله ﷻ يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم»[(٣)].

وقال ابن تيمية معلقًا على سؤال أبي رزين للنبي ﷺ في الحديث السابق: «فجعل الأعرابي العاقل ـ بصحة فطرته ـ ضحكه دليلًا على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال»[(٤)].

الآثار:

الإيمان بصفة الضحك يبعث في النفس الرجاء من الله كل خير، وعدم القنوط واليأس من رحمة الله، فيسعى إلى فعل الحسنات والإكثار من الطاعات، فعن أبي رزين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ضحك ربنا ﷻ من قنوط عباده وقرب غيره**، فقلت: يا

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٩٨).
(٢) التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٦٣) [مكتبة الرشد، ط٥].

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ٢٠٥٢) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].
(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ١٢١)، ولابن القيم كلام لطيف في بيان كون ضحك الله مقرونًا بالرضا، انظره في: مدارج السالكين (١/ ٢١٦) [دار الكتاب العربي، ط٢].

رسول الله ﷺ، ويضحك الرب تبارك وتعالى؟ فقال: رسول الله ﷺ: **نعم**. فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا»[(١)].

فانظر إلى هذا الصحابي كيف قوي رجاؤه من الله واستبشر خيرًا لما علم أن ربه يضحك، وجعل هذا الضحك دليلًا على إحسان الرب تبارك وتعالى على عباده[(٢)].

مذهب المخالفين:

الواجب في صفات الله ﷻ إثباتها لله كما وردت في النصوص مع الإقرار بلوازمها الصحيحة ومضامينها الحقة اللائقة بالله ﷻ، وقد ذهب المخالفون كالجهمية والمعتزلة إلى نفي هذه الصفة[(٣)]، وتبعهم على ذلك الأشاعرة والماتريدية فأوَّلوها بلوازمها كالرضا والعطاء ونحو ذلك من التأويلات[(٤)].

الرد عليهم:

لا شك أن هذه التأويلات باطلة لما يلي:

- أنها مخالفة لظاهر النصوص اللائق بالله من غير دليل صحيح صريح.

- أن تأويل الضحك بلوازمه كالرضا والعطاء ونحوهما بدعوى أن الضحك في حق الله محال، هو تقديم للعقل - أي: غير السليم - على النقل الصحيح، وهو باطل؛ لأن الله أمرنا باتباع الشرع دون قيد أو شرط كما هو معلوم من دلالة الكتاب والسُّنَّة.

- أن الله أثبت لنفسه صفة الرضا في أكثر من موطن من كتابه الكريم، وعلى لسان نبيّه ﷺ في غير حديث، فحمل صفة على أخرى هو تعطيل لإحدى الصفتين عن الله وهو باطل.

- إن مما يدل على فساد صنيع هؤلاء المؤولة هذا، اضطرابهم تجاه صفات الله تعالى اضطرابًا شديدًا؛ لأنهم حينما يؤوِّلون صفة الضحك بالرضا ونحوه، فإنهم لا يسلمون للنصوص الدالة على صفة الرضا لله تعالى، وإنما يلجؤون إلى تأويلها أيضًا؛ لأن اتصاف الله بالصفات الاختيارية الذي يسمونه بحلول الحوادث هو غير لائق بالله في زعمهم، فتوصلوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٨١)، وأحمد (١٠٦/٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطيالسي في مسنده (٤١٧/٢) [دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ]، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢٦/ ١٢١)، وحسَّنه ابنُ تيمية في العقيدة الواسطية (٢٠) [طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، ط٢، ١٤١٢هـ]، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٣٢/٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢١/٦).

(٣) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٣/٢) [دار المدني].

(٤) انظر: أساس التقديس (١٨٩) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/٦٨ - ٦٩)، والرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال لابن تيمية (٥) [المؤسسة السعودية، القاهرة، ١٤٠٣هـ]، والماتريدية دراسة وتقويمًا (٣٠٥، ٣١١).

بهذا وأمثاله إلى نفي الصفات عن الله.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦)، لابن تيمة.

٢ ـ «الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال»، لابن تيمية.

٣ ـ «الشريعة» (ج٢)، للآجري.

٤ ـ كتاب «التوحيد» (ج٢)، لابن خزيمة.

٥ ـ كتاب «التوحيد» (ج٣)، لابن منده.

٦ ـ كتاب «الصفات»، للدارقطني.

٧ ـ «مجموعة الرسائل والمسائل» (ج٥)، لابن تيمية.

٨ ـ «النبوات» (ج١)، لابن تيمية.

٩ ـ «نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد» (ج٢)، للدارمي.

ضغطة القبر

التعريف لغة:

الضاد والغين والطاء أصل صحيح واحد يدل على مزاحمة[1].

والضغط: العصر، وضغطه يضغطه ضغطًا: زحمه إلى حائط ونحوه، ومنه: ضغطة القبر، والضُّغْطَةُ: الشدة والمشقة[2].

والقبر: مدفن الإنسان، وجمعه: قبور[3].

التعريف شرعًا:

ضم القبر للميت، فإن كان مؤمنًا ضُمّ ضمة وأفلت، وإن كان منافقًا أو كافرًا ضغط وعصر حتى تختلف أضلاعه، وهو عليها إلى يوم البعث.

قال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون، ويسئلون، ويثبت الله منطق من أحب تثبيته»[4].

سبب التسمية:

موافقة لحقيقة الأمر.

الحكم:

الإيمان بالضغطة واجب كسائر مفردات البرزخ، وتكون للكافر والمنافق بعد عرض المقعد الذي يسبقه الإجلاس والسؤال، وأما المؤمن فلم تبين النصوص وقتها.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٨٥).

(٢) انظر: الصحاح (٤/ ٢٧٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (٨٧٣) [دار الفكر، ط٣].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ١١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (١/ ٥٩٠).

(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥).

۞ الحقيقة:

الاعتقاد بأنها حق، وإنها ضغطة حقيقية كما دلَّت عليها النصوص، أما الكافر والمنافق «فيضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»[(١)]، ومما جاء في المؤمن: «إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها نجا سعد بن معاذ»[(٢)].

۞ المنزلة:

أحد مفردات البرزخ.

۞ الأدلة:

من أدلة إثبات ضغطة القبر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. فإن الكافر بعدما يفتن ـ كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة ـ «يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها، فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته، فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]»[(٣)].

ومما جاء في ضغطة الكافر: حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال: «**وإن الكافر**». فذكر موته، قال: «**وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار**». قال: «**فيأتيه من حرّها وسمومها**». قال: «**ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**»[(٤)].

ومما جاء في ضغطة المنافق: حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَرُ، والآخر النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا**

---

(١) سيأتي تخريجه ضمن الأدلة.

(٢) سيأتي تخريجه ضمن الأدلة.

(٣) أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٣)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٤٠٣) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣) واللفظ له، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٣٠/ ٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦١٩)، و(٣/ ٩٠١) [المكتب الإسلامي، ط١٤٠٩هـ].

نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»(١).

ومما جاء في ضغطة المؤمن: قوله ﷺ - كما في حديث عائشة رضي الله عنها -: «**إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها نجا سعد بن معاذ**»(٢).

ومما جاء في ضغطة الصغير: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي**»(٣)(٤).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد: «والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأُمَّة تُفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه ومن نبيه»(٥).

وقال أبو حاتم الرازي: «ونؤمن بعذاب القبر، ونؤمن بالمسألة في القبر وبالكرام الكاتبين...»(٦).

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون، ويسألون، ويثبت الله منطق من أحب تثبيته»(٧).

وقال محمد صدِّيق حسن خان: «يجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي بعد الموت فيؤمن بفتنة القبر، وعذابه

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسَّنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوَّد إسناده الألباني في الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد (٩/٣١٦) [دار طيبة، ط١، ١٤١٢هـ] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٦٥) [دار الفكر، ط١٤١٣هـ]: «رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة، وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح»، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٢٦٨) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٦هـ]: «الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب».

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/١٢١) [مطبعة الوطن العربي، ط١، ١٤٠٠هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٤٧) [مكتبة القدسي]: «رجاله رجال الصحيح»، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/١٩٥).

(٤) دلت النصوص الآنفة على عموم ضغطة القبر للصالح والطالح، إلا أنه يجب التفريق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر والمنافق، فالكافر والمنافق تختلف أضلاعه بالضغطة، وهي مستمرة إلى يوم القيامة، أما المؤمن فلم يصح في اختلاف أضلاعه حديث، وهي ضغطة مؤقتة، فهي تختلف عن ضغطة الكافر كمًّا وكيفًا، ولا تصح التسوية بين الفريقين.

(٥) انظر: شرح اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (١/١٥٨).

(٦) انظر: المرجع السابق (١/١٨١).

(٧) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥).

ونعيمه»[1].

المسائل المتعلقة:

ظاهر النصوص عموم الضغطة لكل أحد، إلا أن بعض العلماء قال باستثناء الأنبياء من ذلك، قال الحكيم الترمذي: «وأما الأنبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالًا؛ لعصمتهم»[2].

وقال المناوي: «ضغطة القبر لا ينجو منها أحد صالح ولا غيره، لكن خصَّ منه الأنبياء»[3].

الآثار:

ضغطة القبر إحدى الأسباب التي تندفع بها العقوبة الأخروية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الذنوب مطلقًا من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... السبب الثامن: ما يُبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين»[4].

مذهب المخالفين:

كل من أنكر عذاب القبر فهو منكر لمفرداته ومنها الضغطة، والجواب عليهم واحد وقد تقدم ذكر ذلك عند الكلام على منكري عذاب القبر.

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيِّم.
٢ ـ «أهوال القبور»، لابن رجب.
٣ ـ «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.
٤ ـ «رسائل الآخرة» (ج١)، للعبيدي.
٥ ـ «شرح اعتقاد أهل السُّنَّة»، للالكائي.
٦ ـ «شرح الصدور»، للسيوطي.
٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لابن أبي العز.
٨ ـ «فيض القدير» (ج٢)، للمناوي.
٩ ـ «قطف الثمر»، لمحمد صدِّيق حسن خان.
١٠ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج٢)، للسفاريني.

الضلال

التعريف لغة:

الضلال: من ضل؛ قال ابن فارس: «الضاد واللام أصل صحيح يدلّ على معنىً واحد، وهو ضياع الشيء وذهابُه في غير حقِّه. يقال: ضَلَّ يَضِلّ ويَضَلّ، لغتان. وكلُّ جائرٍ عن القصد ضالٌّ. والضَّلالُ والضَّلالةُ: ضدُّ الهُدى والرَّشاد، ضَلَلْتَ تَضِلُّ وضَلِلْتَ تَضَلُّ ضَلالًا وضَلالةً؛

---

(١) انظر: قطف الثمر (١٢١).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٤) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ].
(٣) فيض القدير (٥/٣٢٦).
(٤) منهاج السُّنَّة (٦/٢٠٥ ـ ٢٣٨) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ].

بمعنىً. ورجلٌ ضِلِّيل ومُضلَّل؛ إذا كان صاحبَ ضَلَالٍ وباطل»[١].

التعريف شرعًا:

الضلال: هو العدول عن طريق الحق بلا علم، وهو ضد الاهتداء[٢].

الأسماء الأخرى:

يرادف الضلال في الشرع عدة مسميات، هي:

الختم، والطبع، والأكنّة، والغطاء، والغلاف، والوقر، والغشاوة، والران، والغل، والقفل، والإغفال، والمرض، وتقليب الأفئدة.

الحكم:

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه؛ مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله[٣].

الحقيقة:

هو أنّ الله تعالى خصَّ المؤمنين بنعمة يهتدون بها لم يعطها للكافرين[٤]، وأنّ الله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فيضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن من أضلَّه الله فبعدله لا يظلم الله ﷻ أحدًا شيئًا، فالهدى والإضلال بيد الله لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، والهداية والإضلال فعل الله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه. ومع اعتقاد أن الهدى والضلال بيد الله ﷻ لا بدَّ للمسلم أن يعلم أن العبد هو الذي يفعل الضلال ويكتسبه بيده، وقد حذر الله من مسالك الضلال كلها ودل على طرق الخير كلها، وليس لأحد على الله حجة؛ بل الحجة لله على خلقه، فقد أعطى الله ﷻ كل واحد منا العقل الذي يفهم به الخطاب ويميز به الخير من الشر، والإرادة والقدرة التي يفعل بها أو لا يفعل، ثم أرسل الرسل وأنزل الكتب ودعا إلى الهدى وأبان الطريق ووضحه وحذر من مسالك الشيطان ومداخله، فإذا أحد ركب الغواية وأهلك نفسه بأودية الضلالة فلا يلومن إلا نفسه، ولا يحمل انحرافه وضلاله على ربه فليس له حجة كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، وانظر: لسان العرب (١١/ ٣٩٠) [دار صادر، ط٣)].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ١٠٩) [مجمع الفلك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩).

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ١٠٣).

المنزلة:

الضلال عن الهدى أعظم خسارة يُبتلى بها البشر، قال ابن القيِّم رحمه الله: «فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجلّ ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال»(١).

وكلما كانت الضلالة أكبر كانت الخسارة أعظم، لهذا كانت النجاة من الضلالة والفوز بالهدى أشرف المسائل وأعظمها، وقد ضمنها الله عز وجل أعظم سورة في القرآن الكريم، وهي سورة الفاتحة، حيث تضمنت سؤال الله عز وجل الهداية والاستعاذة من طرق أهل الغواية والضلالة، قال جل وعلا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة]، فمن تحققت له الهداية للصراط المستقيم فقد تحقق له النجاح والفوز في الدنيا والآخرة، ومن ضلَّ عنه إلى طريق المغضوب عليهم أو الضالِّين فقد خسر دنياه وأخراه وباء بالعذاب الأليم.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ﴾ [الإسراء].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: «**من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله**»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة: إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...»(٣).

أقوال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله: «الهداية والإضلال

(١) شفاء العليل (١/ ٦٥) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب النكاح، رقم ٢١١٨)، والترمذي (أبواب النكاح، رقم ١١٠٥) وحسَّنه، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٤٠٤)، وابن ماجه (كتاب النكاح، رقم ١٨٩٢)، وأحمد (٦/ ٢٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب النكاح، رقم ٢٢٤٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٨٤٤) [مؤسسة غراس، ط١].

بيد الله، و(المهتدي) وهو السالك سبيل الحق، الراكبُ قصدَ المحجّة في دينه، مَن هداه الله لذلك، فوفَّقه لإصابته. والضالُّ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو (الخاسر)؛ يعني: الهالك»(١).

وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر الآيات التي تنص على أن الهداية بيد الله عَزَّ وَجَلَّ: «فَفِي كل هَذِه الْآيَات يعلم الله عَزَّ وَجَلَّ عباده المؤمنين أَنه هُوَ الهادِي المضل وأَن الرُّسُل لا يَهْتَدِي بهَا إِلَّا من هداه الله، ولَا يأبى الهداية إلَّا من أضلّهُ الله»(٢).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدي فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وله الحكمة في ذلك، والحجة البالغة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران]؛ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء] وما ذاك إلا لحكمته ورحمته»(٤).

الأقسام:

الضلال في الدين على النوعين:

الأول: الضلال عن الحق والإيمان وذلك بالوقوع في الكفر المضاد للإيمان كاليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء]. وهو الأكثر ورودًا في القرآن الكريم.

الثاني: الضلال بارتكاب ما حرَّم الله والوقوع فيما يغضب الله بارتكاب الكبائر والمعاصي، فصاحبه فيه من الضلال بقدر ما انحرف عن دين الله عَزَّ وَجَلَّ ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٦) [مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) الإبانة لابن بَطَّة العكبري (١/ ٢٦٥) [دار الراية، السعودية، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٣) شفاء العليل لابن القيم (١/ ٦٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب]، وأكثر أهل العلم يرى أنها نزلت في شأن زينب بنت جحش رضي الله عنها لما خطبها رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فأبت في أول الأمر، ثم بعد نزول الآية قبلت رضي الله عنها[1]. فيكون الضلال هنا هو عدم الاستجابة لأمر النبي ﷺ وطلبه فيما هو دون الإيمان.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أسباب الضلالة:

الضلالة عن الهدى وارتكاب ما حرَّم الله سواء في الوقوع في الكفر؛ وذلك بالردة عن الدين، أو بعدم الاستجابة لطلب الإيمان والبقاء على ملة من ملل الكفر، أو بالابتداع في الدين والأخذ بأقوال أصحاب الضلالة في ذلك، مثل الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة وعُبَّاد القبور والطرقية وغيرهم، أو بالانحراف عن الدين بالوقوع في المعاصي التي تنافي كمال الإيمان وتقدح فيه من هذا الوجه؛ كالمعاصي التي يرتكبها عصاة المسلمين، كل ذلك له أسباب عامة كثيرة؛ **منها**:

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧١) مرجع سابق، تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢١) مرجع سابق.

١ ـ اتباع وسوسة الشيطان وتزيينه:

الشيطان عدو الإنسان الأول والأخطر، ووسوسته سبب خروج أبينا آدم من الجنة، وله دأب وحرص على إغواء بني آدم، وقد حذرنا الله عز وجل منه ومن وسوسته وأخبرنا عنه ما يخفى علينا من حاله ومقاصده وأعماله؛ حتى نكون على حذر منه، وأن لا يغرنا عن ديننا فنهلك معه في نار جهنم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

٢ ـ اتباع الهوى:

الهوى: هُوَ محبَّةُ الإنْسانِ للشيءِ وغَلَبَتُه على قَلْبِه[2]؛ وقيل الهوى: ميلان

(٢) تاج العروس (٤٠/ ٣٢٦) [دار الهداية].

النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[(١)].

وسمي هوى؛ لأنه خال من كل خير، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي[(٢)].

فالهوى من أعظم أسباب الضلالة؛ لأنه متابعة لشهوات النفس ورغباتها في مقابل أوامر الله ﷻ وشرعه، قال تعالى: ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [صٓ].

وبيَّن الله تبارك وتعالى أن سلامة الإنسان ونجاته في **أمرين**؛ **أولهما**: خوف الوقوف بين يدي الله تعالى والاستعداد لذلك. **ثانيهما**: مخالفة هوى نفسه ومنعها منه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات]، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى؛ فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل»[(٣)].

٣ ـ الجهل:

إن عدم معرفة الحق والجهل به سبب من أسباب الضلالة والانحراف عن الحق، ولذا أرسل الله ﷻ الرسل للتعريف به والدعوة إليه وتعليم الخلق ما ينفعهم في دينهم، ويحذرهم مما يضرهم في دينهم كما أنزل الكتب لتكون نصًا محفوظًا يرجع إليه كل من أراد الهداية وسعى إليها، وفي خطورة الجهل بالحق وكونه سببًا من أسباب الضلالة يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الروم]، قال الطبري رحمه الله في الآية: «كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما

---

(١) التعريفات للجرجاني (٢٥٧) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٦/١٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه أبو داود في الزهد (١١٦) [دار المشكاة، ط١]، والبيهقي في الشعب (١٣/١٧٣) [مكتبة الرشد، ط١]، وعلق البخاري قطعة منه بصيغة الجزم في صحيحه (كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله).

تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات، والآيات البيِّنات، فلا يفقهون عن الله حُجَّة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون»[1].

فالجهل هو الداء الذي يعمي عن الهدي ويدفع المرء لأبواب الضلالة، ويعطله عن معرفة الرشاد والتزامه؛ بل يجعله يعادي الحق وأهله ويكذب أنبياء الله ورسله، ويرد دعوتهم ويكذب بكتب الله وبيناته، وبدل أن يعبد ربه ويطيع خالقه يعبد ما لا ينفعه بل يضره، وما لا حقيقة له ولا وجود سوى في خياله وتصوراته، وفي الاسم لا في الرسم والحقيقة.

٤ ـ اتباع المتشابه:

المتشابه: هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه[2].

فالمتشابه يكون في النصوص الشرعية ولم يتضح للمكلف معناه فيجزم من وقعت في قلبه الضلالة بالمعنى الذي ارتآه من غير رجوع للأصول الشرعية التي بالنظر فيها يتحدد المعنى ويتقيد ويتبين بها مراد الشارع، فيكون هو الهدى وما عداه باطل، وقد حذرنا الله تعالى من اتباع المتشابه وبالتالي الوقوع فيما حرَّم الله تعالى، قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها: «هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هنَّ أصل الكتاب الذي عليه عمادُك وعماد أمتك في الدّين، وإليه مفزعُك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام وآيات أُخر، هنّ متشابهاتٌ في التلاوة، مختلفات في المعاني... فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وانحرافٌ عنه؛ فيتَّبعون ما تشابهت ألفاظه وتصرَّفت معانيه بوجوه التأويلات، ليحققوا ـ بادّعائهم الأباطيلَ من التأويلات في ذلك ـ ما هم عليه من الضلالة والزّيغ عن محجة الحقّ، تلبيسًا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه»[3].

فالمتشابه سبب من أسباب ضلالة المنتسبين إلى الدين من الفرق الضالة، فهم يتَّبعون المتشابه من النصوص؛ لأنهم يجدون فيه ما يلبسون به على الناس في إيهامهم أن لهم مستمسكًا من الدين، لهذا حذر الرسول ﷺ منهم فعن

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٠).
(٢) تاج العروس (١٣/ ٣٢٤).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٧٤ ـ ١٨٥) مختصرًا.

عائشة ﵂ قالت: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] إلى: ﴿أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩﴾ قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الَّذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الَّذين سمَّى الله فاحذروهم**»[١].

وكل من اطلع على أدلة أصحاب الفرق الضالة من المعطِّلة والخوارج والرافضة وعبَّاد القبور وغيرهم يجد أنهم اعتمدوا على المتشابه من النصوص؛ للتلبيس والإغواء ولإظهار أنهم أصحاب استدلال واتباع، وهم أصحاب أهواء وابتداع، وقد عدَّ شيخ الاسلام ابن تيمية اتباع المتشابه أول أسباب الضلالة للنصارى والفرق الضالة، فقال: «ومما ينبغي أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالية العبَّاد والشيعة وغيرهم **ثلاثة أشياء**:

أحدها: ألفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها، وهم كلما سمعوا لفظًا لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم، وإن لم يكن دليلًا على ذلك، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها، وإما أن يتأوَّلوها كما يصنع أهل الضلال، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين»[٢].

٥ ـ اتباع ما لا يصح من الدليل:

الأدلة الشرعية الصحيحة يقابلها الأدلة الباطلة التي لا تصح كالأحاديث الضعيفة والموضوعة والاستدلال بالعقل في مقابل الشرع، وهذا من الأسباب المهمة في وقوع كثير من الناس في الضلالة وقد حذرنا الله من المضلين الذين يكذبون على الله ﷻ وعلى أنبيائه ليضلوا الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام]، وقال ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام].

كما حذر النبي ﷺ من الكذب عليه، فعن علي بن ربيعة، قال: أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة، قال: فقال

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٣١٥) [دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ].

المغيرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ كَذِبًا عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمِّدًا، فليتبوّأ مقعده من النّار**»[(١)].

ومن راجع أو نظر في أدلة أصحاب الضلالة سيجد أنهم يعتمدون أدلة لا تصح؛ كالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويبنون عليها دينهم، كما هو حال الرافضة والصوفية.

ومن الأدلة الباطلة: الأدلة العقلية المخالفة للنصوص الشرعية؛ كالأدلة التي يعتمد عليها المتكلمون في تقرير المسائل الشرعية في مسائل الصفات والقدر؛ كإنكارهم للصفات الفعلية بناءً على أن الله عندهم لا تحل به الحوادث، أو إنكارهم للقدر بناءً على التحسين والتقبيح العقلي ونحو ذلك، فصارت هذه الأدلة عندهم مصادمة للشرع ومعارضة له وسببًا بينًا من أسباب الضلالة.

٦ ـ تقليد الأباء:

من أسباب الضلالة لدى كثير من الناس تقليد الأباء والشيوخ والكبراء، وقد بيَّن الله جل جلاله لنا ذلك وحذرنا منه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة].

وقد بيَّن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن التقليد للآباء بالباطل أعظم الأصول التي بُني عليها الكفر، فقال في مسائل الجاهلية: «**الرابعة:** أن دينهم مبني على أصول؛ أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف]...»[(٢)].

فالتقليد بالباطل المصادم للحق وخاصة للآباء ضلَّ بسببه كثير من الخلق، وليس لهم برهان أن آباءهم كانوا على الحق أو على الهدى، وإنما هو التقليد المجرد من العقل أو الحجة الصحيحة.

٧ ـ الإعراض:

الإعراض عن الحق والرشاد سبب من

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩١)، ومسلم (المقدمة، رقم ٤).

(٢) شرح مسائل الجاهلية للفوزان [دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ].

أسباب الضلالة؛ فإن كثيرًا من أهل الضلالة لا يريد الحق ولا يستجيب لدعوة الرسل؛ إعراضًا عنهم لمقصد من المقاصد، قد يكون حب الدنيا وطول أمله فيها، أو كبرًا عن الحق والخضوع له، أو غير ذلك من الصوارف عن الحق، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران].

ومن عرف واقع كثير من أهل الضلالة عرف من حالهم عدم رغبتهم في الحق ولا قبولهم له؛ لأنهم يرون أنه يقطع عليهم شهواتهم أو يتعارض مع أسلوب حياتهم، ولا يكون لهم همٌّ سوى دنياهم وما هم فيه من حال، فلا يلتفتون لدعوة الرسل والآيات البينات.

- المسألة الثانية: عقوبات أهل الضلال بسبب ضلالهم بما يحول بينهم وبين الإيمان:

بيَّن الله ﷻ في كتابه أنه يعاقب الضالين عن دينه والمنحرفين عن منهجه بعقوبات تتعلق بالدين، وذلك بالختم، والطبع، والأكنّة، والوقر، الرين، والغل، والسد، والغشاوة، والقفل، والحول بين المرء والإيمان، قال ابن القيِّم رحمه الله: «القرآن من أوله إلى آخره إنما يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بيَّنه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والإرشاد وتكرار الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك، والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع بل كان اختيارًا، فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية. فتأمل هذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة]. ومعلوم أن هذا ليس حكمًا يعم جميع الكفار؛ بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفارًا قبل ذلك ولم يختم على قلوبهم وعلى أسماعهم، فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار فعل الله بهم ذلك؛ عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة، كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير، وبعضهم بالطمس على أعينهم، فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب كما يعاقب بالطمس على الأعين، وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة

مستمرة، وقد يعاقب به إلى وقت ثم يعافي عبده ويهديه كما يعاقب بالعذاب كذلك»[١].

وتفصيل ذلك فيما يلي:

١ ـ الختم والطبع:

الختم والطبع: هو طبع الله ﷻ على القلوب والجوارح وتغطيتها؛ فلا تعقل الهدى والفرقان ولا تهتدي إلى الحق ولا تعيه ولا توفق له[٢].

٢ ـ الأكنّة والوقر:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء].

والأكنَّة جمع كِنان، وهو الغِطاءُ، والوقر: ثقل السمع[٣]، فكان هذا الغطاء الذي يغطي قلوبهم والصمم الذي يصيب آذانهم حاجبًا لهم عن الهدى والاستجابة لأمر الله ﷻ؛ لأن الله قد جعل على قلوبهم أكنّة؛ يعني: غطاءهم الذي يكنُّهم، وجعل في آذانهم ثقلًا وصممًا عن فهم ما يتلى عليهم، والإصغاء لما تدعوهم الآيات إليه[٤].

٣ ـ الرين والغل والسد والغشاوة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين]، الران والرين هو كالصدأ يغشى على القلب، والمعنى أنه غطى عَلَى قُلُوبِهِمْ، يقال: ران على قلبه الذنب يَرينُ رَيْنًا؛ إذا غشي على قلبه[٥].

والغل هو جعل القيد في العنق واليد[٦]، والغِشاوة: مَا غشي الْقلب من الطَّبْع، والغشاء: الغطاء[٧].

فالغل للأيدي بأن لا تنبسط بالخير، والغشاوة على القلوب والأبصار بتغطيتها فلا تهتدي للحق[٨].

٤ ـ القفل والحول بين المرء والإيمان:

القفل هو إغلاق القلوب فلا تعقل الهدى ولا تتبعه وقد جاء من فعل الله بالكفار، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد][٩].

أما الحول بين المرء والإيمان فقد قال فيه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) شفاء العليل (٩١) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٦٥ ـ ٢٧٤) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، والشريعة للآجري (١/ ٤١٧) [دار الفضيلة، ط٣، ١٤٢٨هـ]، والإبانة لابن بطة (١/ ٢٥٣) [دار الراية، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمفردات في غريب القرآن (١/ ١٤٢) [دار المعرفة]، وتفسير البغوي (١/ ٦٤ ـ ٦٥) [دار طيبة، ١٤١٩هـ].

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٣٦) [عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٣٠٦) مختصرًا.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٦) لسان العرب (١١/ ٥٠٤) [دار صادر، ط٣].

(٧) تهذيب اللغة (٨/ ١٤٥).

(٨) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٥).

(٩) المرجع السابق (٢٢/ ١٧٩).

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال].

الحول بين الشيء والشيء، إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جلَّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل؛ لأن الله ﷻ إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما مُنِع إدراكه به على ما بيَّنتُ[(١)].

مذهب المخالفين:

خالف في هذه المسألة طائفتان:

الأولى: المعتزلة:

ومن أخذ بقولهم، فقد أنكروا أن يكون الله ﷻ يضل أحدًا، وزعموا أن ذلك يتعارض مع العدل وذلك قبيح يتنزه الله عنه وفسَّروا الإضلال من الله الوارد في القرآن الكريم بقولهم: «يحتمل أن يكون التسمية لهم والحكم بأنهم ضالُّون، ويحتمل أن يكون لمَّا ضلُّوا عن أمر الله سبحانه! أخبر أنه أضلَّهم؛ أي: أنهم ضلُّوا عن دينه، ويحتمل أن يكون الإضلال هو ترك إحداث اللطف والتسديد والتأييد الذي يفعله الله بالمؤمنين، فيكون ترك ذلك إضلالًا ويكون الإضلال فعلًا حادثًا. وقال بعضهم: إضلال الله الكافرين هو إهلاكه إياهم، وهو عقوبة منه لهم واعتلَّ بقول الله ﷻ: ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [القمر][(٢)].

هذه الأقوال منهم أقوال باطلة وتأويلات غير سائغة، المراد منها إبطال أن الله يضل أحدًا، والأدلة السابقة ترد على قولهم وتبين أن الهداية والضلال بيد الله ﷻ فمن هداه اهتدى ومن أضله ضل.

أما تفسيرهم لمعنى الإضلال من الله بأنه تسمية الضال ضالًّا والحكم عليه بذلك أو الإخبار عنه به، فهو قول باطل وتأويل مردود، فكيف يقولون في مثل قوله تعالى عن المنافقين: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء] وقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف].

هل يمكن لغة أن يقال في معناها من يسمِّ الله ضالًّا أو من يحكم عليه بناءً على ضلاله بأنه ضال أو يخبر عنه أنه ضال؛ فلن تجد له مسميًا غيره ولا

(١) المرجع السابق (١٣/ ٤٧٢).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٠٨) [المكتبة العصرية ط١، ١٤٢٦هـ]. وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني اليمني (١/ ٢٧٦).

حاكمًا عليه بالضلالة ولا مخبرًا عنه غيره، فذلك لا يستقيم به المعنى ولا يصح، قال القرطبي في رده عليهم بدعواهم أن معناه تسمية الضال ضالًّا: «وهو خلاف أقاويل المفسرين، وهو غير محتمل في اللغة؛ لأنه يقال: ضلَّله إذا سمَّاه ضالًّا، ولا يقال: أضله إذا سماه ضالًّا»[(١)]، وظاهر من الإطلاق أن المقصود الوصف وليس التسمية ولا الحكم ولا الخبر عنه؛ لأنه قال في الآية الأولى: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء]، وقال في الآية الثانية: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، فكيف يسوغ أن يقال: من سماه الله ضالًّا فلا سبيل له إلى الخير ولا هادي له، لا شك أن تلك دعوى لا تستقيم مع النص، وإنما هي ليّ لأعناق النصوص لتوافق أهواءهم.

أما قولهم: إضلال الله الكافرين هو إهلاكه إياهم وهو عقوبة منه لهم، فكذلك هذا القول لا يستقيم مع النصوص السابقة، كما أن الضلال ليس من معانيه الهلاك، وقد سبق بيان معناه. أما آية سورة القمر التي استدلوا بها لزعمهم فليس فيها ما يشهد لقولهم، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [القمر] معناه كما قال القرطبي: «أي: في حيدة عن الحق واحتراق»[(٢)]، وقال ابن كثير: «يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق»[(٣)]. وبه يتبين بطلان قول المعتزلة وبطلان تأويلاتهم في هذا الباب.

الثانية: الجبرية:

وهم المنكرون أن العبد له فعل أو إرادة، وينسبون فعل العبد وإرادته لله ﷻ، وطرد قولهم في هذا الباب هو أن الضلال ينسب الى العبد مجازًا وهو فعل الله على الحقيقة، وهو قول في غاية البطلان والبعد عن الدين والعقل والفطرة واللغة؛ فإن نسبة الأفعال في الهدى والضلال إلى من قامت بهم الأفعال وارتكبوها مما يتفق عليه العقلاء ويؤكده الشرع ويوضحه، قال تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]، وقال: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الواقعة]، وقال: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

(١) تفسيرالقرطبي (١/ ٢٤٤).

(٢) المرجع السابق (١٧/ ١٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٢) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

فهذه النصوص الكثيرة فيها دلالة واضحة على أن الضلالة هي فعل العبد واكتسبها وقامت به، سواء كانت عقدية أم عملية، فهي تنسب إليه ويعاقب عليها، وهذا لا يخالف فيه سوى الجبرية، وإنما المنسوب الى الله من ذلك تقديره وخلقه للفعل في العبد فهو الذي يعين المهتدي فيجعله مهتديًا ويجنبه أسباب الضلالة، وهو سبحانه الذي يضل من شاء بأن يقدر عليه الضلالة ويخلق الكفر والضلالة في قلبه فتكون منه وبإرادته الضلالة وفعله، مع أن الحجة لله بإرساله الرسل وإنزال الكتب وخلقه في العبد القدرة والإرادة، فيقدم على ما قدر الله بإرادته ويفعلها بجوارحه، فيستحق بذلك العقوبة والحجة لله عليه، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [الكهف]، وقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد]، وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان]، وعن أبي ذرّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضالّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسه**»[(١)].

فهذا كله فعل الله عز وجل للعبد وتهيئته للتكليف، فمن اهتدى فلنفسه والله هداه وله المنة والفضل، ومن ضلَّ فقد راغ عن الصراط وزاغ، والله أضلَّه بعد قيام الحجة والإعذار والإنذار، وذلك عدل الله وقضاؤه وهو العليم الحكيم.

المراجع والمصادر:

١ ـ «الإبانة»، لابن بطة.
٢ ـ «شفاء العليل»، لابن القيِّم.
٣ ـ «القدر»، لعبد الله بن وهب.

(١) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٧).

ضمة القبر

٤ ـ «القدر»، للفريابي.

٥ ـ «القضاء والقدر»، للبيهقي.

٦ ـ «الانتصار في الرد على القدرية المعتزلة الأشرار»، للعمراني اليماني الشافعي.

٧ ـ «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

٨ ـ «القضاء والقدر»، لعبد الرحمٰن المحمود.

٩ ـ «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

١٠ ـ «القضاء والقدر»، لابن تيمية.

ضمة القبر

يراجع مصطلح (ضغطة القبر).





الطائفة المنصورة

التعريف لغة:

الطائفة: من (ط ـ و ـ ف)، قال ابن فارس: «الطاء والواو والفاء أصل واحد يدل على دوران الشيء على الشيء، وأن يحفَّ به، ثم يحمل عليه فأما الطائفة من الناس فكأنها جماعة تطيف بالواحد أو بالشيء، ولا تكاد العرب تحدها بعدد معلوم، إلا أن الفقهاء والمفسرين يقولون فيها مرة: إنها أربعة فما فوقها، ومرة: إن الواحد طائفة، ويقولون: هي الثلاث، ولهم في ذلك كلام كثير، والعرب فيه على ما أعلمتك، أن كل جماعة يمكن أن تحُفَّ بشيء فهي عندهم طائفة، ولا يكاد هذا أن يكون إلا في اليسير، هذا في اللغة، والله أعلم»[(١)].

«والطائفة من كل شيء قطعة، يقال: طائفة من الناس، وطائفة من الليل»[(٢)].

والمنصورة: من (ن ـ ص ـ ر)، قال ابن فارس: «النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتاءه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نصرًا، وانتصر: انتقم، وهو منه، وأما الإتيان فالعرب تقول: نصرت بلد كذا، إذا أتيته، ولذا يُسمى المطر نصرًا، ونصرت الأرض فهي منصورة، والنصر: العطاء»[(٣)].

«ونصر المظلوم نصرًا ونصورًا: أعانه ونصره منه: نجَّاه وخلَّصه»[(٤)].

فالطائفة المنصورة: الجماعة من الناس المجتمعون على إتيان الخير وإيتائه، وقد آتاهم الله الظفر على عدوهم، وأعانهم عليهم، ونجاهم منهم.

التعريف شرعًا:

هم المعتصمون بالكتاب والسُّنَّة، المجانبون للفرقة والبدعة، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن اقتفى أثرهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين[(٥)].

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٥) [دار الجيل].
(٢) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٦) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ]، وينظر: مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٣).
(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٢) [دار الجيل]، وينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١١٢) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ].
(٤) القاموس المحيط (٢/ ٢٣٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].
(٥) ينظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (٣٥) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١١هـ].

وقد نصَّ بعض أهل العلم على أن المراد بهذه الطائفة: أصحابُ الحديث، كما سيأتي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي عام، وقد خصَّه الشرع بأهل السُّنَّة والجماعة، المعتصمون بالكتاب والسُّنَّة.

سبب التسمية:

أن الله تعالى ينصرها، ويحقق لها الظهور مدى الأزمان، إلى قيام الساعة، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين**»، وقوله: «**لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين**»، كما سيأتي عند ذكر الأدلة.

الأسماء الأخرى:

أهل السُّنَّة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، السواد الأعظم، الفرقة الناجية.

الحكم:

يجب الإيمان والتصديق بوجودها كما أخبر النبي ﷺ، كما يجب اتباعها، وسلوك سبيلها.

الحقيقة:

لا يقصد بوصف هذه الطائفة بـ(بالمنصورة) أن تكون الغلبة الحسية دائمة لهم في كل زمان أو مكان، فالعبرة بنصرة الحق، والثبات عليه، والدعوة إليه، والسير على منهاج النبوة، وليست العبرة بمجرد الغلبة، فأهل البدع قد تكون لهم الغلبة في بعض الأزمنة أو الأمكنة، لكن لا يدل هذا على صحة مذهبهم.

الأدلة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»[(١)].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**»[(٣)].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من**

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٣١١) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٤١)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٠٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦).

خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[١].

وفي رواية لابن ماجه: «**لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله ﷻ**»[٢].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يبرح هذا الدين قائمًا يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة**»[٣].

أقوال أهل العلم:

تقدمت الإشارة إلى أن عددًا من أهل العلم نصُّوا على أن المراد بالطائفة المنصورة: أهل الحديث، فممن نصَّ على ذلك:

ابن المبارك حيث قال: «هم عندي أصحاب الحديث»[٤].

وقال يزيد بن هارون: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»[٥].

وقال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»[٦].

وقال الإمام أحمد: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟»[٧].

وقال البخاري: «يعني: أصحاب الحديث»[٨].

ومراد هؤلاء الأئمة بأصحاب الحديث هنا أهلَ السُّنَّة والجماعة، الذين اعتمدوا الكتاب والسُّنَّة وآثار سلف هذه الأمة علمًا وعملًا واتباعًا، دون تحريف، أو تأويل يخالف مراد الله ورسوله ﷺ، ودون معارضة الكتاب والسُّنَّة الصحيحة بعقل فاسد أو رأي مجرد، كما هو حال أهل البدع والأهواء من أهل الكلام ونحوهم.

ولذا قال الإمام الحاكم بعد ذكره قولَ الإمام أحمد أنهم أصحاب الحديث: «لقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يُرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم: أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجَّة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٠)، وصحَّحه الألباني، كما في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٠) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٢).

(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (٢٦) [دار إحياء السُّنَّة النبوية].

(٥) شرف أصحاب الحديث (٢٦).

(٦) سنن الترمذي (تحفة (٦/ ٣٣٣ ـ ٤٣٤) [دار الفكر]، وينظر: شرف أصحاب الحديث (٢٧).

(٧) شرف أصحاب الحديث (٢٦)، وينظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (٣٥) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١١هـ].

(٨) شرف أصحاب الحديث (٢٧)، وفي صحيح الإمام البخاري (٦/ ٢٦٦) قال: «وهم أهل العلم» ولا منافاة بين القولين.

بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وعلى آله أجمعين»[(١)].

وقال القاضي عياض معلقًا على قول الإمام أحمد أيضًا: «إنما أراد: أهل السُّنَّة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ مكان الطائفة المنصورة:

جاء في «صحيح مسلم» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**»[(٣)].

وقد اختلف أهل العلم في المراد بأهل الغرب في هذا الحديث:

ـ فقيل: المراد بالغرب الدلو الكبيرة، وهو إشارة إلى العرب لاختصاصهم بها غالبًا، وهذا منقول عن علي بن المديني.

ـ وقيل: المراد بأهل الغرب: أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حده، يُقال: في لسانه غَرْبٌ؛ أي: حده، ذكر هذا القاضي عياض[(٤)].

ـ وقيل: المراد بهم أهل الشام؛ لأن الشام يقع غرب المدينة، قالوا: ويؤيده ما جاء عند الإمام أحمد وغيره من حديث أبي أمامة الباهلي أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**» قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس**»[(٥)].

وهذا القول مرويٌّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري[(٦)].

وذكره ابن تيمية عن الإمام أحمد، ثم انتصر له فقال: «وهو كما قال، فإن هذه لغة أهل المدينة النبوية في ذاك الزمان، كانوا يسمون أهل نجد والعراق: أهل المشرق، ويسمون أهل الشام: أهل المغرب؛ لأن التشريق والتغريب من الأمور النسبية، فكل مكان له غرب وشرق، فالنبي ﷺ تكلم بذلك في المدينة النبوية، فما تغرَّب عنها فهو غربه، وما تشرق عنها فهو شرقه»[(٧)].

(١) معرفة علوم الحديث (٣٥).
(٢) إكمال المعلم (٦/ ٣٥٠) [دار الرشد، ط١].
(٣) صحيح مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٥).
(٤) ينظر: إكمال المعلم (٦/٣٤٨)، وشرح النووي على مسلم (١٣/ ٧٢، ٧٣) [دار القلم]، والفتح (١٣/ ٢٩٥) [دار الفكر].
(٥) أخرجه أحمد (٣٦/ ٦٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٨٢٣) [دار المدني]، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٨) [مكتبة القدسي]: «رجاله ثقات»، لكن ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٥٨٤٩)، وحكم بنكارة زيادة: «هم في بيت المقدس».
(٦) صحيح البخاري (كتاب المناقب، عقب الحديث رقم ٣٦٤١).
(٧) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١ ـ ٤٢). وينظر: (٢٧/ =

ورجح هذا ـ أيضًا ـ الألباني حيث قال: «اعلم أن المراد بأهل الغرب في هذا الحديث: أهل الشام؛ لأنهم يقعون في الجهة الغربية الشمالية بالنسبة للمدينة المنورة، التي فيها نطق عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث الشريف»[(١)].

قال ابن حجر بعد ذكره لهذه الأقوال: «قلت: ويمكن الجمع بين الأخبار: بأن المراد قوم يكونون ببيت المقدس، وهي شامية، ويسقون بالدلو، وتكون لهم قوة في جهاد العدو وحدّة وجدّ»[(٢)].

وذكر القول الأخير ـ وهو أن المراد بهم أهل الشام ـ: سليمان بن عبد الله عن أكثر الشارحين، ثم ذكر عن الطبري ما يدل على أن هذه الطائفة لا يجب أن تكون بالشام أو ببيت المقدس دائمًا إلى أن يقاتلوا الدجال؛ بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة، ثم قال: وهذا هو الحق، ويشهد له الواقع، فإن حال أهل الشام منذ أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر، وعلى هذا فقوله في الحديث: «هم ببيت المقدس» وقول معاذ: «هم بالشام» المراد به أنهم يكونون كذلك في بعض الأزمان دون بعض[(٣)].

وتابعه على هذا عبد الرحمٰن بن حسن حيث قال: «فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره»[(٤)] ومثله ابن عثيمين[(٥)].

وهو ما ذهب إليه النووي حيث قال: «يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم محدثون، ومنهم زُهَّاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين؛ بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[(٦)].

قلت: ويؤيده أن أكثر الروايات جاءت مطلقة، ليس فيها تحديد مكان معيَّن لهذه الطائفة، وقد يكون المراد بذكر الشام في بعض الأحاديث، الإشارة إلى مكانها في آخر الزمان، حيث يقاتلون الدجال هناك مع عيسى ﵇، فقد روى عمران بن حصين ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من**

= ٥٠٧)، والنبوات (١/٥٦٨) [دار أضواء السلف، ط١]، ومنهاج السُّنَّة (٤/٤٦١ ـ ٤٦٢) [جامعة الإمام، ط١].

(١) السلسلة الصحيحة (٢/٦٩٠) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ].

(٢) الفتح (١٣/٢٩٥).

(٣) ينظر: التيسير (٣٨١) [دار المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٠٨هـ].

(٤) فتح المجيد (٣١٣).

(٥) ينظر: القول المفيد (١/٤٩٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ]، وشرح العقيدة الواسطية (٢/٣٧٨) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٦) شرح النووي على مسلم (١٣/٧١).

أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»[(١)].

وقد جاء ما يدل على أن هذه الطائفة تكون في الشام في آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»**[(٢)]، فهذا نصٌّ صريح في نزول عيسى عليه السلام عليهم، ومعلوم أنه ينزل في دمشق بالشام، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

٢ ـ «معرفة علوم الحديث»، للحاكم.

٣ ـ «إكمال المعلم»، للقاضي عياض.

٤ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٥ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٦ ـ «المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم»، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

٧ ـ «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.

٨ ـ «التحف في مذاهب السلف»، للشوكاني.

٩ ـ «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

١٠ ـ «وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

طاعة الرسول

يراجع مصطلح (الرسل).

الطاغوت

التعريف لغة:

الطاغوت مُشتقٌّ من: طَغَا يطغى؛ إذا جاوز الحدّ، وَالطَّاغُوت يُذكَّر ويُؤنَّث، ولذا أطلق على الكاهن والكاهنة، وقيل: بل هو مذكر مفرد: أي: اسم جنس يشمل القليل والكثير[(٣)].

وقيل: أصل كلمة (طاغوت) هو: (طغووت)، كما يقال في (الجبروت) من (التجبر)[(٤)].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٨٤)، وأحمد (١٤٩/٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٣٩٢) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦).

(٣) انظر: الصحاح (٢٤١٣/٦) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (٧/١٥ ـ ٩) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٢٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ].

والطغيان: مجاوزة الحد، وكل شيء جاوز المقدار والحد فهو طاغ، يقال: طغا السيل إذا ارتفع حتى جاوز الحد في الكثرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١﴾ [الحاقة].

وجمع طاغوت طواغيت وطواغي، والطاغوت أبلغ من الطاغي، ولذا كثر استعماله في اللغة.

والطاغوتُ: قيل: الأصنام، وقيل: الشيطان، وقيل: الكهنة، وقيل: مَرَدة أهل الكتاب.

وقيل: الطاغوت: كل رأس في الضلال[(١)].

وهذه كلها أمثلة على الطاغوت في إطلاقه في اللغة، وهو أعم من ذلك كله.

التعريف شرعًا:

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا»[(٢)].

ومما يشهد لهذا التعريف من أقوال العلماء **ما يلي**:

أن الطاغوت هو الشيطان، فسره بذلك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقد ورد عنه أنه قال في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»[(٣)].

قال ابن كثير ـ بعد ذكره لقول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ: «ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان قوي جدًّا؛ فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية، من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها»[(٤)].

الطاغوت: كل ما عُبِد وأطيع من دون الله تعالى، من أي شيء كان، وقد اختار هذا التعريف الطبري فقال: «والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء»[(٥)].

وقال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بعد ذكره لبعض الأقوال في تفسير الطاغوت ـ:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٤١٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٥/ ٧ ـ ٩).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٥٠)، وقد استحسنه ابن عثيمين. انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ١٩٨) [دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعلقه البخاري عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بصيغة الجزم في صحيحه (كتاب تفسير القرآن، ٦/ ٤٥) [دار طوق النجاة، ط١].

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٣) [دار الفيحاء، ط١].

(٥) تفسير الطبري (٣/ ١٩).

«وقال بعض العلماء: «كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت»، وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك»[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الطاغوت في اللغة مأخوذًا من الطغيان الذي هو تجاوز الحد والمقدار، أطلق في الشرع على هذا المعنى، إلا أنه حدد بالعبادة والطاعة، ونحو ذلك مما لا يكون في أصله إلا لله تعالى.

الحكم:

جاءت النصوص بوجوب الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة]؛ بل جاء الأمر بما هو أبلغ من ذلك، وهو الأمر باجتناب الطاغوت، كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فلا يصير الإنسان مؤمنًا إلا بالكفر بالطاغوت واجتنابه.

الحقيقة:

كل من رضي بحكم غير الله وخضع لغيره وتحاكم إلى غير شرعه، فقد عبد الطاغوت وانقاد له[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الطاغوت: اسم جنس يدخل فيه الشيطان والوثن والكهان والدرهم والدينار»[(٣)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) تفسير ابن عطية (٢٣٢) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: وجوب تحكيم شرع الله لابن باز (٧) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط٥].

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٥٦٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وانظر: فتح القدير للشوكاني (١/٣٧٢).

ومن السُّنَّة: ما جاء عن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت**» الحديث[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال جابر رضي الله عنه: «كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها، في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كُهَّان ينزل عليهم الشيطان»[(٣)]، وقال عمر رضي الله عنه: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»[(٤)].

(١) أخرجه النسائي (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٧٧٤)، وأحمد (٣٤/٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٤٨) [المكتب الإسلامي].
وهو عند مسلم (كتاب الأيمان، رقم ١٦٤٨) بلفظ: «**لا تحلفوا بالطواغي**».

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٠٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب تفسير القرآن، ٦/٤٥) [دار طوق النجاة، ط١]، ووصله ابن أبي حاتم، كما في تغليق التعليق (٤/١٩٥) [المكتب الإسلامي ودار عمار، ط١]، وسنده حسن.

(٤) تقدم تخريجه.

- وقال الطبري رحمه الله: «والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله فعُبِد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء»[(٥)].

- وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]: «هذا إنكار من الله عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسُنَّة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود، والآية أعمّ من ذلك كله، فإنها ذامَّة لمن عدل عن الكتاب والسُّنَّة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا»[(٦)].

وقال محمد حامد الفقي رحمه الله: «الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم: أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصدَّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله

(٥) تفسير الطبري (٤/٥٥٨) [دار هجر، ط١].

(٦) تفسير ابن كثير (١/٥٦٩).

ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها. ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها. والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروِّجوها طواغيت»[(١)].

وقال ابن باز رحمه الله: «فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له، ومن خضع لغيره، وتحاكم إلى غير شرعه، فقد عبد الطاغوت، وانقاد له»[(٢)].

الأقسام:

الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة. إبليس لعنه الله. ومن عُبد من دون الله وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه؛ ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، وهم في الغالب لا يخرجون عن أنواع **ثلاثة**:

١ ـ **طواغيت في العبادة**: وهي الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى؛ كالأصنام والأوثان.

٢ ـ **طواغيت في الاتباع**: وهي الطواغيت التي تتبع وتصدق فيما هو خاص بالله تعالى من أفعاله كدعوى علم الغيب، وشرعه كتحليل ما حرَّمه الله تعالى، ويدخل في ذلك الكهنة، والسحرة، وعلماء السوء، ونحوهم.

٣ ـ **طواغيت في الطاعة**: وهي الطواغيت التي تطاع في معصية الله تعالى، وفي الخروج عن شرعه وحكمه؛ كالعلماء الذين يزينون للناس التخلي عن شرع الله تعالى، وتحكيم القوانين الوضعية ونحوها[(٣)].

الفروق:

الفرق بين الجبت والطاغوت:

١ ـ قيل: إن الجبت والطاغوت، هما صنمان كانا لقريش في الجاهلية.

٢ ـ وقيل: الجبت: الأصنام، والطاغوت: ترجمة الأصنام الذين كانوا يتكلمون بالكذب عنها.

---

(١) انظر: تحقيقه لكتاب فتح المجيد (٢٨٢) [مطبعة السُّنَّة المحمدية، ط٧، ١٣٧٧هـ].

(٢) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه لابن باز (٧).

(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/٥٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٢/١٩٨)، الدرر السَّنية (١٠/٥٠٣).

وقيل: الجبت، الساحر، والطاغوت: الكاهن.

وقيل: الجبت: إبليس، والطاغوت: أولياؤه[1].

٣ ـ وقيل: الطاغوت هو الطاغي من الأعيان، والجبت: هو من الأعمال والأقوال، وهذا هو أحسن ما قيل في الفرق بينهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الطاغوت هو الطاغي من الأعيان، والجبت هو من الأعمال والأقوال، كما قال عمر بن الخطاب: الجبت السحر والطاغوت الشيطان»[2].

٤ ـ وقيل: لا فرق بينهما، فمعناهما واحد وهو: كل ما عبد وعظم من دون الله من حجر أو صورة أو شيطان.

قال الطبري: «الجبت والطاغوت: اسمان لكل معظَّم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظم»[3].

الآثار:

الرضا بالطاغوت له آثار سيئة وعواقب وخيمة، **منها:**

ـ موالاة الشيطان واتِّباعه فهو رأس الطواغيت.

ـ الحكم بغير ما أنزل الله.

ـ الولاء على غير الإسلام.

ـ إعطاء حق الحكم والتشريع لغير الله.

ـ القبول والانقياد والطاعة لما يشرعه المشرعون من دون الله.

ـ التوجه بشيء من العبادة لغير الله.

ـ مدح الباطل وتحسينه وتزيينه، والطعن في دين الله وأحكامه، والصد عن سبيله.

ـ تعظيم الشعارات والرايات التي ترمز لنظام الطاغوت وحكمه.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعلام الموقعين»، لابن القيِّم.

٢ ـ «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم.

٣ ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج١، ١٠).

٤ ـ «شرح الأصول الثلاثة»، للفوزان.

٥ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٦ ـ «التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ١٣٠ ـ ١٣١)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٠).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٩).

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٨ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ ـ «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين».

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيِّم.

أبو طالب

اسمه ونسبه:

أبو طالب عم النبي ﷺ وشقيق أبيه[(١)]، واسم أبي طالب «عبد مناف بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»[(٢)].

مولده ووفاته:

ولد أبو طالب قبل المبعث ببضع وسبعين سنة، كما يفهم من عمره يوم وفاته، إذ «كان له يوم مات بضع وثمانون سنة»[(٣)].

وتوفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة؛ أي: قبل الهجرة بثلاث سنين، عام خروجهم من الشعب، وقبل ليلة الإسراء والمعراج التي فرضت فيها الصلوات الخمس[(٤)]، حين بلغ النبي ﷺ تسعًا وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا[(٥)].

قال الحافظ ابن حجر: «قال المرزباني: مات أبو طالب في السنة العاشرة من المبعث»[(٦)].

قول أهل السُّنَّة فيه:

معروف عن أهل السُّنَّة أنهم لا يعدلون عما جاءت به الرسل، فما ثبت بالدليل والحجة سلّموا له وقبلوه، وما خالف ذلك وعارضه ردوه ونبذوه نبذ النواة، ومن هذا المنطلق يقولون بعلم ويحكمون بعدل في أبي طالب وفي غيره، وعليه فهم يذكرون لأبي طالب حمايته لنبي الله ﷺ من قريش،

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/٤٩٧) [دار الكتب العلمية]، وأنساب الأشراف للبلاذري (١/٨٥) [معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، مصر]، وتاريخ ابن الوردي (١/٩٦) [دار الكتب العلمية].

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٤/٣١٧) [دار هجر، ط١]، وانظر: جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي (٣)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١٤ ـ ١٥ و٣٧) [دار المعارف، مصر، ط٥].

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٢/٣٩٩) [دار هجر، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: المحبر للبغدادي (١١) [دار الآفاق الجديدة، بيروت]، والبداية والنهاية (٤/٣١٧ ـ ٣١٨).

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١/٢١٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢]، وتيسير العزيز الحميد (٥٤٢) [دار الصميعي، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة (١٢/٣٩٩).

فيقولون: «كان ناصرًا له، وقائمًا في صفّه، ومدافعًا عنه بكل ما يقدر عليه؛ من نفس، ومال، وفعال، فلمَّا مات، اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ، ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه، ولا يقدرون عليه»[(١)]. ومع ذلك يقولون: إنه مات على الكفر، مع حرص النبي ﷺ على إسلامه، وعرضه كلمة التوحيد عليه حتى آخر لحظة من حياته، لكنه أبى أن يقول: لا إلٰه إلا الله، وقال: هو على ملة عبد المطلب، وخرجت روحه وهو على ذلك. ويعتقدون أنه أخف أهل النار عذابًا، وأنه في ضحضاح من نار جهنم بشفاعة النبي ﷺ له شفاعة خاصة، ويدل على ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما عن المسيب قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عم، قل: لا إلٰه إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم: هو على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إلٰه إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص]»[(٢)].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[(٣)]. وعن عبد الله بن الحارث، قال: سمعت العباس رضي الله عنه يقول: قلت: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح**»[(٤)].

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٧٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٩).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[١]. قال ابن تيمية بعد أن أورد بعض هذه الأحاديث: «وهذه الأحاديث الصحيحة توافق ما اتفق عليه أئمة المسلمين في أنه مات كافرًا»[٢].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب:

لقد ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث عديدة أنه يشفع لعمه أبي طالب يوم القيامة في تخفيف العذاب عنه، لا في إخراجه من النار، كما في حديث العباس المتقدم الذي سأل فيه النبي ﷺ بقوله: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[٣].

وجاء من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه، فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**»[٤].

فهذان الحديثان وما في معناهما تدل على ثبوت شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وهذه الشفاعة مستثناة من عموم نفي شفاعة الشافعين في الكافرين والتصريح بعدم انتفاعهم بها، قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]، وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

قال الحافظ ابن حجر: «ويؤيد الخصوصية أنه بعد أن امتنع من الإقرار بالتوحيد، وقال: «هو على ملَّة عبد المطلب» ومات على ذلك، أن النبي ﷺ لم يترك الشفاعة له؛ بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره، وكان ذلك من الخصائص في حقه»[٥].

ومما تقدم يعلم أن تخفيف العذاب

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٢).
(٢) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٢٤) [دار عالم الفوائد، ط١].
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٥).
(٥) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٠٧) [دار المعرفة]، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٥٣٨).

عن أبي طالب هو بسبب شفاعة النبي ﷺ له وهو خاص به.

- **المسألة الثانية: حكم الاستغفار للمشركين:**

لا شك أن الاستغفار لمن مات على الكفر والشرك محرم على المؤمنين بصريح نصوص الشرع المطهر، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال بعد أن مات عمه أبو طالب على الكفر: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»، فأنزل الله ﷻ: «﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التوبة]»[(١)]. فهذا الحديث صريح في أن سبب نزول الآية كان هذه الحادثة، وأنه نهي عن الاستغفار له لكفره بالله.

قال النووي: «الصلاة على الكافر، والدعاء له بالمغفرة حرام بنص القرآن والإجماع»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك، فلا يشفع شفاعة نهي عنها؛ كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة»[(٣)].

(١) تقدم تخريجه. وانظر: تيسير العزيز الحميد (٥٤٤).

(٢) المجموع للنووي (٥/ ١٢٠) [مكتبة الإرشاد، جدة].

(٣) الواسطة بين الحق والخلق (٣١).

موقف المخالفين منه:

ذهب المخالفون من الروافض والصوفية ومن معهم في هذه المسألة إلى القول بإسلام أبي طالب وموته على الإيمان[(٤)]، متشبثين بشبه عديدة كلها واهية، **أكتفي منها بما يأتي:**

الأول: ما ساقه محمد بن إسحاق بقوله: «فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله، عن ابن عباس قال... فلما تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأذنه، قال: فقال يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرتَه أن يقولها، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لم أسمع**»»[(٥)].

زاد الروافض في رواياتهم بعد قول العباس هذا: «فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي هداك يا عم**»»[(٦)] بل

(٤) انظر: الدر النظيم لابن حاتم العاملي (٢٢٠) [مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم]، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين (٨/ ١١٧) [دار التعارف للمطبوعات، بيروت]، والغدير للشيخ الأميني (٧/ ٣٧٠) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣]، وأبو طالب حامي الرسول وناصره لنجم الدين العسكري (٥٩) [مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٠٧).

(٥) كما في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٦ ـ ٤١٧) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢]، وفي سنده ضعف. وقد ضعفه ابن كثير، وبيَّن مخالفتَه للأحاديث الصحيحة. انظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٠٧ ـ ٣١٢) [دار هجر، ط١].

(٦) الغدير للشيخ الأميني (٧/ ٣٧٠)، وأبو طالب حامي =

أخذوا في حشد الروايات المنسوبة إلى الأئمة[١]؛ للتدليل على إسلام أبي طالب، منها ما ساقه المجلسي بقوله: «إن عبد العظيم بن عبد الله العلوي كان مريضًا، فكتب إلى أبي الحسن الرضا: عرّفني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكتب إليه الرضا: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد، فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار... عن أبي عبد الله أنه قال: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار، وفي رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيِّين والصدِّيقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقًا. أقول: روى الكراجكي تلك الأخبار في كتاب كنز الفوائد مع أشعار كثيرة دالة على إيمانه، وتركناها مخافة التطويل والتكرار»[٢].

- **ومنها**: زعمهم أن الله أحيا أبا طالب حتى آمن[٣].

- **ومنها**: احتجاجهم على إسلام أبي طالب بادّعاء دخوله تحت عموم قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٩] كما نقله عنهم الحافظ ابن حجر بقوله: «ثم استدل الرافضي بقول الله تعالى... وقد عزره أبو طالب بما اشتُهر وعُلم، ونابذ قريشًا وعاداهم بسببه مما لا يدفعه أحد من نقلة الأخبار فيكون من المفلحين»[٤].

الرد عليهم:

لا شك أن القول بإسلام أبي طالب وموته على الإيمان قول باطل **لعدة أمور**:

الأمر الأول: أنه مصادم لما جاء في كتاب الله من نهي الله لنبيه ﷺ عن الاستغفار لعمه أبي طالب، ولما ثبت في صريح السُّنَّة من رفض أبي طالب كلمة التوحيد، وموته على الكفر.

أما ما جاء في كتاب الله فهو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التوبة]، ففي هذه الآية نهي صريح لنبيِّه ﷺ عن الاستغفار لعمه أبي طالب، حيث إنها نزلت بعد أن قال النبي ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم**

= الرسول وناصره لنجم الدين العسكري (٥٩).

(١) انظر: الدر النظيم لابن حاتم العاملي (٢٢٠).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣٥/ ١١١) [مؤسسة الوفاء، بيروت ط٢، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (١٤٠) [دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٤) نقله عنهم الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٢/ ٣٩٩).

أنه عنك»[(١)] ولو كان أبو طالب مسلمًا لما نهى الله نبيّه ﷺ عن الاستغفار له.

وأما ما جاء في صريح السُّنَّة فكثير جدًّا، منه حديث المسيب في «الصحيحين» وغيرهما، وفيه: «فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملَّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إلٰه إلا الله»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل: لا إلٰه إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع؛ لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]»[(٣)].

الأمر الثاني: أن دعوى موت أبي طالب على الإيمان لو كانت صحيحة لقام النبي ﷺ ومن معه بتجهيز جنازته ولصلَّوا عليه، ولورثه علي وجعفر، والواقع خلافه، لما ثبت عن علي رضي الله عنه قال: «قلت للنبي ﷺ: إن عمك الشيخ الضال قد مات. قال: **«اذهب فوار أباك، ثم لا تُحدثنّ شيئًا حتى تأتيني»**، فذهبت فواريته وجئته فأمرني فاغتسلت ودعا لي»[(٤)]. وقد اعترف شيخ الروافض الحلي بهذا، حيث قال: «ولما مات أبو طالب أمر رسول الله عليًّا بغسله فلما غسله ودفنه رجع إلى النبي فقال: **اذهب واغتسل»**[(٥)].

وذكر ابن قتيبة أن أبا طالب لما مات لم يرثه علي ولا جعفر؛ لكونهما مسلمين وهو كافر. حيث قال: «وورث عقيل وطالب أبا طالب، ولم يرثه عليّ ولا جعفر؛ لأنهما كانا مسلمين»[(٦)].

وروى الشيخان من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: يا رسول الله أين تنزل في دارك بمكة؟ فقال: **«وهل ترك عقيل من رباع أو دور!»**. وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرثه جعفر ولا علي رضي الله عنهما شيئًا؛ لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: **«لا يرث المؤمن الكافر»**[(٧)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هو الحديث السابق نفسه، وقد تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٥).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٤)، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (٢/ ٢٧٦) [دار خضر، ط٣]، وحسن إسناده ابن الملقن في تحفة المحتاج (٢/ ٢١) [دار حراء، ط١]، وصحَّحه الألباني في الإرواء (رقم ٧١٧) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٥) تذكرة الفقهاء للحلي (٥٩) [منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية].

(٦) المعارف لابن قتيبة (٢٠٣) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٨٨)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٥١).

قال الحافظ ابن حجر في شرحه الحديث السابق: «وهذا يدل على تقدم هذا الحكم في أوائل الإسلام؛ لأن أبا طالب مات قبل الهجرة. ويحتمل أن تكون الهجرة لما وقعت استولى عقيل وطالب على ما خلفه أبو طالب، وكان أبو طالب قد وضع يده على ما خلفه عبد الله والد النبي ﷺ؛ لأنه كان شقيقه وكان النبي ﷺ عند أبي طالب بعد موت جدَّه عبد المطلب، فلما مات أبو طالب ثم وقعت الهجرة ولم يسلم طالب وتأخر إسلام عقيل استوليا على ما خلف أبو طالب، ومات طالب قبل بدر وتأخر عقيل، فلما تقرر حكم الإسلام بترك توريث المسلم من الكافر استمر ذلك بيد عقيل، فأشار النبي ﷺ إلى ذلك، وكان عقيل قد باع تلك الدور»[(١)].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ظاهر حديث أسامة أن «الدور انتقلت إلى عقيل بطريق الإرث، لا بطريق الاستيلاء، ثم باعها»[(٢)].

لكنه رجح الاحتمال الثاني الذي ذكره الحافظ ابن حجر في هذه المسألة، وأضاف إليه سببًا آخر لمنع جعفر وعلي من أخذ نصيبيهما، وهو تأخير تقسيم الإرث بعد وفاة أبي طالب، حتى جاءت الهجرة، ويفهم من كلامه أنه لو قسمت قبل هذا لأخذوا حقوقهم من الميراث؛ لعدم المانع الشرعي في ذلك الوقت، حيث يقول: «وأما دور أبي طالب، فإن أبا طالب توفي قبل الهجرة بسنين، والمواريث لم تفرض، ولم يكن نزل بعد منع المسلم من ميراث الكافر؛ بل كل من مات بمكة من المشركين أُعطي أولاده المسلمون نصيبهم من الإرث كغيرهم؛ بل كان المشركون ينكحون المسلمات الذي هو أعظم من الإرث، وإنما قطع الله الموالاة بين المسلمين والكافرين بمنع النكاح والإرث وغير ذلك بالمدينة»[(٣)]، وأخذ يدلل عليه.

وعلى كلٍّ؛ فإن حديث أسامة الذي رواه الشيخان على القول الأول حجة على كفر أبي طالب، والله أعلم.

الثالث: أن تشبثهم بما ساقه ابن إسحاق عن العباس في إسلام أبي طالب مردود **لأمور:**

أ ـ جهالة الواسطة في إسناده، حيث قال: «عن بعض أهله، عن ابن عباس»[(٤)]، ومعلوم أن مثل هذا السند لا تقوم به حجة لو كان في الباب وحده، فكيف مع مخالفته لما هو ثابت في

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/١٥).
(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (٢/٣٠٩) [دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ].
(٣) الصارم المسلول لابن تيمية (٢/٣٠٩).
(٤) سيرة ابن هشام (١/٤١٦ ـ ٤١٧).

الصحيحين وفي غيرهما في قصة وفاة أبي طالب كما تقدم.

قال الإمام ابن كثير: «والجواب عن هذا من وجوه؛ أحدها، أن في السند مبهمًا لا يعرف حاله، وهو قوله: عن بعض أهله، وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد»[١]، ثم ذكر مخالفته لما جاء في سياق مشابه له، ولما هو ثابت أيضًا في الصحيح كما تقدم بيانه[٢].

ب ـ أن العباس لم يحضر وفاة أبي طالب، وعليه فما نسب إليه ساقط.

ج ـ معارضته للثابت في الصحيحين من رفض أبي طالب كلمة التوحيد وموته على ذلك، كما في حديث المسيب وأبي هريرة وغيرهما كما سبق.

د ـ أن سؤال العباس للنبي ﷺ بقوله: «يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟»[٣] دليل على أنه كان يعلم موت أبي طالب على ضلاله[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر بعض الأحاديث الدالة على موت أبي طالب على الكفر: «وهذه الأحاديث الصحيحة توافق ما اتفق عليه أئمة المسلمين في أنه مات كافرًا، وتبين كذب من ادَّعى من الجهال الرافضة وغيرهم أنه مات مؤمنًا. ويحتج بما ذكر ابن إسحاق في «السيرة» من أنه جعل يهمهم عند الموت، وأن العباس قال للنبي: إنه قد قال الكلمة التي تطلبها أو نحو ذلك. فإن الذي في الصحيح بيَّن أن العباس لم يكن حاضرًا، وأن العباس علم أنه مات ضالًّا، وأنه سأل النبي ﷺ: هل نفعه نصره لك مع كفره؟ فأخبره النبي ﷺ أن ذلك نفعه، بشفاعة النبي ﷺ في تخفيف العذاب لا في رفعه، ولو كان قد مات على الإيمان لم يكن في العذاب، ولم ينه النبي ﷺ عن الاستغفار له، ولقرن ذكره بذكر حمزة والعباس، ولكان قد صلَّى عليه النبي ﷺ وابنه علي»[٥].

الرابع: زعمهم بأن الله أحيا أبا طالب حتى آمن به ثم مات فهو من الأباطيل؛ لخلوه التام عن الحجة والبرهان. قال الشيخ علي القاري: «وأما ما حكاه ابن سيد الناس أن الله أحياه بعد بعثة النبي ﷺ حتى آمن به ثم مات، فهو مردود؛ لأنه لا دليل عليه من حديث ضعيف ولا غيره، وإنما حكوه عن بعض الشيعة، وخلافهم غير معتبر عند أهل السُّنَّة، وكذا قول القرطبي[٦]

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣٠٧).
(٢) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٠٧ ـ ٣١٠).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٢٥).
(٥) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٢٤ ـ ١٢٥).
(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (١٤٠).

على ما ذكره العماد ابن كثير عنه في تفسيره[(١)] أن الله أحيا أبا طالب حتى آمن، باطل موضوع بإجماع أهل الحديث ومخالف لمذهب الحق»[(٢)].

وأما زعمهم دخول أبي طالب في عموم الآية السابقة فهو زعم مردود وقول فاسد؛ لمناقضته النصوص الصريحة في خروج أبي طالب من ذاك العموم، والمؤكدة على موته على الكفر ورفضه كلمة التوحيد، وقد تقدم ذكرها. قال الحافظ ابن حجر في رده على زعمهم هذا: «وهذا مبلغهم من العلم، وإنا نسلم أنه نصره وبالغ في ذلك، لكنه لم يتَّبع النور الذي أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد، ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «السيرة» (ج١)، لابن هشام.

٢ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

٣ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي.

٤ ـ «جامع المسائل» (ج٣)، لابن تيمية.

٥ ـ «الصارم المسلول» (ج٢)، لابن تيمية.

٦ ـ «أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام»، لعلي القاري.

٧ ـ «فتح الباري» (ج٨)، لابن حجر.

٨ ـ «البداية والنهاية» (ج٤)، لابن كثير.

٩ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

الطبع

يراجع مصطلح (الضلال).

الطرق

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الطاء والراء والقاف أربعة **أصول**؛ **أحدها**: الإتيان مساء، **والثاني**: الضرب، **والثالث**: جنس من استرخاء الشيء، **والرابع**: خصف شيء على شيء»[(٤)].

وأصل الطرق: الضرب، يقال: طرق يطرق طرقًا، ومنه سميت مطرقة الصانع والحداد؛ لأنه يطرق بها؛ أي: يضرب بها، وكذلك عصا النجاد التي يضرب بها الصوف[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٣).

(٢) أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول ﷺ (١٠٢).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٢/٣٩٩).

(٤) مقاييس اللغة (٣/٤٤٩) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٥) انظر: الصحاح (٤/١٥١٥) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ومقاييس اللغة (٣/٤٥٠)، ولسان العرب (٥/٢٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٣/٧١) =

التعريف شرعًا:

ضربٌ من الكهانة، وهو ضربُ الكاهن أو العراف بالحصى في الأرض، أو الخط فيها لطلب معرفة أمر غيبي[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي من حيث كون كل منهما يطلق عليه اسم الضرب، إلا أن معنى الطرق في اللغة أوسع منه في الشرع؛ حيث يراد به في الشرع طرق مخصوص، وهو بالضرب بالحصى، أو الخط في الرمل تكهنًا، ودعوى معرفة المغيبات.

الحكم:

الطرق بشتى صوره ضربٌ من ضروب السحر والكهانة، وهو من الشرك الأكبر، وصاحب الطرق ـ وهو الكاهن، أو العراف ـ كافر خارج من الإسلام.

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطرق يعني: الخط في الأرض؛ كتلك الخطوط الأرضية التي يخطها المشعوذون والرمَّالون، ويدّعون بها علم الغيب، فهذا منكر آخر ولا يجوز، وهو من الشرك الأكبر، فمن فعل خطوطًا في الأرض، وزعم أنه يعلم الغيب بذلك، وأنه يخبر بالغيب بهذا العمل، فإن فعله هذا من الشرك الأكبر، ومن دعوى علم الغيب»[(٢)].

الحقيقة:

حقيقة الطرق: هو ضرب الكهان، أو العرَّافين، أو الرمَّالين، في الأرض بالحصى، أو الخط في الأرض، بدعوى معرفة الأمور المغيبة، وصورته: أن يقعد الحازي، ويأمر غلامًا له بين يديه، فيخط خطوط على الرمل، أو التراب، ويكون ذلك منه في خفة وعجلة، كي لا يدركها العدُّ والإحصاء، ثم يأمره فيمحوها خطين خطين، وهو يقول: ابني عيان أسرع البيان، فإن كان آخر ما يبقى منه خطين فهو علامة على النجاح، وإن بقي خط فهو الخيبة والحرمان. وقد قيل: إن هذا العلم قد تركه الناس[(٣)].

الأدلة:

عن قبيصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «العيافة والطرق والطيرة من الجبت»[(٤)].

= [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣١) [المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]، تيسير العزيز الحميد (٣٤٠) [دار الصميعي، ط١، ١٤٢٨هـ]، والقول المفيد (١/ ٥١٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز (٢٧).

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣١)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ١٨٣).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩٠٧)، وأحمد (٢٥/ ٢٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب النجوم والأنواء، رقم ٦١٣١)، وقد =

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «نهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان، والمنجِّم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء كالبغوي، والقاضي عياض، وغيرهما»[(١)].

وقال حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنّ الكاهن وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عام في كل من ادَّعى معرفة المغيَّبات ولو بغيره؛ كالرمَّال الذي يخط في الأرض، أو غيرها، والمنجم الذي قدمنا ذكره، أو الطارق بالحصى، وغيرهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة؛ كالدلالة على المسروق، ومكان الضالة، ونحوها، أو المستقبلية؛ كمجيء المطر، أو رجوع الغائب، أو هبوب الرياح، ونحوها مما استأثر الله عَزَّ وَجَلَّ بعلمه، فلا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا من طريق الوحي»[(٢)].

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ظهر من أقواله ﷺ ومن تقريرات الأئمة من العلماء وفقهاء هذه الأمة أن علم النجوم والخط على الرمل وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومعرفة الخط، وما أشبه ذلك كلها من علوم الجاهلية ومن الشرك الذي حرَّمه الله ورسوله، ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- دفع إيهام التعارض بين حديث «كان نبي من الأنبياء يخط»، وبين أحاديث الباب:

عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منَّا رجالًا يأتون الكهان. قال: «**فلا تأتهم**». قال: ومنَّا رجال يتطيرون. قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنَّهم**». قال: قلت: ومنَّا رجال يخطون. قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطَّه فذاك**»[(٤)].

ذكر أهل العلم في ذلك أجوبة كلها

= اختلف أهل العلم في تضعيفه وتصحيحه، فحسَّنه النووي في رياض الصالحين (٤٠٩) [مكتبة المورد، ط١، ١٤٢٢هـ]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ١٧٩٤) [مكتبة المعارف].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/١٩٣ ـ ١٩٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) معارج القبول (٢/٧١٨) [دار ابن الجوزي، ط٦].

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، [عدد ٢٠، ٧ ـ ٨)، والمسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية لابن عبد الوهاب، مع شرحها ليوسف السعيد (٢/٨٦٠ ـ ٨٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٧).

تدل على النهي عن الخط في الأرض[١]:

أحدها: أن هذا كان جائزًا في شرع من قبلنا، ثم نسخ بشرعنا، فاستقر النهي على ذلك.

الثاني: أن من وافقه خطه فهو مباح له، لكن لا طريق إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح؛ بل هو نوع من أنواع الكهانة المحرمة.

وإنما عدل النبي ﷺ عن التصريح بالحرمة إلى التعليق بالموافقة؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذلك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذلك النبي، مع بيان الحكم في حقنا؛ فالمعنى: أن ذلك النبي لا منع في حقه، وكذلك لو علمتم موافقته، ولكن لا علم بالموافقة.

الثالث: أنه إذا كان الخط بالوحي من الله تعالى كما في حال هذا النبي، فلا بأس به؛ لأن الله يجعل له علامة ينزل الوحي بها بخطوط يعلمه إياها، أما هذه الخطوط السحرية فهي من وحي الشيطان.

وهناك أجوبة أخرى لكن كلها متفقة على النهي، قال الحافظ النووي: «فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن»[٢].

الفروق:

الفرق بين الطرق والكهانة:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الرمل والطرق اسمان خاصَّان داخلان تحت مسمى الكهانة، والكهانة أعمّ منهما.

قال النووي متحدثًا عن الكهانة: «ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدَّعي معرفتها بها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم»[٣].

ومن أهل العلم من جعل العرَّاف هو الاسم العام للكهانة والطرق والرمال ونحوها.

قال ابن تيمية: «والعرَّاف قد قيل إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق»[٤].

ومن أهل العلم من فرق بين العرافة والكهانة والطرق، فخص العرافة بأنها

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣٢)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ١٨٤٣)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٢/ ٤٦٤) [دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ٢٣) [المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٤٧هـ]، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (١٩٥ ـ ١٩٦) [ط٥، ١٤٢٤هـ]، والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ٥١٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/ ٢٣).

(٣) المصدر نفسه (١٤/ ٢٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣).

طلب معرفة الأمور المغيبة التي وقعت كمعرفة مكان المسروق، الضالة، وجعل الكهانة لمن يخبر عن المستقبل.

قال المناوي: «العرَّاف: الكاهن، لكن العراف يختص بالأحوال المستقبلية، والكاهن يخبر بالماضي»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام الكهانة وسؤال العرافين»، لإبراهيم أبا حسين.

٢ ـ «التنجيم والمنجمون»، لعبد المجيد المشعبي.

٣ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

٤ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٥ ـ «شرح السُّنَّة» (ج١٢)، للبغوي.

٦ ـ «المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية عند السلف»، لمحمد بن عبد الله آل باجسير

٧ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٨ ـ «القول المفيد» (ج١)، لابن عثيمين.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣٥)، لابن تيمية.

١٠ ـ «المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية»، لمحمد بن عبد الوهاب.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣٩)، وانظر: المصطلحات المستعملة في توحيد الألوهية لمحمد عبد الله آل باجسير (٢/ ٦٥٤).

الطعن في الصحابة

يراجع مصطلح (الصحابة).

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشيّ التيميّ[2]، يلتقي نسبه مع نسب النبي في مرة بن كعب، وأمه الصعبة بنت عمار الحضرمي، أخت العلاء بن الحضرمي، أسلمت وهاجرت، وأمها عاتكة بنت وهب بن قصي بن كلاب[3].

وهو المعروف بطلحة الفياض، وطلحة الخير، وطلحة الجود[4].

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٤) [دار الجيل، ط١]، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ٤٦٧) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ]، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٣/ ٤١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ]، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٢٩) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ١١١) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتهذيب الكمال (١٣/ ٤١٢).

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٤)، وأسد الغابة (٢/ ٤٦٧)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٤١٢).

مولده ووفاته:

ولد قبل الهجرة بثمان وعشرين سنة، وقيل سبع وعشرين سنة، وهذا بناء على سنِّه وقت وفاته؛ فقد قيل: إنه أربع وستون، وقيل: ثلاث وستون[١]. وقد استشهد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في موقعة الجمل، حيث كان أول قتيل لما التقى الجيشان[٢].

وقيل: إنه قتل بسهم من مجهول، حيث أصاب ساقه فلم يزل ينزف الدم حتى مات، في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين للهجرة، عن أربع وستين سنة، وقيل في رجب عن ثلاث وستين سنة، وقيل: اثنين وستين سنة، وقيل غير ذلك[٣].

إسلامه:

أسلم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ودخل في دين الله في وقت مبكر، فهو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق[٤].

وقد جاءت تفاصيل خبر إسلامه[٥]، لكنها لا تصح[٦].

فضائله:

أ ـ أنه رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما جاء من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[٧].

قال الإمام النووي في هذا الحديث: «وفيه بيان فضيلة هؤلاء»[٨].

ب ـ أنه رضي الله عنه من المؤمنين الذين شهد الله لهم بالصدق فيما عاهدوه عليه، في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا

(١) انظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية لمحمد إلياس (١٩٦) [مطابع الصفا، مكة، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: صحيح تاريخ الطبري ـ الخلافة الراشدة (٣/ ٣٨١) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ١١٤)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٥ ـ ٣٦).

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٥ ـ ٧٦٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٢٩).

(٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٦٦) [دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ١١٢)، وتهذيب الكمال (١٣/ ٤١٤).

(٦) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعُمَري (١/ ١٣٦) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٣/ ٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٨) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٩٠).

﴿عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب]، فقد جاء أن النبي ﷺ قال في طلحة رضي الله عنه: **«هذا ممن قضى نَحبَه»**[(١)].

ج ـ قول النبي ﷺ فيه: «**أوجب طلحة**»[(٢)]؛ لهوان نفسه عليه في سبيل حماية النبي ﷺ ونصرته يوم أُحد، فقد روى البخاري بإسناده عن قيس بن أبي حازم قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شُلَّت»[(٣)].

د ـ إخبار النبي ﷺ بأنه رضي الله عنه شهيد في سبيل الله، كما في حديث أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ: **اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم**»[(٤)].

قال النووي شارحًا هذا الحديث:

«وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ؛ منها: إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعليًّا وطلحة والزبير رضي الله عنهم قتلوا ظلمًا شهداء، فقتل الثلاثة مشهور... وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل ظلمًا فهو شهيد، والمراد: شهداء في أحكام الآخرة، وعظيم ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويُصلَّى عليهم»[(٥)].

مكانته:

أنه أحد الستة من أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو راض عنهم[(٦)]، فقد جاء في حديث عمرو بن ميمون الطويل في حادثة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وظهور علامات الموت عليه، وفيه: «فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى: عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمٰن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٠٣) وحسَّنه، والبزار في مسنده (٣/ ١٥٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وحسن سند هذا الطريق أيضًا الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الجهاد، رقم ١٦٩٢) وحسَّنه، وأحمد (٣/ ٣٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٧٩)، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٢٤).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٧).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٩٠).

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٥ ـ ٧٦٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٢٩).

من الأمر شيء، كهيئة التعزية له»[١].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: سبب عدم حضور طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه غزوة بدر:

شهد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه جميع الغزوات عدا غزوة بدر، بسبب إرسال النبي ﷺ إياه مع سعيد بن زيد إلى طريق الشام؛ ليتحسّسا أخبار العير، وقبل عودتهما خرج النبي بالمسلمين إلى غزوة بدر، وانتهت الغزوة بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين، وعادوا إلى المدينة، وبعد ذلك رجع طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما إلى المدينة، فجعلهما النبي ﷺ في حكم من حضرها؛ حيث ضرب لهما بسهمهما وأجرهما[٢].

ـ المسألة الثانية: خروج طلحة رضي الله عنه إلى البصرة وما تلا ذلك من مشاركته في القتال في موقعة الجمل:

إن ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم لا ينبغي الخوض فيه، لا سيما وأن كبراء الطائفتين كعلي وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم هم من المبشرين بالجنة، وعليه يجب سلامة الصدور

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٠٠).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٨، و٣/١٦٢، ٢٩٣)، وتاريخ الطبري (٢/٤٧ ـ ٤٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٧٦٥)، وسير أعلام النبلاء (١/١٣٦ ـ ١٣٧).

لجميع الصحابة، والإمساك عما شجر بينهم، وهذا معتقد السلف، وأئمة أهل السُّنَّة والجماعة.

ـ المسألة الثالثة: ما قيل من تحريض طلحة بن عبيد الله على عثمان رضي الله عنهما:

لقد عصم الله الصحابة رضي الله عنهم بصفة عامة، وطلحة رضي الله عنه بصفة خاصة، من دم عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلم يشاركوا في الفتنة لا من قريب ولا من بعيد[٣]؛ بل عرضوا على الخليفة عثمان الدفاع عنه، وأرسل كثير منهم أبناءه للذود عنه، لكن الخليفة أمرهم بترك ذلك.

ومع هذا؛ فإن المتتبع لأحداث الفتنة في كتب التاريخ من خلال روايات أبي مخنف والواقدي وابن أعثم وغيرهم من الأخباريين، يشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحقه، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان والمؤلِّبين ضده. ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف في حق طلحة، فهي مثلها في اتهامه بأنه حامل الثائرين ومؤلِّبهم[٤].

وتزعم بعض روايات الواقدي أن

(٣) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد أمحزون (٢/١٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/١٤).

عثمان رضي الله عنه كان يدعو الله أن يقيه من طلحة قائلًا: «اللَّهُمَّ اكفني طلحة بن عبيد الله؛ فإنه حمل علي هؤلاء وأَلَّبهم، والله إني لأرجو أن يكون منها صفرًا، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحل له»[١].

ولا شك أن الروايات التي تتهم طلحة بالتحريض على عثمان رضي الله عنهما ليست صحيحة، والثابت أن طلحة رضي الله عنه إنما خرج مطالبًا بدم عثمان رضي الله عنه، فكيف يتهم بالتحريض على قتله!؟.

موقف المخالفين منه:

- الروافض:

وجّه الروافض لطلحة رضي الله عنه طائفة من الطعون، غير آبهين بسابقته في الإسلام، وبما جاء في مناقبه العظام، فقدحوا في أصل نسبه واعتبروه ابن زنا[٢]، وادّعوا أنه كان من أعداء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى موته، وأن عليًّا رضي الله عنه شهد عليه بالنار[٣]؛ بل زعموا أنه أراد أن يتنصَّر[٤].

الرد عليهم:

جميع هذه الاتهامات باطلة، وبيانها **فيما يلي:**

أولًا: طعنهم في نسب طلحة مردود **لأمرين:**

أ ـ لمناقضته ما هو معروف من سلامة نسبه عند المؤرخين وعلماء الأنساب كما تقدم في ذكر نسبه.

ب ـ إن مستندهم في هذا هو ما ساقه هشام بن محمد الكلبي، وهو رافضي غير ثقة؛ بل هو متروك عند أهل العلم والفضل[٥].

وأما زعمهم: بأن طلحة مات على عداء علي وأن عليًّا شهد عليه بالنار فكله كذب مبين لا يستحق أدنى مناقشة؛ بل هو قدح في علي؛ إذ كيف يشهد بالنار على من شهد الله له بالجنة على لسان رسوله ﷺ كما تقدم في فضائله.

وأما زعمهم بأن طلحة أراد أن يتنصَّر فهو كذب؛ لأنه تكذيب لخبر الله وخبر رسوله ﷺ في الشهادة له بالجنة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٣)، لابن سعد.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩)، وأوردها الغبان في كتابه: فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢/ ٧٩٣) وقال: «وهذا الإسناد ليس فيه ما يعله غير الواقدي»، والواقدي متروك، ومتهم بالكذب.

(٢) انظر: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائب لابن طاووس (٤٩٥)، وإلزام النواصب لمفلح بن راشد (١٧٣) [تحقيق: عبد الرضا النجفي، ط١، ١٤٢٠هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (٣١/ ٦٤٧، و٣٢/ ٢١٩).

(٣) انظر: الشافي في الإمامة للشريف المرتضى (٤/ ٣٤٤) [مؤسسة إسماعيليان، قم، ط٢].

(٤) انظر: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف (٤٩٤).

(٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٣٠٤) [دار المعرفة، ط١]، ولسان الميزان (٨/ ٣٣٨) [دار البشائر الإسلامية، ط١].

٢ ـ «تاريخ الطبري» (ج٣).

٣ ـ «صحيح تاريخ الطبري ـ الخلافة الراشدة» (ج٣).

٤ ـ «دلائل النبوة» (ج٢)، للبيهقي.

٥ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٢)، لابن عبد البر.

٦ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج١)، للذهبي.

٧ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٣)، ابن حجر.

٨ ـ «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (ج١).

٩ ـ «السيرة النبوية الصحيحة» (ج١)، لأكرم ضياء العمري.

١٠ ـ «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين» (ج٢)، لمحمد أمحزون.

طلوع الشمس من مغربها

التعريف شرعًا:

هو خروج الشمس من جهة المغرب خلافًا لعادتها، دلالة على قرب يوم القيامة[١].

الحكم:

يجب الإيمان بأن الشمس ستطلع من مغربها في آخر أيام الدنيا، وأنها من أشراط الساعة الكبرى، وهي تدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر.

الأدلة:

يقول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[٢].

وعنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**»[٣].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[٤].

(١) كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الآتية.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»[(١)].

وقال ابن أبي زَمَنِيْن: «وأهل السُّنَّة يؤمنون بطلوع الشمس من مغربها، وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[(٢)].

وقال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت أُغلق باب التوبة»[(٣)].

وقال ابن كثير: «الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيمانًا أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه، وإنما كان كذلك والله أعلم؛ لأن ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: وقت خروجها:

جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تطلع الشمس من مغربها، وتخرج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرج قبل صاحبه، فالأخرى منها قريب، ولا أحسبه إلا طلوع الشمس من مغربها**» يقول: «هي التي أولًا»[(٥)]، وهي أول الآيات غير المألوفة خروجًا، قال ابن أبي العز عن الدابة: إنها: «أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة. وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٧٦٠) [مؤسسة الرسالة العالمية، ط٢، ١٤٣٣هـ].

(٢) أصول السُّنَّة (١٨٤) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) الرسالة الوافية (٢٤٣ ـ ٢٤٥) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ١٧٠) [دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣١٠)، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٦٩)، وأحمد (١١/ ٨٦) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٩) [مكتبة القدسي]: «رجاله رجال الصحيح»، وصحَّحه الألباني في أحكامه على السنن.

والحديث أصله في صحيح مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤١)، دون قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية»[(١)].

قال ابن حجر: «فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم. وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة. ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، وقد أخرج مسلم أيضًا من طريق أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «**أول الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى، فالأخرى منها قريب**»[(٢)]»[(٣)].

- **المسألة الثانية: التوبة بعد طلوع الشمس:**

طلوع الشمس من مغربها أحد ثلاث آيات لا ينفع الإيمان ولا التوبة من الكفر عند معاينتها، كما دلَّ عليه ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[(٤)].

كذلك فإنه إذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة من المعاصي أيضًا، ولا يقبل من أحد توبة بعد ذلك. وهذا لا يختص بيوم طلوعها فقط؛ بل يمتد إلى يوم القيامة؛ خلافًا لما ذهب إليه بعض أهل العلم أنه يمتنع قبول الإيمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب؛ أي: في تلك الحالة، قالوا وأما من تاب بعد ذلك أو أسلم قبل ذلك منه[(٥)]. يدل عليه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه**»[(٦)]، وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تنقطع الهجرة**

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٧٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٦٢) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) فتح الباري (١١/٣٦١) [المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٠هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٨).

(٥) ينظر: فتح الباري (١١/٣٦٣)، ولوامع الأنوار البهية (٢/١٤٣) [المكتب الإسلامي، دار أسامة]، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة (١/٥٥٠) [دار غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٣).

حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[(١)]، وما رواه معاوية ابن أبي سفيان، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم؛ أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب؛ فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه، وكُفِيَ الناسُ العملَ**»[(٢)]. قال عبد الملك بن حبيب الأندلسي رحمه الله: «إذا طلعت الشمس من مغربها ختمت باب التوبة على من لم يكن مؤمنًا، وعلى من كان مؤمنًا، ولم يكن مخلصًا قبل ذلك، وهو قوله جلَّ ذكره: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[(٣)].

الحكمة:

قال القرطبي: «إن إبراهيم عليه السلام قال لنمرود: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وإن الملحدة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك، ويقولون: هو غير كائن؛ فيطلعها الله تعالى يومًا من المغرب لِيُرِيَ المنكرين قدرته أن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق، وإن شاء أطلعها من المغرب»[(٤)].

ومن الحكمة في خروج الشمس من مغربها أيضًا بيان أن باب التوبة قد أغلق، وأن ليس للإنسان إلا ما قدم، يقول ابن حجر: «قال الحاكم أبو عبد الله: «الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه». قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة»[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.

٢ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٧٩)، وأحمد (٢٨/ ١١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٥٥)، وقال الخطابي في معالم السنن (٢/ ٢٣٥) [المطبعة العلمية، ط١]: «فيه مقال»، وصحَّحه الألباني بشواهده في الإرواء (رقم ١٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسَّن إسناده ابن كثير في التفسير (٣/ ٣٧٥) [دار طيبة، ط٢]، والألباني في الإرواء (٥/ ٣٤) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٣) أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار (١٠٢) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٤٧) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٥٨).

(٥) فتح الباري (١١/ ٣٦١) [المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٠هـ].

٣ ـ «أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار»، لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

٤ ـ «أشراط الساعة»، ليوسف الوابل.

٥ ـ «البحور الزاخرة» (ج١)، للسفاريني.

٦ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

٩ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر العسقلاني.

١٠ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

١١ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج٢)، للسفاريني.

١٢ ـ «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج١)، لابن كثير.

الطي

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «الطاء والواو والياء أصل صحيح يدل على إدراج شيء حتى يدرج بعضه في بعض ثم يحمل عليه تشبيهًا، يقال: طويت الثوب والكتاب طيًّا أطويه، ويقال: طوى الله عمر الميت، والطوي: البئر المطوية، ومن الباب: أطواء الناقة؛ وهي طرائق شحم جنبيها، والطيان: الطاوي البطن، ويقال: طوى؛ وذلك أنه إذا جاع وضمر صار كالشيء الذي لو ابتغي طيّه لأمكن، فإن تعمد للجوع قال: طوى يطوي طيًّا، وذلك في القياس صحيح»[(١)].

التعريف شرعًا:

الطيّ صفة فعلية ثابتة لله كما يليق بجلاله وعظمته.

الحكم:

يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ ومنه صفة الطي فيجب إثباتها لله كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

الأدلة:

الطي صفة من صفات الله الفعلية، وقد تنوعت دلالة النصوص عليها، فتارة يخبر الله تعالى بأنه يطوي السماوات، كما في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ١٠٤﴾ [الأنبياء].

وتارة يخبر تعالى بأن طيّه السماوات يكون بيمينه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا

(١) مقاييس اللغة (٣/٤٢٩) [دار الجيل، ط٢].

قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر].

وثبت عن النبي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**»[(١)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن القيِّم رحمه الله في صدد حديثه عن صفة اليد والرد على من أوّلها: «ورد لفظ: (اليد) في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة»[(٢)].

وقال الغنيمان: «قوله: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه**»؛ القبض هو: أخذ الشيء باليد وجمعه، والطي هو ملاقاة الشيء بعضه على بعض، وجمعه ولفِّه، وهو قريب من القبض، وهذا من صفات الله تعالى الفعلية التي تتعلق بمشيئته وإرادته، وهي ثابتة بآيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ وهي مما يجب الإيمان به؛ لأن ذلك داخل في الإيمان بالله تعالى، ويحرم تأويلها المخرج لمعانيها عن ظاهرها، وقد دلَّ على ثبوتها لله تعالى العقل أيضًا، فإنه لا يمكن لمن نفاها إثبات أن الله هو الخالق لهذا الكون المشاهد؛ لأن الفعل لا بد له من فاعل، والفاعل لا بد له من فعل، وليس هناك فعل معقول إلا ما قام بالفاعل، سواءً كان لازمًا كالنزول والمجيء، أو متعديًا كالقبض والطي، فحدوث ما يحدثه ـ تعالى ـ من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة به تعالى.

وما صرح به في هذا الحديث من القبض والطي، قد جاء صريحًا أيضًا في كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر]. والأحاديث والآثار عن السلف في صريح الآية، والحديث المذكور في الباب، كثيرة وظاهرة جلية»[(٣)].

۞ مذهب المخالفين:

ينفي المتكلمون بصفة عامة الأفعال الاختيارية عن الله تعالى، سواء كانت

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥١٩)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

(٢) مختصر الصواعق (٣٨٨) [دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/١٢٢ ـ ١٢٣) [دار العاصمة، ط٢].

أفعالًا متعدية كالطي والقبض ونحوهما، أو لازمة كالنزول والاستواء ونحوهما؛ خوفًا ـ بزعمهم ـ من حلول الحوادث في ذاته، فتسلطوا على هذه الصفات بالتحريف والإبطال؛ حيث جعلتها المعتزلة من باب الخيال والتمثيل المحض.

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]: «من غير تصور قبضة وطي يمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي»[(١)].

وقال أيضًا في الآية موضع آخر: «وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره، وأن كل مقدور وإن عظم وجل، فهو مستصغر إلى جنب قدرته»[(٢)].

وحذا الرازي حذوه في تفسير الآية فقال: «وليس الغرض منه إلا تصوير أن كل مقدور وإن عظم فهو حقير بالقياس إلى قدرته»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء الجهمية لهم قدح في كلا الأصلين ـ يعني: التوحيد والرسالة ـ فإنهم لا يقدرون الله حق قدره فلا يقبض عندهم أرضًا ولا يطوي السماء بيمينه»[(٤)].

وقال الغنيمان: «وهو تعالى حي قيوم، فعال لما يريد، فمن أنكر قيام الأفعال الاختيارية به تعالى، فإن معنى ذلك أنه ينكر خلقه لهذا العالم المشاهد، وغير المشاهد، وينكر قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [فصلت]، فالعقل دلَّ على ما جاء به الشرع. وما صرح به في هذا الحديث من القبض والطي، قد جاء صريحًا أيضًا في كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر]. والأحاديث والآثار عن السلف في صريح الآية، والحديث المذكور في الباب، كثيرة وظاهرة جلية، لا تحتمل تأويلًا ولا تحتاج إلى تفسير، ولهذا صار تأويلها تحريفًا وإلحادًا فيها»[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٣)، لابن تيمية.

---

(١) الكشاف (١/ ٣٢٨) [دار إحياء التراث العربي].

(٢) الكشاف (٣/ ٤٢٠).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٤/ ٢١٧) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) بيان تلبيس الجهمية لرد بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٧٨٧ ـ ٧٨٨) [طبعة مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ]..

(٥) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان [دار العاصمة، ط٢، ١٤٢٢هـ].

٢ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج١)، للغنيمان.

٣ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

الطيّب

التعريف لغة:

الطيِّب: اسمٌ من طاب يطيب طيبًا، وأصل مادته: (ط ـ ي ـ ب)، والطاء والياء والباء أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث، والسلامة منه، كما يدل على الطهارة والزكاة والحلال، والاستطابة: الاستنجاء؛ لأن الرجل يطيب نفسه مما عليه من الخبث بالاستنجاء، والطيبات من الكلام: أفضله وأحسنه، والكلم الطيب: التوحيد، وقيل: كل ذكر ودعاء، والكلمة الطيبة شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وسمَّى رسول الله المدينة طابة يريد أنها طاهرة من الخبث والنفاق، والأرض الطيبة: التي تصلح للنبات، والريح الطيبة: اللينة، والطعمة الطيبة: الحلال[١].

التعريف شرعًا:

قال ابن رجب رحمه الله: «والطيِّب هنا معناه الطاهر والمعنى أن الله سبحانه وتعالى مقدس منزه عن النقائص والعيوب كلها»[٢].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

توافق المعنى الشرعي مع اللغوي، من حيث الأصل من السلامة من كل نقص مع الطهارة، مع زيادة بعض المعاني اللغوية على المعنى الشرعي، فالمعنى اللغوي أعم.

سبب التسمية:

لأنه سبحانه وتعالى الطيب في ذاته، فهي أكمل الذوات، المتصفة بأعلى وأكمل الصفات، والطيب في أسمائه؛ لإنبائها عن أحسن المعاني، وأشرف الدلالات، والطيب في أفعاله؛ لأنها في غاية الحق والصواب، فلا يفعل إلا الأكمل، والأحسن، والطيب في أقواله؛ فهي صدق في الأخبار، وعدل في الأوامر والنواهي[٣].

الأسماء الأخرى:

القدوس.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم من

(١) انظر: العين (٧/ ٤٦١) [مكتبة الهلال]، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٣٥) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ]، ولسان العرب (١/ ٥٦٤) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) جامع العلوم والحكم (٩٩) [دار المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١١) [دار الكتب العلمية]، والتيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٢٥٤) [مكتبة الإمام الشافعي، ط٣].

(٣) انظر: أسماء الله الحسنى لماهر المقدم (٢٦٨) [مكتبة الإمام الذهبي، ط٢٨، ١٤٣٤هـ].

أسماء الله تعالى ومعرفة معناه ومدلوله على صفة الطِّيْب لله تعالى.

الحقيقة:

أن اسم الله الطيب من أسماء الله الحسنى، ويدل على التنزيه العام عن كل النقائص والعيوب التي لا تليق بالله ﷻ من كل وجه، وهو بالتالي يتضمن إثبات غاية الكمال له سبحانه وتعالى من كل الوجوه، وأنه سبحانه لا يشبهه ولا يماثله أحدٌ من خلقه في كماله وصفاته، فهو المنفرد بالكمال المطلق سبحانه وتعالى.

الأدلة:

لم يرد اسم الطِّيب في القرآن الكريم، وإنما ورد في السُّنَّة المطهرة الطيبة مطلقًا منونًا مُرادًا به العلمية ودالًّا على كمال الوصفية، وذلك فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّها الناس إنّ الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّبا، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [المؤمنون]، **وقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثمَّ ذكر الرَّجل يُطيل السَّفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السَّماء: يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك!**»[١].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠١٥).

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده رحمه الله: «ومن أسماء الله عز وجل: الطيب»[٢].

٢ ـ وقال القاضي عياض رحمه الله: «ومعنى تسمية الله بالطيب هنا ـ ولم يأت في حديث الأسماء ـ أي: المنزه عن النقائص، بمعنى: القدوس»[٣].

وقال القرطبي رحمه الله: «**«إن الله طيب»**؛ أي: منزّه عن النقائص والخبائث، فيكون بمعنى: القدوس، وقيل: طيب الثناء، ومستلذ الأسماء عند العارفين بها، وعلى هذا فطيب من أسماء الله الحسنى المعدود في جملتها المأخوذ من السُّنَّة»[٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الشارع قد ذكر أنه يحب اتصاف العبد بمعاني أسماء الله تعالى؛ كقول النبي ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال»**[٥]، **«إنه وتر يحب الوتر»**[٦]، **«إنه طيب لا يقبل إلا طيبًا»**»[٧].

(٢) كتاب التوحيد (٣٨٠).

(٣) إكمال المعلم (٣/ ٢٨٣).

(٤) المفهم (٩/ ٢٧)، كتاب الزكاة.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤١٠)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٧) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٥١٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، وانظر: مجموع الفتوى (٢٢/ ٤٨٤).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في تعداد الأسماء الواردة في السُّنَّة: «ومن سُنَّة رسول الله ﷺ: الجميل، الجواد، الحكم، الحيي، الرب، الرفيق، السبوح، السيد، الشافي، الطيب، القابض»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفة الطِّيْب:

إن من صفات الله تعالى صفة الطِّيْب، وهي مشتقة من اسم الله الطَّيِّب[(٢)].

ـ المسألة الثانية: حكم تسمية المخلوق بالطيّب:

يجوز التسمي بهذا الاسم من قبل المخلوقين، ولكن مع ملاحظة الفرق بين إطلاقه على الخالق فيطلق على ما يليق بجلاله وكماله، وبين تسمية المخلوق به على ما يليق بعجزه ونقصه، وقد كان رسول الله ﷺ سمى أحد أولاده بالطيب، وسمى عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسولَ الله ﷺ بالطيب، ففي سنن ابن ماجه عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما غسل النبي ﷺ ذهب يلتمس منه ما يلتمس من الميت فلم يجده. فقال: بأبي الطيب، طبت حيًّا وطبت ميتًا»[(٣)].

وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**يا أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبًا**» قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: الطيب ضد الخبيث، فإذا وصفه به تعالى أريد به أنه منزه عن النقائص مقدس عن الآفات، وإذا وصف به العبد مطلقًا أريد به أنه المتعري عن رذائل الأخلاق وقبائح الأعمال والمتحلي بأضداد ذلك، وإذا وصف به الأموال أريد به كونه حلالًا من خيار الأموال»[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: محبة الله لصفاته:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يحب صفاته، ويحب من العبد أن يتعبَّد له بها، فهو طيب يحب الطيبين وكل ما هو طيب، وهو عفو يحب العفو، وهكذا، فإذا كان يحب صفاته وهي قائمة بذاته، فكيف بمحبته لذاته[(٥)].

الفروق:

الفرق بين الطيّب والطاهر:

أن الطيب قد ينفك عن الطاهر وكذا على العكس؛ لأنه كم من طيب لا يكون طاهرًا، وكذا أيضًا كم من طاهر لا

---

(١) القواعد المثلى مع شرح فتح العلي الأعلى (٨٠) [مكتبة الفرقان، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: صفات الله عَزَّ وَجَلَّ للسقاف (١٦٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٦٧)، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٢٦) [دار العربية، ط٢]، والألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(٤) تحفة الأحوذي (٨/ ٢٦٦) [دار الكتب العلمية]. وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٢٤١).

(٥) انظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٥٨ ـ ١٤٥٩) [دار العاصمة ط٣، ١٤١٨هـ]، وزاد المعاد (١/ ٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ].

يكون طيبًا. فبين الطيب والطاهر عموم وخصوص من وجه؛ لتصادقهما في الزعفران، وتفارقهما في المسك والتراب[(١)].

أما في أسماء الله تعالى فالطيب يرادف اسم الله القدوس، فمدلولهما واحد، إلا أن يكون القدوس يدل على تنزيه ذات الله من النقائص، والطيب تنزيهه عن العيوب والنقائص في ذاته وفي أفعاله وأسمائه وصفاته، فيكون من هذه الناحية (الطيب) أعم من (القدوس)، وذكر العلماء: أن من معاني القدوس: المبارك، والذي تقدسه الملائكة، فيكون من هذه المعاني أعم من الطيب، فالطيب أعم من حيث متعلقه، والقدوس أعم من حيث معناه، والله أعلم[(٢)].

الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم على العبد: أنه لا يرضى إلا بالطيب، ولا يسكن إلا إليه ولا يطمئن قلبه إلا به، فله من الكلام الكلم الطيب الذي لا يصعد إلى الله تعالى إلا وهو خال من الفحش والتفحش، ومن الأعمال إلا أطيبها وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية؛ كأن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.

وله أيضًا من الأخلاق أطيبها وأزكاها كالحلم والوقار والسكينة والرحمة.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها وهو الحلال الهنيء المريء.

وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها، ومن الرائحة إلا أطيبها وأزكاها، ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين منهم.

فالله ﷻ جعل الطيب بحذافيره في الجنة فقد أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ - «بدائع الفوائد» (ج٢)، لابن القيِّم.

٢ - «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٣ - «زاد المعاد» (ج١)، لابن القيِّم.

٤ - «طريق الهجرتين»، لابن القيِّم.

٥ - «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٦ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق العباد البدر.

(١) الكليات للكفوي (٤٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م]، ودستور العلماء (٢/ ١٩٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: النهج الأسنى للمحمود (٨٢) [مكتبة الامام الذهبي، ط٤، ١٤٣٣هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢٦٧ ـ ٢٦٨) [دار الإمام الذهبي، ط٢٦، ١٤٣٣هـ].

(٣) انظر: زاد المعاد (١/ ٦٥)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٩٩ ـ ١٠٠).

٧ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.

٨ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج٣)، للحمود.

٩ ـ «أسماء الله الحسنى»، لماهر مقدم.

١٠ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦)، لابن تيمية.

الطيرة

التعريف لغة:

الطيرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن، اسم مصدر من تطير يقال: تطير طيرة، كما يقال: تخير خيرة، ولم يجئ في المصادر هكذا غيرهما، يقال: تطَّير فلان واطَّيَّر بمعنى، وأصل الطيرة هو التفاؤل والتشاؤم بالطير ونحوها. ثم استعمل في كل ما يُتفاءَل به ويُتشاءم من الحيوان وغير الحيوان، قال أبو عبيد: الطائر عند العرب الحظ، وهو الذي تسميه العرب البخت. وقال الفراء: الطائر معناه عندهم العمل، وطائر الإنسان عمله الذي قلده، وقيل رزقه، والطائر الحظ من الخير والشر[(١)].

التعريف شرعًا:

الطيرة: هي الحامل على الفعل أو الترك[(٢)].

ومن أقوال العلماء الواردة في تعريفها **ما يلي:**

قال ابن عبد البر: «أصل التطير واشتقاقه عند أهل العلم باللغة هو مأخوذ من زجر الطير ومروره سانحًا أو بارحًا، منه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغير الحيوان، فتطيروا من الأعور والأعضب والأبتر»[(٣)].

وقال النووي: «والتطير: التشاؤم، وأصله: المكروه من قول أو فعل أو مرئي»[(٤)].

وقال ابن تيمية: «وأما الطيرة فإن يكن قد بدأ في فعل أمر وعزم عليه فيسمع كلمة مكروهة مثل: «ما يتم» فيتركه فهذا منهي عنه»[(٥)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يُعد المعنى الشرعي للطيرة تبعًا لمعناها

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٥٢) [دار الكتب العلمية]، ولسان العرب (٤/ ٥١١) [دار صادر، ط٣].

(٢) انظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد (١٩٦) [دار الصحابة، ط٤]، وانظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٦)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٣).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٢٨٢) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط٢، ١٤٠٢هـ].

(٤) شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢١٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ].

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٢٧) [ط١، ١٤١٨هـ]. وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢١٧ ـ ٢١٨) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ].

اللغوي، وذلك أن أصل الطيرة في اللغة هو التشاؤم بالسوانح والبوارح من الطير والحيوان، وقد أُطلق في الشرع بهذا المعنى، إلا أن العلماء توسعوا في إطلاقه حتى شمل ذلك التشاؤم بكل مكروه من الأقوال والأفعال والمناظر وغيرها.

سبب التسمية:

تسمية الطيرة بهذا الاسم ظاهرة مما كان يفعله أهل الجاهلية من زجر الطير والتشاؤم بها، وإن كانوا قد يفعلون ذلك مع غير الطيور كالظباء، إلا أنه لما كان غالب ذلك إنما يكون مع الطيور سميت بذلك، قال الخطابي: «إن الطيرة إنما أخذت من اسم الطير، وذلك أن العرب كانت تتشاءم ببروح الطير إذا كانوا في سفر أو مسير»[(١)].

الأسماء الأخرى:

اشتهرت الطيرة بهذا الاسم، ويُطلق عليها أيضًا بعض المسميات الأخرى، **فمن ذلك:**

١ ـ العيافة.

٢ ـ التشاؤم[(٢)].

الحكم:

الطيرة محرمة بإجماع أهل العلم لقوله في الحديث: «**الطيرة شرك**»[(٣)]، قال سليمان بن عبد الله: «قوله: «**الطيرة شرك**» صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك، لما فيها من تعلق القلب بغير الله»[(٤)].

الحقيقة:

العرب كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور، فالطيرة عندهم كانت على **وجهين:**

- على الظن الحسن الذي يحمل على فعل الشيء.

- وعلى الظن السيِّء الكائن في القلب، الذي ينتج عنه توهمٌ يترتب عليه ما يؤدي إلى إحجام الإنسان عن فعل الأسباب أو عن الإقدام على الأشياء، سواء كان إحجامًا قلبيًّا أو إحجامًا عمليًّا، بدون سبب شرعي، وإنما لمجرد سماع كلمة أو نظرَ إلى شيء لا يعجبه أو خطر له خاطر فيعرض عن العمل، فهذا من الطيرة. وهذا كله ناتج عن ضعف الإيمان والتوكل على الله[(٥)].

الأدلة:

تعددت النصوص في النهي عن الطيرة، وذم ذلك فأخبر الله تعالى عن

(١) معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٣٥) [المكتبة العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ].

(٢) شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢١٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٣) [مكتبة الرياض الحديثة].

(٣) سيأتي تخريجه في الأدلة.

(٤) تيسير العزيز الحميد (٤٣٨) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].

(٥) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (٧٤ ـ ٧٧) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ].

المشركين أنهم كانوا يتطيرون بالمؤمنين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ [يس: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾ [النمل]. ومما لا شك فيه أن هذا ورد على سبيل الذم لهم على هذا الفعل القبيح.

وأما السُّنَّة؛ فقد ورد فيها النهي الصريح عن ذلك، كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»[1]. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة شرك**»[2].

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيِّم رحمه الله: «قوله: «**لا طيرة**» هذا يحتمل نفيًا أو يكون نهيًا؛ أي: لا تتطيروا، ولكن قوله في الحديث: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه»[3].

وقال ابن العربي: «وهي - أي: الطيرة - نوع من التعلق بأسباب يزعم المتعلق بها أنها تطلعه على الغيب وهي كلها كفر»[4].

وقال سليمان بن عبد الله: «قوله: «**الطيرة شرك**» صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك، لما فيها من تعلق القلب بغير الله»[5].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من **وجهين**:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له؛ فأي رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل لك؟!، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة]، إذن فالطيرة محرمة وهي

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٠)، والترمذي (أبواب السير، رقم ١٦١٤) وصحَّحه، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٨)، وأحمد (٦/ ٢١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٢٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (٥٨٠) [مكتبة حميدو، مصر، ط٣، ١٣٩٩هـ].

(٤) عارضة الأحوذي لابن العربي (٧/ ١١٦) [دار الكتب العلمية].

(٥) تيسير العزيز الحميد (٤٣٨).

منافية للتوحيد»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صور التطير والتشاؤم قديمًا وحديثًا:

١ ـ التطير ببعض الأزمنة من الشهور والأيام؛ كشهر صفر وشوال، وكيوم الثلاثاء والأربعاء، ونحو ذلك.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»[(٢)].

وقد كان العرب يتشاءمون بشهر صفر، فنهى عن ذلك النبي ﷺ وبيَّن أنه لا شؤم فيه؛ بل هو كغيره من الشهور.

ويقال ذلك أيضًا لكل من يتشاءم بشوال كالذين لا يتزوجون فيه خشية عدم السعادة الزوجية، وذلك لوقوعه بين عيدين.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم ـ معلقًا على حديث: «**ولا صفر**» ـ: «نفي لما كان عليه أَهل الجاهلية من التشاؤم بشهر صفر، ويقولون: هو شهر الدواهي، فنفى ذلك ﷺ وأَبطله، وأَخبر أَن شهر صفر كغيره من الشهور، لا تأْثير له في جلب نفع ولا دفع ضرر، وكذلك الأَيام والليالي والساعات لا فرق بينها، وكان أَهل الجاهلية يتشاءَمون بيوم الأَربعاء، ويتشاءَمون بشهر شوال في النكاح فيه خاصة»[(٣)].

٢ ـ التشاؤم ببعض الطيور والحيوانات كالبومة والغراب، وبحركات الطيور والظباء وغيرها من الحيوان، وهذا كثير عند أهل الجاهلية، وهو أصل الطيرة كما تقدم، ولا يزال موجودًا في بعض المجتمعات الإسلامية كما هو عند أهل الجاهلية، لا سيما التشاؤم بالبومة والغراب.

٣ ـ التشاؤم من ذوي العاهات من بني آدم كالأعور والأعرج ونحوهما، فإذا جاء أرباب العاهات إلى أصحاب التجارة في الصباح الباكر، تشاءموا بهم، حتى ربما أغلق بسببهم متجره تشاؤمًا بصاحب العاهة.

٤ ـ التشاؤم ببعض الأرقام؛ كرقم سبعة أو عشرة أو ثلاثة عشر، فالرافضة «يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة، حتى البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك؛ لكونهم يبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنة»[(٤)].

وكثير من الكفار اليوم يتشاءمون بالرقم (١٣)، ولذا حذفته بعض شركات

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٧٧) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١/١٤٧) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٤) منهاج السُّنَّة النبوية (١/١٠).

الطيران والسياحة في الدول الغربية من ترقيم مقاعد المسافرين، كما حُذف من ترقيم المصاعد ونحوها في الفنادق والعمائر وغيرها.

وقد عزا بعضهم هذا التشاؤم إلى خيانة يهوذا، ذي الرقم (١٣) للمسيح في العشاء السري.

وعزا ذلك بعض علماء الأرقام إلى كون هذا الرقم هو الذي يلي الرقم (١٢) الذي يدل على الكمال، إذ إن السنة مؤلفة منه وكذا الأبراج وغيرها.

٥ ـ التشاؤم ببعض الألوان؛ كاللون الأسود، قالوا أن هذا اللون يدل على الحزن والضيق، ولذا ربطوا بين هذا اللون وبين ما يكرهون، حتى نسبوا السواد إلى الأيام، فقالوا: فلان نهاره أسود، إشارة إلى وقوع ما يكره في ذلك اليوم، وكثيرًا ما يتشاءمون بهذا اللون إذا رأوه مع بداية السَّنة.

ـ المسألة الثانية: علاج الطيرة:

بيَّن النبي ﷺ علاج الطيرة، **وذلك في أمور ثلاثة:**

١ ـ التوكل على الله ﷻ، واليقين بأنه لا يأتي بالخير ولا يدفع الشر إلا هو ﷻ، وأنه تعالى هو المتصرف في خلقه، فإذا توكل على الله تمام التوكل فإن الطيرة لا تضره.

٢ ـ أن يمضي في حاجته التي أرادها، ولا يرجع أو يتردد بسبب ما شاهده أو سمعه مما يتعلق بالطيرة.

٣ ـ أن يدعو الله بالدعاء الذي أرشد إليه النبي ﷺ، وهو أن يقول: «**اللَّهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(١)]، وغير ذلك من الأدعية الواردة في كفارة الطيرة.

ـ المسألة الثالثة: بيان معنى قوله ﷺ: «لا طيرة وخيرها الفأل»:

الفأل: هو تقوية عزم الإنسان على شيء يريده، فيُسر به[(٢)]. وقد اختلف العلماء في الفأل؛ أهو من الطيرة أم ليس منها؟ **على قولين:**

القول الأول: أن الفأل من الطيرة، وإنما استثناه النبي ﷺ من الحكم، **واستدلوا لذلك بما يلي:**

١ ـ قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: **الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[(٣)].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٩)، والبيهقي في الدعوات (٢/٢٠٥) [مؤسسة غراس، ط١]، وقال: هذا مرسل، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٦١٩).

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (٣١٦) [دار مكتبة الحياة، ط١٩٨٦م]، والدر النضيد على أبواب التوحيد (١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٤)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣).

٢ ـ ما رواه عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا**»[١]، فهذا الحديث يدل على أن الفأل داخل في الطيرة[٢].

القول الثاني: أن الفأل ليس من الطيرة أصلًا، **واستدلوا لذلك بما يلي**:

١ ـ قوله ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة**»[٣].

٢ ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة»[٤].

قالوا: ففي هذين الحديثين التفريق بين الطيرة والفأل، مما يدل على عدم دخول أحدهما في الآخر، وأجابوا عن أدلة أصحاب القول الأول التي تشعر بأن الفأل من الطيرة، فقالوا:

أ ـ إن إضافة الفأل إلى الطيرة هي إضافة توضيح، لا لكون الفأل داخل في الطيرة.

ب ـ إن قوله في الحديث: «**وخيرها الفأل**» إنما هو لبيان القدر المشترك بين الطيرة والفأل[٥].

الفروق:

الفرق بين الطيرة والفأل:

١ ـ أن الفأل لا يحمل الإنسان على الفعل، وإنما يقوي عزمه، ولا يعتمد عليه. قال سليمان بن عبد الرحمٰن الحمدان رحمه الله: «وأما الفأل الذي كان يحبه ﷺ ففيه نوع بشارة، فيسر به العبد، ولا يعتمد عليه فافهم الفرق، ومن شرط الفأل أن لا يقصده»[٦]. والطيرة هي ما أمضاك أو ردك.

٢ ـ أن الفأل إنما يكون من طريق حسن الظن بالله تعالى، بخلاف الطيرة، فلا تكون غالبًا إلا في السوء، فلذلك نهي عنها.

٣ ـ أن الفأل ليس فيه تعلق القلب بغير الله، بخلاف الطيرة ففيها تعلق القلب بغير الله تعالى.

٤ ـ مصدر الفأل في الغالب عن نطق وبيان، بخلاف الطيرة فمصدرها في الغالب عن حركة طير أو نطقه.

٥ ـ الإعجاب بالفأل جاء متوافقًا مع فطرة الإنسان في محبة النفس لما يلائمها والأنس بالكلمة الطيبة، بخلاف

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩١٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٦١٩).
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٥٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٦)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٤).
(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٦)، وأحمد (١٤/١٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب العدوى والطيرة والفأل، رقم ٦١٢١)، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٤) [دار المعرفة].
(٥) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢١٤).
(٦) الدر النضيد على أبواب التوحيد (١٩٦).

الطيرة فهي مخالفة لذلك داعية إلى الخوف والفزع.

الآثار:

١ ـ الخوف والقلق، بكثرة الوساوس، وتفتح أبوابها في كل ما يسمعه ويراه.

٢ ـ التعلق بغير الله تعالى، وتوقع الخير والنفع من غيره ﷻ.

٣ ـ تلاعب الشيطان بالمتطير، بتنكيد عيشه وإفساد دينه ودنياه.

٤ ـ وقوع صاحب ذلك في الشرك، واعتقاده النفع والضر من غير الله تعالى.

٥ ـ تركه لكثير من حاجاته، وتفويته لمصالحه اعتمادًا على مثل هذه الخرافات الزائفة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإخلاص والشرك الأصغر»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

٢ ـ «التمهيد»، لابن عبد البر.

٣ ـ «التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب»، د. عبد الله الدميجي.

٤ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٥ ـ «رسالة الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

٦ ـ «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ».

٧ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٨ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٩ ـ مجلة «البيان، بحث: التشاؤم والتطير»، لمحمد الخضيري.

١٠ ـ «مفتاح دار السعادة»، لابن القيِّم.



حرف الظاء

الظالم لنفسه

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

الظاهرُ الباطنُ

التعريف لغة:

الظاهر: اسم الفاعل من فعله الثلاثي (ظهر)، والظاء والهاء والراء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلّ على قوّةٍ وبروز، من ذلك ظَهَرَ الشيءُ يظهرُ ظهورًا فهو ظاهر؛ إذا انكشفَ وبرزَ. وظهرت البيت: علوته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، ويكون الظهور بمعنى الغلبة والقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩][١].

والباطن: اسم فاعل للفعل الثلاثي (بطن)، والباء والطاء والنون أصل واحد لا يكاد يُخْلِف، وهو إِنْسِيُّ الشيءِ والمقبِل مِنه. فالبطن خلاف الظهر. وباطنُ الأمر دخْلَته، خلافُ ظاهرِه. تقول: بَطَنْتُ هذا الأمرَ؛ إذا عرفتَ باطنَه[٢].

التعريف شرعًا:

الظاهر: الذي ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء، **والباطن**: الذي ليس دونه شيء يكون أعظم بطونًا منه حيث بطن من الجهة الأخرى من العباد، الدالان بمجموعهما على الإحاطة والسعة[٣].

قال ابن تيمية: «فأخبر أنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وأنه الباطن الذي ليس دونه شيء، فهذا خبر بأنه ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء، وأنه ليس دونه شيء فلا يكون أعظم بطونًا منه حيث بطن من الجهة الأخرى من العباد، جمع فيها لفظ البطون ولفظ الدون، وليس هو لفظ الدون بقوله: وأنت الباطن فليس دونك شيء، فعلم

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٤٧١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (١٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والصحاح (٢/ ٢٩٣)، والأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١٢٥، ١٢٦) [المكتبة الحضرية، ط٤، ١٤٢٧هـ]، ولسان العرب (٤/ ٥٢٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٢٥٩) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٣٧ ـ ٣٨) [طبعة مجمع الملك فهد].

أن بطونه أوجب أن لا يكون شيء دونه، فلا شيء دونه باعتبار بطونه، والبطون يكون باعتبار الجهة التي ليست ظاهرة، ولهذا لم يجئ هذا الاسم الباطن إلا مقرونًا بالاسم الظاهر؛ لأن مجموع الاسمين يدلان على الإحاطة والسعة[1].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

توافق المعنى الشرعي مع اللغوي، مع اختصاص الشرعي بمزيد بيان، وخصوصية في حق المولى ﷻ.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذين الاسمين من أسماء الله تعالى لدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع عليهما، ومعرفة معناهما والإيمان بمدلولهما على صفة العلو والقرب والمعية والإحاطة لله تعالى[2].

الحقيقة:

ظهور الرب ﷻ: ظهور غلبة وقهر وقوة؛ فما من مخلوق إلا وتحت قبضته وتحت مشيئته وملكه لا يخرج عن ملكه شيء.

وهو كذلك: ظهور علو وفوقية، فقد استوى ﷻ فوق العرش الذي هو أعلى المخلوقات كما أنه ﷻ ظهوره ظهور حكمة وعلم وقدر وعظمة.

وأما بطونه سبحانه فهو بطون علم وإحاطة بكل شيء، وبطون قرب ومعية[3].

المنزلة:

بيَّن ابن القيِّم رحمه الله منزلة هذين الاسمين وأهمية معرفتهما فقال: «فمعرفة هذه الأسماء الأربعة: الأول والآخر والظاهر والباطن هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، وهي جماع المعرفة بالله وجماع العبودية له»[4].

الأدلة:

ورد هذان الاسمان المزدوجان مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

وورد ذكرهما في السُّنَّة المطهرة فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «**اللَّهُمَّ ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم، ربنا وربّ**

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٣٧ ـ ٣٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف].

(٢) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٤٠) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢٣) وما بعدها [مكتبة المتنبي].

(٤) طريق الهجرتين (٤٦) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ].

كل شيء، فالق الحب والنوى، ومُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّين وأغننا من الفقر»[(١)].

وذكرهما كل من كتب في الأسماء الحسنى، وكذلك المفسرون؛ بل أجمعت الأمة على أنهما من أسماء الله الحسنى، نقل هذا الإجماع القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الظاهر: ظاهر بحكمته، وخلقه وصنائعه وجميع نعمه التي أنعم بها فلا يرى غيره، ومعنى الباطن: المحتجب عن ذوي الألباب كنه ذاته وكيفية صفاته عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأولية الله عَزَّ وَجَلَّ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته: سبقه لكل شيء، وآخريته: بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان؛ زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قِدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا؛ بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولًا وآخرًا

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣).

(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١٢٤، ١٨٩) [المكتبة الحضرية، ط٤، ١٤٢٧هـ].

(٣) كتاب التوحيد (٣٢٢)، وانظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السُّنَّة (١/ ١٣٠).

وظاهرًا وباطنًا»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر: يدل على عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات وعلى علوه.

والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربه ودنوه»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من الخطأ قصرُ تفسير اسم الله الظاهر على أنه المعروف المعلوم فحسب:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الظاهر ضمّن معنى العالي، فكل ما علا الشيء ظهر، ولهذا قال: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء**»، فأثبت الظهور وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شيء ولم يقل ليس شيء أبين منك ولا أعرف، وبهذا تبين خطأ من فسر الظاهر بأنه المعروف، كما يقوله من يقول: الظاهر بالدليل، الباطن بالحجاب، كما في كلام أبي الفرج وغيره، فلم يذكر مراد الله ورسوله، وإن كان الذي ذكره له معنى صحيح»[(٣)].

ـ المسألة الثانية: يُمنع تسمية الملوك باسم الله (الظاهر والباطن):

يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب تبارك وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ولا بالخالق ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر والأول والآخر والباطن وعلام الغيوب»[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: إثبات صفة العلو والظهور والفوقية لله تعالى:

وذلك من اسمه الظاهر، وهي صفة ذاتية ثابتة لله تعالى، وأدلتها أكثر من أن تحصر، دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة والحس، انظرها في صفة العلو.

واستدل بهذا الحديث وباسمه الظاهر على صفة العلو كثير من العلماء، منهم ابن خزيمة في كتابه التوحيد وابن تيمية وابن القيِّم وابن أبي العز رحمهم الله وغيرهم كثير.

ـ المسألة الرابعة: من لوازم اسم الله الظاهر أن لا يكون فوق الله شيء، حتى وإن نزل إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله:

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك اسمه

(١) طريق الهجرتين (٤٧)، وانظر: (٤٤) منه.
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (١٧٠)، وانظر: شرح النونية للهراس (٢/٤٥٣) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢٩هـ].
(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/٥٥١).
(٤) تحفة المودود بأحكام المولود (١٢٥) [دار البيان، ط١، ١٣٩١هـ].

الظاهر من لوازمه أن لا يكون فوقه شيء كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»؛ بل هو سبحانه فوق كل شيء، فمن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم اسمه الظاهر، ولا يصح أن يكون الظاهر هو من له فوقية القدر فقط كما يقال الذهب فوق الفضة والجوهر فوق الزجاج؛ لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور بل قد يكون المفوق أظهر من الفائق فيها ولا يصح أن يكون ظهور القهر والغلبة فقط، وإن كان سبحانه ظاهرًا بالقهر والغلبة لمقابلة الاسم الباطن، وهو الذي ليس دونه شيء كما قابل الأول الذي ليس قبله شيء بالآخر الذي ليس بعده شيء»[(١)].

- المسألة الخامسة: إثبات صفة المعية والقرب والدنو والإحاطة والعلم لله تعالى، وذلك من اسمه (الباطن).

الثمرات:

١ - إذا تحقق العبد علو الرب ﷻ المطلق على كل شيء بذاته وأنه ليس فوقه شيء البتة، وأنه قاهر فوق عباده يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، صار لقلبه رب يعبده وإله يتوجّه إليه، بخلاف من لا يدري أين ربه، فإنه ضائع مشتت القلب ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها ولا معبود يتوجه إليه قصده، فالتعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود ويجعل له ربًّا يقصده وصمدًا يصمد إليه في حوائج، هو ملجأ يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه[(٢)].

مذهب المخالفين[(٣)]:

خالف في هذين الاسمين الجهمية وغلاة الصوفية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، فالجهمية ينكرون الاسم والصفة، فيقولون: إن الله في كل مكان وقد يجمعون بين المتناقضات فيقولون: لا فوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج، وبالتالي ليس هو في مكان؛ بل لا يوجد رب عندهم فهم يعبدون عدمًا، وغلاة الصوفية يقولون: بالاتحاد أو الحلول، فيقولون: على من يعلو ويظهر وما ثم إلا هو[(٤)]؟!، وكل شيء هو الله، والبقية يثبتون الاسم مع تعطيل الصفة، أو

(١) مدارج السالكين (١/ ٣١) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) انظر: طريق الهجرتين (٤١ ـ ٤٣).

(٣) انظر: مشكل الحديث لابن فورك (٣٩٤) [عالم الكتب، ط١٩٨٥م]، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٨٩) [مكتبة السوادي، ط١]، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ٣٦)، والديباج على مسلم للسيوطي (٦/ ٦٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٧١) [دار إحياء التراث العربي]، وتفسير النسفي (٤/ ٢٢٢، ٢٢٣) [طبعة الحلبي، القاهرة]، والماتريدية دراسة وتقويمًا للحربي (٢٢٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٤).

تأويلها، فيفسرون الظاهر: بالقاهر الغالب الذي لا يغلبه أحد، والظاهر بالأدلة القطعية. والباطن: أي: المحتجب عن الخلق، وهم ينفون بذلك أن فسروا هذين الاسمين بما يتناسب مع اعتقادهم في الصفة فقصروا المعنى على علو القدر والقهر والغلبة دون علو الذات.

الردّ عليهم[1]:

١ ـ قولهم: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ممتنع ومخالف للفطرة السليمة والعقل والشريعة.

٢ ـ المعطلة من الجهمية وغيرهم معترفون بوصف الله تعالى بعلو القهر والقدر، وأن ذلك كمال لا نقص فيه وهو من لوازم ذاته، فيقال لهم: ما أثبتم به هذين النوعين من العلو والفوقية هو بعينه حجتنا عليكم في إثبات علو ذاته، وما نفيتم به علو الذات يلزمكم في ما أثبتموه في علو القهر والقدر.

٣ ـ يقال لهم: هل الله تعالى عندكم موجود ذهني أو خارجي؟، فإن قلتم: إنه موجود ذهني فقط فقد كفرتم بربكم، وإن قلتم: موجود خارجي، يقال لكم: هل الله تعالى عين هذا الكون أم غيره؟ فإن قلتم: هو عين هذا الكون فقد بحتم بالعقيدة الاتحادية، وإن قلتم هو غير هذه الأكوان، يقال لكم: هل الله تعالى في هذه الأكوان، أم هي في الله تعالى، أو هو خارجها؟، فإن قلتم: إن الله في هذه الأكوان فقد قلتم بعقيدة الحلول، وإن قلتم: الأكوان في الله تعالى فقد كفرتم بجعلكم الله تعالى محلًّا للمخلوقات، وظرفًا لها، وإن قلتم: إنه خارج هذه الأكوان فقد اعترفتم بالحق، وهدمتم بنيانكم، وإن قلتم: لا داخل العالم ولا خارجه فقد كابرتم بداهة العقول.

٤ ـ أما قول الحلولية وأن الله تعالى في كل مكان بذاته، فهو قول مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف. وقد أخبر الله تعالى عباده أنه مستو على العرش في سبعة مواطن منها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]. كما نقل الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، منهم الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة]. «فلا

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤/١٧٣) وما بعدها، والصواعق المرسلة (١٢٧٩) وما بعدها [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، والتوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية لمحمد الخميس (٢/٦٧٠) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٩هـ].

حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله»[(١)].

٥ ـ قوله ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**» نفى أن يكون فوق الله شيء، وذلك يقتضي أنه ﷻ أكمل شيء ظهورًا، والظهور يتضمن العلو، فلهذا قال: فليس فوقك شيء ولم يقل: فليس أظهر منك شيء؛ لأنه لو أراد مجرد الانكشاف والتجلي للناس لنَافَى ذلك وصفه بالبطون؛ لأن كون الشيء ظاهرًا بمعنى كونه معلومًا أو مشهودًا ينافي كونه باطنًا؛ ولكن الظهور يتضمن معنى العلو، ومن شأن العالي أبدًا أن يكون ظاهرًا متجليًا، بخلاف السافل فإن من شأنه أن يكون خفيًّا؛ لأنه إذا علا تراءى للأبصار فرأته، فهو سبحانه مع ظهوره المتضمن علوه فلا شيء فوقه وهو أيضًا باطن فلا شيء دونه[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيِّم.

٢ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج١، ٢) لابن تيمية.

٣ ـ «الشريعة» (ج٢)، للآجري.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٥ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيِّم.

٦ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٥ و٦ و١٦)، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيِّم.

٩ ـ «النبوات»، لابن تيمية.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، للنجدي.

ظاهر النص

يراجع مصطلح (نصوص الصفات).

الظل

يراجع مصطلح (ظل العرش).

ظل العرش

التعريف لغة:

الظلّ: قال ابن فارس: «الظاء واللام أصل واحد يدل على ستر شيء لشيء، وهو الذي يسمى الظل، وكلمات الباب

(١) التمهيد (٧/١٣٩) [مؤسسة قرطبة].

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/٤١) [طبعة مجمع الملك فهد].

عائدة إليه، فالظلُّ ظل الإنسان وغيره، ويكون بالغداة والعشي، والفيء لا يكون إلا بالعشي، وتقول: أظلَّتني الشجرة، وظل ظليل: دائم»[(١)].

وقال الفيروزآبادي: «الظل، بالكسر: نقيض الضحّ، أو هو الفيء، أو هو بالغداة، والفيء بالعشي، ج: ظلال وظلول وأظلال، والجنة.

ومنه: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ [فاطر]»[(٢)].

العرش: قال الفيروز آبادي: «العرش: عرش الله تعالى، وسرير الملك، والعِزّ، وقوام الأمر، ومنه: ثُلّ عرشه، وركن الشيء، ومن البيت: سقفه، والخيمة، والبيت الذي يستظل به، كالعريش»[(٣)].

التعريف شرعًا:

ظل العرش: هو الظل الذي يكون للعرش يوم القيامة ليستظل فيه المؤمنون حين دنو الشمس من رؤوس الخلائق في الموقف[(٤)].

الحكم:

يجب الإيمان بظل العرش الذي يظل الله فيه المؤمنين يوم القيامة في الموقف لثبوته بالسُّنَّة النبوية[(٥)].

الحقيقة:

أصل العرش: هو الشيء المسقف، يقال: عرشْت الكرم؛ إذا جعلت له كهيئة سقف، واعترش العنب؛ أي: ركب عرشه، والعرش شبه هودج للمرأة، شبيهًا في الهيئة بعرش الكرم، وعرشت البئر جعلت له عريشًا، وسمّي مجلس السلطان عرشًا؛ اعتبارًا بعلوه، ويكنى بالعرش عن العز والسلطان والمملكة، قيل فلان ثل عرشه[(٦)].

والظل: الظل المعروف، ويأتي بمعنى النعيم، والجانب والستر، والكنف، والخاصة، ومنه: أنا في ظلك، وبمعنى: العز[(٧)].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٤٦١) [دار الجيل، ط٢]، وانظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٥٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) القاموس المحيط (١٠٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط٨].

(٣) القاموس المحيط (٥٩٧).

(٤) انظر: روضة المحبين (٤٨٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وتعليق الألباني على الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٦) بواسطة موسوعة الألباني (٣/ ٣٦٦) لشادي آل نعمان [مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، ط١، ١٤٣١هـ]، والقول الواضح المبين في المراد بظل الله الذي وعد به لربيع بن هادي المدخلي [مقال منشور].

(٥) انظر: التوحيد لابن منده (٣/ ١٩٠ ـ ١٩٢) [الجامعة الإسلامية، ط١]، وفتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٤)، وتعليق الألباني على الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٦) [بواسطة موسوعة الألباني (٣/ ٣٦٦)]، والقول الواضح المبين في المراد بظل الله الذي وعد به المؤمنين العاملين.

(٦) انظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني (٣٢٩) [دار المعرفة، بيروت].

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣١٢).

الأدلة:

ورد الظل في النصوص تارة مضافًا إلى الله، وتارة أخرى مفسرًا بأنه ظل العرش، فمن وروده مضافًا إلى الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»(١).

وأما وروده مفسرًا بظل العرش فقد وقع في أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنظر معسرًا، أو وضع له، أظلَّه الله في ظل عرشه يوم القيامة**»(٢).

ومن مجموع هذين الحديثين وما جاء في معناهما في هذه المسألة يظهر جليًّا أن الظل المضاف إلى الله عز وجل في بعض الأحاديث هو ظل عرشه، وهي إضافة تشريف، وليست من إضافة الصفة إلى الموصوف، وعليه فإن الظل ليس من صفات الله عز وجل.

وأحاديث ظل العرش كثيرة، وكثير منها صحيح، قال الذهبي بعد أن سرد طائفة منها: «وقد ورد في ظل العرش أحاديث تبلغ التواتر»(٣)، ووافقه الألباني على ذلك(٤).

وقد تتبّع ابن حجر أحاديث ظل العرش، وفي ذلك يقول: «ثم تتبعت بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك، فزادت على عشر خصال، وقد انتقيت منها سبعة وردت بأسانيد جياد، ونظمتها في بيتين تذييلًا على بيتي أبي شامة، وهما:

وزد سبعة: إظلال غاز، وعونه
وإنظار ذي عسر، وتخفيف حمله
وإرفاد ذي غرم، وعون مكاتب
وتاجر صدق في المقال وفعله»(٥).

ثم ذكر أنه قام بالجمع مرتين أخريين، ثم قال: «وقد أوردت الجميع في الأمالي وقد أفردته في جزء سميته: (معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال)»(٦).

أقوال أهل العلم:

بيَّن أهل العلم أن المراد بالظل الوارد في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله هو ظل العرش، **وفيما يلي إيراد بعض كلامهم في ذلك:**

قال ابن منده رحمه الله: «بيان آخر يدل على أن العرش ظل يستظل فيه من

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣٠٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٤/ ٣٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ]، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٩٠٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) العلو للعلي الغفار للذهبي (٦٨) [المكتبة السلفية، ط٢، ١٣٨٨هـ].

(٤) انظر: مختصر العلو للألباني (١٠٥) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ].

(٥) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٤).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٤).

يشاء الله من عباده»[١]، ثم أورد تحته طائفة من الأدلة الدالة على ذلك ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأكّد ابن القيِّم في مواضع عديدة من كتبه أن المقصود بقوله ﷺ: «**في ظله**» في حديث السبعة هو ظل العرش، ومن كلامه في ذلك: «إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه»[٢].

وقال أيضًا: «الباب الرابع عشر في بيان أشق الصبر على النفوس: مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، ولذلك استحق السبعة المذكورين في الحديث الذين يظلهم الله في ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقته»[٣].

وأورد الطحاوي بعض طرق حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، وبيّن أن بعضها جاء بلفظ: «**يظلهم الله في ظله**» وبعضها بلفظ: «**يظلهم الله تعالى في ظل عرشه**»[٤]، ثم قال: «ثم نظرنا في الأصل المذكور في هذا الحديث ما المراد به فلم يكن في حديث مالك عن خبيب بن عبد الرحمٰن ما يدل على ذلك ما هو؟ وهو قوله: يظلهم الله في ظل عرشه فأخبر بذلك أن الظل المراد في هذا الحديث هو ظل عرش الله عز وجل»[٥].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المراد بالظل الذي يُظلّ الله به بعض عباده يوم القيامة:

اختلف أهل العلم في المراد بالظل الذي يظل الله فيه من يشاء من عباده المؤمنين يوم القيامة **على أقوال:**

القول الأول: أن الظل هو صفة من صفات الله تعالى التي تليق بجلاله وعظمته، وقد ذهب إلى هذا القول ابن باز رحمه الله، فقد سئل عن حديث السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهل يوصف الله تعالى بأن له ظلًا؟ فأجاب: «نعم، كما جاء في الحديث، وفي بعض الروايات: «في ظل عرشه»، لكن في الصحيحين: «**في ظله**»، فهو له ظل يليق به سبحانه، لا نعلم كيفيته، مثل سائر الصفات، الباب

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ١٩٠ ـ ١٩٢).
(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٤٨٥).
(٣) عدة الصابرين (٥٥ ـ ٥٦) [دار الكتب العلمية].
(٤) أخرجه بهذا اللفظ: سعيد بن منصور في سننه بسند حسن من حديث سلمان رضي الله عنه، كما ذكر ابن حجر في فتح الباري (٢/ ١٤٤) [دار المعرفة].
(٥) شرح مشكل الآثار (١٥/ ٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ].

واحد عند أهل السُّنَّة والجماعة، والله ولي التوفيق»[(١)].

القول الثاني: أن المراد بالظل هو ظل يخلقه الله يوم القيامة؛ ليظلل فيه من يشاء من عباده المؤمنين، وليس هو من صفات الله، وهذا ما ذهب إليه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «والمراد بالظل هنا: ظل يخلقه الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، يظلل فيه من شاء من عباده، وليس المراد ظل نفسه جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الله نور السماوات والأرض»[(٢)].

القول الثالث: أن المراد بالظل هو ظل العرش يظل الله فيه يوم القيامة من يشاء من عباده.

وبهذا قال جمهور أهل العلم ومنهم الذين تقدمت أقوالهم؛ كالطحاوي وابن مندة وابن القيِّم، وهو الراجح؛ لأن قوله ﷺ: «**يظلهم الله في ظله**» جاء مفسرًا في بعض الروايات بقوله ﷺ: «**يظلهم الله تعالى في ظل عرشه**» كما ذكر الطحاوي.

وأما **القول الأول** فهو مبني على حديث: «**يظلهم الله في ظله**» وبعد ثبوت الروايات الأخرى المفسرة لهذا الظل بظل العرش، فلا مجال للقول به. ولعل القائلين بهذا القول لم تصح عندهم تلك الروايات المفسرة له، أو قدموا ما في الصحيحين على غيره، ومعلوم أن الحديث إذا ثبت يجب الأخذ به، وقد نص غير واحد من الحفاظ كأبي جعفر الطحاوي والذهبي وابن حجر وغيرهم على ثبوت روايات ظل العرش.

وأما **القول الثاني:** وهو قول الشيخ ابن عثيمين بأن المراد بالظل ليس ظل العرش، وإنما هو ظل يخلقه الله يوم القيامة من الغمام أو من غيره، ليظلل فيه من يشاء من عباده، فهو مبني على الاجتهاد؛ لأن الحديث لم يصح عنده، ولو صح عنده لقال به كما ذكر[(٣)].

ـ المسألة الثانية: هل هناك من يستظل بظل العرش غير السبعة؟

ظاهر الحديث الحصر في هؤلاء السبعة، لكن جاء ما يدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ يُظلّ في ظله غير هؤلاء، فعن أبي اليسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله**»[(٤)].

قال ابن حجر في حديث «**سبعة يظلهم الله**»: «قوله: «**سبعة**» ظاهره اختصاص المذكورين بالثواب المذكور، ووقع في صحيح مسلم من حديث أبي اليسر مرفوعًا: «**من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا**

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/ ٤٠٢).
(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) [دار الوطن، طبعة عام ١٤٢٥هـ].
(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٤٨).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٣٠٠٦).

ظله»[١]، وهاتان الخصلتان غير السبعة الماضية، فدل على أن العدد المذكور لا مفهوم له»[٢].

الآثار:

الإيمان بدنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة وحاجة الناس الماسة إلى الظل، وأن الله أعد ظل عرشه لعباده المؤمنين الصادقين دون غيرهم، يدفع المؤمن إلى السعي لتحقيق إيمانه بالله، والبحث عن الخصال الموصلة إلى هذا الظل، وفي مقدمتها تحقيق التوحيد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

١ ـ «صحيح ابن حبان» (ج١٦).

٢ ـ كتاب «التوحيد» (ج٣)، لابن منده.

٣ ـ «شرح مشكل الآثار» (ج١٥)، للطحاوي.

٤ ـ «التمهيد» (ج٢)، لابن عبد البر.

٥ ـ «عدة الصابرين»، لابن القيِّم.

٦ ـ «فتح الباري» (ج٢)، لابن حجر.

٧ ـ «معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال»، لابن حجر[٣].

٨ ـ «شرح رياض الصالحين» (ج٣)، لابن عثيمين.

٩ ـ «القول الواضح المبين في المراد بظل الله الذي وعد به المؤمنين العاملين»، لربيع بن هادي المدخلي [مقال].

١٠ ـ «موسوعة الألباني في العقيدة» (ج٣)، لشادي آل نعمان.

الظلم المنفي عن الله تعالى

التعريف لغة:

الظلم من مادّة (ظ ـ ل ـ م)، والظّاءُ واللّامُ والميمُ **أصلانِ صحيحان؛** أحدهما: خلاف الضِّياء والنُّور، والآخَر: وضع الشَّيء غير موضعه تعدِّيًا. وهو من: ظلَمَهُ يظلِمُهُ ظلمًا. وقولهم: من أشبهَ أباهُ فما ظلم؛ أي: ما وضعَ الشّبهَ غَيْرَ مَوضعهِ. وَأصلُ الظُّلم: الجَور ومُجاوزة الحدِّ[٤].

التعريف شرعًا:

الظلم المنفي عن الله تعالى: هو أنه لا يُحمل المرء سيئات غيره، ولا يعذب بما لم تكسب يداه، ولم يكن سعى فيه، ولا ينقص من حسناته؛ فلا يجازي بها أو ببعضها إذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي

(١) وهو الحديث المتقدّم.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/١٤٣ ـ ١٤٤).

(٣) هذا كتاب ذكره ابن حجر ولم نقف عليه.

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة (٣/٤٦٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (١٢/٣٧٣) [دار صادر، ط٣].

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/١٠٧) [دار الكتب العلمية].

إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها[(١)].

الحكم:

اتفق المسلمون بل أهل الملل كلها على أن الله تبارك وتعالى عدل لا يظلم الناس شيئًا، وإن كان المسلمون اختلفوا في معنى الظلم المنفي عن الله عز وجل، أما أهل السُّنَّة فيرون أن الله لا يظلم الناس شيئًا؛ بمعنى أنه لا يحمّلهم ذنوب غيرهم ولا يجازيهم إلا بأعمالهم ولا يضيّع عليهم حسناتهم؛ وذلك لكمال عدله[(٢)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف]. قال القرطبي: «أي: لا يأخذ أحدًا بجرم أحد، ولا يؤاخذه بما لم يعمله، قاله الضحاك. وقيل: لا ينقص طائعًا من ثوابه ولا يزيد عاصيًا في عقابه»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢﴾ [طه]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته، ولا يظلم فيهضم في حسناته»، وفي رواية عنه أنه قال: «يقول الله تعالى: أنا قاهر لكم اليوم، آخذكم بقوّتي وشدّتي، وأنا قادر على قهركم وهضمكم، فإنما بيني وبينكم العدل، وذلك يوم القيامة»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٨٢﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾ [الزخرف].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا...**»[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**تحاجّت الجنة والنار؛ فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما**

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة (١/ ١٣٥)، وشرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لابن تيمية (٣/ ٢٠٨) و(٣/ ٢١١) [ضمن مجموعة الرسائل المنيرية]، ورسالة في معنى كون الله عادلًا لابن تيمية (١/ ١٢١) [ضمن جامع الرسائل].

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٤١٩) [دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ].

(٣) أخرجهما عنه ابن جرير في تفسيره (١٨/ ٣٧٩، ٣٨٠) [مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ].

(٤) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٧٧).

النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله ﷻ من خلقه أحدًا، وأما الجنة: فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقًا»[(١)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله عدل لا يجور فيعاقب عبدًا له بغير استحقاق منه العقوبة، ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت، ويوفّي كل عامل جزاء ما عمل... فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به[(٢)] من إذاقتهم عذاب الحريق ظالمًا، ولا واضعًا عقوبته في غير أهلها. وكذلك هو جل ثناؤه، غيرُ ظلام أحدًا من خلقه، ولكنه العادل بينهم، والمتفضل على جميعهم بما أحبّ من فَوَاضله ونِعمه»[(٣)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصواب الذي دلَّت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلًا وأراده هو ما فسره به سلف الأمة وأئمتها؛ أنه لا يُحمل المرء سيئات غيره، ولا يعذب بما لم تكسب يداه ولم يكن سعى فيه، ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها إذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها، وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ١١٢﴾ [طه]، قال السلف والمفسرون: لا يخاف أن يحمل عليه من سيئات غيره ولا ينقص من حسناته ما يتحمل فهذا هو العقول من الظلم ومن عدم خوفه»[(٤)].

وذكر ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله سبحانه منع نفسه من الظلم لعباده وذكر الآيات في هذا المعنى ثم قال عن آية سورة طه آنفة الذكر: «والهضم: أن ينقص من جزاء حسناته، والظلم: أن يعاقب بذنوب غيره، ومثل هذا كثير في القرآن، وهو مما يدل على أن الله قادر على الظلم، ولكن لا يفعله فضلًا منه وجودًا وكرمًا وإحسانًا إلى عباده. وقد فسَّر كثير من العلماء الظلم بأنه وضع الأشياء في غير موضعها»[(٥)].

قال الشيخ محمد منير بن عبده آغا الدمشقي: «وللعلماء في تفسير الظلم المنفي هنا أقوال، وتنازع، فبعضهم قد شذ، وبعضهم قد غلا، وتجاوز، والقول الوسط في ذلك ما أشرنا إليه قبل،

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٥٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٦).

(٢) يعني: اليهود الذين قتلوا الأنبياء وكفروا بالله.

(٣) تفسير ابن جرير (٧/٤٤٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢/١٠٧) [دار الكتب العلمية].

(٥) جامع العلوم والحكم (٢/٣٥) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ].

وهو: أنَّ الظلم الذي حرمه الله على نفسه، ونفى إرادته كما تقدَّم هو مثل أن يترك حسنات المحسن، فلا يجزيه بها، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيره، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي يُنزَه الرب عنها لقسطه وعدله، وهو قادر عليها، وإنما استحق الحمد، والثناء؛ لأنه ترك الظلم، وهو قادر عليه، وكما أن الله ﷻ منزّه عن صفات النقص، والعيب، فهو أيضًا منزه عن أفعال النقص، والعيب»[(١)].

مذهب المخالفين:

خالف في بيان معنى الظلم المنفي عن الله ﷻ طائفتان؛ **وذلك يرجع إلى قولهم في القدر**:

الطائفة الأولى: المعتزلة القدرية، يقررون أن الظلم المنفي عن الله ﷻ هو ما كان قبيحًا بعقولهم، ويرونه ظلمًا، ولذا قالوا: إنه كل ضرر لا نفع فيه، فاعتبروا ـ بناء على هذا ـ أن الله ﷻ يجب عليه فعل الأصلح لعباده واللطف فيهم على ما يرونه، وإلا كان ظالمًا لهم؛ لأنه لا يدخل عليه ضرر من ذلك فيجب عليه فعله لعباده، ودخل في ذلك أن الله لا يخلق أفعال العباد ولا تنفذ فيهم مشيئته، ولا يهدي أحدًا ولا يضل أحدًا[(٢)].

وهذا مبني على أصلهم في القدر، وهو باطل؛ قال شيخ الإسلام في رده على دعوى القدرية في الظلم المنفي عن الله ﷻ: «فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد، ولم يرد أن يكون إلا ما أمر بأن يكون، وغلاتهم المكذبون بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم، إلا أن الظلم منه هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض، وشبهوه ومثلوه في الأفعال بأفعال العباد، حتى كانوا هم ممثلة الأفعال، وضربوا لله الأمثال، ولم يجعلوا له المثل الأعلى؛ بل أوجبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد، وإثبات الحكم في الأصل بالرأي، وقالوا عن هذا: إذا أمر العبد، ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالمًا له، والتزموا أنه لا يقدر أن يهدي ضالًا، كما قالوا: إنه لا يقدر أن يضل مهتديًا، وقالوا عن هذا: إذا أمر اثنين بأمر واحد، وخص أحدهما بإعانته على فعل المأمور كان ظالمًا، إلى أمثال ذلك من الأمور التي

(١) النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية لمحمد منير أغا الدمشقي الأزهري (٥١) [دار ابن كثير، دمشق].

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٣٠٩، ٣١٠، ٣٥١) [مكتبة وهبة].

هي من باب الفضل والإحسان، جعلوا تركه لها ظلمًا. وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن كان فعله مقدرًا ظلم له، ولم يفرقوا بين التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك، ومن لم يقم، وإن كان ذلك الاستحقاق خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة»[(١)].

الطائفة الثانية: الأشعرية، حيث قالوا: إن الظلم منفي عن الله ﷻ؛ لأنه يستحيل وقوعه منه؛ لأن الظالم هو من تصرف في ملك غيره أو أخذ ما ليس من حقه، وكل شيء هو ملك الله ﷻ، وليس هناك من هو فوقه سبحانه فيكون له حق عليه. قال الغزالي: الظلم منفي عنه بطريق السلب المحض كما تسلب الغفلة عن الجدار والعبث عن الريح، فإن الظلم إنما يتصور ممن يمكن أن يصادف فعله ملك غيره، ولا يتصور ذلك في حق الله تعالى أو يمكن أن يكون عليه أمر فيخالف فعله أمر غيره، ولا يتصور من الإنسان أن يكون ظالمًا لما في ملك نفسه بكل ما يفعله، إلا إذا خالف أمر الشرع فيكون ظالمًا بهذا المعنى، فمن لا يتصور منه أن يتصرف في ملك غيره ولا يتصور منه أن يكون تحت أمر غيره كان الظلم مسلوبًا عنه لفقد شرطه المصحح له لا لفقده في نفسه، فلتفهم هذه الدقيقة فإنها مزلة القدم[(٢)].

ولكن تفسيرهم مخالف لمعنى النصوص، وما سبق ذكره عن السلف فإن لازم هذا التفسير هو استحالة وامتناع وقوع الظلم من الله ﷻ، مع أن الله ﷻ مدح نفسه بذلك وبين أن ذلك من عظيم فضله وكريم جوده على العباد؛ إذ أمنهم من أن يظلموا، فلو كان كما ذكر في كلام الأشاعرة وغيرهم من ناحية امتناع وقوعه لم يكن فيه مجال للتمدح والثناء بل يستحيل وقوعه، فمن هنا كان القول الحق في معنى الظلم المنفي عن الله ﷻ هو ما سبق ذكره عن السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر قول القدرية: «فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر، فقالوا: ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها؛ بل هو من الأمور الممتنعة لذاتها، فلا يجوز أن يكون مقدورًا، ولا يقال إنه هو تارك له باختياره ومشيئته، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين، وجعل الجسم الواحد في مكانين، وقلب القديم محدثًا، والمحدث قديمًا، وإلا فمهما قدر في الذهن وكان وجوده ممكنًا

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٧٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٩٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ]، والتبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني (١٦٩) [عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ].

والله قادر عليه فليس بظلم منه، سواء فعله أو لم يفعله، وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف من أهل الإثبات من الفقهاء، وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ومن شراح الحديث ونحوهم، وفسروا هذا الحديث بما ينبني على هذا القول... وبالجملة فقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢﴾ [طه] قال أهل التفسير من السلف: «لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم فينقص من حسناته». ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه، فيكون التقدير لا يخاف ما هو ممتنع لذاته، خارج عن الممكنات والمقدورات، فإن مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكنًا حتى يقولوا إنه غير مقدور، ولو أراده؛ كخلق المثل له، فكيف يعقل وجوده، فضلًا أن يتصور خوف حتى ينفي خوفه، ثم أي فائدة في نفي خوف هذا، قد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا للعامل المحسن لا يجزى على إحسانه بالظلم والهضم، فعلم أن الظلم والهضم المنفي يتعلق بالجزاء، كما ذكره أهل التفسير، وأن الله لا يجزيه إلا بعمله»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «جامع البيان»، لابن جرير الطبري.

٢ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٣ ـ «شفاء العليل»، لابن قيم الجوزية.

٤ ـ «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

٥ ـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، لابن القيِّم.

٦ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ ـ «مفتاح دار السعادة»، لابن القيِّم.

٨ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

٩ ـ «النفي في باب صفات الله عزّ وجل بين أهل السُّنَّة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي محمد سعيداني.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٧٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].



عائشة بنت أبي بكر أمُّ المؤمنين رضي الله عنها

اسمها ونسبها وكنيتها:

هي أمُّنا أمُّ المؤمنين عائشة، بنت الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة ـ عثمان ـ بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن كنانة، أمُّ عبد الله، القرشية، التّيميّة، المكّيّة، ثم المدنيّة، زوجة النّبيّ ﷺ[(١)].

أما كنيتها: فقد كناها بتلك الكنية النبي الكريم ﷺ، وذلك عندما طلبت منه أن يكون لها كنية، فكناها بابن أختها أسماء؛ تطييبًا لخاطرها، فعن عروة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله، كل صواحبي لهن كنى، قال: فاكتني بابنك عبد الله بن الزبير ـ يعني: ابن أختها ـ فكانت تدعى بأم عبد الله حتى ماتت»[(٢)].

وقيل: كنِّيت بذلك؛ لأنَّها أسقطت من النَّبيِّ ﷺ سقطًا، فسمّاه النَّبيُّ ﷺ (عبد الله) فاكتنت به، وهذا لم يثبت، والأوَّل أصحُّ[(٣)].

مولدها ووفاتها:

ولدت أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمكة، بعد البعثة بأربع سنين أو خمس[(٤)] تقريبًا[(٥)]، فخرجت إلى الدنيا فوجدت نفسها بين أبوين كريمين مؤمنين، في بيت يدين بدين الإسلام؛ بل وجدت نفسها ابنة خير الناس بعد رسول الله ﷺ،

(١) ينظر: الطبقات الكبرى (٨/ ٥٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، وأسد الغابة (٧/ ٢٠٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٧٠)، وابن ماجه (كتاب الأدب، رقم ٣٧٣٩)، وأحمد (٤٢/ ٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحح سنده ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ٣٦٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٢).

(٣) ينظر: جلاء الأفهام (٢٤١) [دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ]، وفتح الباري (٧/ ١٠٧) [دار المعرفة]، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٣٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، والمجموع شرح المهذب (٨/ ٤٣٨).

(٤) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٦).

(٥) رجّح سليمان الندوي أن ولادتها في السنة التاسعة قبل الهجرة، فقال: «أصح تاريخ لولادتها هو شهر شوال قبل الهجرة، الموافق يوليو (تموز) عام (٦١٤م)، وهو نهاية السنة الخامسة من البعثة»، ينظر: سيرة السيدة عائِشَة أُمّ المؤمنين (٤٠) [دار القلم، ط١، ١٤٢٤هـ].

فوالدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أوَّل من أسلم من الرجال، وبإسلامه أسلمت زوجته أم رومان وابنتاه أسماء وعائشة رضي الله عنهن، وبذلك تعد عائشة رضي الله عنها من أوائل المسلمات.

وكان أبواها ـ مع إسلامهما المتين ـ لهما علاقات متينة، وصلات وثيقة برسول الله ﷺ، كما حكت ذلك بنفسها رضي الله عنها، فعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت: «لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النَّهار بكرة وعشيَّة»[١].

وقد أرضعتها زوجة أبي القعيس[٢]، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «استأذن عليَّ أفلح أخو أبي القعيس بعدما أُنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتّى أستأذن فيه النَّبيّ ﷺ، فإنَّ أخاه أبا القُعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل عليَّ النَّبيّ ﷺ، فقلت له: يا رسول الله إنَّ أفلح أخا أبي القُعيس استأذن فأبيت أن آذن له حتَّى أستأذنك، فقال النَّبيّ ﷺ: **«وما منعك أن تأذني؛ عمُّكِ؟»**، قلت: يا رسول الله إن الرَّجل ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فقال: **«ائذني له؛ فإنَّه عمُّك، تربت يمينُك»**»[٣].

فنشأت رضي الله عنها في أحضان هذه الأسرة المباركة، وترعرعت في بيت الصدق والإيمان، وعاشت منذ نعومة أظفارها في ظل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وشهدت في طفولتها أشد المراحل التي مرت بها دعوة الإسلام وما لاقاه المسلمون من الأذى والاضطهاد.

وأما وفاتها: فقد توفيت أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالمدينة النبويَّة، ليلة الثلاثاء السّابع عشر من رمضان من السَّنة السّابعة أو الثّامنة أو التّاسعة والخمسين للهجرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٤].

وقد زارها بعض الصحابة في مرض موتها، فعن ابن أبي مليكة: «أن ابن عباس استأذن عليها وهي مغلوبة[٥]، فقالت: أخشى أن يثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال:

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٧٦).

(٢) ينظر: في قصة إرضاع عائِشَة: أسد الغابة (٥/ ٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٩٦)، ومسلم (كتاب الرضاع، رقم ١٤٤٥).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى (٨/ ٦٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨٥) [دار الجيل، بيروت، ط١]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ٣٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١]، وأسد الغابة (٧/ ١٨٦)، والبداية والنهاية (٨/ ١٠١)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٤٣) [دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ]، والإصابة (٨/ ٣٤٤).

(٥) أي: قد غلبها المرض فأضعفها عن التصرف. ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٨٧) [دار الوطن، الرياض]، وعمدة القاري (١٩/ ٨٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم يتزوج بِكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء، فلما جاء ابن الزبير قالت: جاء ابن عباس، وأثنى علي، ووددت أني كنت نسيًا منسيًا»[(١)].

وعند وفاتها حزن عليها أهل المدينة حزنًا شديدًا، ولما سمعت أم سلمة رضي الله عنها الصرخة على عائشة أرسلت جاريتها: انظري ماذا صنعت؟ فجاءت فقالت: قد قضت[(٢)]، فقالت: «يرحمها الله، والَّذي نفسي بيده لقد كانت أحبَّ النّاس كلِّهم إلى رسول الله ﷺ إلا أبوها»[(٣)].

ودفنت رضي الله عنها ليلًا بعد الوتر، وكان الليل مظلمًا، فلم يجد المشيعون بدًّا من أن يحملوا فيه خِرَقًا[(٤)] غمسوها في زيت وأشعلوا فيها النار؛ لتضيء لهم الطريق إلى المقابر، وازدحم الناس وتجمعوا حول النعش، ولم تُر ليلة أكثر ناسًا منها، ونزل أهل العوالي إلى المدينة[(٥)].

ونزل في قبرها خمسة من آل الصديق: عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وكان عمرها يومئذ سبعًا وستين سنة، ودفنت بالبقيع[(٦)]، رضي الله عنها وأرضاها.

فضائلها:

انفردت[(٧)] عائشة رضي الله عنها بجملة من المناقب والفضائل التي ذكرتها كتب السُّنَّة وهي كثيرة جدًّا، **منها**:

أولًا: أنَّها من أفضل النساء، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٥٣).

(٢) أي: قضت أجلها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ أي: قضى أجله، و(قضى) في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه والانفصال منه، ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٢٢) [عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ]، وتفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٠٢) [كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١].

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (٣/ ١٨٥) [دار هجر، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٧٤٦)، وفي سنده زمعة بن صالح، روى له مسلم في المتابعات، وهو ضعيف. انظر: تقريب التهذيب (٢١٧) [دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٤) **الخِرَقُ**: جمع خِرْقَة، وهي القطعَة من الثَّوب الممزق، ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٥٩٠) [دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م]، والصحاح (٤/ ١٤٦٨) [دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ].

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى (٨/ ٦١)، وتاريخ الطبري (١١/ ٦٠٢)، والمستدرك (٤/ ٥).

(٦) الطبقات الكبرى (٨/ ٦٢، ٦٤، ٧٦)، وتاريخ ابن أبي خيثمة (٢/ ٥٨) [دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١]، والاستيعاب (٤/ ١٨٨٥)، وأسد الغابة (٧/ ١٨٦)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ٣٠٣)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٢٤٩)، والبداية والنهاية (٨/ ١٠١) [دار الفكر، ١٤٠٧هـ]، والإصابة (٨/ ٢٠).

(٧) هناك فضائل كثيرة اشتركت فيها أم المؤمنين عائشة مع غيرها من أمهات المؤمنين، ينظر شيء منها في: الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، والسَّمط الثَّمين في مناقب أمهات المؤمنين لمحب الدين الطبري، والأحاديث الواردة في فضائل الصحابة للدكتور سعود الصاعدي.

رسول الله ﷺ يقول: «**فضل عائشة على النِّساء كفضل الثَّريد على سائر الطَّعام**»[(١)]، وحديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرِّجال كثير، ولم يكمل من النّساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإنَّ فضَّل عائشة على النِّساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[(٢)].

ثانيًا: أنها كانت أحب الأزواج إلى النَّبيّ ﷺ، ويدل على ذلك دلالة واضحة، حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما سأل النَّبِيّ ﷺ فقال: «**أي النّاس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرِّجال؟ قال: أبُوها**»[(٣)]، والنصوص التي تدل على محبة النبي ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كثيرة، ولله الحمد.

ثالثًا: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها، فعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قلت: يا رسول الله، أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها، في أيِّها كنت تُرتع بعيرك؟ قال: «**في الذي لم يُرتع منها**»؛ تعني أنّ رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها»[(٤)].

رابعًا: نزول براءتها من السماء بما نسبه إليها أهل الإفك في ست عشرة آية متوالية، وجعله قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، وشهد الله لها بأنها من الطيبات، ووعدها بالمغفرة والرزق الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور] إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

خامسًا: لم ينزل بها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجًا وللمسلمين بركة، ومن ذلك: حادثة الإفك السابقة، فإنها قد عادت عليها وعلى المسلمين، بالخيرات والبركات، كما أثبت ذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه، حيث قال: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ﴾ [النور: ١١].

وأيضًا مما أُنزل بسببها وبركتها، آية التيمم التي كانت رحمة ورخصة للمؤمنين، فعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنَّها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه في

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٧٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٦٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٦٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٠٧٧).

طلبِها، فأدركتهم الصَّلاة، فصلَّوا بغير وُضوء، فلمّا أتوا النَّبيّ ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التّيمّم، فقال أُسيد بن حضير: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر قطُّ، إلا جَعل الله لك منه مخرجًا، وجُعل للمسلمين فيه بركة»[1].

سادسًا: أن الملَك جاء بصورتها إلى رسول الله ﷺ في سَرَقة من حرير، فعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«رأيتك في المنام يجيء بك الملَك في سرَقَة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثَّوب فإذا أنت هي، فقلت: إن يك هذا من عند الله يُمضه»**[2].

وفي رواية: **«أنَّ جبريل، جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النَّبيّ ﷺ فقال: هذه زوجتك في الدُّنيا والآخرة»**[3].

سابعًا: اختياره ﷺ أن يُمَرَّض في دارها، ووفاته في بيتها، بين سحرها ونحرها، واجتماع ريقه وريقها في آخر ساعة له من الدنيا، ودفنه في بيتها، فعنها رضي الله عنها: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يسألُ في مرضه الذي مات فيه، يقول: **«أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟»** يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتَّى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الَّذي كان يدور عليَّ فيه، في بيتي، فقبضه الله وإنَّ رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثمَّ قالت: دخل عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر ومعه سواك يستنُّ به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السِّواك يا عبد الرَّحمٰن، فأعطانيه، فقضِمته، ثمَّ مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنَّ به، وهو مستند إلى صدري»[4].

ثامنًا: لم يكن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لحاف امرأة من نسائه غيرها، فقد قال ﷺ: **«لا تؤذيني في عائشة، فإنَّه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكنَّ غيرها»**[5]، وفي رواية: **«فإنَّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة، إلا عائشة»**[6].

تاسعًا: أنَّ جبريل أرسل لها السّلام

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٧٣)، ومسلم (كتاب الحيض، رقم ٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥١٢٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٨٠) وحسَّنه، والبزار في مسنده (١٨/ ٢٢٠) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨م]، وصحَّحه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٣/ ١٧٤٥، رقم ٦١٩١) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٥٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٧٥).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٥٨١).

مع رسول الله ﷺ، فعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «**يا عائش، هذا جبريل يقرئك السّلام**»، فقلت: وعليه السّلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ»[(١)].

عاشرًا: أنها أول من بدأها النّبيّ ﷺ بالتخيير عند نزول آية التخيير، وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [الأحزاب]. وقرن ذلك بموافقة أبويها، فاختارت رسول الله ﷺ قبل أن تستشيرهما، فاستنَّ بها بقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لمّا أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: «**إنِّي ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي حتَّى تستأمري أبويك**»، قالت: قد علم أنّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثمَّ قال: «**إنَّ الله عزّ وجلّ قال:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾»، قالت: فقلت: أفي هذا أستأمر أبويَّ؟ فإنِّي أريد الله ورسوله والدّار الآخرة، قالت: ثمَّ فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت»[(٢)(٣)].

الحادي عشر: كان لها يومان وليلتان في القسم دون غيرها من أمهات المؤمنين، وذلك لما وهبتها سودة يومها وليلتها، فعن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النَّبيّ ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة»[(٤)].

الثاني عشر: أنَّها كانت من أعلم وأفقه نساء هذه الأمة، ولم تكن هنالك امرأة أكثر حديثًا منها فيما روته عن النَّبيّ ﷺ، قال الزهري رحمه الله: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النِّساء، لكان علم عائشة أفضل»[(٥)]، وفي رواية: «لو جمع علم نساء هذه الأمَّة ـ فيهنَّ أزواج النَّبيّ ﷺ ـ كان علم عائشة أكثر من علمهنَّ»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٦٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٨٥)، ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٥).

(٣) شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين (٣١) [مبرة الآل والأصحاب، الكويت، ط٢، ١٤٢٧هـ]، وينظر: حبيبة الحبيب أُمّ المؤمنين عائِشَة (١٩) [ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢١٢)، ومسلم (كتاب الرضاع، رقم ١٤٦٣).

(٥) انظر: المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٧٣٤)، والاستيعاب (٤/ ١٨٨٣) [دار الجيل، ط١].

(٦) روي بهذا اللفظ مرفوعًا عند الطبراني في الكبير =

وعن محمود بن لبيد قال: «كان أزواج النَّبيّ ﷺ يحفظن من حديث النَّبيّ ﷺ كثيرًا، ولا مثلًا لعائشة وأمّ سلمة، وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت، يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السُّنن»[1].

مكانتها:

«تبوَّأت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكانة علمية رفيعة، جعلتها عالمة من علماء عصرها، والمرجع العلمي الأصيل الذي يرجعون إليه فيما يغمض عليهم أو يستشكل أمامهم من مسائل في القرآن والحديث والفقه، فيجدون الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم»[2].

فكان الأكابر من الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، فيجدون علمه عندها، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديث قطّ فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا»[3].

وقال مسروق رحمه الله: «لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض»[4].

وروى هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله ولا بسُنَّة عن رسول الله ﷺ، ولا بشعر، ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها»[5].

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمٰن: «ما رأيت أحدًا أعلم بسنن رسول الله ﷺ ولا أفقه في رأي ـ إن احتيج إلى رأيه ـ ولا أعلم بآية فيما نزلت، ولا فريضة من عائشة»[6].

وعن عبد الرحمٰن بن القاسم، عن أبيه، قال: «كانت عائشة قد استقلَّت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلمّ جرّا، إلى أن ماتت يرحمها الله،

= (٢٣/ ١٨٤) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، ورجاله ثقات، لكن سنده ضعيف للإرسال، كما ذكر الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٣) [مكتبة القدسي].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧٥) [دار صادر، ط١].

(٢) السيدة عائِشَة وتوثيقها للسُّنَّة (٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٨٣)، وقال: «حسن صحيح غريب»، وصحَّحه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٣/ ١٧٤٦) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٨٢) (برقم ١٠٧) [دار الكتب العلمية]، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١١٨) (برقم ٢٨٧) [الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٣هـ]، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٣٩) (برقم ٣١٠٣٧) [مكتبة الرشد، الرياض، ط١]، وغيرهم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٢): «إسناده حسن»، قال حسين سليم أسد في تعليقاته على الدارمي: «إسناده صحيح».

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٧٦) (برقم ٢٦٠٤٨).

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨٦).

وكنت ملازمًا لها مع برِّها بي»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: علاقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأهل البيت كعلي وفاطمة رضي الله عنهما:

أ ـ علاقتها بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كانت علاقة عائشة رضي الله عنها بعليّ رضي الله عنه قبل وفاة النَّبِيّ ﷺ علاقة طيبة، ثمّ بعد وفاة النَّبِيّ ﷺ حدثت فتنة الجمل، واختلف كل من عائشة وعلي رضي الله عنهما في الاجتهاد، وحصل ما حصل، ولكن بالرغم من ذلك، لم تكن العلاقة بينهما علاقة عداء وجفاء؛ بل إن عائشة رضي الله عنها لما أرادت الخروج من البصرة ـ بعد انتهاء فتنة الجمل ـ، بعث إليها عليّ رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليٌّ فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم، وقالت: «يا بنيَّ لا يعتب بعضنا على بعض، إنّه والله ما كان بيني وبين عليٍّ في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنَّه على معتبتي لمن الأخيار»، فقال علي رضي الله عنه: «صدقت؛ والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنَّها لزوجة نبيّكم ﷺ في الدّنيا والآخرة»، ثم سار عليٌّ معها مودعًا ومشيعًا أميالًا[(٢)].

فهذا الموقف من أصدق المواقف التي تبين عمق العلاقة بين علي وعائشة رضي الله عنهما، ولو كانت عائشة رضي الله عنها تحمل شيئًا في نفسها، لما قالت تلك المقالة، وأيضًا لو كان علي رضي الله عنه يحمل على عائشة رضي الله عنها شيئًا لما أقرَّها على قولها، ولا قال هذه الكلمات التي تكتب بماء الذهب، ولا وقف معها هذا الموقف الرائع.

وأعجب من ذلك أن عليًّا رضي الله عنه كان يعاقب من يتكلم بكلام فيه نيل من أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالجلد والضرب، فقد ذكر ابن الأثير رحمه الله: «أن رجلين وقفا على باب الدار الذي نزلت فيه أُمّ المؤمنين بالبصرة، فقال أحدهما: جزيت عنا أمَّنا عقوقًا، وقال الآخر: يا أمَّنا توبي فقد أخطأت، فبلغ ذلك عليًّا، فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة، وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله، فضربهما مائة سوط

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨٦).

(٢) ساق القصةَ ابنُ الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ٩٤)، وابن الأثير في الكامل (٢/ ٦١٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢٧٤).

وأخرجهما من ثيابهما»[(١)].

ومما يدل أيضًا على العلاقة الطيبة بين عائشة وعليٍّ رضي الله عنهما؛ أن عائشة رضي الله عنها كانت أحيانًا تحيل السائل على عليٍّ ليجيبه، فعن شريح بن هانئ قال: «سألت عائشة، عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليًّا؛ فإنَّه أعلم بذلك منِّي، فأتيت عليًّا فذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله»، وفي رواية: «عليك بابن أبي طالب، فسله؛ فإنَّه كان يسافر مع رسول صلى الله عليه وسلم»[(٢)].

وقد سأل عائشة رضي الله عنها آخر، فقال: «في كم تصلِّي المرأة من الثّياب؟ فقالت له: سل عليًّا، ثمّ ارجع إليّ فأخبرني بالَّذي يقول لك، قال: فأتى عليًّا فسأله، فقال: في الخمار والدِّرع السّابغ، فرجع إلى عائشة فأخبرها، فقالت: صدق»[(٣)].

ب ـ علاقتها بفاطمة رضي الله عنها:

هناك آثار كثيرة تبيّن العلاقة الحسنة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما، **ومن ذلك:**

أنها حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعظم منقبة لفاطمة رضي الله عنها؛ وهي قوله عليه الصلاة والسلام: **«يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟»**[(٤)].

وما رواه عمرو بن دينار قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها»، وفي رواية: «ما رأيت أحدًا قطُّ أصدق من فاطمة غير أبيها»[(٥)].

وأيضًا ما روت عائشة بنت طلحة، عن أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا ودَلًّا وهديًا برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم»[(٦)].

وهنا وصفت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فاطمة بصفات حميدة تبين قدرها ومنزلتها، حيث إنها تشبه النَّبيّ صلى الله عليه وسلم هيئة وطريقة وسمتًا وخلقًا.

ووصفتها أيضًا بصدق اللهجة، فعن عبد الله بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قالت: «ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ٦١٤).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٧٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (كتاب الصلاة، رقم ٥٠٢٩)، وابن أبي شيبة (كتاب صلاة التطوع والإمامة، رقم ٦١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٨٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٥٠).

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ١٥٣) [دار المأمون، ط١]، والطبراني في الأوسط (٣/ ١٣٧) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٠١) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى، إلا أنها قالت: ما رأيت أحدًا قطُّ أصدق من فاطمة. ورجالهما رجال الصحيح».

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٢١٧)، والترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧٢) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم (كتاب الأدب، رقم ٧٧١٥) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٥٥).

منها، إلا أن يَكُونَ الَّذِي ولدها»[1].

وكانت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذا جاءت إلى النَّبيّ ﷺ في حاجة ولم تجده أوصت بذلك عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أتت النَّبيّ ﷺ تشكو إليهِ ما تلقى في يدها من الرَّحى، وبلغها أنّه جاءه رقيق، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلمّا جاء أخبرته عائشة...» الحديث[2]. فهذا يدل على ثقة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويدل أيضًا على اهتمام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بتبليغ ما أوكلته إليها فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأيضًا لما أرسل أمهات المؤمنين فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى النَّبيّ ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: «**يا بنيّة ألا تحبِّين ما أحبّ؟**»، قالت: بلى، فرجعت إليهن، فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع[3]. وفي هذا تصريح واضح من فاطمة بمحبتها لعائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

- المسألة الثانية: كفر من رماها بما برَّأها الله منه:

أجمع علماء الإسلام قاطبة من أهل السُّنَّة والجماعة على أنّ من سبّ أمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورماها بما برّأها الله منه أنه كافر.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «من سب أبا بكر وعمر جلد، ومن سب عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟ قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل»[4].

وقال ابن القاسم في روايته عن مالك: «لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور]، فمن عاد لمثله فقد كفر»[5]، قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردّة تامَّة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها»[6].

وقال أبو بكر ابن زياد النيسابوريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت القاسم بن محمَّد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أتي المأمون في (الرَّقة) برجلين شتم أحدهما فاطمة، والآخر عائشة، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة وترك الآخر، فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يقتلا؛ لأنَّ الذي شتم عائشة ردَّ القرآن»[7].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٥٦).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب النفقات، رقم ٥٣٦١)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الهبة، رقم ٢٥٨١).
(٤) مسند الموطأ للجوهري (١١٢) [دار الغرب الإسلامي، ط١]، والشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٣٠٩) [دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ]، والصارم المسلول ٥٦٦) [الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية].
(٥) الشفا (٢/ ٦٥٤).
(٦) المحلى بالآثار (١٢/ ٤٤٠) [دار الفكر، بيروت].
(٧) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٧/ ١٣٤٤) =

قال ابن تيمية رحمه الله تعقيبًا عليه: «وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم»[(١)].

وقال النووي رحمه الله: «براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك، وهي براءة قطعية بنصّ القرآن العزيز، فلو تشكّك فيها إنسان ـ والعياذ بالله ـ صار كافرًا مرتدًّا بإجماع المسلمين»[(٢)].

وقال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ الآيات [النور]: «قد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان؛ أصحهما أنهن كهي، والله أعلم»[(٣)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «واتّفقت الأمّة على كفر قاذفها»[(٤)].

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله: «من قذف عائشة بما برّأها الله منه كفر بلا خلاف وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرَّح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم»[(٥)].

موقف المخالفين منها:

من أبرز المخالفين لأهل السُّنَّة والجماعة في مسائل الصحابة عمومًا، وفي أُمِّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص الرافضةُ الإمامية الاثنا عشرية، ومن أقوالهم ومواقفهم المخزية في بنت الصديق رضي الله عنها:

أن علماء الرافضة يعتقدون كفر عائشة رضي الله عنها[(٦)]، ويعتقدون أن عائشة وحفصة وأبويهما رضي الله عنهم هم الذين قتلوا رسول الله ﷺ، فقد روى شيخهم العياشي ـ كذبًا ـ عن أبي عبد الله جعفر الصادق قوله: «تدرون مات النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ أو قُتل؟ إن الله يقول: ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فسُمَّ قبل الموت، إنهما سقتاه قبل الموت، فقلنا: إنهما وأبويهما شرُّ من خلق الله»[(٧)].

ويعتقد علماء الشيعة أنَّ عائشة وحفصة رضي الله عنهما قد وقعتا في الفاحشة!! ـ والعياذ بالله تعالى ـ وأقسم على ذلك القمي فقال: «والله ما عنى

= [دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ]، والصارم المسلول (٥٦٦).

(١) الصارم المسلول (٥٦٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١١٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٢) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٠٣) [مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧].

(٥) الصارم المسلول (٥٦٦).

(٦) الصراط المستقيم للبياضي (٣/ ١٦٨)، وفصل الخطاب للنوري (٣١٣)، وبحار الأنوار (٢٢/ ٢٤٦).

(٧) تفسير العياشي (١/ ٢٠٠).

بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] إلا الفاحشة»[(١)].

كما يعتقد علماء الرافضة أنَّ أحد أبواب النار السبعة لعائشة رضي الله عنها! ـ عياذًا بالله تعالى ـ، فقد رووا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ٤٤] «يُؤتى بجهنم لها سبعة أبواب... والباب السادس لعسكر..»[(٢)].

ويعتقد الرافضة قبَّحهم الله وقاتلهم بأنَّ عائشة رضي الله عنها (زانية!!)، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [النور] وأنَّ مهديهم المنتظر سيقيم عليها حدًّا آخر؛ قال شيخهم رجب البرسي: «إنَّ عائشة جمعت أربعين دينارًا من خيانة، وفرَّقتها على مُبغضي عليٍّ عليه السلام»[(٣)]، نعوذ بالله العظيم، وقال المجلسي: «إذا ظهر المهديُّ، فإنه سيُحيي عائشة، ويقيم عليها الحد»[(٤)].

وما سبق من بيان مكانها وفضلها في نصوص الكتاب والسُّنَّة، وأقوال سلف الأمة وعلمائها، يكفي في تفنيد هذه الترهات والمجازفات، وقد سبق بيان حال منتقصها، ومن يقع في عرضها رضي الله عنها وأرضاها، والله الهادي.

(١) تفسير القمي (٢/ ٣٧٧).

(٢) تفسير العياشي (٢/ ٢٤٣)، والمراد بعسكر: عائشة رضي الله عنها، ينظر: بحار الأنوار (٤/ ٣٧٨) (٨/ ٢٢٠).

(٣) مشارق أنوار اليقين للبرسي (٨٦).

(٤) حق اليقين للمجلسي (٣٤٧).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة»، للزركشي.

٢ ـ «الآحاد والمثاني»، لابن أبي عاصم.

٣ ـ «أسد الغابة»، لابن الأثير.

٤ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر.

٥ ـ «البداية والنهاية»، لابن كثير.

٦ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيِّم.

٧ ـ «حبيبة الحبيب أُمّ المؤمنين عائِشَة»، لصالح بن محمد عطا.

٨ ـ «حلية الأولياء»، لأبي نعيم الأصبهاني.

٩ ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد»، لابن القيِّم.

١٠ ـ «شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين»، مبرة الآل والأصحاب.

١١ ـ «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، للقاضي عياض.

١٢ ـ «الصارم المسلول»، لابن تيمية.

١٣ ـ «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم.

عام الجماعة

يراجع مصطلح (الجماعة).

العبادة

التعريف لغة:

العبادة في لغة العرب يدور معناها حول: الطاعة والذلة والخضوع[(١)].

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «عبد يعبد عبادة، وتعبد يتعبد تعبدًا، فالمتعبد: المتفرد بالعبادة.

ومن الباب: الطريق المعبد وهو المسلوك المذلل»[(٢)].

وقال الجوهري: «وأصل العبودية: الخضوع والذل. والتعبيد التذليل»[(٣)].

وقال الراغب: «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى»[(٤)].

وقال الفيروزآبادي: «والعبدية والعبودية والعبودة والعبادة: الطاعة»[(٥)].

التعريف شرعًا:

«اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(٦)].

وقيل: «اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته»[(٧)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة، فإن العبادة شرعًا هي التذلل والطاعة والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده، وهذا هو أصل معنى العبادة في لغة العرب.

«لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له»[(٨)].

سبب التسمية:

سميت العبادة بذلك؛ لأن الخلق كلهم عباد الله، خاضعون له، متذللون بين يديه، وما خلقهم سبحانه إلا لأجل عبادته وتأليهه، ففعلهم لما أمرهم الله به هو عبادة منهم لله وخضوع له وتذلل بين يديه حبًّا له وخوفًا من عقابه ورجاء لرحمته وعفوه.

الحكم:

عبادة الله عَزَّوَجَلَّ فرض واجب؛ إذ العباد ما خلقوا إلا من أجل تحقيقها والقيام بها كما أمروا.

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٠٤) [دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، ١٩٨٧م]، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٣٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٣٨٤هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) الصحاح (٢/ ٥٠٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب (١/ ٣١٩) [دار المعرفة].

(٥) القاموس المحيط (٢٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

(٧) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩).

(٨) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٢ ـ ١٥٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

وهذه العبادة لا تكون إلا لمن يستحقها، ولا يستحقها إلا من كان لعابده خالقًا ورازقًا، ولأموره مدبرًا، وعليه مقتدرًا، وليس ذلك إلا الله وحده سبحانه، فمن لم يكن كذلك فليس بإلٰه، وإن سُمِّي إلٰهًا وعبد ظلمًا؛ بل هو مخلوق متعبد لا يملك شيئًا من خصائص الألوهية والربوبية التي يكون بها مستحقًّا للعبادة[(١)].

فعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له هو توحيد الألوهية، وحقيقة توحيده بالألوهية: أن يفرد العبد ربه ﷻ بالعبادة قولًا وعملًا واعتقادًا.

وعليه؛ فإن العبادة حق لله وحده لا يشركه فيها أحد؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن جعل منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف][(٢)]. وهذا هو مقتضى تعريف العبادة المتقدم: «صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى».

۞ الحقيقة:

حقيقة العبادة: إخلاص الدين لله وإسلام الوجه له وطاعته وحبه وخوفه ورجاؤه والرغبة إليه وتفويض الأمور إليه والتوكل عليه، وطاعة رسله واتِّباعهم والانقياد لهم بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

وهذا هو حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد دينًا إلا إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين؛ لأن معنى الإسلام هو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع[(٣)].

«والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان»[(٤)] هما جماع الدين: «ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع. كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وذلك تحقيق الشهادتين؛ شهادة أن لا إلٰه إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله. ففي **الأولى:** أن لا نعبد إلا إياه، وفي **الثانية:** أن محمدًا هو رسوله المبلغ عنه. فعلينا أن نصدق

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤).
(٢) انظر: ثلاثة الأصول ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٣٤، ١٣٦) [ط٢، ١٤٢٣هـ].
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٦)، وتيسير العزيز الحميد (٣٦).
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٧٣).

خبره ونطيع أمره، وقد بيَّن لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة»[١].

الأهمية:

«الدين كله داخل في العبادة»[٢]، وقد تقدم أن العبادة لرب العالمين إنما هي حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين؛ فإن جميع الرسل إنما دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم، كما قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وجعل النبي ﷺ إحسان العبودية أعلى مراتب الدين فقال في حديث جبريل عليه السلام[٣] وقد سأله عن الإحسان: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[٤].

فدين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا[٥].

ولا يمكن أن يسعد الإنسان في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعبادة ربه وإخلاص الدين له، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك[٦].

الأدلة:

الأدلة في العبادة ووجوب إفراد الله تعالى بها كثيرة جدًّا؛ منها: قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيِّنة].

ومن السُّنَّة: حديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: «**يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**. فقلت: يا

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٢).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨) من حديث عمر رضي الله عنه.
(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٦٤ ـ ١٦٧) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].
(٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٣).
(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩٨).

رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: **لا تبشرهم فيتكلوا**»[(١)].

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمس: على أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»[(٢)].

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال لا إلٰه إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال البغوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]: «قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾؛ أي: نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة: الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبدًا؛ لذلته وانقياده، يقال: طريق معبد؛ أي: مذلل»[(٤)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «التوحيد الذي جاء به الرسول إنما تضمن إثبات الإلٰهية لله وحده بأن يُشهد أن لا إلٰه إلا هو، ولا يُعبد إلا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات»[(٥)].

وقال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: «والعبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد؛ أي: مذلل، والتعبد التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًّا خاضعًا»[(٦)].

الأركان:

أركان العبادة ثلاثة: الحب والخوف والرجاء، وهذه الأركان مذكورة في الثلاث الآيات الأولى من سورة الفاتحة.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في المسائل المستنبطة من سورة الفاتحة: «**الثالثة**: أركان الدين: الحب والرجاء والخوف، فالحب في الأولى، والرجاء في الثانية، والخوف في الثالثة»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨٥٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٠).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٣).
(٤) معالم التنزيل (١/ ٥٣) [دار طيبة، ط١، ١٤٠٩هـ].
(٥) درء التعارض (١/ ٢٢٤) [جامعة الإمام، ١٤١١هـ].
(٦) مدارج السالكين (١/ ١٣٠).
(٧) مجموع مؤلفات ابن عبد الوهاب (٢/ ٣٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١)، وبدائع الفوائد (٣/ ٨٥١).

«وقد جمع الله هذه المقامات الثلاث بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه»[(١)].

و«ما حُفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث؛ فسد فسادًا لا يرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه»[(٢)].

وقال ابن القيِّم: «القلب في سيره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر»[(٣)].

فلا بد من اجتماع هذه الأركان الثلاثة في عبادة العبد لربه، فمن لم تجتمع هذه الأركان في عبادته ضلّ وما كان من المهتدين؛ ولذلك قال بعض السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[(٤)].

الشروط:

لا تكون العبادة مقبولة عند الله سبحانه، نافعة لصاحبها، ومنجية له في الحياة الدنيا وفي الآخرة إلا بتوفر شروط صحتها، وهما **شرطان**[(٥)]:

الأول: الإخلاص لله سبحانه، وهذا هو توحيد القصد، ويقال: توحيد المرسِل.

الثاني: المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا هو توحيد المتابعة، ويقال: توحيد المرسَل.

وهذان الشرطان هما قطب رحى هذا الدين، وأساس سعادة المرء في الدارين، وتحقيقهما تحقيق لمقتضى الشهادتين:

فشهادة أن لا إلٰه إلا الله مقتضاها: أن لا يعبد إلا الله. وهذا هو شرط الإخلاص، وهو توحيد في القصد والطلب للمرسل سبحانه.

وشهادة أن محمدًا رسول الله مقتضاها: أن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٨٥١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٦٦٤).
(٤) نسبه ابن تيمية إلى بعض السلف في مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١، ٢٠٧، ١١/ ٣٩٠)، وكذا ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٨٥١).
(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٤٠)، وتصحيح الدعاء (٣٩).

وهذا هو شرط المتابعة، وهو توحيد في الاتباع للمرسَل ﷺ.

الأقسام:

تقسم العبادة بعدة اعتبارات؛ منها:

١ ـ تنقسم العبادة باعتبار الفعل والترك إلى ثلاثة أقسام: قولية، وفعلية، وتركية[١].

٢ ـ تنقسم العبادة باعتبار الظهور والخفاء إلى قسمين: ظاهرة تتعلق بأعمال الجوارح، وباطنة تتعلق بأعمال القلوب.

٣ ـ تنقسم العبادة باعتبار تعلق المال بها إلى قسمين: بدنية، ومالية.

٤ ـ تنقسم العبادة باعتبار دخول العباد تحتها إلى **قسمين**: «عامة وخاصة؛ فالعبودية العامة عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم] فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨﴾ [الزُّخرُف]، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته»[٢].

(١) انظر: تصحيح الدعاء (٢٣٦).
(٢) مدارج السالكين (١/١٦٨ ـ ١٦٩).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المفاضلة بين العبادات:

شريعة الإسلام خير كلها، وحكمة كلها، وفضل كلها، وما فيها من العبادات تشترك في الخير والحكمة والفضل؛ إلا أنها درجات متفاوتة، يفضل بعضها على بعض، وذلك التفاضل راجع إلى عدة اعتبارات؛ **لعل من أهمها**[٣]:

١ ـ تفاضل الأعمال نفسها.

٢ ـ تفاضل أحوال العاملين الباطنة والظاهرة.

٣ ـ تفاضل أحوال المنتفع بها.

وأصح الأقوال وأرجحها في قاعدة المفاضلة بين أنواع العبادات من: دعاء، وذكر، وصلاة، وجهاد، ونحو ذلك؛ أن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه[٤].

(٣) انظر: الفروق للقرافي (٢/٣٧١ ـ ٤٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ]، ومنهاج السُّنَّة (٣/٦٤٧ ـ ٦٥١) [دار الفضيلة، ١٤٢٤هـ]، والمنار المنيف (١٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].
(٤) انظر: مدارج السالكين (١/٨٥ ـ ٨٩)، والوابل الصيب (٢٣٢ ـ ٢٣٥) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٧هـ].

ـ المسألة الثانية: خطأ من يزعم أن العبادة لا تكون إلا مع اعتقاد الربوبية:

العبادة حق لله وحده لا يشركه فيها أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، فمن جعل أي نوع منها لغير الله فقد أشرك.

ومن الغلط البيّن والضلال الواضح قصر العبادة في اعتقاد الربوبية، وزعم أنها لا تكون كذلك إلا إذا تضمنت اعتقاد الربوبية لمن جعلت وصرفت له، وإلا فليست عبادة.

فالالتجاء عندهم إلى غير الله، ودعاؤه، والاستغاثة به ليس بعبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم[1].

وهذا الاعتقاد الباطل مبني على خطئهم في فهم معنى التوحيد الذي دعت إليه الرسل، حيث ظنوا أنه إفراد الله بالربوبية فقط.

وقد بيَّن القرآن أنّ دعوة الأنبياء والمرسلين من أوّلهم إلى آخرهم كانت إلى إفراد الله بالعبادة، كما بين أنّ المشركين الذين خاصمهم النبي ﷺ وقاتلهم على الشرك كانوا يقرّون لله تعالى بالخلق والرزق والتدبير.

فتفسير العبادة وقصرها على المعنى السابق تحكّم لا دليل عليه، وهو مخالف لمعناها في اللغة؛ بل إنّ هذا التعريف للعبادة لا يصدق حتى على عبادات المشركين، إذ إنهم لم يكونوا يعتقدون في معبوداتهم الاستقلال في التصرف أو أنها تملك أو تخلق أو ترزق، ولذلك كان من تلبيتهم «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك»[2]، فكان هذا شركهم في العبادة وهو الذي كفرهم الله به وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه[3].

الثمرات:

بعبادة الله ﷻ يتحقق للعبد الخير والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، كيف لا وقد قام بما خلق من أجله، ونال بذلك رضا ربه وعفوه وغفرانه، وبذلك سيدخل جنته ودار كرامته ومستقر رحمته.

وهذا إجمالًا يشمل كل الثمرات والخيرات والآثار المباركة التي يجنيها العابد لله المحب له.

وأما على وجه التفصيل فيمكن الاقتصار على شيء من ذلك **فيما يلي**:

(١) انظر: البراهين الساطعة للقضاعي (٣٨١) [مطبعة السادة، مصر].

(٢) كما أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١١٨٥).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٧)، وتجريد التوحيد للمقريزي (٤٢) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٥هـ].

١ ـ ذوق حلاوة الإيمان ولذة العبودية لله سبحانه ومحبته[(١)].

٢ ـ تقديم محاب الله على محاب النفس والهوى والشيطان.

٣ ـ التحرر من العبودية والذلة والخضوع لغير الله؛ لأن وصف العبودية هو الحقيقة للإنسان[(٢)]؛ فهو إما أن يكون عبدًا لله ﷻ فيسعد في الدنيا والأخرى؛ إذ إن «أسعد الخلق أعظمهم عبودية لله»[(٣)]، وإما أن يعرض عن عبادة ربه فيكون ـ ولا بد ـ عبدًا لهواه، معلَّقًا قلبه بغير الله.

٤ ـ انجذاب القلب إلى الله وزيادة حبه له، فيصير القلب منيبًا إلى الله خائفًا منه راغبًا راهبًا محبًّا[(٤)].

٥ ـ اجتباء الرب سبحانه وتعالى لعابده وحفظه له، وصرف السوء والفحشاء عنه[(٥)].

٦ ـ الترقي إلى مدارج الكمال، واللحوق بركب السابقين المقربين؛ فإن «كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته»[(٦)].

٧ ـ حسن الخاتمة، ونيل السعادة الأبدية في الآخرة بنيل رضا الرحمٰن ودخول الجنان؛ لأن «طاعة الله ورسوله قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور»[(٧)].

۞ مذهب المخالفين:

ذهب قوم من غلاة المتصوفة إلى أن العبادة تسقط عن المكلف إذا وصل عندهم إلى مرتبة عليا يسمونها الحقيقة، ويتأوَّلون قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر]، وهذا من جنس قول القرامطة الباطنية من المتفلسفة وغيرهم الذين يرون أن العبادات رياضة للنفس حتى تصل إلى المعرفة التي يدَّعونها، فإذا وصل إلى المعرفة التي يدَّعونها سقطت عنه[(٨)].

وهذه عقيدة باطلة مناقضة لدين الإسلام القائم على الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والعبادة حتى مفارقة هذه الدنيا بالموت كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧﴾ [المدَّثر].

واليقين ههنا هو ما يوقن به من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٧٦).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٩).

(٤) انظر: المصدر نفسه (١٠/ ١٩٣).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١٠/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٦) المصدر نفسه (١٠/ ١٧٦)

(٧) المصدر نفسه (١/ ٤)، وانظر: (٢٧/ ٤٧٣).

(٨) انظر من كتبهم: الطبقات للشعراني (٢/ ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠)، وانظر في بيان مذهبهم والرد عليهم: الرد على الشاذلي لابن تيمية (٥٠ ـ ٥٢) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ]، ومجموع الفتاوى (٢/ ٩٥ ـ ٩٦، ١٠/ ١٦٦، ٥٠٣، ١١/ ٤١٧، ٥٣٩ ـ ٥٤١).

الموت وما بعده باتفاق السلف وإجماع أهل التفسير[١]، ومنه قول النبي ﷺ عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه لما مات: «**أما عثمان فقد جاءه والله اليقين**»[٢]؛ أي: الموت وما فيه.

ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: «لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلًا دون الموت»[٣].

وقال الجنيد رحمه الله: «تكلم قوم بإسقاط الأعمال وهذه عظيمة، والذي يزني ويسرق أهون من هذا»[٤].

والعبد لا ينفك أبدًا من العبودية ما دام في دار التكليف، ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه؛ بل صار بهذا من أشر أهل الكفر والإلحاد.

والحق أنه كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم، والواجب عليه منها أكبر وأكثر من الواجب على من دونه[٥].

ثم إن هناك طوائف من المتصوفة أخطأت في هذا الباب لكنها لم تبلغ غلو الطائفة السابقة، فمنهم من يترك ما أمروا به من الأسباب التي هي عبادة؛ ظنًا منهم أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك، فيتركون التوكل والدعاء ونحو ذلك، ويجعلونها من مقامات العامة دون الخاصة؛ بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون، فلا حاجة إلى ذلك، وهذا غلط منهم فإن الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي ﷺ: «**إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»[٦].

ومنهم: طائفة يتركون المستحبات من الأعمال دون الواجبات.

ومنهم: طائفة يغترون بما يحصل لهم من خوارق العادات فيشتغل أحدهم عما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك.

فهذه أمور تعرض لأهل السلوك والتوجه؛ وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت[٧].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تصحيح الدعاء»، لبكر أبي زيد.

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ ـ «تفسير الطبري» (ج١٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٥٤ ـ ١٥٧)، والرد على الشاذلي (٥١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٨٧).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧) [دار الكتب العلمية].

(٤) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٨٦).

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٢).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٧١ ـ ١٧٢).

٤ ـ «ثلاثة الأصول»، لمحمد بن عبد الوهاب.
٥ ـ «الرد على الشاذلي»، لابن تيمية.
٦ ـ «الزهد»، لابن المبارك.
٧ ـ «العبادة»، للمعلمي.
٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢، ١٠، ١١)، لابن تيمية.
٩ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيِّم.
١٠ ـ «الوابل الصيب»، لابن القيِّم.

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، حنَّكه النبي ﷺ وسمَّاه باسم جدِّه أبي بكر الصديق، وكناه بكنيته، لذا كان يُكنَّى بأبي بكر[(١)]، ويقال له: أبو خبيب[(٢)]، وأبو عمرو[(٣)]، وأبو بكير[(٤)].

مولده ووفاته:

ولد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عام الهجرة على الصحيح[(٥)]، وقيل سنة اثنتين من الهجرة النبوية الشريفة[(٦)]، حيث خرجت أمه أسماء من مكة مهاجرة وهي حبلى، وبعد وصولها ونزولها في قباء ولدت عبد الله، فكان أول مولود في الإسلام بالمدينة للمهاجرين، كما جاء من حديث أسماء رضي الله عنها، وفيه: «وكان أول مولود ولد في الإسلام»[(٧)].

وبولادته ظهر بطلان ما كانت تشيعه اليهود، إذ كانت تقول: «قد أخذناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد، فكبّر الصحابة حين ولد»[(٨)]. وأما ما قيل من طواف الصدِّيق بابن الزبير بعد مولده حول الكعبة في خرقة فهو غير صحيح، كما بينه ابن كثير بقوله: «ومن قال: إن الصديق طاف به حول الكعبة وهو في خرقة فهو واهم، والله أعلم، وإنما طاف

(١) الطبقات لخليفة بن خياط (٤٠٦) [دار الفكر]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٠٥) [دار الجيل، ط١]، والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٦) [دار هجر، ط١].
(٢) انظر: الكنى والأسماء للإمام مسلم (١/ ١١٣) [عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١]، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٥٦) [مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ودار إحياء التراث العربي لبيروت، ط١، ١٢٧١هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٩٠) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢].
(٣) انظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد للكلاباذي (١/ ٣٨٧) [دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧هـ].
(٤) رجال صحيح مسلم (١/ ٣٤٢) [دار المعرفة، ط١].
(٥) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٨٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٩٠).
(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط٣].
(٧) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٩٠٩)، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٦).
(٨) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٩١)، وانظر: الاستيعاب (٣/ ٩٠٦)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٧).

الصديق به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود»[١].

وأما وفاته فقد مات مقتولًا، فقد كان امتنع عن مبايعة يزيد بن معاوية ولزم الحرم، ولما مات يزيد بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة سنة (٦٤هـ)، ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام، ولكن الخلفاء الأمويين الذين جاؤوا بعد يزيد، لم يسلّموا له بذلك، فقاتله مروان بن الحكم، وبعد موته جاء ابنه عبد الملك، وأرسل الحجاج بن يوسف المبير لمقاتلة ابن الزبير في مكة، وبعد قتال شديد بينهما قُتل ابن الزبير، في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وهذا هو المحفوظ[٢]، وقيل: إنه قتل على رأس سنة اثنتين وسبعين، وكأنه يعني بعد انتهائها ـ كما ذكر ابن حجر[٣] ـ وصلبه الحجاج[٤].

إسلامه:

ولد عبد الله بن الزبير في الإسلام، من أبوين مسلمين؛ الزبير بن العوام وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، ونشأ تحت رعايتهما، ولما بلغ السابعة أو الثامنة من عمره بايع النبي ﷺ، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير أنهما قالا: «خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت وهي حبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمت قباء فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نفست إلى رسول الله ﷺ ليحنكه، فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، قال: قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها ثم بصقها في فيه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ، ثم قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه، وسماه عبد الله، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلًا إليه، ثم بايعه»[٥].

وشهد ابن الزبير معركة اليرموك مع أبيه وهو مراهق، وشهد أيضًا فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في قتال البربر، وتسلل مع ثلاثين من فرسان المسلمين حتى وصلوا بالقرب من ملك البربر، فهرب الملك فلحقه عبد الله بن الزبير وقتله واحتز رأسه، وجعله فوق رمحه، وكبَّر وكبَّر المسلمون فحملوا على البربر، فانهزمت جيوش الكفر،

(١) البداية والنهاية (١٢/ ١٨٨).

(٢) انظر: الطبقات لخليفة بن خياط (٤٠٦)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٠٤)، والإصابة (٤/ ٩٠ ـ ٩١).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٩١).

(٤) انظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لأبي حاتم (٥٥) [دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١١هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٦).

وقدم بكتاب الفتح على عثمان سنة (٢٨هـ)، وشهد كذلك غزو القسطنطينية، وشهد يوم الدار وكان يدافع عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان، حتى جرح بضع جراحات، وشهد موقعة الجمل مع أمِّ المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهم[(١)]، وكان شهمًا شجاعًا فصيحًا ذا أنفة[(٢)].

فضائله:

- دعاء النبي ﷺ له.
- تحنيك النبي ﷺ إياه، وإدخال ريقه الشريف في جوفه.
- تسمية النبي ﷺ إياه بعبد الله.

كما جاء ذلك كله من حديث أسماء رضي الله عنها: «أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام»[(٣)].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ تمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه، فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ»[(٤)].

مكانته:

كانت لعبد الله بن الزبير مكانة كبيرة؛ فهو أول مولود في الإسلام للمهاجرين، وأبوه أحد العشرة المبشرين بالجنة وحواري رسول الله ﷺ، وأمه أسماء بنت الصديق ذات النطاقين، وجده الصديق الأكبر أبو بكر، وجدته عمة النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب، وخالته أم المؤمنين عائشة، وعمة أبيه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنهم، فقد روى البخاري بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وصف عبد الله بن الزبير فقال: «أما أبوه فحواري النبي ﷺ ـ يريد الزبير ـ، وأما جده فصاحب الغار ـ يريد أبا بكر ـ، وأمه فذات النطاق ـ يريد أسماء ـ، وأما خالته فأم المؤمنين ـ يريد عائشة ـ، وأما عمته فزوج النبي ﷺ ـ يريد خديجة ـ، وأما عمة النبي ﷺ فجدته ـ يريد صفية ـ، ثم عفيف في الإسلام قارئ للقرآن»[(٥)]. ومما يزيد علو مكانته أنه كان عابدًا متنسّكًا، فقد جاء عن عمرو بن دينار أنه قال: «ما رأيت مصليًا أحسن صلاةً من ابن

---

(١) انظر: تاريخ ابن يونس المصري (١/ ٢٦٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤، و١٩٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٩٤).

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٠٦)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٩٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٩١٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٦٥).

الزبير»[١]، وروى أبو نعيم بإسناده عن مجاهد قال: «كان ابن الزبير إذا قام للصلاة كأنه عمود»[٢]، قال الإمام الذهبي: «عداده في صغار الصحابة، وإن كان كبيرًا في العلم، والشرف، والجهاد، والعبادة»[٣].

وقد اختاره أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فجعله في النفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام[٤].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: شهود ابن الزبير موقعة الجمل:

شهد عبد الله بن الزبير موقعة الجمل مع خالته أم المؤمنين عائشة التي خرجت مع الزبير وطلحة وطائفة من المسلمين؛ بغرض الإصلاح بين المسلمين، ولما حوَّل أهل الفتنة قتلة عثمان بن عفان الأمور عن مسارها واتجهوا بها نحو القتال، جعل ابن الزبير في الرّجّالة، وحصلت المعركة، وبعد انتهائها، أُخذ ابن الزبير من وسط القتلى وبه بضع وأربعون جراحة، ولما بُشِّرت أم المؤمنين عائشة بأنه حي أعطت البشير الذي أخبرها بأنه لم يمت عشرة آلاف[٥].

ـ المسألة الثانية: موقفه مما جرى بين علي ومعاوية:

اعتزل ابن الزبير الحروب التي دارت بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما ولم يشارك فيها، واستمر على هذا حتى استقر الأمر لمعاوية، فبايع معاوية رضي الله عنهما، ولكن لما طُلبت البيعة ليزيد امتنع ابن الزبير عن مبايعته، وانتقل إلى مكة، فأرسل إليه يزيد سليمان أن يبايع له فأبى، وأطلق على نفسه عائذَ الله[٦]، وبقي في مكة، ولما تحول أهل الشام بعد وقعة الحرة ـ التي فتك فيها أهل الشام بأهل المدينة ـ إلى مكة قاتلوا ابن الزبير، وحاصروا الكعبة، وبينما هم كذلك بلغهم موت يزيد فكفّوا عن القتال ورجعوا أدراجهم[٧].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣٥) [دار السعادة، ١٣٩٤هـ]، وذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٩٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٥٥)، وفيه: «عود» بدل «عمود»، وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة (٤/ ٩٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٤).

(٤) كما عند البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٠٦). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٢٥١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف]، والبداية والنهاية (١٢/ ١٩٣).

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٩٤).

(٦) كذا في المطبوع من الإصابة بتحقيق: البجاوي، وتحقيق: التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث (٦/ ١٥٤).

(٧) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٩٤).

- المسألة الثالثة: ولاية عبد الله بن الزبير من ٦٤ إلى ٧٣هـ:

بعد أن توفي يزيد ورجع جيش الشام عن مكة وفُك الحصار بايع الناس عبد الله بن الزبير خليفة للمسلمين، وأخذت الأمصار تعلن مبايعتها له، وترسل إليه بذلك كتبها، إلا بعض الشام[(١)]. فبسط سلطانه على الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخراسان، وبعض الشام[(٢)]. ولذا عدَّه بعض العلماء ضمن خلفاء المسلمين، فقد قال ابن كثير في ترجمته: «وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه»[(٣)]، وقال أيضًا: «وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين، وحجَّ بالناس فيها كلها»[(٤)].

واعتبر بعض العلماء أيام خلافته أيام فتنة، ولم يعدوه ضمن أمراء المسلمين؛ لأن الأمر لم يستقم له، حيث نازعه في الخلافة مروان بن الحكم ومن بعده ابنه عبد الملك. قال ابن تيمية: «وأما مروان وابن الزبير فلم يكن لواحد منهما ولاية عامة؛ بل زمنه زمن فتنة»[(٥)].

قال الذهبي: «ولم يستوسق له الأمر، ومن ثم لم يعده بعض العلماء في أمراء المؤمنين، وعد دولته زمن فرقة، فإن مروان غلب على الشام ثم مصر، وقام عند مصرعه ابنه عبد الملك بن مروان، وحارب ابن الزبير، وقتل ابن الزبير رحمه الله فاستقل بالخلافة عبد الملك وآله، واستوسق لهم الأمر، إلى أن قهرهم بنو العباس بعد ملك ستين عامًا»[(٦)].

- المسألة الرابعة: بناء ابن الزبير للكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام:

بنى عبد الله بن الزبير أيام خلافته في الحجاز بيت الله الحرام على قواعد إبراهيم عليه السلام، وذلك حين حدثته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهم بما سمعته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لها: «**يا عائشة: لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين؛ بابًا شرقيًّا، وبابًا غربيًّا، فبلغت به أساس إبراهيم**»، فذلك الذي حمل ابن الزبير رضي الله عنهما على هدمه. قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه وأدخل فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل، قال جرير: فقلت له: أين موضعه؟ قال: أريكه الآن، فدخلت معه الحجر فأشار إلى مكان، فقال: ها هنا، قال جرير فحزرت

(١) انظر: المرجع السابق (٤/ ٩٤).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٤).
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ١٨٦).
(٤) المرجع السابق (١٢/ ٢٠٤).
(٥) منهاج السُّنَّة (٨/ ٢٤٣).
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٤).

من الحجر ستة أذرع أو نحوها»[١].

قال ابن تيمية: «كان ابن الزبير قد بناها على قواعد إبراهيم وألصقها بالأرض، وجعل لها بابين كما أخبرته عائشة... فلما قُتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما فعل ابن الزبير، فيخبره بأنهم وجدوا قواعد إبراهيم وأنه أرى ذلك لأهل مكة، فكتب إليه عبد الملك أن يعيدها كما كانت إلا ما زاده من الطول فلا يغيره، ويذكر أن ما فعله ابن الزبير لا يعلم أصله. ثم إن عبد الملك حدثه بعض الناس بحديث عائشة فقال: «وددت أني وليت ابن الزبير من ذلك ما تولى»»[٢].

وقال ابن كثير عن ابن الزبير: «وبنى الكعبة في أيامه، كما أشار إليه الرسول ﷺ، ورد بناءها كما كانت عليه، كما أخبرته عائشة أم المؤمنين، وكسا الكعبة الحرير، وكانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع والمسوح»[٣].

موقف المخالفين منه:

يكيل الروافض لعبد الله بن الزبير ـ كغيره من الذين شهدوا موقعة الجمل التي حصل فيها القتال بينهم وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ تهمًا عديدة، منها ما ذكروه من أن عبد الله بن الزبير انضم إلى أبيه لمقاتلة علي رضي الله عنه[٤].

الرد عليهم:

لا شك أن شهود من شهد موقعة الجمل كان بغرض الإصلاح، سوى أهل الفتنة قتلة عثمان، ولذا ندم كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة على حصول القتال بينهما، وحزن عليٌّ على قتل الزبير والد عبد الله وبشّر قاتله بالنار، ولم يعتبر مشاركته في قتاله موجبًا للارتداد، وهذا يبطل دعوى الروافض بأن الزبير وابنه عبد الله هما عدوّا الله ورسوله وأهل البيت، ولعنهما لمشاركتهما في حربه، ويؤكد موقف علي من مقاتليه في موقعة الجمل، من حيث منعه من سبي نسائهم وأموالهم، والإجهاز على جرحاهم، ولذا استطاعوا انتشال عبد الله بن الزبير من وسط القتلى، فلو لم يحمهم أمير المؤمنين بذاك القرار لأجهز على ابن الزبير وأمثاله من الجرحى، فهذا كله ينسف دعوى الروافض ويؤكد على أنها محض هراء يدل على حقد دفين في صحابة سيد المرسلين.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٨٦)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٣٣).
(٢) الرد على المنطقيين لابن تيمية (٥٠٣ ـ ٥٠٤) [دار المعرفة].
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٤).
(٤) رسائل الكركي (٢/ ٢٢٩) [تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٣)، لابن عبد البر.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١٢)، لابن كثير.

٣ ـ «تاريخ ابن يونس المصري» (ج١).

٤ ـ «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٥ ـ «رسائل الكركي» (ج٢).

٦ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٤)، للذهبي.

٧ ـ «الطبقات»، لخليفة بن خياط.

٨ ـ «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق»، لابن تيمية.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٥)، لابن تيمية.

١٠ ـ «مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار»، لأبي حاتم.

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

اسمه ونسبه:

هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما[(١)].

مولده ووفاته:

اختلفت أقوال في تحديد تاريخ ولادته بحسب اختلاف الروايات في ذلك:

فالقول الأول: أنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، حين كان بنو هاشم بالشعب[(٢)]، ورجحه بعض الحفاظ كابن عبد البر وابن حجر، قال ابن عبد البر بعد أن عزى هذا القول إلى بعض أهل السير: «وما قاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي أصح والله أعلم، وهو قولهم: إن ابن عباس كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي رسول الله ﷺ»[(٣)].

وأما ابن حجر فقد ذكر أن هذا القول «أثبت، وهو يقارب ما في «الصحيحين» عنه: «أقبلت وأنا راكب على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت سن الاحتلام، والنبي ﷺ يصلي بمنى إلى غير جدار»[(٤)] الحديث. وفي الصحيح عن ابن عباس: «قبض النبي ﷺ وأنا ختين»[(٥)]. وفي

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٢٤١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٣٣) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ]، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والبداية والنهاية (١٢/ ٧٨) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤١) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٣٣ ـ ٩٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣٢).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧٦)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٥٠٤).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٣٠٠).

رواية: «وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك»[١]، وفي طريق أخرى: «قبض وأنا ابن عشر سنين»[٢]، وهذا محمول على إلغاء الكسر»[٣].

وقال أيضًا: «المحفوظ الصحيح أنه ولد بالشعب، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، فيكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة، وبذلك قطع أهل السير، وصححه ابن عبد البر وأورد بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال: ولدت وبنو هاشم في الشعب»[٤].

القول الثاني: أنه ولد قبل الهجرة بخمس سنين. ورجح هذا القول كل من الإمام أحمد ـ كما نقله عنه ابن عبد البر بقوله: «قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال أبي: وهذا هو الصواب»[٥] ـ وابنُ كثير، واحتج له بما رواه الطيالسي بإسناده عن ابن عباس قال: «قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون»[٦]، حيث قال بعد إيراده هذا الأثر: «وهذا هو الأصح»[٧]، ثم أيده بالحديث السابق الذي فيه أنه مر بين يدي بعض الصف وهو مناهز سن الاحتلام.

القول الثالث: أنه ولد عام الهجرة، وهذا منسوب إلى عمرو بن دينار[٨]، ويدل عليه ظاهر حديث: «قبض وأنا ابن عشر سنين»[٩]، ولكنه محمول على إلغاء الكسر، كما سبق نقله عن الحافظ ابن حجر.

مات بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة، في أيام عبد الله بن الزبير[١٠]، واختلف في سنّه يوم مات؛ فقيل: كان ابن إحدى وسبعين، وقيل: اثنين وسبعين، وقيل أربع وسبعين[١١]، وقوّى الحافظ ابن حجر الأول[١٢].

۞ إسلامه:

أسلم ابن عباس رضي الله عنهما قبل الفتح، فقد ثبت عنه أنه قال: «كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان وأمي من النساء»[١٣]. وبه احتج الذهبي على ذلك فقال: «انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٣٥).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤١)، وانظر: البداية والنهاية (١٢/ ٧٨ ـ ٧٩).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٩٠) [دار المعرفة].
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٣٤).
(٦) أخرجه الطيالسي (٤/ ٣٦٥) [دار هجر، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٢٧٣) وصحَّحه.
(٧) البداية والنهاية (١٢/ ٨٠).
(٨) البداية والنهاية (١٢/ ٧٩).
(٩) تقدم تخريجه.
(١٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٣٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٥١).
(١١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٥١).
(١٢) انظر: المرجع السابق (٤/ ١٥١).
(١٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٧).

ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: «كنت أنا وأمي من المستضعفين؛ أنا من الولدان، وأمي من النساء»»[(١)]. يشير ابن عباس بهذا إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء].

وغزا أفريقية مع عبد الله بن أبي السرح، وشهد موقعة صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)].

فضائله:

أ ـ دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، فقد جاء من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعتُ له وَضوءًا، فقال: **«من وضع هذا؟»**، فأُخبِر، فقال: **«اللَّهُمَّ فقّهه في الدين»**[(٣)]. وزاد في رواية: **«وعلّمه التأويل»**[(٤)].

ب ـ أنه رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس، قال: «كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ، وعنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال لي أبي: أي بني، ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: يا أبت، إنه كان عنده رجل يناجيه. قال: فرجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي: يا رسول الله، قلت لعبد الله: كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: **وهل رأيته يا عبد الله؟** قال: قلت: نعم. قال: **فإن ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك**»[(٥)].

مكانته:

لابن عباس مكانة كبرى ومنزلة عظمى عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو ابن عم النبي ﷺ وحبر الأمة، وترجمان القرآن الكريم ومفسره، فقد جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»[(٦)].

وروى ابن سعد بسنده عن يحيى بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣٣).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤١، و١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء، رقم ١٤٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٧٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٥٥)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٢٨٠) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في التعليقات الحسان (١٠/ ١٥٦) [دار باوزير، ط١].

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطيالسي (٤/ ٤٢٦) [دار هجر، ط١]، وصحح سنده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٢٨٥) [دار الوطن، ط١].

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٧٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٢٩١) وصحَّحه، وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٢٧).

سعيد قال: «قال أبو هريرة رضي الله عنه حين مات زيد بن ثابت: اليوم مات حبر هذه الأمة! ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا»(١).

وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة»(٢). وذكر ابن سعد: «أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيشير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات»(٣).

وقال فيه ابن كثير: «وله مفردات ليست لغيره من الصحابة؛ لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله رضي الله عنه وأرضاه»(٤).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: مناظرة ابن عباس للخوارج المارقين عن الدِّين:

ناظر الصحابي الجليل حبر الأُمَّة وبحرها وترجمان القرآن ابنُ عباس الخوارجَ حين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفارقوا جماعة المسلمين، وشقّوا عصا الطاعة، حيث جاءهم في معقلهم وناظرهم، فتهاوت شبههم واحدة بعد الأخرى، حتى أقروا بالهزيمة والإفلاس، ورجع كثير منهم، فقد روى الإمام عبد الرزاق الصنعاني بإسناده عن ابن عباس قال: «لما اعتزلت الحرورية فكانوا في دار على حدتهم، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك، قلت: كلا إن شاء الله تعالى، قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، قال: فدخلت على قوم لم أر قومًا قطُّ أشدَّ اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود، قال: فدخلت، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قلت: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: والله لنحدثنه، قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثًا، قال: قلت: وما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكَّم الرجال في دين الله وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يسبِ ولم يغنم؛ لئن

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٩)، وصحَّحه ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٢٧).

(٢) مسند أحمد (٣/ ٣٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط البخاري».

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٩).

(٤) البداية والنهاية (١٢/ ٧٨).

كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم؟ قال: قلت: وماذا؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سُنَّة نبيّه ﷺ ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أما قولكم: حكَّم الرجال في دين الله فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ [المائدة: ٩٥] إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللَّهُمَّ بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم مترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا، فقال: «**اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**» فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال: «**والله إني لرسول الله حقًّا وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله**»، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا»[1].

ـ المسألة الثانية: موقفه من التحكيم:

الظاهر أنه كان موافقًا على التحكيم، ولعل ما ذكره ابن سعد بإسناده عنه وتناقله الأئمة من بعده كابن عساكر[2] وابن كثير[3] وابن حجر[4] يثبت هذا، حيث قال: «إن عليًّا بعث في التحكيم أبا موسى ومعه أربعمِائة رجل، عليهم

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] مختصرًا، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب اللقطة، رقم ١٨٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (كتاب الخصائص، رقم ٨٥٢٢)، والحاكم في المستدرك (كتاب قتال أهل البغي، رقم ٢٦٥٦) وصحَّحه.

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٣/ ٦٧).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٥٧٠).

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٨٢).

شريح بن هانئ، ومعهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يصلي بهم، ويلي أمرهم»[(١)].

ولما ذكر ابن كثير أسماء من حضروا التحكيم من جيش علي رضي الله عنه ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في أول الأسماء[(٢)].

وأما ما رواه الطبري عن أبي مخنف عن أبي جناب الكلبي: من أن ابن عباس رضي الله عنهما نهى أبا موسى الأشعري عن التكلم قبل عمرو بن العاص خوفًا من خداعه، وأن أبا موسى لم يقبل منه هذا؛ بل تكلم بما اتفقا عليه من خلع علي ومعاوية رضي الله عنهما عن الخلافة، وأن الأمر شورى بين المسلمين، ولما تكلم عمرو نقض هذا الاتفاق وخلع عليًّا وأثبت معاوية في الخلافة، وحينها دعا عليه أبو موسى الأشعري، وأن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قبَّح الله رأي أبي موسى، حذرته وأمرته بالرأي فما عقل[(٣)] فهذا كله لا يصحّ! سندًا ولا متنًا؛ أما من جهة الإسناد فإن أبا مخنف أخباري تالف لا يوثق به كما قال الذهبي[(٤)]. وقال ابن أبي حاتم: «سمعت أبي يقول: أبو مخنف متروك الحديث»[(٥)]، وقال ابن حجر: «أبو مخنف: لوط بن يحيى: هالك»[(٦)].

وأبو جناب الكلبي قال فيه ابن معين: «ضعيف الحديث»[(٧)]، وأورده البخاري في كتاب الضعفاء[(٨)].

وأما من جهة المتن ففيه أباطيل عدة؛ **منها:**

- فيه الحديث عمن هو الأحق بالخلافة، ولم يكن الخلاف في تقديم أحد في الخلافة أو عزله عنها على الإطلاق، وإنما كان الخلاف في توقيت المطالبة بدم عثمان، فكيف يناقش الحكمان ما هو خارج موطن النزاع، ويعرضان عما جاءا من أجله.

- وفيه وصف عمرو بن العاص بالغدر والخيانة، ووصف أبي موسى الأشعري بالغباء والحماقة، وهذا يكذبه ما جاء في سيرتهما وفضائلهما. ـ **المسألة الثالثة: موقفه من خروج الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى العراق:**

اجتمعت كلمة المسلمين على معاوية رضي الله عنه بعد تنازل الحسن رضي الله عنه له عن الخلافة، واستمر الأمر على ذلك حتى رأى معاوية رضي الله عنه أن يجعل الخلافة من بعده لابنه يزيد، «ولما أخذت البيعة

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/١٩٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ].
(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠/٥٥٧).
(٣) تاريخ الطبري (٣/١١٣) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٤) ميزان الاعتدال (٣/٤١٩) [دار المعرفة].
(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/١٨٢) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ]
(٦) لسان الميزان (٩/١٥٩) [دار البشائر الإسلامية].
(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/١٣٨).
(٨) كتاب الضعفاء للبخاري (١٣٩) [مكتبة ابن عباس، ط١، ١٤٢٦هـ].

ليزيد في حياة معاوية، كان الحسين رضي الله عنه ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمٰن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، ثم مات ابن أبي بكر رضي الله عنه وهو مصمم على ذلك، فلما مات معاوية رضي الله عنه سنة ستين، وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير رضي الله عنهم، وخرجا من المدينة فارّين إلى مكة، فأقاما بها، فعكف الناس على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه»(١)، وبهذا يظهر مخالفة ابن عباس وابن عمر للحسين رضي الله عنهم.

ولما صمم الحسين رضي الله عنه على الخروج إلى العراق، وبلغ خبرُه ابنَ عباس رضي الله عنهما حاول ثنيه عن رأيه وحذره غاية التحذير، وقال له: «أين تريد يا ابن فاطمة؟ فقال: العراق وشيعتي. فقال: إني لكَرِهٌ لوجهك هذا؛ تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملالة لهم!؟ أذكرك الله أن تغرر بنفسك»(٢).

وساق أحمد الدِّينوري رواية طويلة في مناصحة ابن عباس للحسين، قال فيها ابن عباس: «يا ابن عمّ قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق. قال الحسين: أنا على ذلك. قال عبد الله أعيذك بالله يا ابن عم من ذلك. قال الحسين: قد عزمت ولا بد من المسير. قال له عبد الله: أتسير إلى قوم طردوا أميرهم عنهم وضبطوا بلادهم، فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما يدعونك إليهم وأميرهم عليهم وعمّاله يجبونهم فإنهم إنما يدعونك إلى الحرب، ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك وأخاك. قال الحسين: يا ابن عم سأنظر فيما قلت... ولما كان في اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس إلى الحسين رضي الله عنهم فقال له: يا ابن عم، لا تقرب أهل الكوفة؛ فإنهم قوم غدرة، وأقم بهذه البلدة؛ فإنك سيد أهلها، فإن أبيت فسر إلى أرض اليمن؛ فإن بها حصونًا وشعابًا وهي أرض طويلة عريضة، ولأبيك فيها شيعة فتكون عن الناس في عزلة، وتبث دعاتك في الآفاق، فإني أرجو إن فعلت ذلك أتاك الذي تحب في عافية. قال الحسين: يا ابن عم والله إني لأعلم أنك ناصح مشفق، غير أني قد عزمت على الخروج. قال ابن عباس: فإن كنت لا محالة سائرًا، فلا تخرج النساء والصبيان؛ فإني لا آمن أن تقتل، كما قتل ابن عفان وصبيته ينظرون إليه. قال الحسين: ما أرى إلا الخروج بالأهل والولد»(٣).

(١) البداية والنهاية (١١/٤٧٧).
(٢) المصدر نفسه (١١/٥٠٣)
(٣) الأخبار الطوال للدينوري (٢٥٦ ـ ٢٥٧).

وهذه كلها محاولات ابن عباس لمنع الحسين رضي الله عنهما من الخروج إلى العراق، بقدر ما أمكن، وإذا كان ولا بد أن يخرج من مكة، فليكن إلى مكان آمن له كاليمن ونحوها من البلدان؛ حرصًا منه على سلامته وسلامة من معه، لا موافقة له على عدم مبايعة يزيد، وهذا كما يقال آخر الدواء الكي.

موقف المخالفين منه:

تناقض الروافض في عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فمرة يمدحونه ويسوقون روايات في ذكر محاسنه فيذكرون أنه كان محبًّا لعلي وتلميذًا له[1]. ومرة يقدحون فيه وفي أبيه ويزعمون أن قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج] نزل في ذمه والطعن في أبيه[2].

وقد اعترف بعض الروافض بوجود روايات قادحة في ابن عباس في رجال الكشي، ومن ثم حاولوا صرف بعضها إلى أخيه عبيد الله بن عباس[3].

الرد عليهم:

لا يشك عاقل فضلًا عمن له علم ودين في دجل وبطلان ما نسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، من الطعن في عم النبي ﷺ وفي ابن عمه عبد الله بن عباس، لا سيما وأن النبي ﷺ كان يتأذى مما يتأذى منه عمه العباس، ويقول ﷺ: «**من آذى العباس فقد آذاني، إنما عم الرجل صنو أبيه**»[4]، فكيف يقدم الحسن على ما يؤذي جده النبي ﷺ!؟

وأما دعوى نزول الآية المذكورة فيه فهذا القول لم يسبقوا إليه، فهو من افتراءاتهم الكثيرة، وإنما المراد بالمولى والعشير المذموم هنا هو المعبود من دون الله. قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج]: «وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: هو كل ما انعقد بينك وبينه سبب، يواليك وتواليه به. و﴿ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾: هو المعاشر، وهو الصاحب والخليل.

---

(١) خلاصة الأقوال للحلي (١٩٠) [مؤسسة نشر الفقاهة، ط١، ١٤١٧هـ]، وانظر: نقد الرجال للتفرشي (٣/ ١١٨) [مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ]، ووسائل الشيعة للحر العاملي (٢٠/ ٢٣٩) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٢) رجال الكشي (٣٧ ـ ٣٨) [المطبعة المصطفوية، بمبئي دهوني].

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٠/ ٢٣٩)، وتعليقات الشعراني على شرح أصول الكافي للمازندراني (٦/ ٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٥٨) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٩/ ٧٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفضائل، رقم ٣٢٢١١)، وضعف سنده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٤٧). لكن له شاهد عند ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٧) [دار صادر، ط١]، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٢٢).

والتحقيق: أن المراد بالمولى والعشير المذموم في هذه الآية الكريمة، هو المعبود الذي كانوا يدعونه من دون الله، كما هو الظاهر المتبادر من السياق»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٣)، لابن عبد البر.

٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٤)، لابن حجر.

٣ ـ «البداية والنهاية» (ج١٢)، لابن كثير.

٤ ـ «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (ج١٠)، للألباني.

٥ ـ «خلاصة الأقوال»، للحلي.

٦ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٣)، للذهبي.

٧ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٢)، لابن سعد.

٨ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

٩ ـ «المعرفة والتاريخ» (ج١)، ليعقوب الفسوي.

١٠ ـ «وسائل الشيعة» (ج٢٠)، للحر العاملي.

عثمان بن عفّان أمير المؤمنين رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب[(٢)]، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله ﷺ في عبد مناف.

وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[(٣)]، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ، ويقال: إنهما ولدا توأمين (حكاه الزبير بن بكار)، فكان ابن بنت عمة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ابن خال والدته.

وقد أسلمت أم عثمان وماتت في خلافة ابنها عثمان، وكان رضي الله عنه ممن حملها إلى قبرها[(٤)]، وأما أبوه فهلك في الجاهلية.

وأما كنيته: فقد كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما وُلد له من رقية بنتِ رسول الله غلامٌ سماه عبد الله، واكتنى به، فكناه المسلمون أبا عبد الله[(٥)].

وأما لقبه: كان عثمان رضي الله عنه يلقب بذي النورين.

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤/٢٨٦) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/٥٣) [دار صادر]، الإصابة لابن حجر (٤/٣٧٧) (رقم ٥٤٦٣) [دار الكتب العلمية].

(٣) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، لمحمد يحيى الأندلسي (١٩) [دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) ينظر: الإصابة لابن حجر (٨/٥ ـ ٦).

(٥) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (١٩).

قال عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بني، أتدري لِمَ سمّي عثمان ذا النورين؟ قلت: لا أدري، قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان، فلذلك سمي ذا النورين[(١)]. وقيل: سمي بذي النورين؛ لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة في صلاته، فالقرآن نور وقيام الليل نور[(٢)].

مولده ووفاته:

مولده:

ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح[(٣)]، وقيل: ولد في الطائف، فهو أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو خمس سنين[(٤)].

وأما وفاته:

استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه صبيحة يوم الجمعة؛ ثاني عشر ذي الحجة من السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة، وسيأتي في المسائل المتعلقة الإشارة إلى ما سبق قتله رضي الله عنه من الخارجين عليه من أهل الفجور.

(١) سنن البيهقي (٧/ ٧٣) [دار المعارف، بيروت]، وهو خبر حسن.
(٢) عثمان بن عفان ذو النورين (٧٩).
(٣) الإصابة (٤/ ٣٧٧) (رقم ٥٤٦٥).
(٤) عثمان بن عفان، لصادق عرجون (٤٥) [الدار السعودية، ١٤١٠هـ].

إسلامه:

كان عثمان رضي الله عنه قد ناهز الرَّابعة والثَّلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تلكؤ أو تلعثم؛ بل كان سبَّاقًا، أجاب على الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السَّابقين الأولين، حتى قال ابن إسحاق: كان أوَّل النَّاس إسلامًا بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة: عثمان[(٥)].

فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال، ولعل سبقه هذا إلى الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند عودته من الشام، وقد قصه رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله، فآمنا وصدَّقا، فقال عثمان: يا رسول الله، قدمت حديثًا من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام، فإذا منادٍ ينادينا: أيها النيام هبوا، فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك[(٦)].

فضائله:

مما ورد في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه **ما يلي:**

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) [دار إحياء التراث، ١٤١٧هـ].
(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٥) [دار صادر، ط١].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: **افتح له، وبشِّره بالجنة**، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشَّرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: **افتح له وبشِّره بالجنة**، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: **افتح له وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه**، فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «**اسكن أُحد** ـ أظنه ضربه برجله ـ **فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ كان على حراء، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»[(٣)].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن أن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه. قال محمد ـ أحد رواة الحديث، ولا أقول ذلك في يوم واحد ـ فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: **ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!**»[(٤)].

مكانته:

كان لذي النورين رضي الله عنه مكانة عظيمة عند المسلمين، وعلى رأسهم أصحاب الرسول الكريم ﷺ، **ومن أمثلة ذلك:**

عن فاطمة بنت عبد الرحمٰن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة رضي الله عنها: وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإنَّ الناس قد أكثروا فيه، فقالت: «لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدًا عند نبي الله، وإن

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤١٧).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠١).

رسول الله ﷺ مسند ظهره إليَّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول: «**اكتب عثمان**»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريمًا على الله ورسوله»[(١)].

كما أن عليًّا رضي الله عنه وآل البيت كانوا يجلّونه ويعترفون بحقه، **ومن شواهد ذلك:**

أ ـ كان عليّ بن أبي طالب أول من بايع عثمان بعد عبد الرحمٰن بن عوف[(٢)].

ب ـ كان عليٌّ يستحيي منه، فعن قيس بن عُباد قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه وذكر عثمان فقال: هو رجل قال له رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟**»[(٣)].

ج ـ وقد شهد له عليٌّ رضي الله عنه بالجنة، فعن النزال بن سبرة قال: سألت عليًّا عن عثمان فقال: «ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، ضمن له بيتًا في الجنة»[(٤)].

د ـ وكان عليٌّ رضي الله عنه طائعًا له معترفًا بإمامته وخلافته، لا يعصي له أمرًا؛ فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده عن ابن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال: «لو سيَّرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت»[(٥)].

هـ ـ ولما جمع عثمان رضي الله عنه الناس على قراءة واحدة بعد استشارة الصحابة رضي الله عنهم وإجماعهم على ذلك، قال علي رضي الله عنه: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع[(٦)].

وروى عبد الله بن أحمد بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرُموا بالحجارة كما رُمي قوم لوط»[(٧)].

وقد ثبت عن علي بن الحسين البراءة من قول الرافضة في أبي بكر وعمر

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣/ ٢٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧/ ١٤٢٧) [دار طيبة، ط٨]، وفي سنده ضعف لجهالة بعض رواته. انظر: مجمع الزوائد (٩/ ٨٧) [مكتبة القدسي].

(٢) كما أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٢٧) وصحّحه.
والحديث المرفوع في هذه القصة: أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٥/ ٢٣٣٣) [دار الوطن، ط٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٧).
وانظر: العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (٢٢٧) [مكتبة الإمام البخاري، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفتن، رقم ٣٧٦٩٩)، والخلال في السُّنَّة (٢/ ٣٢٥) [دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ].

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة (٤/ ١٧٨٤) [دار الوطن، ط٢]، البيهقي في الكبرى (كتاب الصلاة، رقم ٢٣٧٥).

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة (١/ ٥٦٣، رقم ٧٤٦) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٠هـ].

وعثمان رضي الله عنهم، فقد روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين أنه قال: «جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر، فنالوا منهما، ثم ابتدؤوا في عثمان فقال لهم: أخبروني: أأنتم من المهاجرين الأولين: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⑧﴾ [الحشر]؟ قالوا: لا، قال: فأنتم من الذين: ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]؟ قالوا: لا، فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، فقوموا عني، لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله»[١].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أحقية عثمان رضي الله عنه بالخلافة، وأن خلافته خلافة نبوَّة راشدة:

لا شك أن خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة شرعية، ويكفي في إثبات ذلك حصول الإجماع عليها؛ كما قال ابن تيمية رحمه الله: «عثمان لم يصر إمامًا باختيار بعضهم؛ بل بمبايعة النَّاس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلف عن بيعته أحدٌ. قال الإمام أحمد في رواية حمدان بن علي[٢]: «ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم»[٣]، فلما بايعه ذوو الشَّوكة والقدرة صار إمامًا، وإلا فلو قدر أن عبد الرحمٰن بايعه، ولم يبايعه علي ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصر إمامًا...»[٤].

وقال أيضًا: «قد علم بالتَّواتر أنَّ المسلمين كلَّهم اتَّفقوا على مبايعة عثمان، لم يتخلَّف عن بيعته أحدٌ»[٥].

وخلافته رضي الله عنه خلافة نبوة راشدة؛ كما صح بذلك الخبر في حديث سفينة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة**

(١) العقيدة في أهل البيت (٢٣٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/١١٢)، وتفسير القرطبي (١٨/٣١، ٣٢) [دار الكتب المصرية، ط٢].

(٢) حمدان بن علي: هو أبو جعفر محمد بن علي بن عبد الله بن مهران بن أيوب الوراق، الجرجاني الأصل، البغدادي المنشأ، قال أبو بكر الخلال لما ذكره: رفيع القدر، كان عنده عن أبي عبد الله مسائل حسان، وقد توفي حمدان سنة (٢٧٢هـ)، انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة (١/٣٠٨ ـ ٣١٠)، وتاريخ بغداد (٣/٦١ ـ ٦٢).

(٣) أخرج هذه الرِّواية الخلّال في السُّنَّة ٢/ ٣٢٠) (برقم ٤٠٥)، وقال المحقق: «إسناده صحيحٌ».

(٤) منهاج السُّنَّة (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

(٥) المصدر نفسه (٨/ ٣١٤).

ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو ملكه من يشاء»، ثم قال سفينة: «أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر، وخلافة عثمان اثنتي عشرة، وخلافة علي ست سنين»(١).

قال شيخ الإسلام معلِّقًا على الحديث: «وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتَّفق عامَّة أهل السُّنَّة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثمَّ عمر؛ ثمَّ عثمان؛ ثم علي ﵃»(٢).

- المسألة الثانية: فتنة حصار عثمان ﵁ ومقتله(٣):

أُطلق (يوم الدار) على المدة التي حوصر فيها عثمان ﵁، بدءًا من رجوع المصريين إلى المدينة، وانتهاءً بقتله ﵁.

واختلف في مدة الحصار، فقيل إنه استمر أكثر من عشرين يومًا(٤)، وقيل: أكثر من شهر، وقيل: كانت مدته أربعين يومًا(٥)، وقيل: كانت نيفًا وأربعين ليلة(٦)، وقيل: تسعة وأربعين يومًا(٧)، وقيل: شهرين وعشرين يومًا(٨).

ومكان الحصار هو: داره الكبرى التي كان يسكنها في المدينة النبوية(٩)، ويسميها الرواة أحيانًا بالقصر(١٠).

ولم تفصِّل الروايات الصحيحة في كيفية بدء وقوع الحصار، ولعل الأحداث التي سبقته تلقي شيئًا من الضوء على كيفية بدئه.

فبينما كان عثمان ﵁ يخطب الناس ذات يوم إذا برجل يقال له أعين(١١)

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٤٦)، والترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٢٦) وحسَّنه، وأحمد (٣٦/٢٤٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/١٢٩ ـ ١٣٠) [دار المعارف، ط١]، وفي السلسلة الصحيحة (١/٨٢٠ ـ ٨٢٧، رقم ٤٥٩) [مكتبة المعارف، ط١٤١٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٤٠٦).

(٣) ينظر كتاب: فتنة مقتل عثمان بن عفان ﵁ للغبَّان (١/١٦٥) وما بعدها [عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٤هـ].

(٤) قال به ابن قتيبة في المعارف (١٩٦).

(٥) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧/١٨٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٦) قال به حماد بن زيد، رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (خ ـ ق: ١٢ب) كما في حاشية تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة عثمان (٤٠٥ حاشية: ٢)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٤٠٥)، وذكر ذلك المحب الطبري في الرياض النضرة (٣/٤٥) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٧) ذكره ابن الأثير عن الواقدي في أسد الغابة (٣/٤٨٩) [دار الفكر، بيروت].

(٨) ذكره ابن الأثير عن الزبير في أسد الغابة (٣/٤٨٩).

(٩) وفاء الوفاء للسمهودي (٢/٧٣١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ].

(١٠) جاء ذلك في رواية رواها أحمد في المسند (١/٣٤٠ ـ ٣٤١) [دار المعارف، مصر، ط٤] بإسناد حسن.

(١١) أعين بن ضبيعة بن ناجية بن عفال التميمي الحنظلي الدارمي، ابن أخي صعصعة بن ناجية جد الفرزدق. ذكره صاحب الاستيعاب ولم يذكر ما يدل على صحبته، وهو والد النوار زوج الفرزدق، وكان شهد الجمل مع علي، وهو الذي عقر الجمل الذي كانت =

يقاطعه ويقول له: يا نعثل[(١)] إنك قد بدلت، فقال عثمان رضي الله عنه: من هذا؟ فقالوا: أعين، قال عثمان: بل أنت أيها العبد، فوثب الناس إلى أعين، وجعل رجل من بني ليث يزعهم عنه حتى أدخله الدار[(٢)].

وبعد قدوم المصريين - الثاني - وقبل اشتداد الحصار كان عثمان رضي الله عنه يستطيع الخروج إلى الصلاة، ويُدخل عليه من يشاء، ثم منعوه من ذلك ومن الخروج من داره، فكان رضي الله عنه لا يستطيع الخروج لصلاة الفريضة[(٣)]. فكان يصلي بالناس رجل من المحاصرين، من أئمة الفتنة، حتى إن عبيد الله بن عدي بن الخيار تحرج من الصلاة خلفه، فاستشار عثمان في ذلك؛ فأشار عليه بأن يصلي خلفه، وقال له: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم»[(٤)].

وبعد أن تم الحصار، وأحاط الخارجون على عثمان رضي الله عنه بالدار طلبوا منه خلع نفسه، أو يقتلوه[(٥)].

وهؤلاء الذين طالبوا الخليفة بخلع نفسه هم حثالة من الناس، وأوباشهم وأدناهم دينًا، وخلقًا، وعلمًا وليسوا من أهل الحل والعقد.

وبعرضهم هذا تحقق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه، وحان وقت العمل بوصيته صلى الله عليه وسلم له؛ لذا رفض عثمان رضي الله عنه خلع نفسه، وقال: «لا أخلع سربالًا سربلنيه الله»[(٦)]، يشير إلى ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٧)].

= عائشة رضي الله عنها عليه، ويقال: إنها دعت عليه بأن يُقتل غيلة فكان كذلك، وذلك سنة ثمان وثلاثين. انظر: الإصابة لابن حجر (١/ ٥٥) [دار العلوم الحديثة، ط١، ١٣٢٨هـ]، والاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١١٩) [دار العلوم الحديثة، ط١، ١٣٢٨هـ].

(١) هو لقب أطلقه الخارجون على عثمان رضي الله عنه، نقل ابن عساكر عن ابن الكلبي أنه قال: «إنما قيل له نعثل؛ لأنه كان يشبّه برجل من أهل مصر اسمه نعثل، وكان طويل اللحية، فكان عثمان إذا نيل منه وعيب يشبّه بذلك الرجل لطول لحيته، لم يكونوا يجدون عيبًا غير هذا. وقال بعضهم: إن نعثلًا من أهل أصبهان، ويقال في نعثل: إنه الذكر من الضباع».

(٢) أخرج القصة بهذا السياق: أبو يعلى في مسنده الكبير، كما في إتحاف الخيرة المهرة (٨/ ١٢)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٥٤)، وأصلها عند أحمد في مسنده (١/ ٥٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، بذكر خطبة عثمان رضي الله عنه دون قصة أعين، وأشار الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٨) [مكتبة القدسي] إلى هذه الزيادة، وقال: «رجالهما رجال الصحيح، غير عباد بن زاهر، وهو ثقة».

(٣) كما عند خليفة بن خياط في تاريخه (١٧٢) [دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ]، والطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٣) [دار التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ]، وسنده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٩٥).

(٥) كما عند ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٦) [دار صادر، ط١].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب المغازي، رقم ٣٧٠٧٩)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٤/ ١٢٨٦)، وخليفة في تاريخه (١٧١) [دار القلم ومؤسسة الرسالة، ط٢]، وينظر تفاصيل ذلك في: فتنة مقتل عثمان (١/ ١٣٩) وما بعدها.

(٧) وهو قوله صلى الله عليه وسلم: **«يا عثمان، إنه لعل الله يقمّصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»**. =

وقد حاول أصحاب النبي ﷺ الدفاع عنه، وكان عثمان رضي الله عنه يمنعهم، ورغم هذه المحاولات منه رضي الله عنه لصدِّ المدافعين عنه عن قتال المحاصرين له، فإنَّ بعض الرِّوايات تشير إلى أنَّه قد حدث احتكاك واشتباك خفيف أدى إلى حمل الحسن بن علي رضي الله عنهما جريحًا من الدَّار يوم الدَّار[(١)].

وفي رواية أنه أخرج من الدار يوم قتل عثمان رضي الله عنه أربعة من شبان قريش ملطَّخين بالدَّم محمولين، كانوا يدرؤون عن عثمان رضي الله عنه، وهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم[(٢)].

وفي آخر يوم من أيام الحصار ـ وهو اليوم الذي قتل فيه ـ نام رضي الله عنه فأصبح يحدث الناس يقول: «ليقتلنّني القوم»[(٣)].

ثم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام ومعه أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ: **«يا عثمان أفطر عندنا»** فأصبح صائمًا، وقتل من يومه[(٤)].

ورؤيا النبي ﷺ في المنام حق، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته، كما ثبت في «الصحيح» عنه أنه قال: «**من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنَّ الشيطان لا يتمثّل بي**»[(٥)].

استمر الحصار إلى صبيحة يوم الجمعة؛ الموافق للثاني عشر من شهر ذي الحجة من السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة.

ومعلوم أن هؤلاء الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه هم الخوارج الذين وردت النصوص بذمهم، وقد قال الشيخ عبد الله أبا بطين رحمه الله: «وأما الخوارج: فهم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وقبل ذلك قتلوا عثمان؛ وكفَّروا عثمان وعليًّا وطلحة والزبير ومعاوية وطائفتي علي ومعاوية، واستحلوا دماءهم...»[(٦)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وأول بدعة حدثت في هذه الأمة هي بدعة الخوارج؛ لأن زعيمهم خرج على النبي ﷺ ـ وهو ذو الخويصرة من بني

= أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٠٥) وحسَّنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١١٢)، وأحمد (١٣/١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٤٧).

(١) كما عند ابن الجعد في مسنده (٢/٩٥٩) [مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ]، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/١٢٨)، والبخاري في التاريخ الأوسط (٧/٢٣٧) [دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) كما عند ابن شبة في تاريخ المدينة (٤/١٢٩٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٧٥) [دار صادر، ط١]، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١/٥٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، قال الهيثمي: «فيه من لم أعرفهم». مجمع الزوائد (٧/٢٣٢).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٧٤) [دار صادر، ط١]، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب المغازي، رقم ٣٧٠٨٥)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٥٤) وصحَّحه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١١٠)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٦).

(٦) رسائل وفتاوى الشيخ عبد الله أبا بطين (١٧٥)، والدرر السَّنية (١/٣٦٠)، وانظر: (١٠/٣٦٤) منه.

تميم ـ حين قسَّم النبي ﷺ ذهبية جاءت فقسمها بين الناس، فقال له هذا الرجل: يا محمد اعدل![١]، فكان هذا أول خروج خُرِجَ به على الشريعة الإسلامية، ثم عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وفي الفتنة بين عليّ ومعاوية، فكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم»[٢].

موقف المخالفين منه:

سبق بيان موقف الخوارج منه؛ حيث حاصروه، وقتلوه شهيدًا رضي الله عنه، وهنا أبين موقف الرافضة منه؛ فقد أعلن الرافضة ـ وهم من أشهر الطاعنين في عثمان رضي الله عنه ـ التكفير والتفسيق واللعن، وغير ذلك للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومما يعتقدون فيه رضي الله عنه:

أنه لم يكن لعثمان اسم على أفواه الناس إلا الكافر[٣]. وقالوا: إنَّ عثمان حذف من القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأهل البيت عليهم السلام، وذم قريش والخلفاء الثلاثة، مثل آية: (يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليلًا)[٤].

وقالوا: «كان في زمن النبي ﷺ ممَّن أظهر الإسلام وأبطن الكفر»[٥].

وافتروا: بأنه لم يحسن صحبة زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وأنه كسَّر أضلاعها[٦]، وضربها حتى ماتت رضي الله عنها[٧].

كما يعتقد الرافضة: أنَّ في قعر جهنم جُبًّا تتأذى النار من حرّه، إذا فُتح استعرت جهنم، هو منزل الخلفاء الثلاثة[٨].

وأنَّ من لم يَبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدوٌ وإن أحبَّ عليًّا[٩]، وأجمعوا على وجوب لعنهم دبر كلِّ صلاة[١٠]... وأنَّ من تبرَّأ منهم في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة[١١].

ونحو ذلك من الافتراءات والطعونات المنكرة، ويكفي في إبطالها من أصلها ما قد تقدم تقريره من فضيلة عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلو منزلته ومكانته العظيمة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب»، لابن عبد البر.
٢ ـ «أسد الغابة»، لابن الأثير.

(١) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٣٨)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٣).
(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٢١)، وينظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ رحمه الله (١/ ٢٩).
(٣) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للبياضي (٣/ ٣٠).
(٤) تذكرة الأئمة لمحمد باقر المجلسي (٩).
(٥) الأنوار النعمانية (١/ ٨١).
(٦) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم الحسيني (١/ ٦٧).
(٧) كما في الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم للبياضي (٣/ ٣٤).
(٨) الفصول المهمة للعاملي (٩١ ـ ٩٢).
(٩) وسائل الشيعة (٥/ ٣٨٩).
(١٠) ينظر: فروع الكافي (١/ ٩٥)، وتهذيب الأحكام (١/ ٢٢٧)، ووسائل الشيعة (٤/ ١٣٧)، ومستدرك الوسائل (١/ ٣٤٢).
(١١) الأصول من الكافي (٢/ ٣٨٩).

٣ ـ «الإصابة»، لابن حجر.

٤ ـ «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة»، لمحمد أمحزون.

٥ ـ «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»، لمحمد يحيى الأندلسي.

٦ ـ «الدرر السَّنية في الأجوبة النجدية».

٧ ـ «رسائل وفتاوى العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبا بطين».

٨ ـ «الرياض النضرة»، للمحب الطبري.

٩ ـ «السُّنَّة»، للخلال.

١٠ ـ «عثمان بن عفان»، لصادق عرجون.

١١ ـ «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط»، لسليمان السحيمي.

١٢ ـ «فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه»، للغبَّان.

١٣ ـ «فضائل الصحابة»، لأحمد بن حنبل.

١٤ ـ «كشف الأستار»، للبزار.

١٥ ـ «وفاء الوفاء»، للسمهودي.

العجب (صفة لله تعالى)

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «العين والجيم والباء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على كبر واستكبار للشيء، والآخر خِلْقَة من خِلَق الحيوان، فالأول: العُجْب وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه، تقول: هو معجب بنفسه. وتقول من باب العَجَب: عَجِب يعجَب عجَبًا، وأمر عجيب، وذلك إذا استُكْبِر واستُعْظِم. والأصل الآخر العَجْبُ وهو من كل دابة ما ضمت عليه الوركان من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز»[(١)].

و«العجيب: الأمر يتعجب منه، وكذلك العجاب بالضم، والعجاب بالتشديد أكثر منه. وكذلك الأعجوبة»[(٢)].

و«أصل العجب في اللُّغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكرُه ويَقِلُّ مثله قال: قد عجبتُ من كذا. وعلى هذا معنى قراءة من قرأ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾. وهو شيءٌ معجِبٌ؛ إذا كان حسنًا جدًّا»[(٣)]. وتعجبت منه واستعجبت منه: كعجبت منه[(٤)].

التعريف شرعًا:

صفة لله تعالى على ما تدل عليه لغة العرب، تقوم به سبحانه حسب مشيئته، عند وجود مقتضاها[(٥)].

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٢٤٣ ـ ٢٤٤) [دار الجيل، ط٢]، وانظر: القاموس المحيط (١٤٤) [مؤسسة الرسالة].

(٢) الصحاح (٦٧٢) [دار المعرفة، ط١، ١٣٢٦هـ].

(٣) تهذيب اللغة (١/٢٤٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٤) القاموس المحيط (١٤٤).

(٥) أفاد به المحكم.

الحكم:

يجب الإيمان باتصاف الله بصفة العجب لدلالة الكتاب والسُّنَّة على ثبوتها لله حسب مشيئته وإرادته، كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه[١].

الحقيقة:

العجب هو استعظام للمتعجب منه، وهو قد يكون مقرونًا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون بسبب خروج الشيء عن نظائره، والأول لا يليق بالله سبحانه؛ لأن الله علَّام الغيوب، فهو سبحانه يتعجب بسبب خروج الشيء عن نظائره تعظيمًا له، والله تعالى يعظم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه أو لعظمته، فإنه قد وصف بعض الخير بأنه عظيم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء]، ووصف بعض الشر بأنه عظيم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان][٢].

الأدلة:

دلت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على اتصاف الله بصفة العجب، فمن ذلك القراءة المشهورة بضم التاء: ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات][٣].

وأما من السُّنَّة؛ فقد جاءت أحاديث عديدة في إثبات صفة العجب لله تعالى؛ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**»[٤].

وفي حديث آخر عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال فيّ: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»[٥].

أقوال أهل العلم:

جاء عن أهل العلم في توضيح اتصاف الله بصفة العجب كما يليق بجلاله وعظمته ما يكفي ويشفي، **وفيما يلي أذكر طائفة من أقوالهم:**

روى ابن جرير بسنده عن قتادة أنه قال في تفسير قول الله سبحانه: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ﴾ [الرعد: ٥]: «عجب الرحمٰن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت»[٦].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٢٣).
(٢) انظر: الرسالة الأكملية لابن تيمية (٥٧) [مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، ط ١٤٠٣هـ].
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠١٠).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٨٩)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٥٤) واللفظ له.
(٦) تفسير الطبري (١٣/ ١٠٤)

وبوّب أبو بكر بن أبي عاصم في كتابه (السُّنَّة)، فقال: «باب في تعجّب ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه»[(١)]، ثم أورد جملة من الأحاديث الدالة على ذلك.

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «التعجب استعظام للمتعجب منه» فيقال: نعم. وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه؛ بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيمًا له. والله تعالى يعظم ما هو عظيم؛ إما لعظمة سببه أو لعظمته، فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف بعض الشر بأنه عظيم، فقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل] وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء] وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات] على قراءة الضم، فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة»[(٢)].

مذهب المخالفين:

ذهب المتكلمون بصفة عامة إلى نفي صفة العجب عن الله، وتأويلها بالرضا ومضاعفة الثواب والقبول عند الله، أو بتخيل العجب وفرضه.

قال الحافظ البيهقي: «قال أبو سليمان: قوله: «عجِب الله» إطلاق العجب لا يجوز على الله سبحانه، ولا يليق بصفاته، وإنما معناه الرضا، وحقيقته أن ذلك الصنيع منهما حل من الرضا عند الله، والقبول له، ومضاعفة الثواب عليه، محل العجب عندكم في الشيء التافه إذا رفع فوق قدره، وأعطي به الأضعاف من قيمته»[(٣)].

الرد عليهم:

هذه التأويلات مصادمة للنصوص المتقدمة في إثبات صفة العجب لله

---

(١) السُّنَّة لابن أبي عاصم (١/٢٤٩) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٢٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٤٠٣) [مكتبة السوادي، ط١]، وانظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (٣/١٣١)، والكشاف للزمخشري (٥/٢٠٣ ـ ٢٠٤) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٦/١١١) [دار الكتب العلمية، ط١].

تعالى، ومخالفة أيضًا لما اتفق عليه سلف الأمة من قبول هذه النصوص، وحملها على ظاهرها اللائق بالله، والإيمان بها وإثباتها لله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[(١)]، على وفق قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

ولذا قد رد غير واحد من العلماء على هذه التأويلات الباطلة[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ج٣)، لابن بطة.

٢ ـ «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج١)، للقاضي أبي يعلى.

٣ ـ «الاقتصاد في الاعتقاد»، لعبد الغني المقدسي.

٤ ـ «تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي»، لعبد الرزاق البدر.

٥ ـ «جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف»، لعبد العزيز الطويان.

٦ ـ «السُّنَّة» (ج١)، لابن أبي عاصم.

٧ ـ كتاب «التوحيد» (ج٣)، لابن منده.

٨ ـ «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج٢)، لعبد الرحمٰن بن صالح المحمود.

٩ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

عدالة الصحابة

يراجع مصطلح (الصحابة).

العدل

التعريف لغة:

العَدْل نقيض الجور، ويطلق العَدْل والعِدْل على المِثْل وعلى الاستقامة.

قال ابن فارس: «العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما: يدل على استواء، والآخر: يدل على اعوجاج، فالأول: العدل من الناس المرضيّ، المستوي الطريقة، يقال: هذا عَدْل، وهما عدل.

قال زهير:

متى يشتجر قوم يقُلْ سرواتهم
هم بيننا فهم رضًا وهم عدل

وتقول: هما عدلان أيضًا، وهم

(١) انظر: العقيدة الأصفهانية (١/ ٢٤ ـ ٢٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: نقض الدارني على المريسي (٥٥٦) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وإبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ٢٤٥) [دار إيلاف]، والحجة في بيان المحجة لقوام السُّنَّة (١/ ٣٩٨) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٧٤) [طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤١٨هـ].

عدول، وإن فلانًا لعدل بيِّن العدل والعدُولَة، والعدل: الحكم بالاستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عِدْله، وعدلت بفلان فلانًا وهو يعادله، والمشرك يعدِل بربه تعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا؛ كأنه يسوّي به غيره، ومن الباب: العِدْلان: حِملا الدابة، سمّيا بذلك لتساويهما، والعديل الذي يعادلك في المحْمل، والعدل قيمة الشيء وفداؤه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]؛ أي: فدية، وكل ذلك من المعادلة وهي المساواة، والعَدْل: نقيض الجور، تقول: عدل في رعيته، ويوم معتدل إذا تساوى حالا حره وبرده، وكذلك في الشيء المأكول، ويقال: عدلته حتى اعتدل؛ أي: أقمته حتى استقام واستوى.

فأما الأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عدل وانعدل؛ أي: انعرج»[(١)].

التعريف شرعًا:

الإيمان باتصاف الله بالعدل الكامل في جميع شؤونه كما يليق بجلاله وعظمته، فبعدله يتصرف على خلقه؛ لأنه على صراط مستقيم في قوله وفعله وقضائه وقدره، وأمره ونهيه، وثوابه وعقابه، فخبره كله صدق، وقضاؤه كله عدل، وأمره كله مصلحة، والذي نهى عنه كله مفسدة، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته، وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته[(٢)].

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله متصف بصفة العدل ومنزه عن الظلم والجور كما دلَّت على ذلك السُّنَّة النبوية.

الأدلة:

جاء في السُّنَّة الصحيحة ما يدل على اتصاف الله سبحانه بصفة العدل، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم أناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته، فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٢٤٦ ـ ٢٤٧) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٢/١٢٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم (٢٣) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٥٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٢).

أقوال أهل العلم:

جاء عن أهل العلم ما يوضح اتصاف الله بالعدل، فمن ذلك قول الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العدل: هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وأصله المصدر من قولك: عدل يعدل عدلًا، فهو عادل، أقيم مقام المصدر، وحقيقته: ذو العدل كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] ويقال: عدلت الشيء أعدله عدلًا؛ إذا قومته، ومنه الاعتدال في الأمور وهو الاستقامة فيها»[(١)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والعَدْلُ مِنْ أوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ
وَمَقَالِهِ وَالحُكْمِ فِي المِيزانِ
فعلى الصراط المستقيم إلهنا
قولًا وفعلًا ذاك في القرآن»[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه. فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمِّل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

يتعلق بهذه الصفة اسم (العدل) وهو لم يرد بصيغة الاسم؛ وإنما ورد مقيدًا في مثل قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام][(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٢ ـ «الفوائد»، لابن القيِّم.

٣ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد التميمي.

٤ ـ «الجامع لأسماء الله الحسنى».

٥ ـ «صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

العدوى

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «العين والدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه»[(٥)].

العدوى: اسم من أعدى يعدي فهو

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (٦٢) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٢) الكافية الشافية (٣/٧٢٧ ـ ٧٢٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٤) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٧١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وصفات الله عَزَّ وَجَلَّ للسقاف (٢٤٧) [الدرر السنية، ودار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ].

(٥) مقاييس اللغة (٤/٢٤٩) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

معدٍ. ومعنى أعدى؛ أي: أجاز الجرب الذي به إلى غيره. أو أجاز جربًا بغيره إليه. وأصل هذا من: عدا يعدو؛ إذا جاوز الحد، يقال: أعداه الداء يعديه إعداءً، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وذلك أن يكون ببعير جرب مثلًا فتتقي مخالطته بإبل أخرى حِذارًا أن يتعدى به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه[(١)].

التعريف شرعًا:

العدوى: هي أن يصاب الرجل بمثل ما بصاحب الداء[(٢)]، أو هي: تجاوز أو تعدي العلة أو المرض من صاحبها إلى غيره، أو ما يقاربه من الأصحاء[(٣)]، أو هي بعبارة أخرى: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح، سواء كان من إنسان إلى إنسان، أو من بهيمة إلى بهيمة، أو من مكان إلى مكان[(٤)].

الحكم:

من اعتقد أن المرض بطبعه وقوته هو الذي يعدي ويؤثر في نفسه، ونفى أن يكون ذلك بقضاء الله وقدرته؛ فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة، ومن اعتقد أن المرض سبب، والتفت إلى هذه الأسباب وغلا فيها فهو من الشرك الأصغر[(٥)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه على حديث: «**لا عدوى**»[(٦)]: «وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها، من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف شيئًا من النعم إلى غير الله، مع اعتقاد أنه ليس من الله، فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله، فهو نوع شرك خفي»[(٧)].

الحقيقة:

حقيقة العدوى: الفساد، وما يعدي من جرب أو غيره، وهي: انتقال المرض من المعلول السقيم إلى الصحيح، وذلك بالمخالطة، ونحوها؛ كالإبل الصحيحة يكون فيها بعير أجرب، فيجربها ويعديها، وهذا من جملة الأسباب التي خلقها الله تعالى، فالله خلق الأسباب ومسبباتها، فالعدوى التي أبطلها الإسلام هي التي كان يعتقدها

(١) انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٢١) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ].
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٩٢) [دار إحياء التراث العربي].
(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣٨) [عالم الكتب، ط١، ١٤١٠]، ولطائف المعارف (١٣٧) [دار ابن كثير، ط٥، ١٤٢٠هـ].
(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٦٣) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (٢/ ٨) [مؤسسة الرسالة].
(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٤٢، ٣٧٦ ـ ٣٧٧) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ].
(٦) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).
(٧) لطائف المعارف (١٤٢).

أهل الجاهلية، ولم يبطل وجودها، أو ينفي تأثيرها، لكن صحح المفهوم الباطل فيها؛ وهو أنها تؤثر بنفسها، دون اعتبار أن ذلك بقضاء الله وقدره[(١)].

الأدلة:

عن أنس رضي الله عنه؛ أن نبي الله ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة»**[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«لا عدوى ولا صفر ولا هامة»**، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: **«فمن أعدى الأول؟»**[(٣)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»**[(٤)].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: **«لا يعدي شيء شيئًا»**، فقال أعرابي: يا رسول الله، البعير أجرب الحشفة ندبنه فيجرب الإبل كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: **«فمن أجرب الأول؟ لا عدوى ولا صفر، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ورزقها ومصائبها»**[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال البغوي رحمه الله: «العدوى: أن يكون ببعير جرب، أو بإنسان برص، أو جذام فتتقي مخالطته؛ حذرًا أن يعدو ما به إليك، ويصيبك ما أصابه. فقوله: **«لا عدوى»**: يريد أن شيئًا لا يعدي شيئًا بطبعه، إنما هو بتقدير الله عز وجل وسابق قضائه»[(٦)].

وقال ابن القيِّم رحمه الله تحت قوله ﷺ: **«لا عدوى»**: «هذا يحتمل أن يكون نفيًا أو يكون نهيًا؛ أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة»** يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه»[(٧)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «اختلفوا في معنى قوله «ولا عدوى» وأظهر ما قيل

---

(١) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢١٤) [ط٥، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٦)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٤) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧١٧)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٠).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٣)، وأحمد (٧/٢٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه ابن حجر في نزهة النظر (٧٧) [مطبعة الصباح، ط٣]، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣/١٤٣) [مكتبة المعارف، ط١٤١٥هـ].

(٦) شرح السُّنَّة (١٢/١٦٩) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٧) مفتاح دار السعادة (٣/٢٨٠) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ].

في ذلك: إنه نفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن هذه الأمراض تعدي بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك، ويدل على هذا قوله ﷺ: «**فمن أعدى الأول**» يشير أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره، فكذلك الثاني وما بعده»[١].

المسائل المتعلقة:

- العدوى بين الإثبات والنفي:

وردت أحاديث عدة يوهم ظاهرها التعارض في شأن العدوى، فهناك أحاديث تفيد نفي وجود العدوى ـ كما فهمه طائفة من أهل العلم ـ كقوله ﷺ المتقدم آنفًا: «**لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة**»، ونحوها من الأحاديث التي بمعناها.

وهناك أحاديث يفهم منها إثبات وجود العدوى، فمنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يوردن ممرض على مصح**»[٢].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وفرَّ من المجذوم فرارك من الأسد**»[٣].

فنهيه ﷺ عن إيراد الممرض على المصح، وأمره بالفرار من المجذوم دال على وجود العدوى وآمر بالتحرز من وقوعها ومباعدة أسباب حصولها.

وقد سلك أهل العلم مسالك عدة في دفع هذا التعارض[٤]:

فمنهم من ذهب إلى القول بالنسخ؛ أي: نسخ الأحاديث المثبتة للعدوى بحديث: «**لا عدوى**»، ومنهم من عكس.

ومنهم من ذهب إلى الترجيح، فرجح طائفة الأحاديث النافية للعدوى، ورد الأحاديث المثبتة لها، ورجح طائفة أخرى الأحاديث المثبتة للعدوى ورد حديث: «**لا عدوى**».

ومنهم من ذهب إلى الجمع بين هذه الأحاديث والتوفيق بينها، وهو ما ذهب إليه جمع كبير من أهل العلم كالطبري، والطحاوي، وابن قتيبة، وابن خزيمة، والخطابي، والبيهقي، وابن الصلاح، والنووي، وابن رجب، وابن القيِّم، وابن مفلح، وغيرهم، ولكن لم يتفق هؤلاء على مسلك واحد في الجمع بين تلك الأحاديث بل تنوعت مسالكهم، وأصح هذه المسالك هو حمل قوله ﷺ:

---

(١) لطائف المعارف (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧١)، ومسلم (كتاب الطب، رقم ٢٢٢١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٠٧).

(٤) انظر: أعلام الحديث (٤/ ٢١٣٩) [جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٩هـ]، ومعالم السنن (٤/ ٢٣٤) [المطبعة العلمية، حلب، ط١]، وشرح السُّنَّة (١٢/ ١٦٩)، ومفتاح دار السعادة (٣/ ٣٦٢)، وتيسير العزيز الحميد (٢/ ٧٥٢) [دار الصميعي، ط١]، والقول المفيد (١/ ٥٦٥) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ]، وأحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين (١/ ٧٦).

«**لا عدوى**» على نفي ما كان يعتقده أهل الجاهلية من الركون إلى السبب، والتعلق به دون الله ﷻ، والواجب أن لا يتجاوز به منزلته السببية، وأما النصوص المثبتة للعدوى فتحمل على أن العدوى من الأشياء التي جعلها الله سببًا لانتقال المرض من السقيم إلى الصحيح، وقد تتخلف لموانع، أو أمور تقتضي ذلك[(١)].

ومن الأدلة على إثبات وجود العدوى وانتقالها من المريض إلى السليم بإذن الله وتقديره، ما أثبته علم الطب الحديث أن من الأمراض المعينة ما ينتقل بواسطة الميكروبات ويحملها الهواء أو البصاق أو غير ذلك على اختلاف أنواعها، وأن تأثيرها على الصحيح إنما يكون تبعًا لقوته وضعفه بالنسبة لكل نوع من الأنواع، وأن كثيرًا من الناس لديهم وقاية خلقية تمنع قبولهم لبعض الأمراض المعدية، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال، فاختلاط الصحيح بالمريض سبب لنقل المرض، وقد يتخلف هذا السبب تبعًا لتقدير الله تعالى[(٢)].

مذهب المخالفين:

١ ـ الأشاعرة الذين ينفون الأسباب، فيقولون: إن العدوى لا تكون بسبب المرض؛ بل عنده، وهذا مبني على أصل مذهبهم في نفي تأثير قدرة العباد، ونفي القوى والطبائع التي خلقها الله تعالى في المخلوقات، ومذهبهم باطل بالكتاب والسُّنَّة، ومما يبطل مذهبهم في مسألتنا هذه قول رسول الله ﷺ: «**لا يوردن ممرض على مصح**»[(٣)]، وأمثال ذلك؛ لأن فيه إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها، ولا يكون ذلك إلا بقضاء الله وقدرته.

فالمذهب الحق في هذه المسألة هو مذهب التوسط الذي ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة، من إثبات العدوى، وأنها من جملة الأسباب التي خلقها الله تعالى، والله تعالى قدر الأسباب ومسبباتها، وقد يوجد السبب ويتخلف المسبب، وذلك كله بمحض قدرته سبحانه وتعالى.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «فإن تعطيل الأسباب وإخراجها عن أن تكون أسبابًا: تعطيل للشرع، ومصالح الدنيا، والاعتماد عليها والركون إليها، واعتقاد أن المسببات بها وحدها، وأنها أسباب تامة: شرك بالخالق ﷻ، وجهل به، وخروج عن حقيقة التوحيد، وإثبات مسبباتها على الوجه الذي خلقها الله عليه، وجعلها له: إثبات للخلق والأمر،

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٧٦)، ولطائف المعارف (١٣٨)، وتيسير العزيز الحميد (٢/ ٧٥٤)، والقول المفيد (١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦).
(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (١٧١).
(٣) تقدم تخريجه.

وللشرع والقدر، للسبب والمشيئة، للتوحيد والحكمة، فالشارع يثبت هذا ولا ينفيه، وينفي ما عليه المشركون من اعتقادهم في ذلك»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تأويل مختلف الحديث» (ج١)، لابن قتيبة.

٢ ـ «التمهيد» (ج٢٤)، لابن عبد البر.

٣ ـ «المنهاج في شعب الإيمان» (ج٢)، للحليمي.

٤ ـ «الآداب الشرعية» (ج٣)، لابن مفلح.

٥ ـ «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٦ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح آل الشيخ.

٧ ـ «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين»، لسليمان الدبيخي.

٨ ـ «الدين الخالص» (ج٢)، لصديق حسن خان.

٩ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

١٠ ـ «قواعد ومسائل في توحيد الإلٰهية»، لعبد العزيز الريس.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/٣٧٦ ـ ٣٧٧).

عذاب القبر ونعيمه

التعريف لغة:

العذاب: النكال، والعقوبة، يقال عَذَّبْتُه تَعْذِيبًا وعَذَابًا[(٢)]، وهو «اسم لما استمر ألمه»[(٣)]، وأصله الضرب[(٤)]، ومنه قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑱﴾ [يس]؛ أي: ضربًا مؤلمًا[(٥)].

والنعيم: العيش اللذيذ[(٦)]، والنَّعِيمُ والنُّعْمى والنَّعْماء والنِّعْمة: كله الخَفْض والدَّعةُ والمالُ، وهو ضد البَأساء والبُؤسى[(٧)]، «والتَّنَعُّمُ: التَّرَفُّهُ ويُنْعِمُهُم: كيُكْرِمُهُم»[(٨)].

التعريف شرعًا:

عذاب القبر: ما ينال بعض المكلفين من سوء وألم متفاوت بعد الموت، ونعيمه: ما ينال المسلمين من سرور

(٢) انظر: القاموس المحيط (١/١٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ]، وتاج العروس (٣/٣٢٩) [دار الهداية]، ولسان العرب (١/٥٨٣) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٤٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤/٢١١) [دار الفكر].

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر (٤٧٩).

(٦) تفسير السمعاني (٢/٢٩٧) [دار الوطن، ١٤١٨هـ].

(٧) انظر: العين (٢/١٦١)، ولسان العرب (١٢/٥٧٩)، والقاموس المحيط (١٥٠٠)، وتاج العروس (٣٣/٤٩٩).

(٨) القاموس المحيط (١٥٠٠).

وفرح متفاوت بعد الموت[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي مأخوذ من اللغوي لكنه عذاب ونعيم مخصوص جاءت به نصوص الكتاب والسُّنَّة.

سبب التسمية:

أضيف إلى القبر من باب التغليب؛ لأن الغالب في الموتى أنهم يدفنون في القبور، لا على أنه خاص بمن يدفن[(٢)]، فكل من مات ناله نصيبه من العذاب أو النعيم، قُبر أو لم يُقبر، فلو أكلته السباع، أو أحرق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب أو النعيم ما يصل إلى أهل القبور[(٣)].

الأسماء الأخرى:

يسمى عذاب البرزخ ونعيمه، قال ابن القيِّم: «ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه»[(٤)].

الحكم:

الاعتقاد الجازم بحصول العذاب أو النعيم للناس بعد الموت، والتصديق بجميع الأخبار الواردة بشأنه، وإثبات ما دلَّت عليه من عذاب الأموات ونعيمهم على ظاهره، وإن لم يدرك العقل أو الحس كنهه وحقيقته.

الحقيقة:

جاءت نصوص الكتاب والسُّنَّة مبينة لأخبار ما يكون في الحياة البرزخية من أهوال ونعيم، فمن الناس من ينعم في قبره، ومنهم من يعذب، وذلك الجزاء حاصل للروح والجسد.

المنزلة:

أحد مفردات الآخرة؛ لأن من مات فقد قامت قيامته، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء في أول منازل الآخرة، وهو القبر، وفيه يجازى بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

الأدلة:

قال تعالى في شأن المعذَّبين في قبورهم: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر]، قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السُّنَّة على عذاب البرزخ في القبور»[(٥)].

وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١﴾ [التوبة]، فالعذاب الثاني هو عذاب القبر،

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٥١).
(٢) انظر: مجلة المنار (٣٢/٢٦٨).
(٣) انظر: المرجع السابق (٣٢/٢٦٨).
(٤) الروح (١٢٨) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ].
(٥) تفسير ابن كثير (٤/٨١) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

حكاه ابن كثير عن جمع من الصحابة والتابعين[(١)].

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: «**ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**»[(٢)].

وفي التعوذ من عذاب القبر قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**»[(٣)].

فالنصوص السابقة تدل على عذاب القبر.

وأما نعيم القبر فقد قال تعالى في شأن المؤمنين المنعمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت]، والبشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران].

قال القرطبي: «أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم»[(٥)].

وقال ﷺ: «**لما أُصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم؛ قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم**» فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران][(٦)].

---

(١) انظر: المرجع السابق (٢/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٧/ ١٧٣) [دار طيبة، ط١٤٠٩هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٥٩) [دار إحياء التراث العربي].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٦٩).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الجهاد، رقم ٢٥٢٠)، =

ولما توفي أبو سلمة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه**»[(١)].

وقد بلغت النصوص الحديثية الدالة على عذاب القبر ونعيمه مبلغ التواتر، كما نص على ذلك جمع من أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، وابن أبي العز الحنفي، وابن رجب الحنبلي، والسيوطي، والكتاني، والسفاريني، والزبيدي، والشوكاني، والمناوي، وناصر الدين الألباني، وغيرهم[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو بكر الإسماعيلي حكاية لمعتقد أئمة الحديث في عذاب القبر: «يقولون: إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفا عنه»[(٣)].

وقال النووي: «اعلم أن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسُّنَّة»[(٤)].

وقال ابن تيمية: «مذهب سائر المسلمين بل وسائر الملل إثبات الثواب والعقاب في البرزخ»[(٥)].

وقال ابن القيِّم: «ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة»[(٦)].

الأقسام:

عذاب القبر نوعان: مستمر ومنقطع.

دلت نصوص الوحي على أن عذاب القبر ليس على صورة واحدة؛ بل هو متنوع بحسب حال الشخص، فقد يكون مستمرًا وقد يكون منقطعًا.

فالعذاب المستمر: هو العذاب الدائم الذي لا ينقطع عن مستحقه حتى تقوم الساعة، وهو للكفار خاصة ولبعض عصاة الموحدين على ذنوب معينة.

قال ﷺ في صاحب الكبر والخيلاء: «**بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به، فهو يتجلجل**[(٧)] **في الأرض إلى يوم**

= وأحمد (٤/٢١٨) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٤٤) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٢٢٧٥) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).

(٢) رسائل الآخرة (١/٢٥٦).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (٦٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) شرح صحيح مسلم النووي (١٧/٢٠٠) [دار الكتب العلمية].

(٥) مجموع الفتاوى (٤/٢٦٢) [دار عالم الكتب، ط١٤١٢هـ].

(٦) الروح (١٢٨)، وانظر منه: (٩٦).

(٧) **يتجلجل**: يغوص في الأرض حين يخسف به، =

القيامة»[١]، وفي رواية: «**بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خُسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة»**[٢].

وقال ﷺ في صاحب الكذبة تبلغ الآفاق وأطراف الأرض: «**أما الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقُه؛ فكذابٌ يحدِّث بالكذبة، فتُحْمَل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصْنَع به إلى يوم القيامة»**[٣]، فالشاهد منه قوله ﷺ: «**فيُصْنَع به إلى يوم القيامة**».

وفي العذاب والنعيم المتصلان قال ﷺ في المقعد يُعْرَض على صاحبه: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»**[٤].

فتبين أن من عذاب القبر ما يكون متصلًا دائمًا لا ينقطع إلى يوم البعث الآخر، وأنه ليس خاصًّا بالكافرين؛ بل قد ينال بعض الموحدين المفرطين.

وأما العذاب المنقطع: فهو الذي لا يستمر بصاحبه؛ بل ينقطع قبل يوم القيامة، فهو مؤقت يزول بزوال سببه، أو باستيفاء عقوبته.

ومثال الأول: تعذيب الميت المسلم ببكاء الحي؛ لقوله ﷺ: «**إن الميت لَيُعَذَّب ببكاء أهله عليه»**[٥].

أي: البكاء المحرم، وهو ما كان بصوت وندب ونياحة، لا مجرد دمع العين، فهذا لا محظور فيه ولا يتعلق به وعيد؛ بدليل بكاء النبي ﷺ على ابنه إبراهيم عليه السلام.

ومثال الثاني: صاحب الصفَّة الذي مات وقد ترك دينارًا أو دينارين، فكوي بكل دينار كية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن رجلًا من أهل الصفَّة مات فوجدوا في بردته دينارين، فقال رسول الله ﷺ: «**كَيَّتان»**[٦].

وهذا النوع من العذاب المنقطع

= والجلجلة حركة مع صوت.
انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٨٤) [دار الفكر].

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٨٥) من حديث ابن عمر، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٧٨٩)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢٠٨٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٦).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٢٨٦)، ومسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٧).

(٦) أخرجه أحمد (٧/ ١٠١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأبو يعلى (٨/ ٤١٥) [دار المأمون، ط١]، وابن حبان (كتاب الزكاة، رقم ٣٢٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٠) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٢٨٦).

خاص بالمؤمنين دون غيرهم، فليس بمقر دائم لأرواحهم.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: وقت عذاب القبر ونعيمه:

أفاد ظاهر النصوص أن العذاب والنعيم يقعان فيما بين الموت والبعث من القبور.

ـ المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه يقعان على الروح والبدن:

دلَّت أحاديث المساءلة في القبر على الخصوص، أن الروح تعود إلى البدن، وأنه يتبع ذلك ألوان من النعيم أو العذاب، وهو عود خاص «ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذلك قد يكون أكمل من بعض الوجوه»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن»[(٢)].

وقال ابن كثير عمن تتوفاهم الملائكة وهم ظالمو أنفسهم: «يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورهم من حرِّها وسمومها»[(٣)].

وقال السيوطي: «ومحله الروح والبدن باتفاق أهل السُّنَّة»[(٤)].

وقال الألوسي: «العذاب والنعيم للروح والبدن مسلم عند الجمهور»[(٥)].

ـ المسألة الثالثة: فتنة القبر:

فتنة القبر: امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإقعاده؛ فيسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، فإن كان صالحًا وفق للإجابة، ثم أكرم وكوفئ بألوان من النعيم، وإن كان سيّئًا أهين وجوزي بألوان من العذاب.

وهذه الفتنة ثابتة بالنصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]، فهذه الآية نزلت في تثبيت المؤمن عند السؤال كما جاء في الصحيحين وغيرهما[(٦)].

وفي حديث البراء بن عازب الطويل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٧٤).
(٢) المرجع السابق (٤/٢٨٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٦٨).
(٤) شرح الصدور (٢٤٧) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].
(٥) الآيات البينات في عدم سماع الأموات (٨٠) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ].
(٦) انظر: صحيح البخاري (١/٤٦١) [دار ابن كثير، ط٤، ١٤١٠هـ]، وصحيح مسلم (٨/١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ].

رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**». مرتين أو ثلاثًا، زاد في حديث جرير هاهنا، وقال: «وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك وما دينك ومن نبيِّك؟». قال: «**ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟**». قال: «**فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت**». زاد بعض رواته: «**فذلك قول الله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم]». قال: «**فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة**». قال: «**فيأتيه من روحها وطيبها**». قال: «**ويفتح له فيها مد بصره**». قال: «**وإن الكافر**». فذكر موته، قال: «**وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار**». قال: «**فيأتيه من حرّها وسمومها**». قال: «**ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**». زاد بعض رواته: «**ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا**». قال: «**فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا**». قال: «**ثم تعاد فيه الروح**»(١).

وكان ﷺ يتعوذ من فتنة القبر، يقول: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر»(٢).

ودعا ﷺ لبعض الأموات فقال: «ألا إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه فتنة القبر وعذاب النار، أنت أهل الوفاء والحق، اللَّهُمَّ فاغفر له وارحمه، فإنك أنت الغفور الرحيم»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٣٠/ ٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦١٩) و(٣/ ٩٠١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٢)، =

وأهل السُّنَّة يثبتون هذا المعتقد بالإجماع؛ لدلالة النقل عليه، وهو من العقائد الثابتة بالتواتر. قال ابن عبد البر: «وأهل السُّنَّة والجماعة مصدقون بفتنة القبر وعذاب القبر؛ لتوافر الأخبار بذلك عن النبي ﷺ»[1].

- المسألة الرابعة: سؤال الأنبياء وغير المكلفين:

اختلف العلماء في سؤال الأنبياء وغير المكلفين، والأظهر أن الأنبياء لا يسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم، وأما غير المكلفين؛ فلأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل[2].

ولا يصح ما ورد في استثناء من مات مخضوبًا من الفتنة[3]، ولا من صلى بعد المغرب ركعتين بكيفية معينة[4].

ومن أبرز ما يتعلق بفتنة القبر من مسائل الاعتقاد التي يجب الإيمان بها؛ لدلالة النصوص الصحيحة عليها: عود الروح إلى الجسد عند السؤال، وإجلاس الميت، ورجوع العقل إلى صاحبه، وبعثه على ما مات عليه من معتقد، وسماعه خفق نعال أصحابه إذا ولوا، وسؤاله عقب تفرق الناس أو بعضهم، وأن السائل ملك أو اثنان حسب حاله، وأن الرجل الصالح يثبت وينعم، وأن الرجل السوء على الضد[5].

- المسألة الخامسة: عرض المقعد والبشارة به:

عرض المقعد هو: معاينة الميت مقعديه من الجنة والنار، وما أعد له في كل مكان منهما من ألوان النعيم والعذاب، والمقعد الذي سيصير إليه منهما ويستقر فيه نهاية أمره استقرارًا دائمًا، يفعل به ذلك غدوًا وعشيًا إلى يوم البعث.

وهو أحد مفردات البرزخ المتعلقة بالآخرة، ويكون بعد عود الروح إلى البدن، والإقعاد، والسؤال، فيجب الإيمان به كما جاءت به النصوص.

قال ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من**

= وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٩)، وأحمد (٢٥/٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/١٨).

(١) الاستذكار (٢/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٧) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ]، والروح (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، والأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة (٥٩) [مكتبة ابن سينا]، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٢١٠) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: الموضوعات (٣/٥٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢/٩٧) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ].

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٢/٣٨٨ ـ ٤٢٥).

أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[(١)].

وفي حديث طويل أنه بعد الإجلاس والسؤال للمؤمن «**يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينور له فيه**»، وقال في الكافر: «**يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**»[(٢)].

والبشارة بنوع المقعد والكشف عنه تسبق الدفن، لحديث أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» فقلت يا نبي الله: أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله، فأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه**»[(٣)].

ويدل عليه أيضًا حديث تكلم الجنازة إذا احتملها الرجال[(٤)]؛ فقد ذكر البخاري باب كلام الميت المحمول بعد باب عرض المقعد، إشارة إلى هذا المعنى، قال بدر الدين العيني: «راعى هنا أيضًا مناسبة ترجمة هذا الباب لترجمة الباب الذي قبله وهو عرض المقعد عليه، فكأن ابتداءه يكون عند حمل الجنازة؛ لأنه حينئذ يظهر للميت ما يؤول إليه حاله، فعند ذلك يقول ما يقول»[(٥)].

ثم إن عرض المقعد يكون على الروح والجسد معًا، وقد دلَّ عليه ظاهر الحديث الآنف، «ولا مانع من إعادة الروح إلى الجسد أو إلى البعض الذي يدرَك منه حالة العرض»[(٦)].

كما أن عرض المقعد عام فيما دون

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٣) واللفظ له، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٤٠٣) وصحَّحه، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٤)، وهو عند البخاري أيضًا (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧) من حديث عبادة بن الصامت.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٠).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣/ ١٢٥).

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٤٠٣) [دار إحياء التراث العربي].

الأنبياء، كما هو ظاهر النصوص، وإنه لا تعارض بين عرض المقعد وكون الروح طيرًا يأكل من ثمر الجنة.

لا تنافي بين قوله: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة**»(١)، وبين قوله: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار**»(٢)، وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد، كما أن قوله: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة**» يتناول الشهيد وغيره، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها.

وأما المقعد الخاص به، والبيت الذي أعد له، فإنه إنما يدخله يوم القيامة، ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك(٣).

ـ المسألة السادسة: أسباب عذاب القبر:

أسباب عذاب القبر كثيرة، ومما دلَّت عليه النصوص(٤) **ما يأتي**:

أ ـ الغلول، لحديث أبي رافع قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل، فيتحدث حتى ينحدر للمغرب، فبينا رسول الله ﷺ مسرعًا إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال: «**أف لك، أف لك**» مرتين، فكبَّر في ذرعي، وتأخرت، وظننت أنه يريدني، فقال: «**ما لك؟ امش**» قال: قلت: أحدثتُ حدثًا يا رسول الله؟ قال: «**وما ذاك؟**» قلت: أففتَ بي. قال: «**لا، ولكن هذا قبر فلان، بعثته ساعيًا على بني فلان، فغلَّ نمرة، فدُرِّع الآن مثلها من نار**»(٥).

ب ـ تعذيب الحيوان، لقوله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها فتأكل من**

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧١)، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٧٣)، وأحمد (٦/ ٣٥٠) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ] واللفظ له، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز، رقم ٤٩)، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٧)، وصحَّحه ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٦٤) [دار طيبة، ط٢]، الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٩٤) [مكتبة المعارف، ط٢، ١٤١٦هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: الروح (٩٧) [دار الكتاب العربي، ط٤].

(٤) راجع بتوسع: رسائل الآخرة (١/ ٢٧٠ ـ ٣٧١).

(٥) أخرجه النسائي (كتاب الإمامة، رقم ٨٦٢)، وأحمد (٤٥/ ١٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الزكاة، رقم ٢٣٣٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٥٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

خشاش الأرض»[١].

ج - الكبر والخيلاء، لقوله ﷺ: «**بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»[٢].

د - الغيبة، لقوله ﷺ: «**لما عرج بي ربي عَزَّوَجَلَّ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**»[٣].

هـ - أكل الربا؛ لقوله ﷺ - كما في حديث سمرة بن جندب الطويل - لما أتاه آتيان فابتعثاه، وفيه: «**فإذا نهر من دم فيه رجل، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فيُقبل الرجل الذي في النهر، فإذا دنا ليخرج رمى في فيه حجرًا فرجع إلى مكانه، فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟ فقالا: انطلق. فانطلقت فقلت لهما: إنكما قد طوَّفتماني منذ الليلة، فأخبراني عما رأيت. فقالا: نعم،... وأما الذي رأيت في النهر: فذاك آكل الربا**»[٤].

و - التألي على الله، لقوله ﷺ: «**كان في بني إسرائيل رجلان: كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر. فيقول: خلني وربي، أبُعثت علي رقيبًا؟ قال: إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصر. قال: خلني وربي، أبُعثت علي رقيبًا. قال: فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا. قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما واجتمعا، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار**»، قال أبو هريرة: «فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[٥].

- **المسألة السابعة: أسباب رفع العذاب عن الموحد:**

يرتفع عذاب البرزخ «عمن استحقه من المؤمنين أو تلبَّس به بدعاء، أو

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٨٧٨)، وأحمد (٢١/٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والطبراني في الأوسط (١/٣٢) [دار الحرمين، ١٤١٥هـ]، والضياء في المختارة (٦/٢٦٦) [دار خضر، ط٣]، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٢٩٣) [المكتب الإسلامي، ط١٤٠٩هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٨٥)، وأحمد (٣٣/٣٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له.

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٠١)، وأحمد (١٤/٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧١٢)، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء (١٥٠٠) [دار ابن حزم، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٤٥٥).

استغفار، أو صدقة، أو إهداء ثواب عمل صالح، أو بعفو من الله ـ تعالى ـ فإنه سبحانه يغفر ما دون الشرك كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]»[(١)].

ـ المسألة الثامنة: المنجيات من عذاب القبر:

دلت الأحاديث على أن من الأسباب الموجبة للاستثناء من فتنة القبر وعذابه **ما يلي**[(٢)]:

أولًا: الوقاية من فتنة القبر:

أ ـ الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، لقوله ﷺ: «**من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقي فتنة القبر**»[(٣)].

ب ـ موت المرابط في سبيل الله، لقوله ﷺ: «**كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر**»[(٤)].

ثانيًا: الوقاية من عذاب القبر:

أ ـ الموت بالبطن؛ يعني: بمرض البطن، والمقصود به الإسهال، وقيل: الاستسقاء[(٥)].

لما روى جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة قال: فذكروا رجلًا مات من بطنه، قال: فكأنما اشتهيا أن يصلِّيا عليه، قال: فقال أحدهما للآخر: ألم يقل النبي ﷺ: «**من قتله بطنه فإنه لن يعذب في قبره**» قال الآخر: بلى[(٦)].

ب ـ الشهادة في سبيل الله، لقوله ﷺ: «**إن للشهيد عند الله ﷻ ست خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه**»[(٧)].

(١) رسائل الآخرة (١/ ٣٧١).
(٢) انظر: رسائل الآخرة (١/ ٤٠٦ ـ ٤٢٥).
(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٤)، وأحمد (١١/ ٦٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، ... وليس إسناده بمتصل»، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن، كما ذكر الألباني في أحكام الجنائز (٣٥) [المكتب الإسلامي، ط٤].
(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٢١) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٩/ ٣٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٢٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣١).
(٥) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (١٧٢) [دار قباء].
(٦) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٦٤) وحسَّنه، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٥٢)، وأحمد (٣٠/ ٢٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٢٩٣٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٣٠٩).
(٧) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصحَّحه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، =

الثمرات:

عذاب القبر عاجل بشرى الكافر بالشر والنكال قبل مبعثه، وهو طهرة وتمحيص للمؤمن.

وأما النعيم فعاجل بشرى المؤمن قبل مبعثه، وما بعده فخير.

الحكمة:

لعل الحكمة من فتة القبر وسؤال الملكين، تنبه الناس إلى ضرورة توحيد الدين في الإسلام، فإن الله لا يقبل غيره، وتوحيد الله في العبادة فإن الله لا يقبل الشرك، وتوحيد الرسول في المتابعة فإن الله لا يقبل غير طريقه.

وأما في الآخرة فدفع العقوبة ـ أو تخفيفها ـ عن مستحقها من المسلمين، قال ابن تيمية: «إن الذنوب مطلقًا من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... السبب الثامن: ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين»[(١)].

مذهب المخالفين:

المخالفون لأهل السُّنَّة في هذا الباب على مراتب:

= وأحمد (٢٨/ ٤١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

(١) منهاج السُّنَّة (٦/ ٢٠٥ ـ ٢٣٨) [جامعة الإمام، ط١].

١ ـ منهم من أنكر عذاب القبر ونعيمه بالكلية.

٢ ـ ومنهم من قال بوقوعه على الروح فقط.

٣ ـ ومنهم من قال بوقوعه على البدن.

٤ ـ ومنهم من قال بوقوع العذاب للكافرين، والنعيم للمؤمنين[(٢)].

أولًا: أما من أنكره بالكلية:

فهم بعض المعتزلة[(٣)]، والروافض[(٤)(٥)]،

(٢) انظر: رسائل الآخرة (١/ ٢٢٥ ـ ٢٦٠).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٦) [المكتبة العصرية، ط١٤١١هـ]، والإبانة عن أصول الديانة (١٣، ١٤) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والفصل لابن حزم (٤/ ١١٧) [دار الجيل، ط١٤٠٥هـ]، وعقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/ ٣٥٢، ٤١٦) [مكتبة العلوم، ط١، ١٤١٤هـ]، وفتح الباري (٣/ ٢٧٥) [دار الفكر].

(٤) انظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/ ٤٥٢)، ولطوائفها في ذلك تأويلات فاسدة، انظر: الإسماعيلية المعاصرة (٩٤) [ط١، ١٤١٤هـ]، والبابية عرض ونقد (٢٠٥) [دار ترجمان السُّنَّة، ط٦، ١٤٠٤هـ].

(٥) ورد في بعض كتب الشيعة الاثني عشرية إثبات لعذاب البرزخ ونعيمة، ولكنه إثبات مشوه مخالف لما دلت عليه نصوص الوحي؛ إذ يجعلون مقر النعيم والعذاب أرضيًّا في هذه الدنيا. والشيعة الغلاة لا يؤمنون بحقيقة البرزخ؛ لقولهم بتناسخ الأرواح، ومن الشيعة الغلاة في هذا الباب: الفرق القديمة القائلة بحلول روح الإله في الأئمة، نحو: السبئية، والكيسانية، والكاملية، وغلاة الاثني عشرية... وغيرهم، ومن الغلاة المعاصرين: الإسماعيلية وسائر الفرق الباطنية الأخرى التي لها وجود اليوم، مثل: الدروز، والنصيرية، والبابية، والبهائية وغيرهم، والذي يجمعهم القول بالتناسخ والظاهر والباطن. راجع: الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة (٢/ ١٠٨ ـ ٢٠٤) [رسالة دكتوراه، جامعة الإمام].

والخوارج[١]، والقرآنيون[٢].

والجواب على المنكرين على وجه الإجمال: إن عذاب القبر ونعيمه قد جاء به القرآن الكريم، والسُّنَّة الصحيحة المتواترة، وأجمع عليه السلف الصالح، فلا يجوز إنكاره.

أ ـ من الشبه النقلية التي أثاروها، قولهم: إن الله لم يذكر حياة القبر في قوله: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة]، وإنما ذكر أنه يحيهم مرة في الدنيا وأخرى في الآخرة[٣]. والآيتان هما عمدة من أنكر عذاب القبر من المعتزلة والخوارج ومن نحا نحوهما[٤].

ويجابون بأن مذهبهم مخالف لما عليه جمهور السلف، فالمشهور من أقوال المفسرين في الموتتين والحياتين: أن المراد بالموت، **الأول:** العدم السابق، **وبالثاني:** الموت المعهود في الدار الدنيا. والمراد بالإحياء الأول: حياة الدنيا، وبالثاني: البعث للقيامة الكبرى.

وقد رجح هذا القول الطبري[٥]، وابن الجوزي[٦] ونسبه لابن عباس، وقتادة، والفراء، وثعلب، والزجاج، وابن الأنباري، وهو قول ابن كثير[٧]، وعليه جمهور السلف[٨].

وعلى هذا القول فإنه ليس فيه ما ينفي حياة القبر؛ لأن إثبات الموتتين والحياتين المذكورتين في الآيتين لا ينفي وجود غيرهما، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فأثبت لهم حياة زائدة يتبعها موت، والدلائل القرآنية في هذا المعنى كثيرة.

وأيضًا فحياة القبر، وعود الروح إلى الجسد للمساءلة، وما يتبع ذلك من العذاب أو النعيم قد ثبت بصحيح السُّنَّة، فلا يجوز إنكاره.

ولا بد من الجمع بين نصوص الكتاب والسُّنَّة، والأخذ بهما معًا دون تفريق، كما فعل جمهور السلف المفسرون لمعنى الآيتين الآنفتين.

ب ـ ومن شبههم العقلية، قولهم: إن

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١١٦)، والفصل (٤/ ١١٧)، وفتح الباري (٣/ ٢٧٥).

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة (٣٣٣) [مكتبة الصديق، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٣) انظر: تفسير الرازي (١/ ١٦٦) [دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والفصل (٤/ ١١٧).

(٤) انظر: الفصل (٤/ ١١٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٢٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٦) انظر: زاد المسير (١/ ٥٧) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٧) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٨).

(٨) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٨٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

حياة البرزخ تخالف المعقول، ولا تدرك بالحس أو المشاهدة.

فهم يزعمون أن تعذيب الميت محال؛ لأنه جماد لاحياة له ولا إدراك، وهو محال؛ لأنهم لم يدركوه بحس ولا مشاهدة[(١)]، ولذا فكل حديث يخالف عقولهم القاصرة، ينفونه ويقطعون بتخطئة ناقله[(٢)]، ويزعمون أن النعيم أو العذاب لا يكون إلا بعد قيام الساعة الكبرى[(٣)].

وهذه الشبهة العقلية التي أثارها بعض المعتزلة هي شبهة الخوارج، والروافض، والقرآنيين[(٤)]، وهي شبهة الملاحدة والزنادقة عمومًا؛ إذ يقولون: باستحالة ضيق القبر وسعته، وكونه حفرة من حفر النيران، أو روضة من رياض الجنة، وأن الميت يُجلس في قبره ويُسئل، ويقولون لو وضعنا على صدره زئبقًا، ثم كشفنا عنه لوجدناه كما كان، وزعموا أنهم لم يجدوا ملائكة يضربون بمطارق من حديد، ويعذبون الناس[(٥)].

فهم أشبه بالذين لا يعترفون إلا بالمحسوسات[(٦)]، والذين ينكرون ما لا تدركه حواسهم، وما لا يمكن أن يدخل المعمل، ويخضع لآلة البحث والتجريب[(٧)].

الردّ عليهم:

أولًا: إن علم البشرية واطلاعها على واقع البرزخ ـ حسًّا أو مشاهدةً ـ يترتب عليه عدة مفاسد، **لعل من أبرزها:**

١ ـ عدم التدافن، لقوله ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**»[(٨)].

وفي هذا من المفاسد ما لا يخفى، وتأكيدًا لذلك قال ابن القيِّم: «والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثيرٌ ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمنًا، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات»[(٩)].

---

(١) انظر: الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية (٤٨٠) [دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٤١٤هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لهراس (١٤٤) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، ط٥، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: الروح (١٠٢)، ولوائح الأنوار السنية (١/ ١٦٠).

(٣) انظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة (١/ ٤١٦)، ولوائح الأنوار السنية (٢/ ٢٧٠).

(٤) انظر: القرآنيون وشبههم حول السُّنَّة (١٣٣، ١٣٤).

(٥) انظر: الروح (١١١)، ولوائح الأنوار (٢/ ١٦٠)، ولوامع الأنوار (٢/ ٢٠)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٥/ ١٣٤) [دار الوطن، ١٤١٣هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢١٢) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١هـ].

(٦) مثل: الدهرية، انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٩/ ٣٣٨) [دار الفكر].

(٧) مثل: أهل التنوير أو التجريب. انظر: الإنسان بين المادية والإسلام (٤٧ ـ ٥٤) [دار الشروق، ط١٠، ١٤٠٩هـ]، والعصرانية في حياتنا الاجتماعية (٢٥) [دار المسلم، ط١، ١٤١٥هـ].

(٨) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٨).

(٩) الروح (١٢٥).

٢ ـ انتفاء حكمة الإيمان بالغيب، وهي حدوث التمايز بين المؤمنين به والكافرين، قال ابن القيِّم: «جعل الله أمر الآخرة وما كان متصلًا بها غيبًا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم»(١).

ثانيًا: إن قياس أحوال البرزخ بأحوال الدنيا غير صحيح؛ لأنه قياس لأمر أخروي غيبي بأمر دنيوي حسي، وهذا قياس فاسد؛ لاختلاف ما بين الدارين، فما يقع في دار البرزخ ليس من جنس المعهود لنا في دار الدنيا وإن اتفقت الأسماء، إذًا الاتفاق في أسماء ما في الدارين لا يوجب التماثل في مسمياتهما، «فليست النار كالنار، ولا السعة كالسعة، ولا الضيق كالضيق؛ بل بينهما تباين شاسع لا يدرك بعقل، ولا حس، ولا مشاهدة، قال ابن القيِّم: «النار التي في القبر والخضرة، ليست من نار الدنيا، ولا من زروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها»(٢).

ثالثًا: عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود، وهذا دليل على قصور العقل ومحدودية إدراك البشر، والذين أمّروا العقل وجعلوا له سلطانًا في النفي والإثبات، فما أدركه العقل من أمور البرزخ أثبتوه وما لم يدركه نفوه، قد نسوا قصوره وعجزه عن الإحاطة بكل شيء جملة وتفصيلًا، ونسوا أن له حدًّا لا يتجاوزه ولا يتعداه.

ومما يثبت قصور العقل، وعدم إدراكه لكل شيء على التمام والكمال: وجود الجن والشياطين، والملائكة، والروح وهي عوالم غيبية أخبرنا الوحي من شأنها الكثير، ويعجز الإنسان عن أدراك الكثير من شأنها، فإذا كان الأمر كذلك فعجزه عن إدراك عالم البرزخ من باب أولى.

وأيضًا هناك مخلوقات موجودة نلمس أثرها، ولا نراها بأعيننا المحدودة؛ كالموجات الصوتية، والتيار الكهربائي، والأشعة الضوئية المنظورة وغير المنظورة، فقد «قرر علماء الضوء أخيرًا: أنه توجد أشعة غير منظورة مع الأشعة المنظورة لذلك فقد ظهر لفظ الطاقة المشعة، لتدل على جميع أشكال الإشعاع، سواء كانت مرئية أم غير مرئية»(٣).

وأيضًا هناك مخلوقات موجودة أقل عقلًا من الإنسان، ولها من القدرات الحسية ما ليس له، فقد تحقق العلماء

---

(١) الروح (١١٥).
(٢) المرجع السابق (١١٨).

(٣) انظر: عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي (٦٢) [مكتبة الوادي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والقرآن والعلم الحديث ١٤٨) [دار الكتاب العربي].

من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية، ولذلك فإنه يرى الشمس حال الغيم، والبومة ترى الفار في ظلمة الليل البهيم[(١)].

بل إن بعض الحيوانات له أجهزة حسية لا نعلمها، يدرك بها حدوث الزلازل والعواصف وانفجار البراكين قبل أن يحسها الإنسان[(٢)]، وذلك أن الخالق سبحانه قد خص كل مخلوق بخصيصة تميزه عن غيره من المخلوقات.

وأخيرًا؛ فوجود اللذة أو الألم عند النائم أو اليقظان دون شعور الآخرين بها يدل على قصور القدرات البشرية عن إدراك كل شيء على التمام والكمال.

وبعد هذه الأمثلة المختصرة التي تثبت عجز الإنسان وضعفه، ومحدودية قدراته وإمكاناته، فإنه لا يجوز لناطق أن ينكر عالم البرزخ وأحواله، بدعوى مخالفة المعقول وعدم الحس أو المشاهدة، ولا يصر على ذلك إلا مكابر معاند.

رابعًا: إن أحوال البرزخ ليست من الغيب الكلي، فإذا كان المنكرون لم يشاهدوها، فقد شاهدها غيرهم من بني الإنسان؛ إذ إنها من الغيب النسبي.

(١) انظر: عالم الجن والشياطين (١٦) [دار النفائس، ط١٥، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١١٧) [دار الشروق، ط٦، ١٤١٣هـ].

خامسًا: إن الأخبار الواردة في البرزخ لا تحيلها العقول، ولا توجب الطعن في ناقليها، فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذبًا، وإما أن يكون ذلك العقل فاسدًا[(٣)].

فإذا سلم الخبر من الثلب، وكان صحيحًا ثابتًا، فلم يبقَ إلا أن نتهم العقل بالفساد والكساد، لا سيما أنه لا تعارض بين معقول صريح ونقل صحيح، كما قرره العلماء[(٤)].

وأما طعنهم في ناقلي تلك النصوص من الصحابة رضي الله عنهم، فيقال لهم: قد رضي عنهم الله ونعتهم بأجمل الصفات، وأثنى عليهم في غير ما موضع من كتابه الكريم بأحسن الثناء وأبلغه، كما في قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وقد تواترت الأخبار بذكر

(٣) الروح (١١٢).

(٤) كتاب درء التعارض لابن تيمية أصل في تقرير هذه القاعدة، وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤٣)، و(٣٣/ ١٧٢)، والفتوى الحموية الكبرى (٣٤، ٣٥) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (١/ ٩٥) [دار الحديث، ١٤١٢هـ]، وشرح الطحاوية (١/ ٢٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ].

فضائلهم[(١)]، وقد نهى النبي ﷺ عن سبهم، وبيّن عظم فضلهم فقال ﷺ: «**لا تسبّوا أحدًا من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه**»[(٢)].

والشواهد في هذا الباب كثيرة، وأكتفي بما تقدم؛ لأن عدالتهم مجمع عليها ولم يشذ عن هذا الرأي إلا المبتدعة والزنادقة، وكما قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا الصحابة، وهؤلاء (يعني: الزنادقة) يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[(٣)].

سادسًا: زعمهم أن النعيم والعذاب لا يكون إلا بعد قيام الساعة باطل؛ لأنه لا دليل عليه من كتاب أو سُنَّة أو إجماع.

ثانيًا: القائلون بوقوعه على الروح فقط:

ينسب هذا القول إلى الفلاسفة المنكرين للمعاد، وكثير من المعتزلة، وغيرهم من أهل الكلام، وطائفة من أهل الحديث، وهو اختيار أبي محمد بن حزم، وغيره[(٤)].

وهذا القول مشتمل على حق وباطل؛ أما الحق: فكونهم أثبتوا النعيم والعذاب، خلافًا للفريق الأول، وأما الباطل: فكونهم ألغَوا نصيب البدن، فجعلوا النعيم والعذاب يقعان على الروح فقط.

والصواب الذي دلَّت عليه النصوص أنهما يقعان على الروح والجسد معًا باتفاق أهل السُّنَّة، كما تقدم تقريره.

وشبهة ابن حزم قوله: «ولم يأت قط عن رسول الله ﷺ في خبر يصح، أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة، ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به»[(٥)].

قال ابن القيِّم في معرض الرد عليه: «فهذا من مجازفاته رحمه الله، فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب[(٦)] جماعة غير زاذان»[(٧)].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٣٠)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٣٧) [دار الفكر].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٤١).

(٣) مناهل العرفان (١/ ٣٣٦).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١١٦)، والفصل لابن حزم (٤/ ١١٧)، والدرة فيما يجب اعتقاده (٢٨٢) [مطبعة المدني، ط١]، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٦٢، ٢٨٢)، وشرح حديث النزول (٨٨) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٢هـ]، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٤/ ٢٥)، ولوائح الأنوار السنية (٢/ ٢٦٩).

(٥) الفصل (٤/ ١١٩).

(٦) تقدم تخريج حديثه.

(٧) الروح (٨٨).

ثالثًا: القائلون بوقوعه على البدن فقط:

قال به طائفة من المعتزلة والأشعرية[(١)].

وهو قول ظاهر الفساد؛ بل هو أفسد من سابقه؛ لأن أصحابه ألغوا نصيب الروح من النعيم أو العذاب، وقصروه على البدن فقط، مع أن النصوص على خلافه تمامًا، ولذا فإنهم يجابون بما أجيب به الفريق السابق.

رابعًا: القائلون بوقوع العذاب للكافرين دون المؤمنين:

قال به بعض المعتزلة؛ منهم: أبو علي الجبائي، وابنه أبو هاشم، والبلخي، فنفوا عذاب القبر عن المؤمنين، وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم[(٢)].

وهو قول باطل مبني على أصول فاسدة، ومخالف للنصوص الصحيحة المثبتة لوقوع العذاب على بعض مستحقيه من أهل الإيمان.

وأهل السُّنَّة يثبتون العذاب للكافرين، ولعصاة المؤمنين، إلا أنه مستمر بالنسبة للكافرين، ومنقطع بالنسبة لمن عذب من عصاة المؤمنين، كما قد مر.

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٦٢)، وشرح حديث النزول (٨٨).

(٢) انظر: الروح (١٠٥)، ولوائح الأنوار السنية (٢/ ١٦٤)، وفتح الباري (٣/ ٢٧٥).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الآيات البينات في عدم سماع الأموات»، للألوسي.

٢ ـ «التذكرة»، للقرطبي.

٣ ـ «الروح في الديانات والدعاوى المعاصرة» (ج١، ٢)، للعبيدي.

٤ ـ «الروح»، لابن القيِّم.

٥ ـ «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور»، للسيوطي.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز.

٧ ـ «الفصل في أهل الأهواء والملل والنحل»، لابن حزم.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤)، لابن تيمية.

٩ ـ «البحور الزاخرة»، للسفاريني.

١٠ ـ «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور»، لابن رجب.

العرافة

التعريف لغة:

العِرافة: مصدر، مشتقة من المعرفة، وهي عمل العراف وحرفته، واسم الفاعل منها عَرّاف، قال الجوهري: «والعرّاف: الكاهن والطبيب»[(٣)]. وقال

(٣) الصحاح (٤/ ١٤٠٢) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٤٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة].

الأزهري: «أراد بالعَرَّاف: الحَازِي أو المُنجِّم الذي يدَّعى علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه. وعَريف القوم: سيِّدهم»[(١)]. والعَرِيفُ: القيّم والسيِّد؛ لمعرفته بسياسة القوم، وقد عَرُفَ عليهم يَعْرُف عِرافة، والعَرِيفُ: النَّقِيب وهو دون الرئيس، ويقال للحازي: عراف، وللطبيب: عراف؛ لمعرفة كل منهم بعلمه، والعراف: الكاهن[(٢)]. فالعراف في اللغة: اسم للحازي والكاهن، كما يطلق على الطبيب.

التعريف شرعًا:

العرافة: ادعاء معرفة الغيب والحدس والتخرص. وخصه البعض بمن يدّعي معرفة الأمور الماضية؛ كمعرفة مكان الضالة والشيء المسروق.

قال ابن قدامة: «والعرَّاف الذي يحدس ويتخرص»[(٣)].

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العرَّاف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير»[(٤)].

وقال ابن تيمية: «العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي، كما قيل في اسم الخمر والميسر ونحوهما»[(٥)].

الأسماء الأخرى:

الكهانة، التنجيم، الضرب بالحصى، الخط في الأرض، قراءة الفنجان، قراءة الكف، حروف أبي جاد.

الحكم:

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرّافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(٦)]. وقال ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرّافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٧)].

فإذا كان الوعيد الشديد لمن أتى عرّافًا، أنه لم تقبل صلاته أربعين ليلة، وقد أطلق الكفر على من أتى عرّافًا فصدَّقه، فالوعيد أشد للعرَّاف نفسه. وقد اختلف الفقهاء في العراف والكاهن، هل

(١) تهذيب اللغة (٢/ ٣٤٧).
(٢) انظر: لسان العرب (٩/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) [دار صادر]، القاموس (١٠٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].
(٣) المغني (١٢/ ٣٠٥) [دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ].
(٤) شرح السُّنَّة للنووي (١٢/ ١٨٢).
(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٣).
(٦) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).
(٧) أخرجه أحمد (١٥/ ٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ]، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٥) وصحَّحه، وصحَّحه أيضًا العراقي في أماليه، وقوى إسناده الذهبي، كما في فيض القدير (٦/ ٢٣) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٣٩).

يلحقون بالسحرة الذين يقتلون، أم يعزرون فقط، والصحيح أن حكمهم حكم السحرة الذين يقتلون[(١)]. وقال ابن عثيمين في حكمهم: «إن حكمنا بكفرهم، فحكمهم في الدنيا أنهم يستتابون، فإن تابوا، وإلا قتلوا كفارًا. وإن حكمنا بعدم كفرهم؛ إما لكون السحر لا يصل إلى الكفر، أو قلنا: إنهم لا يكفرون؛ لأن المسألة فيها خلاف؛ فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم ومضرتهم، حتى وإن قلنا بعدم كفرهم؛ لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط؛ بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٣٣]، فكل من أفسد على الناس أمور دينهم أو دنياهم؛ فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلى الإخراج من الإسلام»[(٢)].

الحقيقة:

إن العراف له أحوال كثيرة، يأتي تفصيلها في المسائل المتعلقة، وعملهم لا يخرج عن أعمال السحرة.

الأدلة:

عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(٣)]. فهذا الوعيد في حال السائل فكيف بالمسؤول؟!.[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهنًا أو عرّافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد: «العرافة طرف من السحر، والساحر أخبث»[(٦)].

وقال البغوي: «العرَّاف الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق، ومعرفة الضالَّة، ونحو ذلك»[(٧)].

وقال ابن تيمية: «العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال، ونحوهم ممن يتكلم في تقدمة المعرفة بهذه الطرق»[(٨)].

---

(١) انظر في حكم الكاهن: المغني لابن قدامة (٩/ ٣٥ ـ ٣٧)، والفروع لابن مفلح (٦/ ١٦٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، والإنصاف للمرداوي (١٠/ ٣٥١ ـ ٣٥٢)، وحاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠) [دار الفكر، ط٢، ١٣٨٦هـ].

(٢) القول المفيد (١/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) انظر: المغني (١٠/ ١١٤)، وتيسير العزيز الحميد (٣٦٠).

(٧) شرح السُّنَّة (١٢/ ١٨٢)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٣٦٠).

(٨) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣)، ومختصر الفتاوى المصرية (١٤٤).

۞ **المسائل المتعلقة:**

ـ المسألة الأولى: سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأله سؤالًا مجردًا، فهذا حرام؛ لقول النبي ﷺ «**من أتى عرّافًا**»؛ فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله، فهذا كفر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره؛ أهو صادق أم كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجبًا.

ويؤخذ من الحديث تحريم إتيان العراف وسؤاله إلا ما استثني؛ كالقسم الثالث والرابع؛ لما في إتيانهم وسؤالهم من المفاسد العظيمة، التي ترتب على تشجيعهم وإغراء الناس بهم، وهم في الغالب يأتون بأشياء كلها باطلة[١].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٢ ـ ٦٣)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ٥٣٣ ـ ٥٣٧).

ـ المسألة الثانية: حكم العراف من حيث العقوبة الدنيوية:

اختلف أهل العلم في حكمه على قولين:

القول الأول: أن العراف كالساحر يكفر بالعرافة ويُقتل بها، وإلى هذا ذهب الإمام أحمد في رواية عنه.

القول الثاني: أنه لا يُقتل ولكن يُعزَّر ويحبس، وهي رواية عن الإمام أحمد اختارها ابن عقيل ورجحها ابن قدامة وهي الصحيح من المذهب.

والتحقيق أن في المسألة تفصيلًا، **بيانه فيما يلي:**

إن كان العراف ممن تنزل عليهم الشياطين ويدّعون بذلك معرفة الغيب ويعتقدون إباحة ذلك فهم كفَّار مرتدُّون تجري عليهم أحكام الردَّة، فيستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا.

وإن كان من الذين يقومون بزجر الطير والضرب بالحصى وقراءة الكف والفنجان ونحوهم ممن يقول بالحدس والخرص والتخمين، ويزعمون أن لديهم قدرة على معرفة الغيب بذلك ولم يعتقدوا أنهم يعرفون الأمور الغيبية حقيقة فهم ضالُّون يؤخذ على أيديهم بالتأديب والتعزير؛ لأن فعلهم هذا معصية وكبيرة من كبائر الذنوب.

أما إن كانوا يعتقدون أن فعلهم ذلك

مباح وأنهم يعلمون من خلاله الأمور الغيبية فيحكم عليهم بالكفر ويستتاب من فعل ذلك، فإن تاب وإلا قتل.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «المنجم والضارب بالحصى والودع لا يكفر الواحد منهم ما لم يعتقد إباحته، فإن اعتقد إباحته فهو مرتد؛ لأن برهان ذلك ظاهر بالشرع؛ لأنه معلق على الاستخدام للشياطين واستمتاع الشياطين بهم، وكذلك ما لم يدّع أنه يعلم الغيب أو يدّع التصرف في الوجود في بعض الأشياء.

وكثير منهم بل أكثرهم لا ينفكون عن ادعاء المغيبات، فيعزر أصحاب هذه الأمور تعزيرًا يردعهم وأمثالهم ثم يكف عنهم، والتعزير يرجع إلى الإمام الناظر الشرعي، فإن اقتضى القتل لا سيما من كان له شهرة في ذلك فإنه يُقتل»[(١)].

ـ المسألة الثالثة: حكم الأجرة المأخوذة على العرافة:

نهى النبي ﷺ عن العوض المأخوذ على الكهانة ونحوها، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وحلوانه الذي تسميه العامة حلاوته، ويدخل في هذا المعنى ما يعطيه المنجم وصاحب الأزلام التي يستقسم بها مثل الخشبة المكتوب عليها أ. ب. ج. د. والضارب بالحصى ونحوهم، فما يعطي هؤلاء حرام، وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء كالبغوي، والقاضي عياض وغيرهما»[(٣)].

فتبين بهذا أن الأجرة والهبة والكرامة المأخوذة على الكهانة والعرافة محرمة على الباذل والآخذ.

ومما يحرم أيضًا إكراء وإجارة الحوانيت المملوكة أو الموقوفة من هؤلاء الكفار الفساق بهذه المنفعة إذا غلب على ظنهم أنهم يفعلون فيها هذا الجبت الملعون[(٤)].

ـ المسألة الرابعة: حكم التنويم المغناطيسي:

من ضروب الكهانة في العصر الحديث ما يعرف باسم التنويم المغناطيسي، وهو الوصول بالمنوَّم إلى مرحلة وسطى بين النوم واليقظة، وفي هذه الحالة يمكن للمعالج أن يستخرج من المريض خفايا لا شعورية تعينه على علاجه[(٥)].

وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٣٧)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٦٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٤).
(٤) المصدر السابق (٣٥/ ١٩٥).
(٥) فلسفة الماكرو بيوتيك لنجاح الظهار (١٧٣).

للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم التنويم المغناطيسي، **فأجابت اللجنة بالجواب التالي:**

«التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني؛ حتى يسلطه المنوِّم على المنوَّم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنوِّم وكان طوعًا له، مقابل ما يتقرب به المنوِّم إليه ويجعل ذلك الجني المنوَّم طوع إرادة المنوِّم بما يطلبه من الأعمال والأخبار بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذه وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز؛ بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم»[(١)].

ـ المسألة الخامسة: واجب ولاة الأمر نحو العرافين:

المقصد الأعظم للإمامة في الإسلام إقامة أمر الله ﷻ في الأرض على الوجه الذي شرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعظم ذلك وأوجبه حماية جناب التوحيد من كل ما يخدشه أو يدنسه فضلًا عمّا ينقصه أو يبطله.

ولما كان خطر العرافة والكهانة عظيمًا وشرّها مستطيرًا وضررها كبيرًا؛ فإن واجب الولاة نحوها إبطالها وإنكارها والأخذ على أيدي أهلها أخذًا يقمعها ويردعها ويستأصل شأفتها.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «فهؤلاء ـ أي: الكهان ومن في حكمهم ـ يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل؛ كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك»[(٢)].

وقال أيضًا: «الواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرّافين»[(٣)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ويجب على ولي الأمر وكل قادر السعي في إزالة ذلك ـ أي: أعمال التنجيم والسحر والكهانة ـ ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات أو دخولهم على الناس في منازلهم لذلك»[(٤)].

وقال ابن باز رحمه الله: «فالواجب على ولاة الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء (١/ ٥٩٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٦٨).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٧٦٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٥).

لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين، والإنكار عليهم أشد الإنكار»[(١)].

فهذا ما قرره أهل العلم في بيان واجب ولاة أمور المسلمين نحو الكهنة والعرافين من الأخذ على أيديهم وقمعهم وحماية أديان الناس وأبدانهم من شرورهم وغوائلهم وخداعهم ومكرهم.

ـ المسألة السادسة: العلم بأحوال الطقس وبوقت كسوف الشمس والقمر ليس من الكهانة:

معرفة الأحوال الجوية وتوقع نزول المطر، وتحديد أوقات الكسوف ليس من الكهانة، وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل من الكهانة ما يخبر به الآن عن أحوال الطقس في أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «لا؛ لأنه يستند إلى أمور حسية وهي تكيف الجو؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم، فيكون صالحًا لأن يمطر أو لا يمطر، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا السماء وتجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب نقول: يوشك أن ينزل المطر، فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس من علم الغيب وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب ويقولون إن التصديق بها تصديق بالكهانة، والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح كما قال السفاريني:

فكل معلوم بحس أو حجا
فنكره جهل قبيح بالهجا

فالذي يعلم بالحس لا يمكن إنكاره، ولو أن أحدًا أنكره مستندًا بذلك إلى الشرع لكان ذلك طعنًا في الشرع»[(٢)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس من الكهانة في شيء من يخبر من أمور تدرك بالحساب، فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر فهذا ليس من الكهانة لأنه يدرك بالحساب»[(٣)].

۞ الفروق:

الفرق بين العرَّاف والكاهن:

في التفريق بينهما أقوال:

القول الأول: أن الكاهن يدعي معرفة الأخبار عن الكائنات في المستقبل، والعرَّاف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالَّة ونحوهما مما هو في الماضي[(٤)].

---

(١) حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها (٥ ـ ٦).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣١ ـ ٥٣٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٥٣١).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٢٢)، ومغني المحتاج (٤/ ١٢٠).

القول الثاني: أن العراف اسم عام للكاهن، والمنجِّم، والرمّال، ونحوهم، ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع، فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي[(١)].

القول الثالث: أن الكاهن اسم يعم العراف وغيره. قال القاضي عياض وهو يبين أنواع الكهانة: «ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات، يدعي معرفته بها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر، والطرق، والنجوم، وأسباب معتادة، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة»[(٢)].

الآثار:

١ ـ الوقوع فيما حذر منه الرسول ﷺ وهو الكفر.

٢ ـ ضعف الإيمان، والتعلق بغير الله، بالتعلق بالعرافين والمشعوذين.

٣ ـ انتشار الدجل، والخرافة في المجتمع المسلم.

٤ ـ إفساد العلاقات الاجتماعية بين الناس بسبب الأكاذيب والتهم الباطلة التي يزورها العرافون.

٥ ـ العرافة حدس وتخمين، وليست طريقًا شرعيًّا، ولا سببًا حقيقيًّا، فلن يحصل المرء على مراده من العراف.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام الكهانة وسؤال العرافين»، لإبراهيم أبا حسين.

٢ ـ «إكمال المعلم»، للقاضي عياض.

٣ ـ «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد» (ج١٠)، للمرداوي.

٤ ـ «حاشية رد المحتار على الدر المختار» (ج٤)، لابن عابدين.

٥ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج٥)، للنووي.

٦ ـ «فتح الباري» (ج١٠)، ابن حجر.

٧ ـ «الفروع» (ج٦)، لمحمد بن مفلح المقدسي.

٨ ـ «الكهانة وموقف الإسلام منها»، لفهد السفياني.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣٥)، لابن تيمية.

١٠ ـ «موقف ابن تيمية من السحر والكهانة»، لخيرية القحطاني [رسالة دكتوراه].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/١٧٣، ١٩٣)، الفتح (١٠/٢١٦) [دار الفكر].

(٢) إكمال المعلم (٧/١٥٣) [دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ].

العرش

التعريف لغة:

العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك[(١)].

ويطلق العرش في اللغة على عدة معانٍ؛ منها: سرير الملك، وسقف البيت، والملك وغيرها[(٢)].

التعريف شرعًا:

العرش: هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو أعلى المخلوقات وسقفها، وهو كالقبة على العالم[(٣)].

الحكم:

يثبت أهل السُّنَّة العرش كما أثبته الله عزّ وجل في كتابه، وأثبته النبي ﷺ في السُّنَّة الصحيحة، وهو مخلوق عظيم استوى عليه الرحمٰن، ولا يقدر قدره إلا الله عزّ وجل[(٤)].

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٤) [مكتبة مصطفى الحلبي، ط٢].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١/ ٢٦٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٢/ ٧٢٢)، وتاج العروس (١٧/ ٢٥٢) [دار الهداية].

(٣) البداية والنهاية (١/ ١١ ـ ١٢) [مكتبة المعارف، بيروت]، وشرح العقيدة الطحاوية (٣١٠ ـ ٣١١) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٤٠، ٣١٧)، والقول المفيد (٢/ ٥٣٦، ٥٤٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٣٧٨).

الحقيقة:

جاءت النصوص من الكتاب والسُّنَّة بأوصاف عديدة للعرش؛ منها: أنه ذو قوائم، وأن الملائكة تحمله، وأن الله مستو عليه كما يليق بجلاله، وهذا يؤكد أنه سرير حقيقة، وإن كنا نجهل كيفيته.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [الحاقة]، وقال عزّ وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾ [النمل]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السُّنَّة: قول النبي ﷺ: «**لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى**»[(٥)].

وقول النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[(٦)].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الخصومات، رقم ٢٤١٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

وقول النبي ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(١).

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنَّة أن الله ﷻ خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء»(٢).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: «طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسُّنَّة، وإجماع الأُمَّة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش، واستواء الله ﷻ عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وأن الله ﷻ بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سماواته من دون أرضه»(٣).

قال ابن تيمية: «فلما وقع التفصيل في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وفي القيامة التي تستحيل فيها السماوات والأرض وما بينهما، لم يكن العرش داخلًا في ذلك؛ بل أخبر ببقائه بعد تغيير السماوات والأرض، كما أخبر بكونه قبل خلق السماوات والأرض خبرًا مطلقًا، وأخبر في غير موضع أنه ربه وصاحبه؛ تمييزًا له من السماوات والأرض؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون]. وذكر نفسه بأنه ذو العرش في غير موضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج]، وقوله تعال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء]، فهذا كله يبين أن العرش له شأن آخر»(٤).

وقال ابن كثير: «العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل]، وليس هو فلكًا ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات»(٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٩٠).
(٢) أصول السُّنَّة (٢٨٢).
(٣) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/١٢٨٥) [دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م].
(٤) بيان تلبيس الجهمية (١/١٥٧) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ].
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (١/١١).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفات العرش:

١ ـ من صفات العرش: أنه أعظم مخلوقات الله تعالى.

دلت النصوص الشرعية على أن العرش من مخلوقاته سبحانه وتعالى، قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، فالآية تدل على أن العرش كان موجودًا على الماء قبل خلق السماوات والأرض(١).

والعرش أعظم المخلوقات وأعلاها، يقول النبي ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(٢).

ولذلك مدح الله نفسه في أكثر من موضع من كتابه الكريم بأنه صاحب العرش العظيم، والكريم، والمجيد، قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

٢ ـ من صفات العرش: أن له قوائمَ.

دلت السُّنَّة الصحيحة على أن للعرش قوائم، كما جاء ذلك في «صحيح البخاري»: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى**»(٣) وقد تقدم.

٣ ـ للعرش حملة من الملائكة يحملونه بقدرة الله.

دليل ذلك في كتاب الله قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٧﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ١٧﴾ [الحاقة]. فالآيتان تدلان على أن لله ملائكة من جملة خلقه، يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله، وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية(٤).

ـ المسألة الثانية: أول شيء خلقه الله عز وجل:

اختلف أهل العلم في ذلك:

١ ـ فذهب بعضهم إلى أن أول المخلوقات: القلم. وهو اختيار الطبري وابن الجوزي.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٠٦).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/٥٨٥).

٢ ـ وذهب آخرون إلى أن أول المخلوقات: الماء.

٣ ـ وقيل: أول المخلوقات النور والظلمة.

٤ ـ وذهب كثير من المحققين إلى أن أول ما خلق الله: العرش.

وهذا اختيار ابن تيمية، وابن القيِّم، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم.

والدليل على ذلك: قول النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[١]. ففي هذا الحديث تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش.

وأما حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال: له اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[٢].

فالمراد أن التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم.

ويؤيد ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»[٣][٤].

ـ المسألة الثالثة: استواء الله جل وعلا على العرش:

دلَّت النصوص الشرعية على استواء الله تعالى على عرشه، وأن معناه علوه وارتفاعه عليه، وعلى هذا السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم يقولون: إن الله على عرشه بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، واستواؤه حقيقة لا مجاز. وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لنا، والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة في الدين وخروج عن السُّنَّة[٥]..

۞ مذهب المخالفين:

ذهب بعض المخالفين إلى تأويل النصوص الواردة في العرش، وتحريفها لتوافق مذاهبهم وأهواءهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧/٣٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وغيرهم، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٨).

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/ ٣٣ـ ٣٦)، ومجموع الفتاوى (١٨/ ٢١٣)، ومختصر الصواعق المرسلة (١/ ٣٢٣)، واجتماع الجيوش (٩٩ـ ١٠٠)، والبداية والنهاية (١/ ٨ ـ ٩)، وفتح الباري (١/ ٢٨٩)، والعرش وما روي فيه لابن أبي شيبة (٧٢).

(٥) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٢ـ ١٣)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٣٣٥)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٧٦)، وكتاب العرش للذهبي (١/ ٢٨٤).

فذهب بعض الجهمية وغيرهم إلى أن المراد بالعرش: الملك.

كما ذهب طائفة من الفلاسفة أن العرش فلك مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سمّوه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلى[(١)].

والنصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة ترد هذه التأويلات؛ فإنها صريحة في أن العرش أعظم المخلوقات، وسقفها، ولا يقدر قدره إلا الله سبحانه وتعالى[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعانة المستفيد»، للفوزان.

٢ ـ «البداية والنهاية»، لابن كثير.

٣ ـ «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٥ ـ «الرسالة العرشية»، لابن تيمية.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيِّم.

٥ ـ «العرش»، للذهبي.

٨ ـ «العرش»، لابن أبي شيبة.

٩ ـ «القول المفيد»، لابن عثيمين.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

عرصات القيامة

يراجع مصطلح (يوم القيامة).

العَرْض

التعريف لغة:

العَرْضُ: إظهار الشيء وإبرازه، قال ابن منظور: «عَرَضَ الشيء عليه يَعرِضُه عَرْضًا: أراه إياه وعرضت له الشيء؛ أي: أظهرته له وأبرزتُه له»[(٣)].

التعريف شرعًا:

العَرْضُ: له معنيان: خاص، وعام.

فمعناه الخاص: الحساب اليسير، وهو المكلف تعرض عليه ذنوبه، ثم يتجاوز له عنها كما فسره النبي ﷺ.

ومعناه العام: «عَرْضُ الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب»[(٤)].

---

(١) انظر: التبصير في الدين للإسفراييني (١٥٨)، وراجع: الرد على الجهمية للدارمي (١٢ ـ ١٣)، والرسالة العرشية لابن تيمية (٢ ـ ٧)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٣٣٥)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٧٦).

(٢) انظر: كتاب العرش للذهبي (١/ ٢٨٤).

(٣) لسان العرب (٧/ ١٦٦، ١٦٨) [دار صادر، ط٣]، وانظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٩) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، والكليات (٦٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٤) معارج القبول (٢/ ٢٠٦) [دار الكتب العلمية، ط١].

الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص على ذلك، وهو أحد أفراد الإيمان باليوم الآخر.

الحقيقة:

ليس أحد من المكلفين إلا ستعرض صحائفهم على الله تعالى لا يخفى منها شيء، فأما المؤمن فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الكافر فيحاسب حسابًا عسيرًا.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة]، وقال سبحانه: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨﴾ [الكهف].

ومن السُّنَّة: حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**». فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق]، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب**»[1].

أقوال أهل العلم:

قال ابن مسعود: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة: تطير الصحف في الأيدي»[2].

وقال حافظ الحكمي: «العرض له معنيان؛ معنى عام، وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ... والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم ومغفرتها لهم»[3].

الأقسام:

العرض الكائن يوم القيامة **ثلاثة أنواع**[4]:

الأول: عرض عام لجميع الخلائق برهم وفاجرهم أمام الله تعالى، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الكهف: ٤٨]، وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة].

وقد دلَّ على هذا النوع من العرض

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده صحيح.
انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٣).

(٣) معارج القبول للحكمي (٢/ ٨٢٢)، وانظر: التذكرة للقرطبي (٢٤٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٤١٢ ـ ٤١٣).

(٤) رسائل الآخرة (٣/ ٩١٥ ـ ٩٢٥).

أيضًا النصوص المثبتة لحشر العباد في صعيد واحد، ومجيء الرب تعالى وتكليمه إيَّاهم.

الثاني: عرض خاص بالمؤمنين، وهو الحساب اليسير كما مر في الحديث الآنف الذكر، وكما في قوله ﷺ: «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾»[1].

الثالث: عرض خاص بالكفار والمنافقين، وهو المناقشة، وهو عرض فضيحة على رؤوس الأشهاد، لا ستر فيه ولا مغفرة، وقد دلَّ على هذا النوع من العرض قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا يتناول كل كافر ممن كذَّب على الله بادعاء الرسالة كاذبًا، ويتناول كل من كذب رسولًا صادقًا»[2].

الفروق:

دل الحديث الآنف على أن هناك فرقًا بين العرض والحساب، فالعرض: هو الحساب اليسير، وصاحبه مغفور له وناج بإذن الله تعالى، والحساب: هو المناقشة، وصاحبه غير مغفور له وهالك[3].

الثمرات:

من ثمرات الإيمان بالعرض: أن يحرص العبد على فعل الخيرات، ويجتهد في تحصيل الطاعات، ويبتعد عن المعاصي وعن المهالك؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه سيأتي اليوم الذي ستعرض أعماله، وتكشف الصحائف على ما قدمت يداه[4].

المصادر والمراجع:

١ ـ «التذكرة»، للقرطبي.
٢ ـ «تفسير ابن كثير».
٣ ـ «العاقبة في ذكر الموت»، لعبد الحق الإشبيلي.
٤ ـ «البعث والنشور»، للبيهقي.
٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

(١) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤١)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٩٣) [دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ].
(٣) معارج القبول (٢/٢٠٦) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٤) انظر: التذكرة للقرطبي (٢٨٩).

٦ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، للهراس.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

٩ ـ «البحور الزاخرة في أمور الآخرة»، للسفاريني.

١٠ ـ «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.

عرض المقعد

يراجع مصطلح (عذاب القبر ونعيمه).

العزة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «العين والزاء أصل صحيح واحد يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، قال الخليل: العزة لله جلَّ ثناؤه وهو من العزيز، ويقال: عز الشيء حتى يكاد لا يوجد، وهذا وإن كان صحيحًا فهو بلفظ آخر أحسن، فيقال: هذا الذي لا يكاد يقدر عليه، ويقال: عز الرجل بعد ضعف، وأعززته أنا جعلته عزيزًا، واعتزَّ بي وتعزز، قال: ويقال: عزَّه: على أمر يعزه؛ إذا غلبه على أمره، وفي المثل: من عزَّ بزَّ؛ أي: من غلب سلب»[(١)].

وقال الفيروز آبادي: «عزَّ يعز عِزًّا وعِزة بكسرهما وعزازة: صار عزيزًا؛ كتعزز وقوي بعد ذلة. وأعزه وعززه، والشيء: قلَّ فلا يكاد يوجد فهو عزيز. ج: عزاز وأعزة وأعزاء»[(٢)].

الأعز: من العِزّ والعِزّة، «والعِزُّ في الأَصل القوة والشدة والغلبة، والعِزُّ والعِزَّة الرفعة والامتناع»[(٣)].

التعريف شرعًا:

العزة: صفة ذاتية ثابتة لله دالة على عزة الله الكاملة، من حيث إنها لم تسبق بذل، ولا يلحقها هوان، والشاملة لعزة الامتناع والقوة والقهر والغلبة فهو تبارك وتعالى ذو عزة كاملة أزلًا وأبدًا[(٤)].

الحكم:

يجب الإيمان بأن العزة صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ، دالة على عزة الله الكاملة، من حيث إنها لم تسبق بذل، ولا يلحقها هوان، والشاملة لعزة الامتناع والقوة والقهر والغلبة فهو تبارك وتعالى ذو عزة كاملة أزلًا وأبدًا[(٥)].

الحقيقة:

العزة من: عزّ يعز وهو له ثلاثة أوجه؛ **الأول**: عزّ يعُزّ بضم العين؛ إذا

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨ ـ ٣٩) [دار الجيل، ط٢].

(٢) القاموس المحيط (٦٦٤) [مؤسسة الرسالة].

(٣) لسان العرب (٥/٣٧٤) [دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/١٩٦)، وتوضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١٨٤).

(٥) انظر: توضيح الكافية الشافية (١٨٤).

غلب وقهر، وهذا أقوى المعاني، **والثاني:** من عزّ يعِزُّ بكسر العين؛ إذا امتنع ممن يرومه وهذا المعنى متوسط في القوة، **والثالث:** من عزّ يعَزّ بفتح العين؛ إذا اشتد وقوي ومنه الأرض العزاز الصلبة، وهذا المعنى أضعفها[(١)]. قال الإمام ابن القيِّم: «فأعطوا أقوى الحركات وهي الضمة لأقوى المعاني وهو الغلبة والقهر للغير، وأضعفها وهي الفتحة لأضعف هذه المعاني، وهو كون الشيء في نفسه صلبًا ولا يلزم من ذلك أن يمتنع عمن يرومه، والحركة المتوسطة وهي الكسرة للمعنى المتوسط، وهو القوي الممتنع عن غيره، ولا يلزم منه أن يقهر غيره ويغلبه فأعطوا الأقوى للأقوى والأضعف للأضعف والمتوسط للمتوسط»[(٢)].

ولا شك أن معاني العزة ـ وهي عزة القوة والقهر والامتناع ـ كلها ثابتة لله ﷻ، على الوجه اللائق به سبحانه.

الأدلة:

العزة صفة من صفات الله العليا التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء]. وقال أيضًا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو القاسم الأصبهاني: «أثبت الله العزة والعظمة والقدرة والكبر والقوة لنفسه في كتابه»[(٤)].

وقال الإمام ابن القيِّم:

«وهو العزيز فلن يرام جنابه
أنَّى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم
يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه
فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه
من كل وجه عادم النقصان»[(٥)].

وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس: ٦٥]: «وهي عزة الامتناع والقوة والقهر والغلبة كلها

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (١٨٦) [دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ].
(٢) طريق الهجرتين (١٨٦).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٧).
(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/١٩٦).
(٥) الكافية الشافية (٣/٧١١ ـ ٧١٢) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

قد كملت لله الواحد القهار من جميع الوجوه»[١].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: العزيز، والأعز:

أما العزيز فهو من أسماء الله الحسنى التي سمى الله بها نفسه وسماه بها رسوله ﷺ، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران].

وأما الأعز فقد جاء عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم أنهما كانا يقولان في السعي بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم، وتجاوز عمَّا تعلم؛ إنك أنت الأعزُّ الأكرم»[٢].

ففي هذا دليل على أن (الأعز) من أسماء الله الثابتة بالسُّنَّة؛ فهذا مما لا يقال بالرأي وهو في سياق الدعاء[٣].

وقد أثبته ابن حزم[٤]، وابن الوزير[٥]، ولم يرد ذكره عند الباقين.

ـ المسألة الثانية: إن اسمه سبحانه (العزيز) يستلزم توحيده وعبادته وحده لا شريك له؛ إذ الشركة تنافي كمال العزة:

قال ابن القيِّم: «وهذه العزة مستلزمة للوحدانية؛ إذ الشركة تنقص العزة، ومستلزمة لصفات الكمال؛ لأن الشركة تنافي كمال العزة، ومستلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيء منها، فالروح تعاين بقوة معرفتها وإيمانها: بهاء العزة وجلالها وعظمتها، وهذه المعاينة هي نتيجة العقيدة الصحيحة المطابقة للحق في نفس الأمر المتلقاة من مشكاة الوحي، فلا يطمع فيها واقف مع أقيسة المتفلسفين، وجدل المتكلمين، وخيالات المتصوفين»[٦].

ـ المسألة الثالثة: اسما المعز والمذل:

ذهب بعض أهل العلم إلى عدّهما من الأسماء الحسنى[٧]، وأنه من الأسماء

---

(١) توضيح الكافية الشافية (١٨٤) [أضواء السلف، ط١].

(٢) أخرجهما ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الحج، رقم ١٥٥٦٥، ١٥٥٧٠)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٣٥١، ٩٣٥٢).
وأخرج أثر ابن مسعود فقط: الطبراني في الدعاء (٢٧١، ٢٧٢) [دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٣هـ].
وقد صحح العراقي أثر ابن مسعود في تخريجه لإحياء علوم الدين (١/ ٣٢١) [دار المعرفة]، وصحح الألباني الأثرين كليهما في مناسك الحج والعمرة (٢٧) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (٢٤٨ ـ ٢٤٩) [الدرر السنية، ط٣، ١٤٢٦هـ].

(٤) المحلى (١٢/ ٣٠).

(٥) إيثار الحق على الخلق (١٥٩).

(٦) مدارج السالكين (٣/ ٢٥٧) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٧) انظر على سبيل المثال: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٧هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٥٥) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ]، والصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية للجامي (٣٤٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي [أضواء السلف، ط١].

المقترنة وهي التي لا تطلق على الله إلا مقترنة، فيقال: المعز المذل القابض الباسط وهكذا، واستدلوا على ثبوت هذين الاسمين لله بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والذي يظهر من خلال أدلة هذين الاسمين أنهما لم يردا بصيغة الاسم، وإنما اشتقا من الفعل كما في هذه الآية، وكما في حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، وفيه: «وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»[(١)].

ولعله لذلك لم يعدهما بعض أهل المحققين من أهل العلم الذين جمعوا تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى الثابتة بالأدلة الواضحة البينة[(٢)]، وإن لم يشترطوا الاستقصاء فيما جمعوا.

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٢٥) واللفظ له، والترمذي (أبواب الوتر، رقم ٤٦٤) وحسَّنه، والنسائي (كتاب قيام الليل وتطوع النهار، رقم ١٧٤٥)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١١٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦٣٤)، وصحَّحه النووي في الخلاصة (١/ ٤٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في أصل صفة الصلاة (٣/ ٩٧٣ ـ ٩٧٤).

(٢) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (٤٠ ـ ٤٢) [أضواء السلف، ١٤١٦هـ]، وقطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني للعباد (٨٥ ـ ٩٢) [دار ابن القيم، ودار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ].

الآثار:

من آثار كمال عزة الله ﷻ تبرئته من كل سوء وتنزيهه من كل شر ونقص، وفي ذلك يقول ابن القيِّم: «اسمه العزيز الذي له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب؛ فإن ذلك ينافي العزة التامة»[(٣)].

ومن آثار كمال عزته سبحانه نفاذ حكمه وأمره في عباده وتصريف قلوبهم على ما يشاء، وهذا يجعل العبد خائفًا من ربه سبحانه لائذًا بجنابه معتصمًا به متبرئًا من الحول والقوة ذليلًا حقيرًا بين يدي ربه سبحانه يسأل ربه حفظ قلبه وصلاح دينه ودنياه[(٤)].

«ومن شهود عزته أيضًا في قضائه: أن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وحمده وغناه، وكذلك بالعكس، فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة»[(٥)].

ومهما ابتغى العبد العزة عند غير الله تعالى وفي غير دينه فلن يجدها ولن يجد إلا الذل والضعف والهوان، قال الله

(٣) شفاء العليل (١/ ١٨٠) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ].

(٤) مدارج السالكين (١/ ٢٠٥).

(٥) مدارج السالكين (١/ ٢٠٥).

تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠].

مذهب المخالفين:

نفى الجهمية والمعتزلة والمتأثرون بهم عن الله تعالى صفة العزة، إما بإنكارها إنكارًا صريحًا، وإما بتأويلها وصرفها عن ظاهرها اللائق بالله إلى معان أخرى.

فالجهمية كما هو معلوم عنهم لا يثبتون لله اسمًا ولا صفة، والمعتزلة وافقوهم على أصولهم فادعوا إثبات الأسماء ونفوا حقائقها، فجعلوها أعلامًا مجردة، حيث أجمعوا «على أن للعالم محدثًا قديمًا قادرًا عالمًا حيًّا لا لمعان»[(١)]؛ أي: أنه تعالى قادر بلا قدرة، وعالم بلا علم، وحي بلا حياة، وهكذا جميع الصفات عندهم بما فيها صفة العزة[(٢)].

الرد عليهم:

لا شك أن نفي ما وصف الله به نفسه أو ما وصفه به رسوله ﷺ بأي وسيلة كان، هو في غاية البطلان لأمور؛ **منها**:

الأمر الأول: أنه قد تقدم بيان ثبوت اتصاف الله بصفة العزة، فإنكار هذه الصفة، أو تأويلها تأويلًا يؤول إلى إنكارها هو رد للنصوص الدالة عليها، ولذا لما أراد الإمام البخاري الرد على هؤلاء النفاة الذين يقولون: إنه عزيز بلا عزة؛ عقد ترجمة وجعل مضمونها جملة من النصوص الدالة على صفة العزة، ليعلم القارئ أن نفي هذه الصفة عن الله هو مصادمة صريحة لهذه النصوص[(٣)].

الأمر الثاني: أن قولهم عن الله: إنه قادر وعالم وحي وعزيز إلخ من غير اتصافه بشيء منها هو كلام باطل، لمخالفته الشرع واللغة والعرف، أما الشرع؛ فقد دلَّت النصوص على اتِّصاف الله بصفات الكمال، ومنها صفة العزة التي تقدمت نصوصها.

وأما اللغة والعرف؛ فقد أجمع أهل اللغة والعرف على أنه لا يقال: عالم؛ إلا لمن له علم، ولا قادر؛ إلا لمن له قدرة، ولا سميع؛ إلا لمن له سمع، ولا بصير؛ إلا لمن له بصر، وهكذا، وهذا أمر أبين من يحتاج إلى دليل[(٤)]، وعليه فادعاء خلاف هذا مكابرة مكشوفة، وعناد ظاهر، وإما جهل عميق.

وحمل عزة الله على الاعتراف له تعالى بالقدم تأويل مردود، والواجب على المسلم إثبات صفة العزة بأنواعها

---

(١) كتاب المنية والأمل لابن المرتضى المعتزلي (١/ ١٣) [دار المعرفة الجامعية].

(٢) انظر: المنهاج في شرح شعب الإيمان للحليمي (١/ ١٩٦) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٦٨) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (٢٤ ـ ٢٥).

المتقدمة لله تعالى؛ استسلامًا لما جاء في شرع الله وانقيادًا له، كما قال ﷻ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فقد أمر الله تعالى عباده في هاتين الآيتين أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه وذلك بامتثال جميع الأوامر وترك جميع الزواجر ما استطاعوا من ذلك[(١)].

ولذا كان من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن من الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، لقوله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج٢)، للأصبهاني.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٥ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٦ ـ «الكافية الشافية»، لابن القيِّم.

٧ ـ كتاب «التوحيد»، لابن منده.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٩ ـ «المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، لزيد محمد شحاتة.

١٠ ـ «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد الحمود النجدي.

العشرة المبشرون بالجنة

يراجع مصطلح (الصحابة).

عصمة الأنبياء

التعريف لغة:

العِصْمَة: مصدر الفِعل الثلاثي المجرَّد (عصمَ)، والعين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إمساكٍ ومَنعٍ وملازَمة؛ فالعِصْمَة: المَنع

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

والحِفظ، يُقال: عصمَه الطعام؛ أي: منعه من الجوع، واعتصمَ بالله: امتنعَ بلُطفه من المعصية[(١)].

التعريف شرعًا:

عِصْمَة الأنبياء: هي حفظ الله لأنبيائه فيما يبلغون عنه، ومن الذنوب والمعاصي، وعدم إقرارهم عليها[(٢)].

وقيل: هي «لُطْف من الله تعالى يحمل النبيَّ على فِعْل الخير، ويزجُره عن الشَّر، مع بقاء الاختيار؛ تحقيقًا للابتلاء والامتحان»[(٣)].

وبعبارة مختصرة: هي«مَلَكة اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها»[(٤)]، أو: فِعْل المأمور والحسنات وترك المحذور والسَّيِّئات[(٥)].

(١) انظر: الصحاح (٥/١٩٨٦) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٤/٣٣١) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٤٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/٨٧٤)، ومجموع الفتاوى له (٤/٣١٩)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (١٨٨) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٠هـ].

(٣) نسيم الرياض في شرح الشفا للخفاجي (٤/٣٩) [دار الكتاب العربي، بيروت]، والكليات للكفوي (٦٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ودستور العلماء (٢/٢٣٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) التعريفات للجرجاني (١٩٥) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٥١٦) [دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ]، ودستور العلماء للأحمد نكري (٢/٢٣٣).

(٥) انظر: منهاج السُّنَّة النبويَّة (٦/٤٠٦، ٧/٨٥) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ].

والذي يعنينا هنا: الكلام على عِصمتهم عليهم السلام من الخطأ في التشريع، ومن الوقوع في الذُّنوب والمعاصي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للعصمة حول: المنع والحفظ والملازمة، وهو نفس المعنى الذي يدور حوله تعريف عِصمة الأنبياء في اصطلاح الشرع؛ فالمعنى الجامع له هو: حفظهم عليهم السلام من النقائص، وحملهم على لزوم فعل الخير والطاعات؛ فيظهر بهذا أنَّ بين المعنى اللُّغوي والشرعي تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

الأهمية:

بالعصمة تحفظ الرسالة، فالأنبياء عليهم السلام معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، فالعصمة في تبليغ رسالات الله ضرورية للأنبياء والرسل؛ كي لا يقع الخطأ والغلط في أداء أوامر الله ونواهيه، وأحكام الله وإرشاداته، فيسددون بالوحي ونزول الملائكة عليهم، فما ينطقون عن الهوى، ويجب اتباعهم في كل ما يقولونه ويأمرون به، لسلامتهم من الخطأ، والزلل بخلاف غيرهم[(٦)].

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٨٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤١٦هـ]، والتصوف: المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير (٢٠١) [إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، ط١، ١٤٠٦هـ].

الأدلة:

أما الدَّليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرِّسالة ـ زيادةً على الإجماع ـ فقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]، وقوله عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]؛ وقوله ﷺ: «**ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به؛ فإنِّي لن أكذب على الله عز وجل**»[1].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة؛ ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النّبوة والرسالة والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة؛ فلا يستقرّ في ذلك خطأ باتفاق المسلمين»[2].

وقال الذهبي: «اتفقوا على عصمتهم فيما يبلغونه وهو مقصود الرسالة، وقد يقع منهم الذنب ولا يقرون عليه ولا يقرون على خطأ ولا فسق أصلًا فهم منزهون عن كل ما يقدح في نبوتهم. وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها»[3].

وقال ابن باز: «قد أجمع المسلمون قاطبة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ ولا سيما محمد ﷺ ـ معصومون من الخطأ فيما يبلغونه عن الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم]، فنبينا محمد ﷺ معصوم في كل ما يبلغ عن الله قولًا وعملًا وتقريرًا، هذا لا نزاع فيه بين أهل العلم»[4].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: العصمة قبل النبوة:

اختلف العلماء في وقت عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ أكانت قبل نبوّتهم أيضًا أم اختصّت بوقت النبوة فحسب[5]؟

والصحيح ـ والله أعلم ـ: أنهم كانوا معصومين من الكفر قبل النبوة ـ كما هو

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٨٩)، وانظر: منهاج السُّنَّة النبويّة (١/٤٧٠).

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال (٥٠).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٦/٢٧١).

(٥) انظر في هذه المسألة: الشِّفا للقاضي عياض (٢/٧١٩، ٧٩٣)، وتفسير آيات أشكلت لابن تيميَّة (١/١٨١، ٢٣٠) [مكتبة الرشد، ط١]، ومجموع الفتاوى له (١٠/٣٠٩)، ولوامع الأنوار البهيَّة للسَّفاريني (٢/٣٠٤).

مذهب كثير من أهل السُّنَّة ـ، ومن الجهل بالله وصفاته والتشكّك في شيء من ذلك، وكانوا منزهين أيضًا من كلّ عيب، ومعصومين مما يوجب الريب.

ـ المسألة الثانية: العصمة من الذنوب:

الأنبياء عليهم السلام ـ على الصحيح، وهو قول أكثر علماء الإسلام ـ معصومون من الوقوع في الكبائر دون الصَّغائر والخطإ والنِّسيان والسَّهو التي لا تعلق لها بالتبليغ؛ فيجوز وقوعها منهم، لكنهم لا يصرون ولا يقرُّون عليها؛ بل يتداركون ذلك بالتوبة والاستغفار وصدق الإنابة إلى الله تعالى، فينالون بذلك أعلى الدّرجات، ولم يذكر الله تعالى في كتابه عن نبي من الأنبياء ذنبًا إلا ذكر توبته معه؛ لينزهه عن النقص والعيب. إلا أنَّ وقوع تلك الصَّغائر منهم ليس ممَّا يزري بمناصبهم ومكانتهم ومراتبهم السَّامية العلية، أو يوهم انتقاصهم؛ بل هذه الذُّنوب التي وقعت منهم وعوتبوا عليها يخف أمرها بالنِّسبة إلى غيرهم، وإنَّما عددت عليهم وعوتبوا عليها بالنِّسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم، ثم إنَّ الله تعالى قد تاب عليهم وغفر لهم وتجاوز عنهم، وطهَّرهم منها؛ فلا يكون وقوع الذَّنب منهم نقصًا بحال وقد تابوا منه.

وليس في وقوعها منهم منافاة للاقتداء بهم، فالأمر بالاقتداء بهم لا يستلزم أن تكون أفعالهم كلّها طاعة؛ وإنَّما يكون الاقتداء بهم في فعل الطَّاعات وما يقرّون عليه، وفي المسارعة إلى التوبة من صغائر السّيّئات والإنابة إلى ربّ البريّات سبحانه وتعالى.

ومن الأدلة على جواز وقوع ذلك منهم ومسارعتهم إلى التوبة قوله تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه]، وقوله عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود]، وقوله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء]، وقول عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص]، وقوله عنه أيضًا: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]، والآيات في هذا الباب كثيرة.

وفي «الصحيحين» أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّما أنا بشر مثلكم؛ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني**»[(١)]، وكان صلى الله عليه وسلم يدعو

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصَّلاة، رقم ٤٠١)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٧٢)، من =

بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللَّهُمَّ اغفر لي جِدّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي. اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منّي؛ أنت المقدّم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير**»[(١)].

فهذه الأدلة ـ وغيرها كثير ـ فيها رد على من استعظم وقوع الذّنوب من الأنبياء بحجَّة أنَّ هذا ينافي الكمال والاقتداء بهم، وقد قدمنا: أنَّه ليس في هذا انتقاص لهم أو إزراء بمراتبهم السامية؛ لأنَّ الله تعالى قد تاب عليهم وغفر لهم وتجاوز عنهم، وطهرهم من تلك الذنوب[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: العصمة في تبليغ الشريعة:

حقيقة الإيمان بعصمة الأنبياء: أنه يجب على المسلم أن يعتقد أنَّ الأنبياء عليهم السلام معصومون فيما يخبرون به عن الله عَزَّ وَجَلَّ وفي تبليغ رسالاته باتفاق المسلمين[(٣)]، فلا يستقر في ذلك خطأ، ولا يخبرون بشيء من الوحي بخلاف ما هو به ـ لا قصدًا وعمدًا ولا سهوًا وغلطًا ـ، ولا يكتمون شيئًا ممّا أمروا بتبليغه من الوحي أو يكذبون فيه أو ينسونه أو يقصّرون في بلاغه؛ لأنَّ هذه العصمة هي التي يحصل بها مقصود النّبوّة والرّسالة والبعثة، ونفيها عنهم يناقض مقصود الرّسالة ومدلول المعجزة.

ـ المسألة الرابعة: العصمة خاصة بالأنبياء لا يشاركهم فيها أحد:

يعتقد المسلم أنَّ عصمة الأنبياء الثابتة لهم لا يشاركهم فيها أحد من البشر مطلقًا؛ فهي من خصائصهم التي اختصّوا بها عن سائر البشر[(٤)].

= حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في قصّة سَهوه صلى الله عليه وسلم في الصّلاة.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٨)، ومسلم (كتاب الذِّكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٩)، واللفظ له.

(٢) انظر: الشِّفا للقاضي عياض (٢/٧٤٦)، والمُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/٤٣٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٠٨) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وإرشاد الفحول للشوكاني (١/٩٨) [دار الكتاب العربي، ، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر في هذا الإجماع: الشِّفا للقاضي عياض (٢/٧٤٦) [طبعة عيسى البابي الحلبي]، والمُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٤٣٤) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيِّب، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (١٠/٢٨٩، ١٥/١٤٨، ١٨/٧)، ومنهاج السُّنَّة النبويَّة (١/٤٧٠، ٢/٣٩٦، ٣/٣٧٢)، ومختصر الفتاوى المصريَّة للبعلي الحنبلي (٩٩) [مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) انظر: الشِّفا للقاضي عياض (٢/٧٤٦، ٧٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (١/٣٠٨، ١١/٢٥٥)، وشرح صحيح مسلم النووي (٣/٥٣) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/٣١٩، ١٠/٢٨٩، ٣٠٩، ١٥/١٤٧، ١٨/٧، ٢٠/٨٨، ٣٥/١٠٠)، ومنهاج السُّنَّة النبويَّة (١/٤٧٠، ٢/٣٩٦، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٣/٣٧٢)، وجامع الرَّسائل لابن تيميَّة (١/٢٧٦)، والرُّسُل =

- **المسألة الخامسة: عصمة غير الأنبياء:**

اختلف العلماء في عصمة الملائكة، بعد إجماعهم على أنَّ حكم المرسلين من الملائكة كحكم الأنبياء في العصمة. والصَّواب: عصمة جميعهم، وتنزيه مناصبهم عن جميع ما يحطّ من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارِهم؛ لقول الله ﷻ عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩﴾ [الأنبياء]، وغير ذلك من الأدلَّة[(١)].

الحكمة:

الحكمة من عصمة الأنبياء في تبليغ رسالات الله تعالى: أنّه لا يحصل مقصود النّبوّة والرسالة وبلاغ الدين للناس واتباعهم للشرع إلا بهذه العصمة، ونفي العصمة عن الأنبياء يناقض مقصود الرّسالة ومدلول المعجزة.

مذهب المخالفين:

غلا الشّيعة الإماميّة الاثنا عشريّة في عصمة الأنبياء، وأشركوا أئمّتهم في هذه العصمة؛ فزعموا عصمة الأنبياء والأئمّة من الذّنوب صغيرها وكبيرها؛ فلا يقع منهم ذنب أصلًا، لا عمدًا ولا نسيانًا، لا قبل النّبوّة والإمامة ولا بعدهما[(٢)]!

ودعاهم القول بعصمة الأئمّة إلى القول بقيام الأئمّة مقام النبيِّ ﷺ في النّبوة والحجة؛ لأنّ المعصوم واجب الاتباع مطلقًا؛ وجرّهم هذا إلى ادّعاء نزول الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ على فاطمة وأئمّتهم، وكلام الملائكة لهم بهذا الوحي[(٣)].

وهذا في حقيته قدح وخدش في عقيدة ختم النّبوة واختصاص نبيِّنا ﷺ بها، فضلًا عن كونه كفرًا لا يمتري فيه أحد.

ونجد أيضًا أن الصوفية يعتقدون في أوليائهم ما يعتقد الشيعة في أئمتهم من تأليههم، وجعلهم أنبياء أو كالأنبياء،

= والرِّسالات للأشقر (٩٧) [دار النفائس، ط١٢].

(١) انظر في هذه المسألة: الشِّفا للقاضي عياض (٢/ ٨٥١)، والحبائك في أخبار الملائك (٢٥٢) [دار الكتب العلمية، ط٢]، وسُبُل الهُدى والرَّشاد للصالحي (١١/ ٤٩٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/ ٢١١، ٣٥٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣]، ومرآة العقول له (٤/ ٣٥٢) [طبعة إيران، ١٣٢٥هـ]. ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشِّيعة للقفاري (٢/ ٧٧٥).

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١/ ١٧٦، ٢٧١، ٢٤٠) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (١٧/ ١٥٥، ٢٦/ ٤٤، ٦٨، ٧٣، ٥٤/ ٢٣٧)، وبصائر الدَّرجات الكبرى للصَّفَّار (٤٣، ٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]، والشِّفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/ ٣١٠، ٢/ ٥٨٦، ٦١٢، ٦٢٣)، وعقيدة خَتم النُّبوَّة للغامدي (١٤٣).

معصومين. قال ابن عربي: «وأما صور تلقيات الموحدين الخطابية: فهو أن تنبعث اللطفية الإنسانية مجردة عن الفكر طالبة ما لا تعلم منه إلا نسبة الوجود إليه بتقييدها به، فإذا نزل هذا العقل بحضرة من الحضرات نزل إليه بحكم التدلي أو برز له أو ظهر له اسم من الأسماء الحسنى بما فيه من الأسرار، فيهبه بحسب تجريده وصحة قصده وعصمته في طريقه، فيرجع إلى عالم كونه عالمًا بما ألقي إليه من علم ربه بربه، أو من علم ربه بضرب من كونه، ثم ينزل نزولًا آخر، هكذا أبدًا، ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩]، وهو خير البشر وأكثرهم عقلًا وأصحهم فكرة وروية فأين الفكر هنا؟ هيهات! تلف أصحاب الأفكار والقائلون باكتساب النبوة والولاية، كيف لهم ذلك والنبوة والولاية مقامان وراء طور العقل ليس للعقل فيهما كسب بل هما اختصاصان من الله تعالى لمن شاء»[(١)].

فاستعمل شيخ الصوفية الأكبر العصمة للأنبياء والأولياء، وسوّى بينهما، ولم ير الفرق في كونهما مصطفين مختارين من قبل الله ﷻ، ومنزلتهما ومكانتهما لا تدركان بالعقل، ومنصبهما لا يكتسب.

وقال في مقام آخر: «إن من شرط الإمام الباطن (يعني: الولي) أن يكون معصومًا، وليس الظاهر إن كان غيره مقام العصمة»[(٢)].

وبمثل ذلك قال أبو الحسن الشاذلي: «إن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إرشاد الفحول» (ج١)، للشوكاني.

٢ ـ «تلخيص كتاب الاستغاثة» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «جامع الرَّسائل» (ج١)، لابن تيميَّة.

٤ ـ «الرُّسُل والرِّسالات»، لعمر الأشقر.

٥ ـ «الشِّفا» (ج٢)، للقاضي عياض.

٦ ـ «لوامع الأنوار البهيَّة» (ج٢)، للسَّفاريني.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤، ١٠، ١٥، ١٨، ٢٠، ٣٥)، لابن تيميَّة.

٨ ـ «مختصر الفتاوى المصريَّة»، للبعلي الحنبلي.

٩ ـ «منهاج السُّنَّة النبويَّة»، لابن تيمية.

١٠ ـ «النبوات» (ج٢)، لابن تيمية.

(١) كتاب التراجم لابن عربي من مجموعة رسائله (٤). نقلًا عن كتاب التصوف لإحسان إلٰهي ظهير (٢٠١).

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ١٨٣).

(٣) كتاب القصد للشاذلي نقلًا عن كتاب الصلة بين التصوف والتشيع (١/ ٤١٧).

العطاء والمنع

يراجع مصطلح (المعطي المانع).

العظمة

التعريف لغة:

قال ابن فارس: «العين والظاء والميم أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على كِبَر وقُوّة. فالعِظَم: مصدر الشَّيء العظيم. تقول: عَظُمَ يَعْظُم عِظَمًا، وعظّمته أنا. فإذا عَظُم في عينيك قلت: أعْظمتُه واستعظمْتُه. ومُعظَم الشّيء: أكثرهُ. وعَظْمةُ الذِّراع: مُستغلَظُها. وهي العظيمة: النازِلةُ المُلمّة الشّديدة. قال:

إن تنجُ منها تنجُ من ذِي عظيمةٍ
وإلا فإنِّي لا إخالُك ناجيا

ومن الباب: العَظْم، معروف، وهو سمِّي بذلك لقوّته وشِدّته»[1].

التعريف شرعًا:

صفةٌ ذاتية لله تعالى؛ دالة على عظمته سبحانه ومن لوازمها العلو المطلق له سبحانه، والرفعة والجلال والكمال، والتقديس، وأنه سبحانه مستحق للتعظيم من كل وجه[2].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتضح الموافقة في الأصل بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، إلا أن المعنى الشرعي يبلغ في الصفة غايتها وكمالها الذي لا يكون إلا لله تعالى، فيكون بهذا مختصًّا من عموم المعنى اللغوي الذي يدخل فيه التعظيم من وجه دون وجه.

الحكم:

وجوب إثبات العظمة صفة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الحقيقة:

إن الله تعالى هو العظيم والمستحق للتعظيم من كل وجه، له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

وعظمته سبحانه راجعة إلى **معنيين**:

الأول: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه.

الثاني: أنه لا يستحق أحد من الخلق

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٥٥) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]. وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/٦٩) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، والمفردات في غريب القرآن (٣٣٩) [دار المعرفة]، ولسان العرب (١٢/٤٠٩) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ]، والكليات (٩٩٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ]، والقاموس المحيط (٤/١١٥) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (٤٠) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، الحجة في بيان المحجة (١/١٣٠) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، وأضواء البيان (٢/١٠٩) [دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ].

أن يعظم كما يعظم الله تعالى[١].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى].

ومن السُّنَّة: ما جاء في حديث إخراج أهل الكبائر من النار: «وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله»[٢].

وقول النبي ﷺ في دعائه: «**وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله ﷻ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، قذفته في النار**»[٤].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فكان يقول في ركوعه: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[٥].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «العظيم: الذي قد كمل في عظمته»[٦].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: «العظيم: ذو العظمة، الذي كل شيء دونه؛ فلا شيء أعظم منه»[٧].

وقال قوام السُّنَّة الأصبهاني رحمه الله: «العظمة صفة من صفات الله تعالى لا يقوم لها خلق»[٨].

وقال البغوي رحمه الله: «وعلى العبد أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى عظيم له عظمة»[٩].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «العظيم من

---

(١) الحق الواضح المبين للسعدي (١٦) [ضمن مجموعة من رسائل السعدي].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٧٤)، والنسائي (كتاب الاستعاذة، رقم ٥٥٢٩)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٧١)، وأحمد (٤٠٣/٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩٦١)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٠٢) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٦٥٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (١٤/ ٤٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١).

وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**».

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٨٧٣) واللفظ له، والنسائي (كتاب التطبيق، رقم ١٠٤٩)، وأحمد (٤٠٥/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحَّحه النووي في الخلاصة (٣٩٦/١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٨١٧) [مؤسسة غراس، ط١].

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٥/٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده حسن. انظر: الصحيح المسبور (٣٦٧/١).

(٧) المرجع السابق (٤٠٥/٥).

(٨) الحجة في بيان المحجة (١٣٠/١). وانظر: شأن الدعاء (٦٤) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٩) شرح السُّنَّة (١٧٧/١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ].

اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال»[(١)].

وقال في نونيته:

هو العظيم بكل معنى يوجب التْـ
ـتَعظيم لا يحصيه من إنسان

قال السعدي في شرحه لهذا البيت: «يريد أن الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصي ثناء عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من أسماء الله تعالى الحسنى العظيم:

ورد اسم الله (العظيم) في كتاب الله العظيم في تسعة مواضع؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشورى]،

أما في السُّنَّة: فقد ورد هذا الاسم الجليل (العظيم) في أحاديث عدة؛ منها ما ورد في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إلٰه إلا الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلا الله ربِّ العرش العظيم، لا إلٰه إلا الله ربِّ السماوات وربِّ الأرض وربِّ العرش الكريم**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[(٤)].

قال الطبري رحمه الله: «العظيم: ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه»[(٥)].

واسم الله العظيم: معناه المتضمن لعظمة الرب جل جلاله في ذاته وصفاته وأفعاله الصادرة منه[(٦)].

وقال السعدي رحمه الله: «العظيم الجامع فجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم»[(٧)].

---

(١) بدائع الفوائد (٢١٠) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٢٤، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات للسعدي، قسم العقيدة [مركز صالح بن الصالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٤٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٦٣)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٤٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) انظر: الصواعق لابن القيم (٤/ ١٣٧٥).

(٧) تفسير السعدي (٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].

ـ المسألة الثانية: معاني التعظيم الثابتة لله تعالى:

من معاني التعظيم الثابتة لله وحده:

١ ـ عظمة الذات؛ وذلك أن السماوات والأرض في كفِّ الرحمٰن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١].

٢ ـ عظمة الصفات: فهو سبحانه وتعالى موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة.

٣ ـ ومن معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. وتعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال، قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]. ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه[(١)].

ـ المسألة الثالثة: معنى الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»[(٢)]:

في هذا الحديث أن الله تعالى متصف بصفتي الكبرياء والعظمة، وهما مختصتان بالله تعالى، ولهذا لا يجوز لمخلوق أن يتعاطاهما.

ثم إن صفة العظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، ولهذا جعلها في الحديث بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الإزار، ومن المعلوم أن الرداء أشرف[(٣)].

الفروق:

ـ الفرق بين الكبرياء والعظمة:

الكبرياء أكمل من العظمة، وذلك أن الكبرياء تتضمن العظمة، فالكبرياء أكمل.

كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ

(١) انظر: الحق الواضح المبين (٢٢٤) للسعدي.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٩٦، ٢٥٣)، والفوائد لابن القيم (١٨٢) [دار الكتب العلمية]، وعون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي [دار الكتب العلمية].

أنه قال: «**يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما عذبته**» فجعل العظمة كالإزار والكبرياء كالرداء ومعلوم أن الرداء أشرف.

وعليه؛ فإن الكبرياء متعلق بالعظمة وغيرها؛ كالقوة والكرم، والغنى ونحوها، أما العظمة فتعني الكمال في كل شيء، ولذا صار الكبرياء أعلى وأشرف[(١)].

ـ الفرق بين الكبير والعظيم:

الكبير هو الذي كل شيء، دونه، لكمال وجوده، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين:

أحدهما: دوامه أزلًا وأبدًا، فكل وجود مقطوع سابقًا ولاحقًا فهو ناقص.

والثاني: أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود، فإن كان الذي تم وجوده في نفسه كاملًا وكبيرًا، فالذي حصل منه الوجود لجميع الموجودات أحق أن يكون كاملًا وكبيرًا.

ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول الله أكبر، فإن ذلك أكمل من قول الله أعظم.

وأما العظيم فقد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة، ولذلك جاز أن يوصف الله تعالى بأنه عظيم وإن لم يوصف بأنه كثير.

فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرح بلفظه وتضمن ذلك التعظيم، وفي قوله: سبحان الله؛ صرح فيها بالتنزيه من السوء المتضمن للتعظيم، فصار كل من الكلمتين متضمنًا معنى الكلمتين الأخريين إذا أفردتا، وعند الاقتران تعطي كل كلمة خاصيتها.

والعظيم في أسماء الله تعالى بمعنى عظيم الشأن والامتناع عن مساواة الصغير له بالتضعيف، وأصل الكلمة: القوة، ومنه سمي العظيم عظيمًا؛ لقوته[(٢)].

۞ الآثار[(٣)]:

من عرف عظمة الله عظّمه واتقاه وخشيه وما عصاه، قال التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله عَجَّلَ يعظَّم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف حق، عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله؛ إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت»[(٤)].

ويظهر له الذل والمسكنة والخضوع

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٣).

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٣٦١ ـ ٣٦٢، ٤٧٧ ـ ٤٧٨) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ]، مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٣).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى للنجدي (١/٢٨٤)، فقه الأسماء الحسنى للبدر (١٥٣).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١ ـ ١٤٢)، وانظر: النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى (١/٢٨٤).

على الدوام كحاله في الركوع، فهو ركن تعظيم وإجلال[(١)].

وتعظيم العبد لربه هو على قدر معرفته به وبصفات كماله، فأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته، وأقوالهم تدور على هذا، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]؛ أي: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته[(٢)].

وتعظيم الرب سبحانه واجب على العبد وهو درجات:

فمن تعظيمه: توحيده والإيمان بصفاته على ما تليق بجلاله وكماله وعدم التعرض لها بتعطيل أو تشبيه، وعدم الإشراك به، مع كثرة ذكره في كل وقت وحين.

ومن تعظيمه: تعظيم أحكامه وأوامره ونواهيه، وتعظيم شعائر الدين والرضا بها، وأن لا تعارض بترخص جاف ولا تشدد غال.

ومن تعظيمه: تصديق رسله والإيمان بهم وتعظيمهم، وتعظيم ما جاءوا به من الكتب المنزلة وتصديقها[(٣)].

مذهب المخالفين:

ذهب كثير من المخالفين إلى نفي الصفات ومنها صفة العظمة، ومن هؤلاء النفاة: الجهمية والمعتزلة، فإنهم أنكروا أن تكون العظمة صفة لله تعالى.

أما الجهمية فقد نفوا هذه الصفة بناء على أصلهم الفاسد في نفي الأسماء والصفات عن الله تعالى؛ إذ إن وصفه بأي صفة يتصف بها المخلوق في الأصل يلزم منه التشبيه[(٤)].

وأما المعتزلة فإنهم مع إثباتهم ـ فيما زعموا ـ أن لله اسمًا، وهو العظيم، إلا أنهم نفوا صفة العظمة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ بحجة أنها أعراض، وأن إثباتها محدثة محال، وإثباتها قديمة يقتضي مشاركتها لواجب الوجود في القدم، وهو أظهر خصائصه، فيقتضي ذلك تعدد القدماء[(٥)].

الرد عليهم:

والرد على المعتزلة والجهمية هنا يكون بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيٌّ من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته

(١) شفاء العليل (٢٢٨) [دار الفكر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م].
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].
(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٩٦ ـ ٥٠٠)، والنهج الأسمى (١/ ٢٨٥).
(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٨) [دار المعرفة، ط٢].
(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي (١٣١)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٥٧).

له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله سبحانه أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة وغيرها، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه الذي يزعمه هؤلاء النفاة؛ بل المتقرر شرعًا وعقلًا ما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

فأهل السُّنَّة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاعتقاد»، للبيهقي.

٢ ـ «جامع البيان»، لابن جرير الطبري.

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٤ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٧ ـ «الفوائد»، لابن القيِّم.

٨ ـ «شرح الكافية الشافية»، لهراس.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن أحمد الحمود.

العظيم

يراجع مصطلح (العظمة).

العَفْو

التعريف لغة:

هو التَّجاوُزُ عن الذنب وتَرْكُ العِقابِ عليه، وأَصلُه: المَحْوُ والطَّمْس، مأْخوذ من قولهم عفَت الرياحُ الآثارَ؛ إِذا دَرَسَتْها ومَحَتْها[1].

قال ابن فارس: «العين والفاء والحرف المعتلّ أصلان يدلُّ أحدهما على تركِ الشيء، والآخر على طَلَبِه. ثم يرجع إليه فروعٌ كثيرة لا تتفاوَتُ في المعنى». ثم بيَّن أن الطلب مرجعه إلى الترك أيضًا، فيكون رجوعه إلى أصل واحد وهو الترك، فقال: «والأصل الآخر الذي معناه الطَّلَب. قال الخليل: إنّ العُفاةَ طُلّاب المعروف، وهم المعتَفُون أيضًا. يقال: اعتفيتُ فلانًا، إذا طلبتَ معروفه وفَضْله. فإنْ كان المعروف هو العَفو فالأصلان يرجعان إلى معنىً، وهو الترك، وذلك أنّ العَفو

(١) لسان العرب (١٥/ ٧٢) [دار صادر، ط١]، والصحاح (٧/ ٢٨١) [دار العلم للملايين، ط٤].

هو الذي يُسمح به ولا يُحْتَجَن ولا يُمسَك عليه»[1].

وقال الخليل: «وكلُّ من استحقَّ عُقوبةً فتركْتَه فقد عفوتَ عنه. يقال عفا عنه يعفُو عَفْوًا»[2].

وهو أعم من تعلقه بالعقوبة؛ بل بمطلق الترك، فترك العقوبة على الذنب، وترك التكليف بالشيء، والتخفيف فيه... كله يسمى عفوًا[3].

التعريف شرعًا:

صفة ذاتية فعلية لله تعالى، نثبتها لله تعالى على وجه الكمال الذي يلازمه كمال القدرة؛ فهو العفو في ذاته سبحانه، ويعفو عمن يشاء بفضله وكرمه، وعفوه عن قدرة تامة لا يعتريها عجز، فلم يزل ﷻ عفوًّا عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به، وهي تدل على اسم الله العفوِّ[4].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، فعفو الله تعالى عن ذنوب عباده هو تجاوز عنها، ومحو لآثارها، وترك العقاب عليها، وهو في المعنيين ـ بالنسبة لله تعالى ـ على غاية الكمال الذي لا نقص فيه ولا عجز بوجه من الوجوه.

الحكم:

وجوب إثبات العفو صفة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الحقيقة:

عفو الله **نوعان**:

عفو عام عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم، بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها والمقتضية لقطع النعم عنهم؛ بل يمهلهم ولا يهملهم بعفوه وحلمه.

والثاني: عفو خاص وهو مغفرته الخاصة للتائبين والمستغفرين، والداعين والعابدين، والمصابين بالمصائب المحتسبين فيها[5].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٤٣﴾ [التوبة].

وقال تعالى ـ في دعاء المؤمنين ـ:

(١) مقاييس اللغة (٤/٥٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٢) المصدر السابق (٤/٥٦).
(٣) المصدر السابق (٤/٥٧).
(٤) تفسير الطبري (٨/٤٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٥) انظر: فتح الرحيم الملك العلام للسعدي (٤٢) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ].

﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى].

ومن السُّنَّة: ما جاء في دعاء النبي ﷺ في سجوده: «اللَّهُمَّ إني أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك»[(١)].

وعن عائشة قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[(٢)].

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يصلي على ميت، فسمعت من دعائه، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه**» الحديث[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إني لأذكر أول رجل قطعه رسول الله ﷺ، أُتي بسارق فأمر بقطعه فكأنما أُسِفَّ وجه رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه؟ قال: «**وما يمنعني، لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم إنه لا ينبغي للإمام إذا انتهي إليه حدٌّ إلا أن يقيمه، إن الله عفو يحب العفو** ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور]»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «إن الله لم يزل عفوًّا عن ذنوب عباده وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به»[(٥)].

وقال ابن القيِّم: «إن ربنا لغفور شكور، وثقت بعفوه هفوات المذنبين فوسعتها ووسع الخلائق عفوه ومغفرته ورزقه»[(٦)].

وقال السعدي: «العفو الغفور الغفار: الذي لم يزل بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو

(١) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٦٥٤)، وعنه ابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ١٩٣٣)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٨٣٢) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في أصل صفة الصلاة (٢/ ٧٣٧).
وهو عند مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦) بلفظ: «**وبمعافاتك من عقوبتك**».

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥١٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٠)، وأحمد (٤٢/ ٢٣٦)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٤٢) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

(٤) أخرجه أحمد (٧/ ٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب الطلاق، رقم ١٣٥١٩) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٠هـ]، والحاكم في المستدرك (كتاب الحدود، رقم ٨١٥٥) وصحَّحه، لكن أشار البوصيري في الإتحاف (٤/ ٢٦٥) [دار الوطن، ط١] إلى أن مداره على راوٍ ضعيف، وحسَّنه الألباني بشواهده. انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ١٨٢، رقم ١٦٣٨).

(٥) تفسير الطبري (٨/ ٤٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) عدة الصابرين (٢٤٢) [دار الكتب العلمية].

مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها»[(١)].

وقال محمد هراس: «وأما العفو: فهو الذي له العفو الشامل، الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، لا سيما إذا أتوا بما يجب العفو عنهم»[(٢)].

الأقسام:

عفو نوعان:

١ ـ عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم، بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذنونه بالسب والشرك وغيرها من أصناف المخالفات، وهو يعافيهم ويرزقهم ويُدِرُّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، ويبسط لهم الدنيا، ويعطيهم من نعيمها ومنافعها، ويمهلهم ولا يهملهم بعفوه وحلمه.

٢ ـ والنوع الثاني: عفوه الخاص ومغفرته الخاصة للتائبين والمستغفرين، والداعين والعابدين، والمصابين بالمصائب المحتسبين، فكلُّ من تاب إليه توبة نصوحًا وهي الخالصة لوجه الله، العامة الشاملة التي لا يصحبها التردد ولا إصرار، فإن الله يغفر له من أي ذنب كان، من كفر وفسوق وعصيان، وكلها داخلة في قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

وقد تواترت النصوص من الكتاب والسُّنَّة في قبول توبة الله من عباده من أي ذنب يكون.

وكذلك الاستغفار المجرد يحصل به من مغفرة الذنوب والسيئات بحسبه.

وكذلك فعل الحسنات والأعمال الصالحة تكفر بها الخطايا، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤][(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفة العفو لله تعالى:

يدل اسم الله (العَفُوّ) على صفة العَفْوِ لله تعالى، وهي صفة فعلية حقيقية لله تعالى، فهو سبحانه يعفو عمن يشاء من عباده متى شاء، والأدلة من القرآن والسُّنَّة كثيرة. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء].

ومن السُّنَّة: ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من

(١) تيسير الكريم الرحمٰن (٥/ ٦٢٣) [الرئاسة العامة للإفتاء، ١٤١٠هـ].

(٢) شرح نونية ابن القيم (٢/ ٤٧٠) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: فتح الرحيم الملك العلام للسعدي (٤٢).

الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللَّهُمَّ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك**»[(١)].

وفي رواية: «**وبعفوك من عقوبتك**»[(٢)].

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يصلي على ميت، فسمعت من دعائه، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه...**» الحديث[(٣)].

ـ المسألة الثانية: أن حبّ الله للعفو واتصافه بالعفو لا يعني أن تُترك المنكرات من الشرك والمعاصي فلا تُنكر؛ بل تُنكر؛ لأنها مما يبغضه الله تعالى:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فهو سبحانه إذا كان يحب العفو لم يوجب هذا ألا يكون في بعض أنواع العفو من المعارض الراجح ما يعارض ما فيه من محبة العفو، ولولا ذلك لكان ينبغي أن يعفو عن كل محرم فلا يعاقب مشركًا ولا فاجرًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، كذلك إذا تعارض المأمور والمحظور، فقد تعارض حبيبه وبغيضه، فيقدم أعظمهما في ذلك... وعلى هذا استقرت الشريعة بترجيح خير الخيرين ودفع شر الشرين وترجيح الراجح من الخير والشر المجتمعين»[(٤)].

۞ الفروق:

الفرق بين العفو والمغفرة:

ذكر بعض أهل العلم أن العفو متضمن لإسقاط حق الله قبلهم، ومسامحتهم به، والمغفرة متضمنة لوقايتهم شر ذنوبهم وإقباله عليهم، ورضاه عنهم، فالعفو ترك محض، والمغفرة إحسان وفضل وجود، والرحمة متضمنة للأمرين مع زيادة الإحسان والعطف والبر[(٥)].

۞ الآثار:

١ ـ حمد الله تعالى بعفوه، وعظيم حلمه؛ فهو أهل العفو والمغفرة، على كثرة خطايا عباده ومعاصيهم.

٢ ـ التعبد لله تعالى برجاء عفوه، والحذر من اليأس من رحمته، فمهما عظم الذنب وكثر، فعفوه سبحانه وتعالى أعظم، ورحمته أوسع، فيسارع العبد في أسباب عفوه ورحمته سبحانه.

٣ ـ صفة العفو محبوبة لله جل وعلا كما تقدم في الحديث، والمؤمن يحب ما يحبه ربه، ولذلك فالعفو وصف يجب أن يتخلق به كل مؤمن.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

(٤) الاستقامة (١/٤٣٨) [جامعة الإمام، ط١].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٤٠)، وراجع: المقصد الأسنى (١٤٠) [دار الجفان والجابي، ١٤٠٧هـ].

٤ ـ رفع أو تخفيف العقوبة التي يستحقها الناس بعفو الله تعالى وحلمه، ولو يؤاخذون بما كسبوا لهلكوا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

٥ ـ شرع الله المحكم اليسير، الذي رفع فيه الحرج، ودفعت به المشقة، فما ترك التكليف به فهو عفو من الله تعالى.

٦ ـ أمر الله تعالى بالعفو والإحسان إلى الخلق، فهو عفوّ يحب العفو، كما قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ [النور].

مذهب المخالفين:

خالف الجهمية في إثبات هذه الصفة بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه[1].

وخالف المعتزلة في إثبات العفو وصفًا قائمًا بالله تعالى؛ بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء[2]، فيثبتون العفو باعتبار أثره، وهو المعنى المتعلق بالمعفو عنهم.

وخالف الأشاعرة في هذه الصفة؛ بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، فأولوها بصفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العفو والصفح ونحو ذلك، فتكون هذه الصفة عندهم متعلقة بوصف قديم لا يتجدد، وهو الإرادة[3]، فمن عفا الله تعالى عنه فهو عاف عنه قبل جريرته؛ بل قبل أن يكون.

والرد عليهم:

الرد يكون بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيٌّ من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة وغيرها، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه الذي يزعمه

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١)، الملل والنحل للشهرستاني (١/٩٨).

(٢) شرح الأصول الخمسة (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط٣].

(٣) انظر: الإرشاد للجويني (١٠٢) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٥هـ]، والمواقف للإيجي (٢٩١) [مكتبة المتنبي].

هؤلاء النفاة؛ بل المتقرر شرعًا وعقلًا ما أخبر به ﷻ عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

فأهل السُّنَّة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل.

وكذلك؛ فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلًّا لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئًا من المخلوقات يحل في ذاته.

فنثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بثبوت الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوازم الباطلة.

بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عمن يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد.

فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود البتة، ولا أنه رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيِّم» (ج٢)، لابن عيسى.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٥ ـ «عدة الصابرين»، لابن القيِّم.

٦ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

٧ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

العَفُوّ

يراجع مصطلح (العَفْو).

(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٢/٥٧) [دار العطاء، ط١].

العقل

التعريف لغة:

العقل في اللغة: مصدر عقل يعقل عقلًا، ومعناه يدور على: الحبس، والمنع، والإمساك، والضبط، والحفظ.

ومن المعاني التي يتناولها العقل أيضًا: القلب، والتَّثَبُّت في الأمور، ويطلق على التمييز الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان، كما يطلق على الدية[١].

التعريف اصطلاحًا:

العقل عند أهل النظر هو: مجموعة من المعاني الضرورية المجتمعة في الذهن، تتألف من خلالها القضايا والأقيسة، للخروج بالمعقولات النظرية[٢].

سبب التسمية:

سمي العقل عقلًا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك؛ أي: يحبسه، عنها، ويضبطه ويمنعه عن ذميم القول والفعل[٣].

الأسماء الأخرى:

من الألفاظ المرادفة للعقل: اللب، والحِجر، والنُّهى، والحِلم، والحِجَا[٤].

الحكم:

تقديم النقل الصحيح على العقل الفاسد المعارض له واجب؛ بل هو أصل من أصول الإسلام والإيمان.

فإن الإسلام معناه الاستسلام التام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله[٥]، ومقتضى ذلك ألا يقدم شيئًا على أمر الله ورسوله ﷺ، كائنًا ما كان.

كما أن الإيمان الحق يستلزم التسليم المطلق لأمر الله ورسوله ﷺ، كما وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور]، فلا يعارض أمر الله ورسوله ﷺ برأي ولا هوى، كما قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

---

(١) انظر: لسان العرب (١١/٤٥٨ ـ ٤٦٠) [دار صادر، ط١]، وتاج العروس (٤/٣٥) [دار الهداية]، ومتن اللغة لأحمد رضا (١١٦).

(٢) انظر: أصول السرخسي (١/٣٤٧) [دار المعرفة]، وإحياء علوم الدين للغزالي (١/٨٥) [دار المعرفة]، المنخول له (٤٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤٠٠هـ]، والكليات للكفوي (٦٧، ٦١٨ ـ ٦١٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/٨٦) [دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م].

(٣) انظر: لسان العرب (١١/٤٥٨).

(٤) انظر: لسان العرب (٢/٢٢٥) (٥/٢٤٢) (١٥/٣٥ ـ ٣٦)، وتاج العروس (١/٤٦٥)، وتهذيب صحاح الجوهري (١/٢٦٨ ـ ٢٦٩) (٢/٩٤٩) (٣/١٠٨٢) [دار المعارف]، ومقدمة بغية المرتاد لموسى الدويش (٨٥).

(٥) متن الأصول الثلاثة، انظر: شرح الأصول الثلاثة للعثيمين (٦٨) [دار الإيمان، ٢٠٠١م].

﴿يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

فجعل التحاكم إلى أمر الله ورسوله ﷺ والاستسلام التام له ـ دون العقل المعارض والهوى ـ من مقتضيات الإيمان[(١)].

الحقيقة:

لقد تنوعت عبارة السلف وغيرهم في بيان حقيقة العقل، وغالب هذا التنوع في عبارات السلف يرجع إلى الجهة التي نظر إليها ذلك الواصف.

فمن السلف من نظر إلى العقل باعتبار أصله في الإنسان، وطريق حصوله، فقال: إن العقل غريزة، نُقِل ذلك عن الإمام أحمد وابن المبارك[(٢)]، وكأنهم أرادوا بذلك التقرير بأن العقل خَلقُ الله ابتداءً، وليس باكتساب للعبد، كما زعمه بعض الفلاسفة[(٣)].

ومنهم من عبر عن العقل بالنظر إلى عمله ووظيفته، فقال: العقل آلة التمييز، نُقِل ذلك عن الإمام الشافعي وغيره[(٤)].

والواقع أن بيان معنى العقل في الاصطلاح يختلف باختلاف موارد إطلاقه، فحقيقة العقل تتحقق على أربعة معانٍ، **وهي:**

١ ـ الغريزة التي بها يعقل الإنسان.

٢ ـ العلوم الضرورية والمعارف الفطرية؛ كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء، وأن الضدين لا يجتمعان.

وهذان العقلان يشترك فيهما جميع العقلاء على حدٍّ سواء، ويُفَرَّقُ بهما بين المجنون الذي رفع عنه القلم وبين العاقل الذي جرى عليه القلم.

وهذا القدر من العقل هو مناط التكليف، ولا يتعلق به لذاته مدحٌ ولا ذم، ولِذا فقد يوصف به الكفار.

٣ ـ العلوم المكتسبة، والمعارف النظرية، وهي التي تدعو الإنسان إلى

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٥٤٩) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ]، ودرء التعارض (١/١٨٨ ـ ١٨٩).

(٢) انظر: روضة العقلاء للبستي (١٧) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ]، وتفسير القرطبي (١/٣٧٠)، وذم الهوى لابن الجوزي (٥) [دار السعادة، ط١، ١٣٨٠هـ]، والمسودة لآل تيمية (٤٩٧) [دار المدني]، ومجموع الفتاوى (٩/٢٨٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والصفدية (٢/٣٣١) [دار الفضيلة، ١٤٢١هـ]، ودرء تعارض (٦/٥٠)، وبغية المرتاد (٢٥٧)، وشرح مختصر الخرقي للزركشي (٣/٣٦٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (١/٨٦).

(٤) انظر: بغية المرتاد (٢٦٤)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/٦٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، والتحبير شرح التحرير (١/٢٥٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ]، وممن قال بهذا القول أيضًا: السمعاني، كما في الانتصار لأصحاب الحديث (٨٠) [مكتبة أضواء المنار، ط١، ١٤١٧هـ]، وقواطع الأدلة في أصول الفقه (٢/٤٧) [دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ]، والسجزي، كما في الرد على من أنكر الحرف والصوت (٨٥) [دار الراية، ط١، ١٤١٤هـ].

فعل ما ينفعه وترك ما يضره.

ويدخل في ذلك فهم ما في القرآن من الآيات والعبر.

وفاقد هذا القدر من العقل يسمى جاهلًا، أو غبيًّا وأحمق، ولا يسقط أصل التكليف بسقوطه، بخلاف سابقه.

٤ ـ العمل بالعلم، فهو يدخل في مسمى العقل؛ بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح.

والعقل بهذا الإطلاق هو عقل التأييد، الذي يكون مع الإيمان، وهو عقل الأنبياء والصدِّيقين.

وهذان العقلان (الثالث والرابع) هما مناط المدح والذم، فمن فقدهما ذُمَّ، وهما بمجموعهما المرادان فيما جاء في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل؛ كقوله تعالى عن الكافرين: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٧١﴾ [البقرة][1].

المنزلة:

لقد أكرم دين الإسلام العقل، وأعطاه مكانته اللائقة به، فمن مظاهر تكريم الإسلام للعقل وتوسطه فيه:

١ ـ ما ورد في كتاب الله من الثناء على أرباب العقول والألباب، وتخصيصهم بالخطاب، وقصر الانتفاع بالذكر والموعظة عليهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٦٩﴾ [البقرة].

٢ ـ أن الإسلام قد جعل التكليفَ منوطًا بوجود العقل، فالعقل شرط للتكليف، والخطاب الشرعي لا يتعلق إلا بالعاقل[2]، قال ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الطفل حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يبرأ، أو يعقل**»[3].

٣ ـ أن الله قد ذم الذين عطَّلوا عقولهم عن غاياتها، واكتفوا بالتقليد الأعمى لمُعَظِّميهم، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٨٥ ـ ٨٦) [دار المعرفة]، والأذكياء لابن الجوزي (١٠ ـ ١١) [مكتبة الغزالي]، وبغية المرتاد (٢٤٩ ـ ٢٦٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) (١٦/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) (١٨/ ٣٣٨)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١١٧) [دار الكتب العلمية]، تفسير القران الكريم (سورة الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين (٢/ ٤٢٠) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ]، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٢٧ ـ ٣١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٣/ ٢٧) [دار المعرفة].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٠٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٢٣) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٠٠٣)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٩٤٩) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥١٢).

شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة].

٤ ـ أن الإسلام قد حرَّم الاعتداء على العقل بما يفسده ويذهبه، أو ينقص منه، وذلك بتحريمه للمسكرات والمفتِّرات، كما في الحديث: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**»(١).

إلى غير ذلك من مظاهر تكريم الإسلام للعقل، وما أناطه به من تفكر في الآيات الكونية والشرعية، وتفهم لمعاني النصوص وأوجه دلالاتها وفوائدها، وتدبرٍ في دقائق ملكوت السماوات والأرض، فهذه الوظائف ونحوها هي المرادة بالنصوص الدالة على تكريم العقل والإشادة به، وهي من الأمور التي يدركها العقل؛ إذ هي من عالم الشهادة بالنسبة له، أو مما له فيها مجال من تفهم لمعاني عالم الغيب، وليس المراد بتلك النصوص المكرمة للعقل أن يستخدم هذا العقل في الخوض في حقائق ما حجب عنه من عالم الغيب مما لا يقع تحت حواسِّه، وبمعارضة النصوص الإلٰهية والنبوية المبينة لأحكام وأخبار ذلك العالم؛ بل إن ذلك انتكاسة به عما أريد به، ومناقضة للغاية التي خلق العقل من أجلها.

أقوال أهل العلم:

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك إذا قيل: ما حدّ العقل؟ فلا تطمع في أن تحدّه بحد واحد، فإنه هوس؛ لأن اسم العقل مشترك يطلق على عدة معان؛ إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية، ويطلق على الغريزة التي يتهيّأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية، ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة حتى إنَّ من لم تحنّكه التجارب بهذا الاعتبار لا يسمَّى عاقلًا، ويطلق على من له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه، وهو عبارة عن الهدوء، فيقال: فلان عاقل؛ أي: فيه هدوء، وقد يطلق على من جمع العمل إلى العلم حتى إنَّ المفسد ـ وإن كان في غاية من الكياسة ـ يمنع عن تسميته عاقلًا... فإذا اختلفت الاصطلاحات فيجب بالضرورة أن تختلف الحدود»(٢).

وقال السمعاني رَحِمَهُ اللهُ ناقلًا عن «بعض علماء السُّنَّة: العقل نوعان: عقل أعين بالتوفيق، وعقل كيد بالخذلان.

ـ فالعقل الذي أعين بالتوفيق يدعو صاحبه إلى موافقة أمر الآمر المفترض الطاعة والانقياد لحكمه، والتسليم لما جاء عنه، وترك الالتفات إلى ما خالف أمره، أو وافق نهيه.

ـ والعقل الذي كيد يطلب بتعمقه الوصول إلى علم ما استأثر الله بعلمه،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٠٣).

(٢) المستصفى من علم الأصول (١/٢٣) [دار إحياء التراث العربي].

وحجب أسرار الخلق عن فهمه، حكمة منه بالغة ليعرفوا عجزهم عن درك غيبه، ويسلموا لأمره طائعين»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها في الفطرة: الإقرار بالخالق»[(٢)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العقل عقلان: عقل غريزة، وهو أب العلم ومربيه ومثمره، وعقل مكتسب مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب، وإذا فقد أحدهما، فالحيوان البهيم أحسن حالًا منه»[(٣)].

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله تعالى خلق العقول، وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حدًّا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلٰهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه، أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها، ركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدم، ولم تركن على أمر تطمئن إليه، فإن معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة، فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة، وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: موافقة النقل الصحيح الصريح للعقل الصحيح، ونفي التعارض بينهما:

ومعنى ذلك: أن أهل السُّنَّة ينفون إمكان التعارض بين ظاهر دلالات الكتاب والسُّنَّة الصحيحة مع ما تقتضيه العقول المستقيمة الباقية على فطرتها، والسالمة من الشبهات الفاسدة، والشوائب الفلسفية والكلامية الباطلة.

وأما العقول الفاسدة، فإن نفت شيئًا مما دلَّ عليه ظاهر الكتاب وصحيح السُّنَّة، فإن اللازم حتمًا تقديم ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة[(٥)].

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/٣١٥).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٣٣٦).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/١١٧) [دار الكتب العلمية].
(٤) لوامع الأنوار البهية (١/١٠٥).
(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٧٠) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومنهج السلف =

ومما يدل على هذا الأصل **ما يلي**:

١ ـ أن القرآن قد دلَّ على رد الناس إلى الكتاب والسُّنَّة عند التنازع، لا إلى العقول، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

وهذا موجب لتقديم السمع على العقل الفاسد عند وقوع التعارض[(١)].

٢ ـ إجماع الصحابة وسلف الأمة على تقديم الشرع على العقل والهوى.

فلم يعارض أحد منهم ما جاء في الكتاب والسُّنَّة برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وَجْده، فضلًا عن أن يقول أحد منهم: يجب تقديم العقل؛ بل أقروا به، وسلموا له[(٢)].

٣ ـ أن العقل يصدق الشرع في كل ما أخبر به، في حين أن الشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، فوجب على ذلك تقديم الشرع على العقل ـ على التنزل بوقوع التعارض؛ لأن العقل دلَّ على أن الرسول ﷺ يجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والعقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة، ولا عكس[(٣)].

٤ ـ أن العقل قد دلَّ على صحة النقل وسلامته، فلو أبطلنا النقل بتقديم العقل عليه لكنا قد أبطلنا دلالة العقل الذي دلَّ على سلامة النقل، وإذا بطلت دلالة العقل لزم ألا يكون العقل دليلًا صحيحًا، وإذا لم يكن دليلًا صحيحًا لم يجز أن نتبعه بحال، فضلًا عن أن نتَّبعه إذا عارض النقل، فبطل تقديم العقل على النقل[(٤)].

٥ ـ أن تقديم العقل والهوى على الشرع سُنَّة إبليس، حيث أعرض عن أمر الله بالسجود لآدم بقياس عقلي فاسد، فكان أول من قاس برأيه، فجمع بين الظلم والكبر والعصيان[(٥)].

٦ ـ أن تقديم العقل على النقل يلزم منه أن كل من اشتبه عليه شيء مما جاء في الشرع، ووجد في عقله معارضًا له، أن يترك الشرع الحكيم، ويقدم رأيه وما

= والمتكلمين في موافقة العقل للنقل لجابر إدريس (١/١٧٦) [دار أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(١) الأم للشافعي (٢/٢٢٨) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٢٨ ـ ٢٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والاعتصام (٢/٣٣١ ـ ٣٣٢) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ]، وانظر: (٢/٣٣٦).

(٣) انظر: درء التعارض (١/١٣٨، ١٤١).

(٤) انظر: درء التعارض (١/١٧٠ ـ ١٧١)، والصواعق المرسلة (٣/٨٠٧) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، والمنهج السلفي لمفرح القوسي (٣٨٥) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) انظر: التنبيه والرد للملطي (٨١) [المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٨هـ]، والصواعق المرسلة (٣/٩٩٨)، وإعلام الموقعين (١/٢٥٤ ـ ٢٥٦) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١١هـ]، والمنهج السلفي (٣٨٦).

أملاه عليه عقله، وفي هذا من القدح في الدين ما لا يعلمه إلا الله، وهو يفضي بصاحبه إلى أن يكون من﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩][(١)].

٧ ـ أن إحالة الناس إلى العقول تؤدي بهم إلى الاضطراب والاختلاف والتناقض، فإن عقول الناس مختلفة، ومداركهم متفاوتة، وأهواؤهم متباينة، فلا بد أن يقع الاختلاف بينهم قطعًا، فإحالتهم إلى العقول توجب أن يحال الناس على شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته ولا اتفاق للناس عليه.

وأما إحالتهم إلى الشرع فإنها تؤدي إلى الاتفاق والائتلاف والاجتماع، ذلك أن الشرع هو في نفسه قول الصادق، وهذه صفة لازمة له، لا تختلف باختلاف أحوال الناس وعقولهم، ولهذا أمر الله بالرد إلى الشرع عند التنازع، وهذا موجب لتقديم النقل على العقل[(٢)].

ـ المسألة الثانية: القرآن والسُّنَّة قد جاء فيهما ذكر الأدلة العقلية السليمة:

فإن النصوص القرآنية والنبوية قد جاء فيها بيان الأدلة السمعية الخبرية المبنية على صدق المخبر، كما جاء فيها أيضًا بيان البراهين والحجج العقلية الصحيحة التي يهتدي بها الناس، سواء في الاعتقاديات؛ كإثبات الله وتوحيده وصدق رسله وإثبات المعاد وغيره، أو في العمليات، ومن ذلك الأمثال المضروبة في القرآن، وكذا الأدلة العقلية المضروبة على إثبات التوحيد والبعث والجزاء وعلى إبطال الشرك وصدق الرسل ونحو ذلك[(٣)]؛ بل إن تلك الأدلة والبراهين العقلية الصحيحة من الميزان الذي أنزله الله تعالى، والذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، حيث فُسِّر الميزان بأنه «الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة، المخالفة للآراء السقيمة»[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: الشريعة قد تأتي بمحارات العقول، ولكنها لا تأتي بمحالاتها:

أي: أن الشريعة قد تأتي بما تتحير

(١) انظر: درء التعارض (١/ ١٥٥، ١٧٨) (٥/ ٢٥٦، ٢٥٨)، والصواعق المرسلة (٣/ ٨٧٠، ٩٠٠، ١٠٦٧، ١١٢٢).

(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٢٧) [دار ابن الأثير، ط٢، ١٤١٦هـ]، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧) (٩/ ٣٣٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢/ ٤٦ ـ ٤٧) (٦/ ٢٩٢) (٩/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) (١٢/ ٨٢) (١٧/ ٤٤٤) (١٩/ ١٥٩ ـ ١٦٢، ١٧٦)، ودرء التعارض (١/ ٢٨، ١٩٨ ـ ١٩٩) (٩/ ٣٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٨٥، ١١٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وانظر: منهاج السُّنَّة (٢/ ١١٠) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧، ٣٣١) (٦/ ٧١ ـ ٧٢) (٩/ ٢٢٧) (١٤/ ٦٢).

عقول بعض الناس فيه، وتعجز عن معرفته وتصوره، أو تعجز عن إدراك تفصيله، وإن كانت تعلمه مجملًا، ولكنها ـ أي: الشريعة ـ لا تأتي بما يقطع العقل باستحالته وبطلانه؛ كالجمع بين الضدين ونحوه، وكلُّ ما يرد على العقل من توهُّم معارضةٍ لبعض النصوص إنما هي أوهامٌ فاسدة، مختصة بعقل معين، القدح يتوجه إليها لا إلى النص، وعلى هذا فإن ما جاء به المتكلمون وأهل البدع من عقليات عارضوا بها النصوص، ليست هي من أصول دين المرسلين، إنما هي من أصول دينهم هم، وبطلانها معلوم شرعًا وعقلًا[(١)].

ـ المسألة الرابعة: مكان العقل:

اختلف العلماء وأهل الكلام في مكان العقل من جسد الإنسان:

فقيل: إنه في الدماغ؛ أي: في الرأس.

والقول الثاني: أنه في القلب الذي في تجويف الصدر، واحتجوا بمثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦]. وقيل لابن عباس: بماذا نلت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول. لكن لفظ: (القلب) قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها علقة سوداء، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد**»[(٢)]. وقد يراد بالقلب: باطن الإنسان مطلقًا، فإن قلب الشيء باطنه وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضًا، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ، كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ.

والتحقيق: أن الروح التي هي النفس

(١) انظر: درء التعارض (١/ ١٤٧) (٣/ ٢٩٦) (٥/ ٢٩٧) (٧/ ٣٢٧)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٣١٢) (٣/ ٣٣٩) (٥/ ٢٨ ـ ٣٠) (١١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) (١٦/ ٢٥١ ـ ٢٥٢، ٤٤٢ ـ ٤٤٣، ٤٦٩) (١٧/ ٤٤) (٣٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، والجواب الصحيح (٤/ ٣٠٩، ٣٩١ ـ ٤٠٣ [مطبعة المدني]، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٣٣) [مطبعة الحكومة، ط١]، والصواعق المرسلة (٣/ ٨٣٠)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٠٨ ـ ٣١٠)، وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى (٢/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٢)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٩).

لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب، والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريدًا إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصورًا فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ، وإليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح»[1].

مذهب المخالفين:

موقف المخالفين من العقل يتبين من ناحيتين:

الناحية الأولى: في تعريف العقل وبيان ماهيته.

ففي هذا الجانب كانت الفلاسفة أبرز من ضل وابتدع فيه، ذلك أنهم جعلوا العقل جوهرًا قائمًا بنفسه، لا مجرد عرض كما هو الصحيح، ثم اضطربوا في تعيينه:

١ ـ فمنهم من أطلق اسم (العقل) أو (العقل الفعَّال) أو (العاقل) و(المعقول) على الله تعالى، فعند هؤلاء أن الله عقل محض مفارق للمادة، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

٢ ـ ومنهم من زعم أن هناك عقلًا مدبرًا للعالم، محركًا للأجرام السماوية، وادَّعى أنه قديم.

٣ ـ ومنهم من يطلق مصطلح العقل على بعض الملائكة[2].

ولهم في ذلك أقوال أخر، وتفصيلات كُثُر.

وأما المتكلمون فمنهم من وافق الفلاسفة على كون العقل جوهرًا[3]، وعامة المتكلمين عرَّفوا العقل بمجموعة من العلوم الضرورية[4].

ودخول العلوم الضرورية في مفهوم العقل لا إشكال فيه، إلا أنه تعريف قاصر، فالعقل أشمل من ذلك، إذ يدخل فيه العمل بالعلم كما تقدم[5].

الناحية الثانية: في الموقف من العقل

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/٣٠٣ ـ ٣٠٤)، وانظر: مفتاح دار السعادة (١/١٩٤ ـ ١٩٥).

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/١٨٤) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ]، وتفسير القرطبي (١/٣٧٠)، بغية المرتاد (٢٥١، ٢٥٥)، ومقدمته لموسى الدويش (٩٧ ـ ٩٩)، والصفدية (١/٢٠٠)، والكليات للكفوي (٦١٨) [مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ]، وأرسطو المعلم الأول لماجد فخري (٧٣ ـ ٧٤) [المطبعة الكاثوليكية، بيروت].

(٣) انظر: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (١/٧٧)، وذم الهوى لابن الجوزي (٥)، والتعريفات للجرجاني (١٥٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد لعبد الجبار المعتزلي (١١/٣٧١)، والإرشاد للجويني (٣٦)، والمواقف للإيجي (١٤٦) [مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٢هـ]، وانظر كذلك: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل لجابر إدريس (١/٧٧) [دار أضواء السلف، ط١].

(٥) انظر: بغية المرتاد لابن تيمية (٢٧١).

ـ أي: العقل الإنساني ـ ومدى اعتماده والاحتجاج به.

فقد كان أهل الضلال في ذلك على **اتجاهين:**

الاتجاه الأول: اتجاه الغلوّ والإفراط:

لقد ذهبت كثير من الفرق الضالة إلى اعتماد الدليل العقلي والاحتجاج به، وفرض المعارضة بينه وبين الدليل النقلي، ثم قدموا ما دلَّ عليه العقل ـ بل ما دلَّت عليه عقولهم المختصة ـ على الدليل النقلي.

فهؤلاء قد جعلوا العقل حجة قاطعة، لا يقوى على معارضته شيء من السمع ونحوه، وقد كانوا في ذلك تابعين لأسلافهم من الفلاسفة والصابئين.

وأول من قدم العقل على النقل من الطوائف المنتسبة للإسلام: فرقة الجهمية، وذلك في القرن الثاني من الهجرة، ثم تبعتها سائر فرق المبتدعة؛ كالمعتزلة[(١)]، والأشاعرة[(٢)]، والماتريدية[(٣)]، وغيرهم ممن غلا في شأن العقل، واعتمد الطرق الفلسفية والقواعد الكلامية منهجًا له ومصدرًا في تقرير العقيدة ابتداءً، وجعل تلك الطرق حاكمة على الشرع، معارضة له، ومقدَّمة عليه، فالنقل عنده تابع لا متبوع، فما وافق العقل قبله، وما خالفه تركه.

ولقد انبنى على هذا المبدأ عامة الضلالات والبدع التي ذهب إليها المتكلمون، فهم قد اتفقوا على تقديم عقولهم الفاسدة المضطربة على النص الشرعي، وقرروا ذلك تأصيلًا وتطبيقًا:

أما التأصيل: فقد أصَّلوا إمكانية وقوع التعارض بين العقل والنقل، وقرروا تقديم العقل على النقل عند وقوع ذلك التعارض، والنقل إما أن يؤوَّل تبرعًا، أو يفوَّض، ولا يقال بظاهره أبدًا؛ لمعارضته للعقل ـ زعموا ـ، وهذا التأصيل يكادون يتفقون عليه في الجملة.

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٨٨) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٢) قانون التأويل للغزالي (١٠) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠٠٦م]، والمستصفى له (٢/١٣٧ ـ ١٣٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، ومن كتب الرازي: أساس التقديس (١٩٣ ـ ١٩٤) [دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ]، والمطالب العالية (١/٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ]، ولباب الأربعين (٣٦)، والمحصل (١٤٢)، والتفسير الكبير (٧/١٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٣) انظر: شرح المواقف للجرجاني الماتريدي (٢/٥٦، ٥٧) (٨/٢٤، ١١٠) [دار الجيل، ط١، ١٤١٧هـ]، وشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٢/١٠٥)، وانظر كذلك: درء التعارض (٥/٢٤٤ ـ ٢٤٥)، والصواعق المرسلة (٣/١٠٦٩ ـ ١٠٧١).

وقد تصدى لهؤلاء المبتدعة جمعٌ من أئمة السُّنَّة، حيث رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية كَلَّلهُ في كتابه النفيس: درء تعارض العقل والنقل، ويسمى أيضًا بـ: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، وذكر في الرد: أربعة وأربعين وجهًا، انتظمت في عشرة مجلدات مطبوعة، كما رد عليهم الإمام ابن القيم كَلَّلهُ في كتابه: الصواعق المرسلة، فذكر في الرد واحدًا وأربعين ومئتي وجهٍ (الصواعق المرسلة: ٣/٧٩٦ إلى نهاية المجلد الرابع).

وأما التطبيق: فإنهم عندما تكلموا على مفصَّل أبواب الاعتقاد (وهو ما يسمونه: علم الكلام)؛ كالكلام في أسماء الله الحسنى، وصفاته العُلا، أو في باب الإيمان، أو القدر، أو النبوات، وغيرها من أبواب العقيدة، فإننا نراهم يطرحون نصوص الشرع جانبًا بأدنى معارض عقلي، ويأتون بأدلة يزعمونها عقلية، وهي في الحقيقة شبهٌ كلامية مستقاة من أصول فلسفية، فيجعلونها حكمًا على الوحي، ويلوون أعناق النصوص طلبًا لسلامة تلك القواعد الفلسفية[١].

ويلتحق بأصحاب هذا الطرف الغالي في العقل سائر من غلا في العقل؛ كأصحاب الاتجاه العقلاني المعاصر، والذين ردُّوا كثيرًا من نصوص العقائد والشرائع أيضًا بناء على ما تمليه عقولهم الفاسدة، وأهواؤهم المنحرفة.

الاتجاه الثاني: اتجاه التقصير والتفريط:

وهم الذين ألغوا العقول وعطلوها عما خلقت له من التفكر والتدبر والنظر السليم.

فيدخل في هذا الطرف أهل التفويض والتجهيل من المتكلمين من هذه الناحية، وهم الذين عطَّلوا عقولهم عن معرفة معاني ما خاطبنا الله به من أسمائه وصفاته.

كما يدخل فيهم غلاة الصوفية ممن ألغوا العقول، وآمنوا بما ينافي العقل والنقل؛ كاستحسانهم الجهل بمعاني النصوص وعدم فهمها؛ بل ومدح بعضهم للسُّكر وغياب العقل بالكليَّة[٢]، فاستهوتهم الشياطين، فتركوا البين من الأدلة، واعتمدوا على الكشف والذوق والوجد ونحوها[٣].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود العريفي.

٢ ـ «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر محمد عطا صوفي.

٣ ـ «الاعتصام»، للشاطبي.

٤ ـ «بغية المرتاد»، لابن تيمية، مع مقدمته لموسى الدويش.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٦ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٧ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيِّم.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٢٩).

(٢) انظر طرفًا من ذلك في: الفتوحات المكية لابن عربي الصوفي (١/٨٩) [دار صادر].

(٣) انظر: مذهب أهل التفويض لأحمد القاضي (٤٥٦ ـ ٤٦٢).

٨ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
٩ ـ «منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل»، لجابر إدريس أمير.
١٠ ـ «الموافقات»، للشاطبي.

العقيدة

التعريف لغة:

العقيدة في اللغة: مشتقة من العَقْد وهو نقيض الحَلِّ، يقال: عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْدًا؛ إذا ربطه بقوة، ومنه الإحكام والإبرام والتوثيق، ومنه عقد اليمين.

قال ابن منظور: «العَقْد نقيض الحَلِّ. عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْدًا وتَعْقادًا وعَقَّده، وعَقَدَ قَلْبه على الشيء: لَزِمَه»[(١)]. وقال ابن فارس: «العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدٍّ وشدَّة وثوق، إليه ترجع فروع الباب كلها»[(٢)]. وقال الفيومي: «اعْتَقَدْتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العَقِيدَةُ ما يدين الإنسان به، وله عَقِيدَةٌ حسنة سالمة من الشكّ»[(٣)].

التعريف شرعًا:

تطلق العقيدة في الاصطلاح الخاص الإسلامي ويراد بها: الإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسُّنَّة الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب، وأخباره[(٤)].

ومن أقوال العلماء في تعريف العقيدة **ما يلي:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء»[(٥)].

ـ وقال الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلٰهية[(٦)]، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به»[(٧)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كانت العقيدة في اللغة مشتقة من العَقْد والإحكام، أُطلق هذا اللفظ في الشرع على ما يعقده الإنسان بقلبه جازمًا به، من غير أن يتطرق إليه في ذلك شك أو تردد.

(١) لسان العرب (٣/٢٩٦ ـ ٢٩٨).
(٢) مقاييس اللغة (٤/٨٦).
(٣) المصباح المنير (٢/٥٧٥)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٥٧٦) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ].
(٤) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية لابن جبرين (١) [دار العصيمي، ط٢].
(٥) مجموع الفتاوى (٤/٧٤).
(٦) المقصود بالمطالب الإلٰهية: الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته وغير ذلك مما يجب الإيمان به.
(٧) العقيدة الإسلامية وتاريخها ضمن رسائل الجامي في العقيدة والسُّنَّة (١٣) [دار ابن رجب، طبعة عام: ١٤١٤هـ].

۞ الأسماء الأخرى:

التوحيد، الإيمان، أصول الدين، السُّنَّة، الشريعة، الفقه الأكبر[(١)].

۞ الحكم:

يجب أن يتدين كل عبد بعقيدة الإسلام القائمة على الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الإيمان. فالعقيدة الإسلامية هي دينُ الله الحقّ الذي رضيَه دينًا لعبادِه أجمعين ولن يقبل من عباده دينًا سواه. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

۞ الحقيقة:

العقيدة الصحيحة هي التي تصحح الأخلاق، وتحمي الإنسان من الانزلاق، وليس ذلك إلا في العقيدة الإسلامية؛ عقيدة السلف أهل السُّنَّة والجماعة أصحاب الحديث.

فالعقيدة هي السُّنَّة، وهي الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا؛ فإذا صحت العقيدة، حسنت الأخلاق تبعًا لذلك؛ فالعقيدة الصحيحة (عقيدة السلف) عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة التي تحمل صاحبها على مكارم الأخلاق، وتردعه عن مساوئها.

۞ الأهمية:

١ ـ أن جميع الرسل أرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

٢ ـ أن تحقيق العقيدة الصحيحة وإفراد الله بالعبادة هو الغاية الأولى من خلق الإنس والجن؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

٣ ـ أن قبول الأعمال متوقف على صحة اعتقاد العبد، فإذا فسدت العقيدة وانحرف صاحبها عن الحق، فقد ترد عليه سائر أعماله.

٤ ـ أن العقيدة تحدد العلاقة بين العبد وخالقه، في معرفته وتوحيده وعبادته.

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما العقيدة

(١) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة (٢/ ٢٦٣)، وبحوث في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة (١٣).

الإسلامية فأسسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد دلَّ على هذه الأسس كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ»[1].

ـ وقال الفوزان: «العقيدة الإسلامية هي التي بعث الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، وأوجبها على جميع خلقه الجن والإنس، فكل الرسل جاؤوا بالدعوة إلى هذه العقيدة، وكل الكتب الإلٰهية نزلت لبيانها وبيان ما يبطلها ويناقضها أو ينقصها، وكل المكلفين من الخلق أُمِروا بها، وإن ما كان هذا شأنه وأهميته لجدير بالعناية والبحث والتعرف عليه قبل كل شيء، خصوصًا وأن هذه العقيدة تتوقف عليها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة»[2].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: موضوعات علم العقيدة:

علم العقيدة: بمفهوم أهل السُّنَّة والجماعة اسم عَلَم على العِلْم الذي يُدرس ويَتَناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة؛ كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة، وأمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفِرَق الضالَّة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة.

ـ المسألة الثانية: منهج تلقي العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية الصحيحة قائمة على منهج متميز في الاستدلال والتلقي، وهو منهج السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، من أئمة العلم والهدى، ويقوم ذلك على **الأسس التالية:**

١ ـ الاقتصار في منهج تلقي العقيدة على الوحي:

وذلك بالاعتماد على الكتاب والسُّنَّة، والاعتصام بهما، في الاعتقاد والعمل، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

٢ ـ التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل مكانه في الفهم والتدبر:

لما كانت العقيدة مبنية على التسليم

---

(١) رسائل في العقيدة لابن عثيمين (١١).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (٩) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٠هـ].

لما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ كانت وظيفة العقل هي التدبر في نصوص الوحي، والامتثال لما جاءت به من الأمر والنهي، دون معارضة للنصوص، إذ العقل السليم لا يمكن بأي وجه من الوجوه أن يعارض النص الصريح.

- المسألة الثالثة: عدم التفريق بين الكتاب والسُّنَّة في الاستدلال على العقيدة:

القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية كلاهما وحي من عند الله تعالى، فلا يجوز التفريق بينهما في الاستدلال، وقد بيَّن الله تعالى أن كلام النبي ﷺ وحي كالقرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]، كما لا يجوز التفريق بين نصوص السُّنَّة النبوية في الاستدلال على العقيدة بالأخذ بالمتواتر دون الآحاد، فلم يكن ذلك معروفًا عند السلف؛ بل كانوا يعتقدون ويعملون بكل ما صح عن رسول الله ﷺ، فسُنَّته ﷺ كلها حجة بنفسها في جميع مسائل الدين.

- المسألة الرابعة: صحة فهم النصوص والاعتماد على فهم الصحابة رضي الله عنهم:

لا شك أن فهم نصوص الوحي ركيزة أساسية في صحة الاستدلال بها على مسائل الاعتقاد، وذلك بالأخذ بظواهرها الواضحة وترك التأويل المذموم، والاعتماد في ذلك على فهم الصحابة رضي الله عنهم حيث أخذوا بظواهر النصوص واعتقدوا ما دلَّت عليه، ولم يسلكوا مسلك التأويل ولا التفويض؛ بل سلكوا في ذلك مسلك الإيمان والتسليم بكل ما جاءت به النصوص، وهم الذين عايشوا الوحي، وصحبوا النبي ﷺ فلم يؤثر عنهم الأخذ بمسالك الضلال، كما هي طريقة أهل الكلام.

- المسألة الخامسة: خصائص العقيدة الإسلامية:

من أبرز خصائص عقيدة أهل السُّنَّة ما يلي:

١ - **ربانية المصدر**: فهي وحي من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة]، وقال أيضًا على لسان نبيه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

٢ - **موافقة الفطرة**: فهي منسجمة مع الفطرة السليمة؛ بل هي أصل الفطر، وهذا ما دلَّ عليه قوله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟**»[1]، ثم يقول أبو

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠].

٣ ـ **اليسر والوضوح والسهولة**: إذ يستطيع أن يفهمها الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والثقافية والاجتماعية.

٤ ـ **الإيجابية**: فهي تتجاوب مع رغبات الإنسان وطموحاته، فهي معه لتحقيق هذه الرغبات بالطرق السليمة.

٥ ـ **الشمولية والتوازن**: تمتاز العقيدة الإسلامية بنظرتها الشمولية للكون والإنسان والحياة؛ فهي قد عرفت الإنسان تعريفًا كاملًا من بدايته إلى مستقره، وتطرقت إلى أمور الحياة سواء في الدنيا أو في الآخرة، وما يترتب على الإنسان في كلتا الحياتين، ووازنت بين كل هذه المراحل موازنة دقيقة.

٦ ـ **الثبات**: إن العقيدة الإسلامية ليست نظريات صاغها البشر، ولكنها من عند الله، وثباتها هذا لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنما يعني الالتزام بمقاييس ثابتة، يقاس نشاط البشر بها، وفي حقائق الإسلام الثابتة يستطيع الإنسان أن يتحرك ويرتقي، ويطور من وسائل معيشته.

٧ ـ **الوسطية**: تمتاز العقيدة الإسلامية بكونها وسطًا بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، والزيادة والنقصان وأهلها أهل وسطية واعتدال، فهم الوسط في فرق الأمة، كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم، قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٨ ـ **الواقعية**: فهي ليست عقيدة خيالية؛ بل تتماشى مع واقع الإنسان ومتطلبات وجوده، فهي ليست من باب الخيال الذي يصعب تطبيقه؛ بل قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٩ ـ **عقيدة مبرهنة**: فهي لا تكتفي بمخاطبة أتباعها مخاطبة إلزامية؛ بل تتبع قضاياها بالحجة والبراهين العقلية والنقلية(١).

الفروق:

الفرق بين العقيدة والشريعة:

لا بد في كل دين من شيئين: العقيدة والشريعة، أو المعبود والعبادة، والدين الإسلامي ينقسم إلى: عقيدة وشريعة.

فأما العقيدة فيراد بها الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب وتكون يقينًا عند أصحابها لا شك فيها ولا ريب.

وأما الشريعة فتعني التكاليف العملية التي دعا إليها الإسلام؛ كالصلاة والزكاة

(١) انظر: دراسات في العقيدة الإسلامية (١٧).

والصيام وبر الوالدين وغيرها، ولا بد في كل دين وطاعة ومحبة من شيئين؛ **أحدهما**: الدين المحبوب المطاع، وهو المقصود المراد، **والثاني**: نفس صورة العمل التي تطاع ويعبد بها، وهو السبيل والطريق والشريعة والمنهاج والوسيلة[(١)].

الآثار:

من آثار الإعراض عن العقيدة الصحيحة:

١ ـ الجهل بعقيدة السلف.

٢ ـ كثرة البدع.

٣ ـ انتشار الخرافات.

٤ ـ الحيرة والاضطراب.

٥ ـ التفرق والاختلاف.

٦ ـ ضعف الإيمان.

٧ ـ التعصب والغرور.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، للفوزان.

٢ ـ «بحوث في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة»، لناصر العقل.

٣ ـ «حراسة العقيدة»، لناصر العقل.

٤ ـ «رسائل في العقيدة»، لابن عثيمين.

٥ ـ «العقيدة الصحيحة وما يضادها»، لابن باز.

(١) يُنظر: جامع المسائل لابن تيمية (٢/ ٢٢٦) [عالم الفوائد، ط١]، وقاعدة في المحبة له (٤٠) [مكتبة التراث الإسلامي، مصر].

٦ ـ «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين»، لصالح البليهي.

٧ ـ «العقيدة في الله»، لعمر الأشقر.

٨ ـ «محاضرات في العقيدة والدعوة»، للفوزان.

٩ ـ «المدخل إلى الثقافة الإسلامية»، لخالد القاسم وآخرين.

١٠ ـ «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة»، لعثمان بن علي حسن.

العلم

التعريف لغة:

العلم: نقيض الجهل[(٢)]، فعلمك بالشيء نقيض جهلك به، وكلما ازداد علمك به زالت عنك أوجه الجهل فيه.

قال ابن فارس: «العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره. من ذلك العَلامة، وهي معروفة. يقال: عَلَّمت على الشيء علامة. ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامةٌ في الحرب. وخرج فلانٌ مُعْلِمًا بكذا. والعَلَم: الراية، والعلم: الجَبَل، وكلُّ شيءٍ يكون مَعْلَمًا: خلاف المَجْهَل.

والعلَم: الشَّقُّ في الشَّفَة العليا،

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١١٠) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، والصحاح (٦/ ٢٦٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

والرجل أعلَمُ. والقياس واحد؛ لأنَّه كالعلامة بالإنسان. والعُلَّام فيما يقال: الحِنَّاء؛ وذلك أنّه إذا خضّب به فذلك كالعلامة. والعِلْم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العَلَم والعلامة، والدَّليل على أنَّهما من قياسٍ واحد قراءة بعض القُرَّاء: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ لَعَلَمٌ ﴿لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، قالوا: يراد به نُزول عيسى عليه السلام، وإنَّ بذلك يُعلَمُ قُرب الساعة. وتعلّمت الشَّيءَ، إذا أخذت علمَه»[١].

وهو في حق الله تعالى على وجه الكمال الذي لم يسبقه جهل، ولا يعتريه أي معنى من معاني الجهل.

التعريف شرعًا:

صفة ذاتية لله تعالى على وجه الإحاطة والكمال؛ فهو العليم المُحيطُ عِلْمُه بجميع الأشْياء ظاهِرها وباطِنها دَقِيقِها وجَلِيلِها على أتَمِّ الإمْكان[٢]، فيعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون[٣].

(١) مقاييس اللغة (٤/ ١٠٩) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]. وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ١٧٤) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، ولسان العرب (١٢/ ٤١٦) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (٤/ ١١٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) النهاية لابن الأثير (٣/ ٥٦٠) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، وانظر: لسان العرب (١٢/ ٤١٦).

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لابن عيسى (٢/ ٢١٥) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مما تقدم يظهر الارتباط الوثيق بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، إلا أن المعنى الشرعي المتعلق بوصف الله تعالى بالعلم أخص؛ لأنه شامل لتمام العلم وكماله بما لا يكون معه أي نقص فيه بوجه من الوجوه، في حين أن المعنى اللغوي يدخل فيه الوصف بالعلم دون اشتراط تمامه، فيوصف المخلوق بالعلم، مع أنه ما أوتي منه إلا قليلًا.

الحكم:

وجوب إثبات العلم صفة ذاتية لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٍۖ﴾ [الأعراف: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ [الحشر].

ومن السُّنَّة: ما جاء في حديث الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إني أستخيرك**

بعلمك...» الحديث[١].

وما جاء في دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**» الحديث[٢].

وما جاء في حديث قصة موسى والخضر عليهما السلام، وفيه قول الخضر لموسى: «**يا موسى إني على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه**».

وفيه أيضًا: «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**»[٣].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أبو حنيفة ـ في إثبات صفة العلم لله تعالى ـ: «يعلم لا كعلمنا»[٤].

وقال ابن جرير الطبري: «والله ذو علم بضمائر صدور عباده، وما تنطوي عليه نفوسهم الذي هو أخفى من السر، لا يعزب عنه شيء من ذلك»[٥].

وقال أبو العباس ابن تيمية: «واسمه العليم، هو الرب العليم الذي العلم صفة له، فليس العلم هو المسمى بل المسمى هو العليم»[٦].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى: العليم:

قد ورد هذا الاسم في القرآن، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران].

وورد في السُّنَّة نصوص كثيرة تدل عليه؛ منها ما رواه أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبَّر ثم يقول: «**سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدّك، ولا إلٰه غيرك**، ثم يقول: **لا إلٰه إلا الله**، ثلاثًا، ثم يقول: **الله أكبر كبيرًا** ـ ثلاثًا ـ **أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٢) أخرجه النسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٥)، وأحمد (٣٠/ ٢٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ١٩٧١)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٣) وصحَّحه، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٣٠١).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

(٤) الفقه الأكبر (٤٩) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٤١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٢٠١) [ط١٤١٨هـ].

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٧٧٥)، والترمذي (أبواب الصلاة، رقم ٢٤٢)، وأحمد =

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال حين يمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات؛ لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي**»(١).

وهذا الاسم مما أجمعت الأمة على ثبوته(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه] قال: «يعلم السر ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله، فإن الله تعالى يعلم ذلك كله، فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة»(٣).

وقال السعدي رحمه الله: «العليم المحيط علمه بكل شيء؛ بالواجبات، والممتنعات، والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها ما وجد منها، وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي، والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب، والشهادة، والظواهر، والبواطن، والجلي، والخفي»(٤).

- المسألة الثانية: هل العالم من أسماء الله تعالى؟

ورد اسم العالم(٥) مقيدًا ولم يرد مطلقًا، كما قال تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾

= (١٨/ ٥١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي في سننه (كتاب الصلاة، رقم ١٢٧٥)، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٣٦١، رقم ٧٤٨) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٨٨)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٨٨) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦٩)، وأحمد (١/ ٦٢، ٦٦) [مؤسسة قرطبة]، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٥٢)، والحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء، رقم ١٨٩٥) وصحَّحه، وصحَّحه ابن باز في تحفة الأخيار (٢٢) [وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٦٥٥) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٢) معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء الحسنى للتميمي (١٨٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٢٥) [مكتبة السوادي، ط١].

(٤) الحق الواضح المبين للسعدي (٢٣٠، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي [مركز صالح بن الصالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٩) [دار المأمون، ط٥، ١٤٠٦هـ].

[التوبة]، إلا أن العليم أبلغ، وفيه وصف أكمل.

- **المسألة الثالثة: هل العلّام من أسماء الله تعالى؟**

ورد اسم عَلّام ـ وهو صيغة مبالغة على وزن فعال ـ مقيدًا ولم يرد مطلقًا كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة].

- **المسألة الرابعة: ورود اسم الأعلم:**

لم يرد (الأعلم) في نصوص الكتاب والسُّنَّة اسمًا مفردًا على وجه التسمية لله تعالى، وإنما ورد اسم تفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٥٥]. قال ابن تيمية: «الأعلم: لم يجئ إلا مضافًا: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت]، وفي قوله: ﴿رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم]، وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام]، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنعام]»[(١)].

وممن أثبته اسمًا لله ابن الوزير[(٢)].

- **المسألة الخامسة: تسمية غير الله بالعليم:**

يجوز تسمية من له علم من المخلوقات بالعالم وبالعليم، مع ملاحظة الفرق بين إطلاقه على الله وبين إطلاقه على المخلوق، فالإضافة تقتضي التخصيص، وعلم الله لم يسبق بفناء ولا جهل ولا يلحقه جهل ولا فناء ولا يعتريه نسيان ولا ذهول ولا خطأ بخلاف علم المخلوق.

قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجوز أن يقال للإنسان الذي علّمه الله علمًا من العلوم: عليم؛ كما قال يوسف للملِك: ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فأخبر عَزَّ وَجَلَّ أن من عباده من يخشاه وأنهم هم العلماء.

وكذلك صفة يوسف كان عليمًا بأمر ربه وأنه واحد ليس كمثله شيء، إلى ما علّمه الله من تأويل الأحاديث الذي كان يقضي به على الغيب، فكان عليمًا بما علّمه الله»[(٣)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمّى أيضًا بعض مخلوقاته حيًّا، وبعضَها عليمًا، وبعضها سميعًا بصيرًا، وبعضَها رؤوفًا رحيمًا، وليس الحي كالحيّ، ولا العليم كالعليم، ولا السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير، ولا الرؤوف كالرؤوف،

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية (١/ ٤٢) [ط١، ١٤١٨هـ]، وانظر بقية المواضع في: كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٦٠٤) [دار الحديث، ط٢، ١٤٠٨هـ].

(٢) إيثار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م].

(٣) تهذيب اللغة (١/ ٣٠٢).

ولا الرحيم كالرحيم»[١].

ـ المسألة السادسة: حكم تسمية الله بالعارف:

دلت النصوص على تسمية الله تعالى بالعليم ووصفه بالعلم، لكن لا يجوز قياسًا عليه أن يسمى عارفًا؛ لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء.

فأسماء الله تعالى هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرًا بمرادف محض؛ بل هو على سبيل تقريب المعنى.

وقد ذكر أهل العلم أن الله تعالى يوصف من كل صفة كمال بأكملها، وأجلَّها وأعلاها، فجميع ما أطلقه الله على نفسه من صفاته العلا أكمل معنى ولفظًا مما لم يطلقه، فالعليم الخبير أكمل من الفقيه العارف، والكريم الجواد أكمل من السخي، والخالق البارئ المصور أكمل من الصانع الفاعل[٢].

الفروق:

الفرق بين العليم والخبير:

قيل: الخبير في أسماء الله تعالى بمعنى العليم[٣].

وقيل: الخبير الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها[٤].

وقيل: الخبير: هو العليم ببواطن الأمور، فنقول: العليم بظواهر الأمور، والخبير ببواطن الأمور، فيكون العلم بالبواطن مذكورًا مرتين: مرة بطريق العموم، ومرة بطريق الخصوص، لئلا يظن أن علمه مختص بالظواهر[٥].

الآثار:

١ ـ التعبد لله تعالى بمقتضى علمه بكل شيء، فيصرف له الدعاء والرجاء، وترغب إليه القلوب والألسنة والجوارح وتخشاه.

٢ ـ مراقبة الله تعالى؛ فيمتثل أمره ويجتنب نهيه في الغيب والشهادة.

٣ ـ التوكل على الله تعالى في كل شيء؛ فهو العليم بمصالح العباد وعواقب الأمور.

٤ ـ اليقين بوعد الله، والثقة بنصره؛ فليس بغافل عما يعمل الظالمون، وهو أعلم بمن اتقى.

٥ ـ محبة العلم وسلوك سبيله،

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٩٧) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(٣) انظر: الكليات للكفوي [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٣٢هـ].

(٤) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٤٩٢).

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٨/ ١٥٤) [دار الوطن، ١٤٢٦هـ].

وبغض الجهل والبعد عن أسبابه؛ فالله يحب العلم، وإنما يخشى الله من عباده العلماءُ.

٦ ـ انتظام أمر الكون، ودقة تدبيره، فقد خلقه الله تعالى بعلمه، ولا يعزب عن علمه شيء.

٧ ـ مضي سُنَّة الله تعالى في خلقه بعلمه تعالى بحال المتقين وجعل العاقبة لهم، وعلمه بحال الظالمين وجعل الدائرة عليهم.

٨ ـ إجابة دعوة الداع والمضطر وكشف السوء؛ فهو السميع العليم.

٩ ـ إذا علم العبد أن ربه قد وسع كل شيء علمًا وأنه يعلم سره ونجواه ومكانه وحركاته وسكناته خاف ربه واتقاه وراقبه وما عصاه.

مذهب المخالفين:

خالف المعتزلة في صفة العلم، فلم يثبتوها صفة زائدة عن معنى الذات؛ وقالوا بأنه لو كان عالمًا بعلم، فإما أن يكون ذلك العلم قديمًا أو محدثًا، والأول يوجب تعدد القدماء، والثاني ممتنع عليه[(١)].

الرد عليهم:

الرد على هؤلاء بمنع هذه المقدمات الباطلة، واللوازم الفاسدة، فثبوت صفة العلم له ﷻ هو الكمال الذي لا يقابله إلا النقص، فنفيها رد لصريح المنقول والمعقول، ويلزم منه أن يكون موصوفًا بالجهل تعالى وتقدس.

وبناء على مقدمتهم الباطلة فلا يوصف الله تعالى بأي صفة من صفات الكمال الذي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ!

وخالف في اسم العليم غلاة القدرية كمعبد الجهني وأتباعه، والفلاسفة كأرسطو، والقرامطة والإسماعيلية كابن سينا، وبعض الرافضة.

وهذه العقيدة يكفي في ردها أنها مخالفة لصريح القرآن من أن الله يعلم كل شيء وأحاط بكل شيء علمًا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ومخالفة لقول الرسول ﷺ وصحابته وأئمة أهل البيت رضي الله عنهم.

سئل الإمام أحمد رحمه الله عمن قال بالقدر أيكون كافرًا؟ فقال: إذا جحد العلم؛ إذا قال: الله ﷻ لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا فعلم فجحد علم الله ﷻ كافر.

وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مقالتهم فقال: «وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة فنفوا أسماءه الحسنى وقالوا: من قال إن الله عليم قدير عزيز حكيم: فهو مشبه ليس بموحد»[(٢)].

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (١٨٣) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٠).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الإسماعيلية الباطنية ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى، ويقولون: ليس بحي ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا موجود ولا معدوم؛ فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون له حقيقة ثم يقول بعضهم: إن هذه الأسماء لبعض المخلوقات وأنها ليست له حقيقة ولا مجازًا. وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون الملاحدة؛ لأنهم ألحدوا في أسماء الله وآياته... ولو كانت أسماء الله وصفاته مجازًا يصح نفيها عند الإطلاق؛ لكان يجوز أن الله ليس بحي ولا عليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير ولا يحبهم ولا يحبونه ولا استوى على العرش؛ ونحو ذلك. ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبته الله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات؛ بل هذا جحْدٌ لِلخالق وتمثيل له بالمعدومات»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا مما يبين لك أن من قال من المتفلسفة إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم الأشياء على وجه كلّي لا جزئي، فحقيقة قوله إنه لم يعلم شيئًا من الموجودات فإنه ليس في الموجودات إلا ما هو معين جزئي، والكليات إنما تكون في العلم لا سيما وهم يقولون: إنما علم الأشياء؛ لأنه مبدؤها وسببها والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، ومن المعلوم أنه مبدع للأمور المعينة المشخصة الجزئية كالأفلاك المعينة والعقول المعينة وأول الصادرات عنه على أصلهم العقل الأول وهو معين، فهل يكون من التناقض وفساد العقل في الإلٰهيات أعظم من هذا؟»[(٢)].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيانه تضمن الفاتحة الردَّ على من نفى علم الله بالجزئيات: «فصل في بيان تضمنها للرد على منكري تعلق علمه تعالى بالجزئيات **وذلك من وجوه:**

أحدها: كمال حمده، وكيف يستحق الحمد من لا يعلم شيئًا من العالم وأحواله وتفاصيله، ولا عدد الأفلاك ولا عدد النجوم، ولا من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدعوه ممن لا يدعوه.

الثاني: أن هذا مستحيل أن يكون إلٰهًا وأن يكون ربًّا، فلا بد للإله المعبود والرب المدبر من أن يعلم عابده ويعلم حاله.

الثالث: من إثبات رحمته، فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلم.

الرابع: إثبات ملكه، فإن ملكًا لا

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٩٧ ـ ١٩٨)، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/٢٤٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٨٢).

يعرف أحدًا من رعيته البتة ولا شيئًا من أحوال مملكته البتة ليس بملك بوجه من الوجوه.

الخامس: كونه مستعانًا.

السادس: كونه مسؤولًا أن يهدي سائله ويجيبه.

السابع: كونه هاديًا.

الثامن: كونه منعمًا.

التاسع: كونه غضبانَ على من خالفه.

العاشر: كونه مجازيًا يدين الناس بأعمالهم يوم الدين فنفي علمه بالجزيئات مبطل لذلك كله»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم؛ كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره، وقد قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا فقد كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وأن الله تعالى قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا؛ لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء. وأما من أنكر العلم القديم فنص الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام»[(٢)].

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالمًا في الأزل، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا. فالله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه، فإنما يعذبه؛ لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه.

وإذا قيل: فيلزم أن يكون العبد قادرًا على تغيير علم الله؛ لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله؟ قيل: هذه معضلة، وذلك أن مجرد قدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يظن من يظن تغيير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل لكان المعلوم وقوعه لا عدم وقوعه، فيمتنع أن يحصل وقوع الفعل مع علم الله

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٧) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) الإيمان الأوسط لابن تيمية (٥٠).

بعدم وقوعه؛ بل إن وقع كان الله قد علم أنه يقع، وإن لم يقع كان الله قد علم أنه لا يقع. ونحن لا نعلم علم الله إلا بما يظهر، وعلم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شيء يستلزم تغيير العلم؛ بل أي شيء وقع كان هو المعلوم، والعبد الذي لم يفعل لم يأت بما يغير العلم؛ بل هو قادر على فعل لم يقع، ولو وقع لكان الله قد علم أنه يقع، لا أنه لا يقع»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيِّم» (ج٢)، لابن عيسى.

٢ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٣ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٤ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٥ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

٦ ـ «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيِّم»، لعماد زكي البارودي.

٧ ـ «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٨ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٩ ـ «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.

١١ ـ «المفاهيم المثلى في ظلال شرح أسماء الله الحسنى»، لوليد بن محمود بن حسن.

علم التأثير

يراجع مصطلح (التنجيم).

علم التسيير

يراجع مصطلح (التنجيم).

علم الحروف

التعريف لغةً:

علم: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء، يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة وهي معروفة»[(٢)].

والعِلم: نقيض الجهل، وهو بمعنى المعرفة، يقال: عَلِم عِلمًا وعلم هو نفسه، وعلمت الشيء: عرفته، والعِلم قياسه قياس العَلَم والعلامة، ويقال:

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٤٧) [وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ]، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٣٤٩).

(٢) مقاييس اللغة (٤/١٠٩) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

تعلمت الشيء: إذا أخذت علمه، والباب كله قياس واحد[(١)].

الحروف: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حدُّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء»[(٢)].

الحروف: جمع حرف، والحرف من كل شيء طرفه وشفيره، وحدّه، والحرف: واحد حروف التهجي، وعند النحاة: ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل، ويطلق الحرف على اللغة، والوجه، والطريقة، كما يقال: نزل القرآن على سبعة أحرف؛ أي: على سبع لغات من لغات العرب[(٣)].

التعريف اصطلاحًا:

هو نوع من أنواع الكهانة، وهو كتابة أبي جاد وتقطيع حروف (أبجد هوز حطي كلمن) وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب[(٤)].

وقيل: هو علم باحث عن خواص الحروف إفرادًا وتركيبًا، وموضوعه الحروف الهجائية، ومادته الأوفاق[(٥)] والتراكيب، وحقيقته التنجيم، ودعوى علم الغيب، وقيل: هو من تفاريع علم السيمياء أحد أنواع علم السحر والشعوذة[(٦)].

الأسماء الأخرى:

من أسمائه: حروف أبي جاد، وعلم أسرار الحروف، وعلم خواص الحروف، وعلم الخواص الروحانية من الأوفاق، وعلم التصريف بالحروف والأسماء، وعلم الحروف النورانية والظلمانية، وعلم التصرف بالاسم الأعظم، وعلم الكسر والبسط، وعلم الجفر[(٧)] والجامعة، وتارة يسمى علم السيمياء، وكلها من العلوم المحظورة شرعًا[(٨)].

(١) انظر: الصحاح (٥/ ١٩٩٠) [دار العلم للملايين، ط٣]، ومقاييس اللغة (٤/ ١٠٩)، ولسان العرب (٩/ ٣٧١) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٣/ ٣٠١) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٤٢).

(٣) انظر: الصحاح (٤/ ١٣٤٢)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٥٠)، ولسان العرب (٣/ ١٢٧)، وترتيب القاموس المحيط (١/ ٦٢٢).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦) [دار الصميعي، ط١، ٤٢٨هـ]، وفتح المجيد (٣٣٨) [دار ابن الأثير، ط١٥، ١٤٣٤هـ]، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢٠٧) [ط٥، ١٤٢٤هـ].

(٥) الأوفاق: نوع من أنواع السحر، وهي ترجع إلى مناسبات الأعداد على شكل مخصوص مربع، وحقيقتها دعوى منازعة الرب تعالى فيما لا يقدر إليه إلا هو. انظر لمعرفة طريقته: الفروق للقرافي (٤/ ١٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ].

(٦) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ١٣٧)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٦٥٠ ـ ٦٥١) [دار إحياء التراث العربي].

(٧) الجفر: كتاب ينسبه الرافضة إلى جعفر الصادق كذبًا وزورًا، يستخدم فيه أسرار الحروف ومعرفة أحداث المستقبل. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ١٨٣) [مجمع الملك لطباعة المصحف، ط٢، ١٤٢٥هـ]، والتنجيم والمنجمون للمشعبي (٣١٢) [مكتبة الصديق، ط١].

(٨) انظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٤٨)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ١٤).

الحكم:

علم الحروف وهو ما يسمى بحروف أبي جاد على **قسمين**[١]:

أحدهما: وهو ما كان من علوم السحر، وضربًا من ضروبه، وهو كتابة أبي جاد كتابة مربوطة بسير النجوم، وحركتها، وطلوعها، وغروبها، والاستدلال بها على الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ونحو ذلك، فهذا محرم، بل هو شرك وكفر بالله.

الثاني: وهو ما كان من باب الحساب، أو التأريخ، وما أشبهه، فهذا مباح، ولا بأس به، وما زال الناس يؤرخون بها.

قال سليمان بن عبد الله: «وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدّعي معرفة علم الغيب هو الذي يُسمَّى علم الحرف، ولبعض المبتدعة فيه مصنف، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمل فلا بأس بذلك»[٢].

الحقيقة:

حقيقة علم الحروف: هي نوع من أنواع الكهانة، والتنجيم، وتتضمن دعوى علم الغيب، وطريقته: أن السحرة أو الكهان يكتبون الحروف الأبجدية، ويجعلون لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا عندهم، ويجرون على أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ثم يجرون على هذه الأعداد عملية حسابية من جمع وطرح بطريقة ما، وينسب العدد الباقي إلى الأبراج الاثني عشر، ثم يقضون بالنحوس والسعود، وبأوقات الحوادث والملاحم، وبمدد الملك وأعمار الناس، إلى آخر ذلك من أمور الغيب التي استأثر الله بها عن جميع خلقه[٣].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل].

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له**»[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن قومًا

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦) [دار الصميعي، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٧ ـ ١ ـ ٧٠٢) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (٣٢٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٩/ ٥٢) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٨هـ]، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٢) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وأشار إلى ضعفه ابن الملقن في البدر المنير (٨/ ٥١٨) [دار الهجرة، ط١]، لكن ذكر له الألباني شاهدين، وقواه بهما. انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٢٨) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٦هـ].

يحسبون أبا جاد وينظرون في النجوم، ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان المسلمون باتفاق كل ذي عقل؛ أَوْلَى أهل الملل بالعلم، والعقل، والعدل، وأمثال ذلك، مما يناسب عندهم آثار المشتري، والنصارى أبعد عن ذلك، وأَوْلى باللهو، واللعب، وما يناسب عندهم آثار الزهرة، كان ما ذكروه ظاهر الفساد، ولهذا لا تزال أحكامه كاذبة متهافتة، حتى إن كبير الفلاسفة الذي يسمونه: فيلسوف الإسلام يعقوب بن إسحاق الكندي عمل تسييرًا لهذه الملة، زعم أنها تنقضي ثلاث وتسعين وستمائة، وأخذ ذلك منه من أخرج مخرج الاستخراج، من حروف كلام ظهر في الكشف لبعض من أعاده، ووافقهم على ذلك من زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل، الذي للحروف التي في أوائل السور، وهي مع حذف التكرير أربعة عشر حرفًا، وحسابها في الجملة الكثير ستمائة وثلاثة وتسعون. فهذه الأمور التي توجد في ضلال اليهود والنصارى، وضلال المشركين، والصابئين من المتفلسفين، والمنجمين: مشتملة من هذا الباطل على ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وهذه الأمور وأشباهها خارجة عن دين الإسلام محرمة فيه، فيجب إنكارها، والنهي عنها على المسلمين على كل قادر بالعلم والبيان، واليد واللسان، فإن ذلك من أعظم ما أوجبه الله من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهؤلاء وأشباههم أعداء الرسل، وسوس الملل»[(٢)].

وقال عبد الرحمٰن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدّعي بها علم الغيب هو الذي جاء فيه الوعيد، وهو الذي يسمى علم الحروف، فيقطعون حروف (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، فيجعلون الألف واحدًا، والباء اثنين إلى نهاية الحرف العاشر، ثم يبدؤون بالكاف عشرة، واللام عشرين، وهكذا إلى الشين مائتين، إلى أن تتم هذه الحروف، وأما تعلمها للتهجي، وحساب الجمل فلا بأس به»[(٣)].

وقال حافظ الحكمي: «ومنها ـ أي من أنواع السحر والتنجيم ـ: ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد، ويجعل لكل حرف منها قدرًا معلومًا، ويجري على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها، ويجمع جمعًا معروفًا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ١٩٨٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب القسامة، رقم ١٦٥١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٩ ـ ١٩٠).

(٣) حاشية على كتاب التوحيد (٢٠٨).

عنده، ويطرح طرحًا خاصًّا، ويثبت إثباتًا خاصًّا، وينسبه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس، وغيرها، مما يوحيه إليه الشيطان وهذا الكاذب المفتري يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدّعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدقه به، أو اعتقده فيه كفر، والعياذ بالله»[١].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ظاهر كلام ابن عباس أنه يرى كفرهم؛ لأن الذي ليس له نصيب عند الله هو الكافر؛ إذ لا ينفى النصيب مطلقًا عن أحد من المؤمنين وإن كان له ذنوب عذب بها بقدر ذنوبه، أو تجاوز الله عنها ثم صار آخر أمره إلى نصيبه الذي يجده عند الله»[٢].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صلة الصوفية والرافضة بعلم الحروف:

علم الحروف من العلوم التي اهتم بها الصوفية والرافضة، كما أوضح ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: «علم أسرار الحروف وهو المسمَّى لهذا العهد بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات... فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعد مسائله، تعددت فيه تأليف البوني وابن عربي وغيرهما ممن اتّبع آثارهما»[٣].

بل إن الصوفية أنفسهم قد صرحوا بأن من علومهم علم الحروف وعلم الأوفاق، فابن سبعين يقول في رسائله: «وهذه السيمياء تنقسم إلى خمسة أقسام: الكاذبة منها التي يذكرها مسلمة المجريطي صاحب رسائل إخوان الصفا، والشكوك منها الذي يزعم ابن مسرة أنه وصله، والصحيح منها الذي إذا وصف للفقيه سماه كرامة وإذا ذكر للحكيم سماه تصريفًا وإذا ذكر للمقرب المحقق سماه فتنة»[٤].

ومن أظهر الدلائل على ارتباط الصوفية بعلوم السحر ومنها علم

(١) معارج القبول (٢/٧٠١ ـ ٧٠٢).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٤٩). وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/١٧٦).
(٣) مقدمة ابن خلدون (٤١٣).
(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمد القاسم (٨٦٦).

الحروف ما ذكره الشيخ أحمد البوني في كتابه (شمس المعارف الكبرى) وهو من أشهر الكتب التي يعتمد عليها من يتعامل بالسحر في هذه الأيام والأيام السالفة، حيث ذكر سنده لعلم الحرف الذي هو موضوع الكتاب وقد نقل عن البوني أسانيده بعلم أسرار الحروف الذي يمثله شمس المعارف، وكانت تلك الأسانيد على أقطاب الصوفية(١).

وأمّا الرافضة فقد كان لهم عناية ورعاية بعلم الحروف وأسرارها، ومن أهم مؤلفاتهم فيها كتاب الجفر المنسوب زورًا وبهتانًا إلى جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ، ونسبته إليه كذب عليه باتفاق أهل العلم به. وكتاب الجفر قسمان، الجفر الأكبر والجفر الأصغر، وإن الجفر الأكبر إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي أ، ب، ت، ث، إلخ، وإنها ألف وفق، وإن الجفر الأصغر إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي مركبة من أبجد إلى قرشت، وهي سبع مئة وفق وهذا كله من أكاذيب الرافضة وافترائهم على آل البيت(٢).

وممَّا تقدم يعلم أن علم أسرار الحروف من علوم السحر التي اهتم بها الصوفية والرافضة تأليفًا وشرحًا وتعلمًا، ومن ثم كان لهم إسهام كبير في بث الفساد وإضلال العباد وإشاعة الشرك في البلاد قديمًا وحديثًا.

ـ المسألة الثانية: حروف أبي جاد والاستدلال بها على المغيبات:

حروف أبي جاد هي: أبجد هوّز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، وتعلمها ينقسم **إلى قسمين:**

الأول: تعلم مباح بأن تُتعلَّم لحساب الجُمّل وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به وللعلماء عناية بها في التاريخ لمواليد العلماء ووفياتهم ونحو ذلك.

الثاني: تعلم محرم وهو كتابة (أبي جاد) كتابة مربوطة بسير النجوم وحركاتها وطلوعها وغروبها والنظر في النجوم والاستدلال بها بالموافقة أو المخالفة على ما سيحدث في الأرض، وأرباب هذه الطريقة يزعمون أن لهذه الحروف علاقة ورابطة قوية بحياة الإنسان ومستقبله وبالكون وما يحدث فيه من حوادث، ويزعمون أنهم يعرفون حوادث العالم من هذه الحروف.

والذي ينبغي أن يعلم أن هذه الحروف ليست أسماء لمسميات، ولا علاقة لها بمستقبل الإنسان ولا بحياته، وإنما ألفت ليعرف تأليف الأسماء من حروف المعجم بعد معرفة حروف المعجم، ثم إن كثيرًا من أهل الحساب صاروا يجعلونها علامات على مراتب

---

(١) المرجع السابق (٨٦٢ ـ ٨٦٣).

(٢) التنجيم والمنجمون لعبد المجيد المشعبي (٣١١ ـ ٣١٤).

العدد فيجعلون الألف واحدًا، والباء اثنين، والجيم ثلاثة وهكذا، ثم أخذ هؤلاء هذا الاصطلاح ولفقوا عليه الأباطيل وادعوا أنه علم وبه تعرف الأمور الغيبية، وربطوه بالتنجيم لخفاء التنجيم على كثير من الناس، والعلم لا يؤخذ عن مثل هذه النظريات الفاسدة ولا من هذه العقليات الجاهلية الباطلة بل لا بدَّ فيه من عقل مصدق ونقل محقق، وهذا الذي يزعمونه ما هو إلا ادّعاء علم استأثر الله به، وهذا بلا شك من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدق به واعتقد فيه كفر والعياذ بالله[(١)].

الآثار:

لعلم الحروف آثار سلبية كثيرة **من أبرزها**:

١ ـ إضعاف إيمان العباد بالقدر خيره وشره.

٢ ـ ذهاب عقيدة التوكل على الله، والاستخارة فيما يقدمون عليه من أمور.

٣ ـ انتشار الخرافات والأكاذيب، وتصديق الكُهَّان والعرَّافين والسحرة فيما يدعونه.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعانة المستفيد لشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٢ ـ «التنجيم والمنجمون»، لعبد المجيد المشعبي.

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والأوفاق والحروف»، للصنعاني.

٥ ـ «علم الغيب في الشريعة الإسلامية»، لأحمد الغنيمان.

٦ ـ «القبورية: نشأتها ـ آثارها ـ موقف العلماء منها»، لأحمد المعلم.

٧ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٨ ـ «الكشف على حقيقة الصوفية»، لمحمد القاسم.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «معارج القبول»، لحافظ حكمي.

علم الخط

يراجع مصطلح (الطرق).

علم الكلام

التعريف لغةً:

العلم نقيض الجهل، قال ابن فارس: «العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره... وتعلّمتَ الشَّيءَ؛ إذا أخذت علمَه»[(٢)].

(١) المصدر السابق (٣١٧ ـ ٣١٨).

(٢) مقاييس اللغة (٤/١٠٩) [دار الجيل، ط١، =

والكلام: من مادة (ك ـ ل ـ م)، والكاف واللام والميم أصلان؛ أحدهما يدل على نطق مفهم، والآخر على جراح. والكلامُ: اسم جنسٍ يقع على القليل والكثير، والكَلِمُ لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات؛ لأنَّه جمع كَلِمَةٍ[(١)].

التعريف اصطلاحًا:

عرّف ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ علم الكلام من منظور أهل السُّنَّة بقوله: «هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسُّنَّة»[(٢)].

سبب التسمية:

لقد تعددت الأقوال في سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم إلى ما يزيد على عشرة أقوال، **ومما قيل في ذلك**:

١ ـ أن مسألة (كلام الله) كانت أشهر مباحثه، وأكثرها نزاعًا وجدلًا، وردّ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ هذا السبب، بدليل أن المتكلمين كانوا يُسَمَّون بهذا الاسم قبل نشوء النزاع في مسألة الكلام[(٣)].

٢ ـ أنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام من الجانبين.

٣ ـ أن علم الكلام يتعلق بمباحث ليس تحتها عمل، بل هي كلامٌ نظري لفظي، فصار الكلام هنا بمقابل الفعل.

وقيل غير ذلك[(٤)].

والذي يظهر في سبب التسمية ـ باعتبار موقف السلف في ذمهم لهذا العلم ـ أنه سُمِّي بذلك نظرًا لما يحتويه من كثرة الكلام والجدل في جانب العقائد، والإغراق في الإيرادات العقلية البعيدة عن الأدلة الشرعية في المسائل التي مبناها على الوقوف على نصوص الشرع.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما سُمي هؤلاء أهل الكلام؛ لأنهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد»[(٥)].

= ١٤١١هـ]. وانظر: لسان العرب (١٢/٤١٦) [دار صادر، ط١]، والقاموس المحيط (٤/١١٧) [دار الكتب العلمية، ط١].

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/١٣١) [دار الجيل]، والصحاح (٥/٢٠٢٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (٩٥) [دار الوطن].

(٣) مناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/ ١٨٤) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

(٤) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٣٦) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ]، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني (١٠ ـ ١١) [مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٧هـ]، وشرح المقاصد له (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، والمواقف للإيجي (٨ ـ ٩)، ومقدمة ابن خلدون (٥٦٥)، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي (١/٢٨ ـ ٣٢) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٣م].

(٥) شرح الطحاوية (٢٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢]. وانظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنَّة لسليمان الغصن (١/ ٢٤) [دار العاصمة، ط١].

الأسماء الأخرى:

يزعم المتكلمون أن علم الكلام مرادفٌ لعلم الاعتقاد وعلم التوحيد.

وهذه مغالطة سافرة، فلم يقل بذلك أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ وذلك لأن هذين العلمين (العقيدة وعلم الكلام) متباينان في الأصل والمنشأ، وفي المسائل، وفي الدلائل.

فأما تباينهما في الأصل: فإن علم الكلام هو علمٌ مُوَلَّدٌ من الأصول الفلسفية في غالب مبانيه[(١)]، وأما علم العقيدة والتوحيد فمصدره الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة.

وأما تباينهما في المسائل: فإن كثيرًا من مسائل علم الكلام بعيدة كل البعد عن المسائل والأبواب المقررة في علم التوحيد، بل إن عامَّة كتب الكلام قد أهملت أهم أبواب التوحيد، ألا وهو توحيد الألوهية، الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو الغاية من بعثة الرسل.

وأما تباينهما في الدلائل: فإن علم العقيدة مبني على التوقيف، فمصدره: الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة، وأما علم الكلام فمبني على قواعد وأصول فلسفية عقلية.

وهاهنا تسمية أخرى يسمونه بها وهي: أصول الدين.

الحكم:

لقد تواتر النقل عن أئمة السلف في ذمّ علم الكلام، وأهل الكلام، والأمر بهجرهم والتحذير منهم ومن كتبهم، وبيان أنهم مبتدعة ضالُّون، مخالفون للسُّنَّة، مباينون لأهل السُّنَّة.

وكلام السلف في ذمِّ المتكلمين متواتر، حتى إنهم حرموا بيع كتب الكلام والفلسفة، وأتلفوها، ومنعوا تداولها[(٢)]، وحتى خصَّ بعضهم مصنفات مستقلة في ذم الكلام وأهله[(٣)]، وصار ذم علم الكلام إجماعًا مستقرًا لهم.

قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يُعَدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر

(١) وإثبات العلاقة والصلة بين علم الكلام والفلسفة قد شهد به جمع من الأئمة من أهل السُّنَّة وغيرهم، ومنهم الإمام أبو حنيفة، والشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٣٠).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦/ ٧٢) [دار الكتب العلمية، ط٢]، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥ ـ ٤٦)، وطبقات الأمم للقاضي الصاعد (٦٦) [المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢م].

(٣) انظر في ذم الكلام وأهله: السُّنَّة للخلال (١/ ١٩٦)، (٣/ ٥٥٢) [دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (١/ ١١٤) وما بعدها، والغنية عن الكلام وأهله للخطابي (٣٨٨)، وذم الكلام وأهله للهروي، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦٩٠ ـ ٦٩٤)، وتحريم النظر في كتب الكلام للموفق ابن قدامة، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٧).

والتفقه فيه»[١]، وقد قرر هذا الإجماع من أئمة السلف: البغوي، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن رجب[٢]، كما اعترف بهذا الإجماع عدد من المتكلمين أنفسهم، كالغزالي وغيره[٣].

وقد تنبَّه بعض علماء الكلام لما يؤدي إليه هذا العلم من مفاسد، فذموه وحذروا الناس منه، حين وقفوا على غاية هذا العلم، وانتهى أمرهم إلى الشك والاضطراب، سواء فيما يذكرونه بأقوالهم، أو ما تشهد به أحوالهم، حتى قال بعضهم بتكافؤ الأدلة؛ أي: تساوي دلالتها في طرفي النفي والإثبات، وكلامهم في ذلك مشهور، وتتبعه طويل غير ميسور[٤]، وها هو أحد كبار المنتسبين لعلم الكلام والمنافحين عنه ـ أبو حامد الغزالي ـ يقول في أشهر كتبه (إحياء علوم الدين) في ذم علم الكلام وبيان حدوثه: «اعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو: إما مجادلة مذمومة، وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها تُرَّهات وهذيانات تزدريها الطباع، وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين، ولم يكن شيء منه مألوفًا في العصر الأول، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع»[٥].

الحقيقة:

لقد تعددت أقوال المتكلمين في تعريف علم الكلام وبيان حقيقته، وحاصل ما ذكروه يرجع إلى أن علم الكلام: علم يُراد به إثبات العقائد الدينية الإسلامية، بإيراد الحجج العقلية الشاهدة لها، ودفع الشبه الواردة عليها[٦].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (١/ ٢١٦)، والبرهان في بيان القرآن لابن قدامة (٥٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، والعقود الدرية لابن عبد الهادي (٢٣٥ ـ ٢٣٦) [دار الكاتب العربي]، وفتح الباري لابن رجب (٥/ ١٠١ ـ ١٠٢) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٩٤ ـ ٩٥) [دار المعرفة]. وانظر: درء التعارض (٧/ ١٤٥، ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، والاستقامة (١/ ٨١) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٤) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٨ ـ ١٦٤)، والتسعينية (٣/ ٧٧٢ ـ ٧٧٥) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨، ٥٠، ٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (١٩٤ ـ ١٩٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، والصواعق المرسلة (٢/ ٦٦٥ ـ ٦٦٩) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، والعلو للذهبي (٢٥٨) [دار أضواء السلف، ط١، ١٤١٦هـ]، وتاريخ الإسلام له (٣٢/ ٢٣٥) [دار الكتاب العربي، ط١]، وميزان الاعتدال (٥/ ٤١١) [دار الكتب العلمية، ط١]، شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٨).

(٥) إحياء علوم الدين (١/ ٢٢). وانظر: المنقذ من الضلال له (١٠١ ـ ١٠٣) [دار الأندلس].

(٦) انظر: رسالة أبي حيان في العلوم (٢١)، والمواقف =

وهم يذكرون أنه شامل لإثبات العقائد التي تنتسب إلى الإسلام عمومًا، سواء كان ذلك صوابًا في نفس الأمر أو خطأ أو كفرًا، فيُدخِلون فيه علم المخالفين لهم من الفرق الكلامية الأخرى، كالمعتزلة مثلًا بالنسبة للأشاعرة.

نقد التعريف:

من البيِّن أن هذا التعريف قد ورد في سياق المدح والتزكية لهذا العلم، إذ إن المعرِّفين له هم ممن ينتسب إلى هذا العلم، وهذا المدح مخالف لما أجمع عليه أهل السُّنَّة من ذمهم لعلم الكلام كما سيأتي، وقد تقدم بيان الشيخ العثيمين لحقيقة هذا العلم.

وما زعمه المتكلمون في تعريفهم السابق من أن الغاية من علم الكلام هو الحجاج والدفاع عن العقائد الدينية: هو أمر لم يفلحوا في الوصول إليه، إذ إنهم قد انحرفوا عن الطريق الصحيح الموصل إلى تحصيله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالكلام الذي ابتدعوه وزعموا أنهم به نصروا الإسلام وردُّوا به على أعدائه كالفلاسفة لا الإسلام نصروا، ولا لعدوه كسروا، بل كان ما ابتدعوه أفسدوا به حقيقة الإسلام على من اتبعهم» واستمر يذكر أسباب ذلك ودوافعه[(١)].

ولقد ظهرت بوادر الكلام المذموم في الدين منذ القرن الأول، حيث ظهر شيء من الجدال في مسائل القدر في عهد النبوة، ثم بزغ من يسأل عن متشابه القرآن سؤال مشكك في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أن تلك البوادر سرعان ما قوبلت بالحسم القوي من قبل النبي ﷺ وأصحابه من بعده، واستمرت العقيدة الإسلامية راسخة، متصلة بنبع الوحي الصافي، سالمة من شوائب الكلام الفاسد.

- ولكن بعد ذلك اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام، وقد كانوا على ديانات مختلفة، مشوبة بمبادئ فلسفية لم ينفك أصحابها منها، فتسربت بعض تلك الأفكار إلى بعض المنتسبين للإسلام، فظهرت فرقة القدرية الأوائل في أواخر زمن الصحابة، على يد معبد الجهني، وغيلان الدمشقي.

ثم استمر الكلام المذموم في الترعرع والانتشار، ومما ساعد على ذلك: حركة

= للإيجي (٧) [دار عالم الكتب]، والتعريفات للجرجاني (١٦٢ ـ ١٦٣) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، وشرح المقاصد للتفتازاني (١/ ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥) [دار المعارف النعمانية، ط١، ١٤٠١هـ]، ومقدمة ابن خلدون (٤٥٨) [دار القلم، ط٥، ١٩٨٤م]، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٢٩) [مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م].

(١) شرح حديث النزول (١٦٣) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ].

الترجمة الكبيرة لكتب الفلاسفة، وذلك في زمن الدولة العباسية، حيث ترجمت كتب اليونان الفلسفية، وانتشرت في الأمة، فكان ذلك سببًا في كثرة المجادلات والخصومات في الدين، فظهرت بدعة إنكار الصفات والكلام على يد الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وكانت معتمدة على القوانين الكلامية المستقاة من الأصول الفلسفية.

ثم انتشر هذا العلم وانتقلت قواعده إلى كثير من الفرق المنتسبة للإسلام.

وبهذا فإن أبرز الفِرق التي تنتسب إلى علم الكلام: فرقة المعتزلة، ومن تبعهم من الزيدية والإباضية والرافضة الإمامية، وكذا الكلابية والأشاعرة، والماتريدية، والكرامية، والسالميَّة[(١)] وغيرهم[(٢)].

الأدلة:

لقد كان موقف السلف في تحريم علم الكلام موقفًا مبنيًا على أصول شرعية، وأدلة مرعية، **ومن ذلك**:

١ ـ أن الله قد ضمن لنا الكفاية في القرآن والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت]، فالرجوع إلى علم الكلام لتحصيل العقائد اعتراض على تلك الكفاية، والشرع قد تضمن من الأدلة النقلية والعقلية ما هو أظهر في البيان، وأقرب لتحصيل المراد، وأسلم من اللوازم الفاسدة[(٣)]، وقد أقر بذلك أئمتهم، ولكنهم حادوا عن موجبه[(٤)].

٢ ـ المواد الفاسدة التي تضمنها علم الكلام، كدليل الحدوث، والتركيب ونحوها، والتي نقلت عن قدماء الفلاسفة الملحدين، وما تضمنته مقدماتها من أمور معارضة للشرع، بل وللعقل الصحيح أيضًا.

٣ ـ أنه بدعة في الدين، فالطرق الكلامية لم يأت بها النبي ﷺ، ولم يستعملها الصحابة، ولم يدعوا الناس إليها، وهذا يعلم بالضرورة وباعتراف

(١) وهذه الفرق (الكلابية فمن بعدهم) يطلق عليهم لقب: (متكلمة الصفاتية)؛ نظرًا لإثباتهم بعض الصفات، بخلاف من قبلهم، فإنهم ينفونها، انظر في هذا الإطلاق: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٨٨، ١٥٠، ١٧٥) (٥/ ١٩٦، ٣١٧) (٦/ ١٥، ٧٣) (١٢/ ٣٦٦)، ودرء التعارض (١/ ٢٦٦) (٤/ ٣١) [دار الكتب العلمية].

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٩) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، والصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٩ ـ ١٠٧٩)، وجناية التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤١ ـ ٤٢)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنَّة لسليمان الغصن (١/ ٣٦ ـ ٤٥).

(٣) انظر: درء التعارض (٣/ ٨٧) (٨/ ٢٣٨)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٤٥٦)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٤) انظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٨٥)، وإحياء علوم الدين للغزالي (١/ ١٠٥)، والمحيط في النبوات لعبد الجبار المعتزلي (المجلد الرابع)، عن العواصم والقواصم لابن الوزير (٣/ ٤٣٩).

المتكلمين أنفسهم[(١)].

قال أبو الوفاء بن عقيل: «أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرَض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أَوْلى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت»[(٢)].

٤ ـ مناقضته لكثير من الأصول والعقائد الثابتة في الشرع.

٥ ـ أن الدين قد جاء هداية لكل الناس، وهذا العلم المولَّد من الفلسفة لا يدركه إلا شراذم من الناس، فيستحيل أن يكون أعظم باب في الدين (العقيدة والتوحيد) مبنيًّا وموقوفًا على ما لا يدركه إلا الندرة، لما في مقدماته من الغموض والخفاء والصعوبة والنزاع[(٣)]، فلو كان الإيمان بالله موقوفًا على هذا العلم ـ كما يزعم أصحابه ـ لكان بيان ذلك من أهم الواجبات، فلمَّا لم يأت ذلك البيان جزمنا ببطلانه[(٤)].

٦ ـ تحقق إجماع السلف على ذمه، والإجماع حجة معتبرة.

٧ ـ الآثار الوخيمة، واللوازم الفاسدة التي أثمرها هذا العلم الفاسد في الأمة عمومًا، وعند أصحابه خصوصًا، ومعلوم أن بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

أقوال أهل العلم:

سئل الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام، فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإيَّاك وكل محدثة، فإنها بدعة»[(٥)].

وقال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل»[(٦)]، وقال: «من طلب الدين

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٩٨ ـ ٢٠١)، وفيصل التفرقة للغزالي (٩٧ ـ ٩٩)، وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير (٢٢٤).

(٢) انظر: تلبيس إبليس (١٠٥)، ودرء التعارض (٨/٤٨).

(٣) وتلك الصعوبة اعترف بها المتكلمون أنفسهم، انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (١٨٦ ـ ١٨٨)، والمحيط بالتكليف لعبد الجبار المعتزلي (٣٥ ـ ٣٦).

(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن، ودرء تعارض العقل والنقل (١/١٢٠)، والبرهان القاطع في إثبات الصانع لابن الوزير (٧٧ ـ ١٠٣).

(٥) أخرجه المقرئ في: أحاديث في ذم الكلام وأهله (٨٦) [دار أطلس، ط١، ١٤١٧هـ]، والهروي في ذم الكلام وأهله (٥/٢٠٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]. وانظر: الحجة في بيان المحجة (١/١١٥) [دار الراية، ط٢]، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/١٧٢) (٥/٢٤٥) [دار المعرفة]، والآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، ويلاحظ هنا أن الكلام في الأعراض والأجسام من أخص المباحث التي قررها المتكلمون، وبنوا عليها عقائدهم، كما هو بيِّن من كتبهم.

(٦) شرح السُّنَّة للبغوي (١/٢١٧) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ]. وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/١٤٨) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ].

بالكلام تزندق»[(١)]، وقال بنحو ذلك القاضي أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك بالله خير له من النظر في الكلام، فإني قد اطّلعت من أهل الكلام على أشياء ما ظننتها قط»[(٣)].

٤ ـ وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المراد بالكلام الذي ذمه السلف:

إنَّ السلف في ذمهم لعلم الكلام لم يريدوا ذم جنس الكلام ومطلق الكلام، فإن كل آدميٍّ يتكلم، ولم يريدوا ذم الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله، ولم يذموا كلامًا هو الحق، وإنما ذموا الكلام الباطل، وهو المخالف للكتاب والسُّنَّة وهو المخالف للعقل أيضًا[(٥)].

فهذا الموقف الصارم للسلف من علم الكلام لا يفهم منه أن أهل السُّنَّة ينهون عن جميع الأدلة العقلية، بل إن كلامهم في استعمال الصحيح منها مشهور، وإنما نهى السلف عن الفاسد من تلك الأدلة الكلامية، والتي كانت ـ في غالب أمرها ـ مأخوذة من أصول الفلاسفة ونحوهم، التي جعلها المتكلمون معارضة لما جاء في الكتاب والسُّنَّة[(٦)].

ـ المسألة الثانية: سبب ذم السلف لعلم الكلام:

لقد كان ذم السلف لعلم الكلام منطلقًا من أسباب عديدة، حدت بهم إلى مجانبته والتحذير منه، **ومن تلك الأسباب:**

١ ـ المعاني الفاسدة التي تضمنها علم الكلام، من إنكاره ما أثبته الله، وإثبات ما نفاه، ومن القول على الله بغير علم[(٧)].

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٥/ ٧١).

(٢) انظر: أخبار القضاة لوكيع (٣/ ٢٥٨) [دار عالم الكتب]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٢/ ١٤٧)، وذم الكلام وأهله للهروي (٥/ ٢٠٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٥٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ].

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١١١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (١/ ١٤٦)، والحجة في بيان المحجة (١/ ٢٢٤)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١/ ٢١٧)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٦٩١) [دار ابن كثير، ط١].

(٤) جامع بيان العلم (٢/ ٩٥)، والمفهم (٦/ ٦٩١)، وتلبيس إبليس (٩١) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ١٤٧، ٣٠٦) (١٢/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، ودرء التعارض (٧/ ١٨١ ـ ١٨٤)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٤).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠)، ودرء التعارض (١/ ١٩٤)، (٧/ ١٥٣ ـ ١٦٦).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٣٠٤)، ودرء التعارض (٧/ ١٧٧).

٢ ـ أن هذا العلم مظنة الفتنة والزيغ على من نظر فيه، لما تضمنه من عرض العقيدة بأسلوب فلسفي جدلي عقيم، صعب المنال، بخلاف الأسلوب القرآني في تقرير العقيدة الصحيحة وبيانها.

٣ ـ إيمانهم أن الكفاية في الدين والعقائد قد تحققت بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فلا حاجة لما سواهما، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت].

٤ ـ أنه يسعهم ما وسع الصحابة والتابعين من أئمة القرون الأولى، من ترك الخوض في الكلام المذموم، فإنهم تركوا الخوض فيه لما فيه من فساد[1].

٥ ـ الآثار الفاسدة لهذا العلم على أهله، من إفضاءه بهم إلى الشك والحيرة، ومن الفرقة والاختلاف بين أهله.

٦ ـ أن هذا العلم غاية ما فيه ـ لو صح ـ التركيز على إثبات وجود الله، وربوبيته، وهذا أمر فطري، وهو بمجرده لا يدخل صاحبه في الإسلام، في حين قصر المتكلمون في بيان التوحيد الذي بدأ الأنبياء دعوتهم به، وهو توحيد العبادة[2].

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١١١).

(٢) انظر: التدمرية، ضمن مجموع الفتاوى (٣/٩٨).

إلى غير ذلك من الأسباب[3].

ـ المسألة الثالثة: تحريف المتكلمين لكلام السلف في مرادهم بذم علم الكلام:

لما رأى بعض المتكلمين من أصحاب المذاهب كلامَ أئمتهم وعموم السلف في ذم علم الكلام، حرفوا مرادهم إلى **أحد أمرين**:

١ ـ فقال بعضهم: إن ذم السلف لعلم الكلام إنما كان من أجل ما تضمنه من مصطلحات حادثة، كالجوهر والعرَض، وقالوا: الأمر في هذا قريب، ومثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحًا يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقاسوها على المصطلحات الحادثة في بقية العلوم[4].

وهذه مغالطة من قائلها، وليس الأمر كذلك، بل إن المقصود الأكبر من ذم السلف لعلم الكلام هو ما تضمنه من المعاني الفاسدة في المسائل والدلائل، والمناقِضَةِ لما تقرر في الكتاب والسُّنَّة والعقل الصحيح، ولما خلفه من آثار فساده.

وحتى المصطلحات التي أحدثها

(٣) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنَّة لسليمان الغصن (١/٨٨ ـ ٩٦)، وحقيقة التوحيد بين أهل السُّنَّة والمتكلمين للسلمي (٦٣ ـ ٦٥).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/٩٥، ٩٦).

المتكلمون من الجوهر والعرض ونحوها قد لزم عليها من المفاسد في المعاني الشيء الكثير، للباطل الذي تضمنته، والاشتراك والاحتمال في كثير منها، فليست بمثابة المصطلحات التي أحدثت في بقية العلوم، فإن أولئك السلف (كالإمام الشافعي وغيره) لم يمانعوا في استخدام المصطلحات في بقية العلوم، إذا لم تتضمن معانيَ فاسدة[(١)].

٢ ـ وقال بعض المتكلمين: إن ذم السلف قد كان مقصورًا على فرقةٍ معينة، وهم القدرية، وقد زعموا ذلك من أجل أن يخرجوا طوائفهم من ذم السلف[(٢)].

وهذا تحريف آخر منهم لكلام السلف، فكلام السلف بيِّن وواضح في أنهم لم يقصدوا بذلك الذم فرقةً كلاميّة بخصوصها، بل أرادوا بالذم عموم الفرق التي جعلت القواعد الكلامية أصلًا لها في تقرير عقائدها، كذمهم لمن اعتمد طريقة الأعراض وحدوث الأجسام والتركيب ونحو ذلك، وهي طرق قد استخدمها كل المتكلمين، من الجهمية والمعتزلة والكرامية والأشعرية والماتريدية وغيرهم، فهم جميعًا داخلون في ذلك الذم، حتى من حدَث من تلك الطوائف بعد السلف الأوائل، فكلام السلف يتناولهم ما داموا يعتمدون قواعد علم الكلام[(٣)].

۞ الفروق:

الفرق بين علم الكلام والفلسفة والمنطق:

هذه العلوم الثلاثة بينها نوع اشتراك ونوع امتياز، وبيان التمايز والفرق بينها يكون ببيان حقيقة كل منها.

ـ أمّا علم الكلام، فقد سبق بيان حدِّه وحقيقته.

ـ وأمّا علم المنطق، فهو: علم بقوانين تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر[(٤)].

ـ وأمّا علم الفلسفة، فلقد كثرت أقوال الفلاسفة قديمًا وحديثًا في تعريفها، واختلفت في بيان مجالاته، وما يدخل فيه من المعارف.

وممَّا قيل في تعريفه: إنه محبَّة الحكمة، وإن معنى الفيلسوف: محبُّ الحكمة[(٥)].

---

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر (٣٤٤) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٢، ٢٣٢) (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٧) (٧/ ١٧٠، ١٧٦).

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (٣٢١) [دار النفائس، ط١، ١٤٢٤هـ]، والإشارات والتنبيهات لابن سينا (١/ ١١٧) [دار المعارف، ط٣]، والبصائر النصيرية للساوي (٢٥، ٢٦) [دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٧م].

(٥) انظر: رسالة في آراء الحكماء اليونانيين، ضمن مجموع (أفلاطون في الإسلام) لبدوي (٣٢٨)، والحدود والرسوم للفيلسوف الكندي ضمن مجموع: (المصطلح الفلسفي عند العرب) للأعسم (١٩٧) =

وفُسِّرت هذه الحكمة بأنها: البحث عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية[(١)].

ثم يذكرون أن للفلسفة فروعًا، وهي عند كثير منهم أربعة فروع: المنطق، والطبيعيات، والإلٰهيات، والهندسة مع الحساب[(٢)].

ومن هنا تكون العلاقة بين هذه العلوم الثلاثة (الفلسفة، علم الكلام، والمنطق) من ناحية الموضوع: علاقة عموم وخصوص، فعلم الفلسفة عام لمسائل الوجود والحياة، فيبحث في الحقيقة أنَّى كانت دينية أو طبيعية أو غير ذلك، وفي الآلة الذهنية التي يسير عليها في ذلك البحث، وأمّا علم الكلام فيختص ببحث العقائد الدينية، وعلم المنطق يختص بتلك الآلة الذهنية[(٣)].

وأمّا ما بينها من اشتراك وتداخل، فحاصله أن علم الكلام قد تأثر كثيرًا بالفلسفة، خصوصًا بقسم الإلٰهيات منها، حيث انتقلت كثير من أدلة الفلاسفة وطرقهم في المعرفة بل وبعض عقائدهم إلى علم الكلام، إلا أن علماء الكلام ـ نظرًا لانتسابهم للإسلام ـ قد حاولوا أن يضفوا على تلك المسائل والدلائل نوعًا من الشرعية، وإن يهذبوا بعضها.

ويذكر البعض أن كتب الفلسفة لمّا تُرجمت، فُتِن بعض الناس بعلم المنطق منها، وما زعمه المنطقيون من كون علمهم يعصم الذهن من الغلط، فاعتمدوه في التعليم، وأدخلوه في علوم الشرع، وصنفوا فيه، حتى زعم بعض الغلاة أن من لم يعرفه فلا ثقة بعلومه أصلًا![(٤)]، هذا مع اعترافهم أنهم قد تلقوه من خصومهم، ثم لم يزالوا يستقون من علم الفلسفة حتى أخذوا من القسم الإلٰهي منها، ونشأ من جراء ذلك علم الكلام، وبدأوا يزجُّون بالقواعد الفلسفية فيه تدريجيًا، حتى صارت مصنفات علم الكلام المتأخرة مملوءة بالمادة الفلسفية بما لا يوجد مثله عند متقدميهم.

قال القنوجي: «خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة؛ لعروضها في مباحثهم وتشابه

= [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٩م]، والحدود الفلسفية للفيلسوف الخوارزمي، ضمن نفس المجموع (٢٠٦)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٥٨)، ومقدمة ابن خلدون (٥١٤) [دار القلم، ط٥، ١٩٨٤م]، والصفدية لابن تيمية (٢/ ٣٢٣).

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (١٢٣)، والحدود والرسوم للفيلسوف الكندي ضمن مجموع (المصطلح الفلسفي عند العرب) للأعسم (٢٠١)، ورسالة في أقسام العلوم العقلية ضمن تسع رسائل في الحكمة (طبيعيات لابن سينا) (٨٣) [دار قابس، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤٤٢).

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤٣١)، وضحى الإسلام لأحمد أمين (٣/ ٥٢٩) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٥هـ]، وأثر علم الكلام على المنتسبين إليه (٣٤).

(٤) انظر: المستصفى للغزالي (١/ ٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ].

موضوع علم الكلام بموضوع الإلٰهيات، ومسائله بمسائلها، فصارت كأنها فن واحد، ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلٰهيات، وخلطوهما فنًّا واحدًا، قدموا الكلام في الأمور العامَّة، ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها إلى آخر العلم، كما فعله الإمام ابن الخطيب [الرازي] في (المباحث المشرقية)، وجميع من بعده من علماء الكلام، وصار علم الكلام مختلطًا بمسائل الحكمة، وكتبه محشوة بها، كأنَّ الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد، والتبس ذلك على الناس»[(١)].

الآثار:

لقد كان لعلم الكلام المبتَدَع آثارٌ وخيمة على أهل هذا العلم، وجرّ ويلاتٍ كبيرة على الأمة الإسلامية، **ومن آثاره بإيجاز**[(٢)]:

أولًا: آثاره السيئة على المتكلمين في منهج الاستدلال، **ومن ذلك:**

١ ـ اعتماد العقل (الفاسد) أساسًا في تقرير العقائد.

٢ ـ الإعراض عن الكتاب والسُّنَّة، وإهمالهما، وعدم استفادة اليقين منهما، وتقديم عقولهم الفاسدة عليهما، وعدم الاحتجاج بالآحاد من السُّنَّة (أو ما توهموه آحادًا) في مسائل الاعتقاد.

٣ ـ الجهل بإجماع السلف في باب الاعتقاد، حيث خرق المتكلمون إجماعات كثيرة في عدد من المسائل وأصول الاستدلال عند السلف.

٤ ـ تحريف المعاني اللغوية لنصوص العقيدة، إذا خالفت ما قرروه بالعقل.

ثانيًا: آثاره السيئة على المتكلمين في العقائد، حيث ترتب على هذا العلم وقواعده الفاسدة أن تبنَّى أصحابه كثيرًا من البدع القولية والعملية والاعتقادية في غالب أبواب الاعتقاد والدين، كعقائد النفي والتعطيل أو التحريف أو التمثيل في باب أسماء الله وصفاته أو بعضها، كما نتجت عنه بدع الإرجاء والغلو في باب الإيمان، وكذلك بدع الجبر والقدر في باب القدر وغيرها.

ثالثًا: آثاره السيئة على الجوانب الفكرية والشخصية، والإيمانية والسلوكية.

فمن ذلك: أن علم الكلام قد أورث أهله تناقضًا واختلافًا كبيرًا، فتشتت أصحابه إلى مذاهب كثيرة في أصول الدين، مع اتفاقهم على اعتماد علم الكلام، فصاروا شيعًا متفرقين، حتى

---

(١) أبجد العلوم (٢/ ١١٠) [دار الكتب العلمية، ط ١٩٧٨هـ]. وانظر: منهاج السُّنَّة (٣/ ٢٨٨)، وشرح المقاصد للتفتازاني (١/ ١٤)، وأثر علم الكلام على المنتسبين إليه (٣٥).

(٢) انظر تفصيلها في: وأثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السُّنَّة والجماعة وكبار المتكلمين منه (٩٣) وما بعدها، [رسالة ماجستير في جامعة أم القرى].

كفّر بعضهم بعضًا[(١)].

كما أثمر هذا العلم عند أصحابه الحيرة والاضطراب، والشك والريب، فكان الكثير منهم يتذبذب بين المذهب ونقيضه، وكَثُرَ التحول المذهبي عندهم، وقد اعترف بذلك الشك كبراؤهم[(٢)].

رابعًا: أثر علم الكلام في موقف أهله من سلف الأمة، حيث لمزوا السلف الصالح بكل نقيصة، ورموهم بالألقاب القبيحة، كقولهم عن السلف: إنهم مشبهة، وحشوية، وغثاء، وعامة، وجهلة، وغير ذلك، حتى إن الصحابة لم يسلموا من لمزهم، أو من لمز بعضهم، بل ولا الأنبياء، وكلامهم في ذلك في كتبهم مشهور[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أثر علم الكلام على المنتسبين إليه، وموقف أهل السُّنَّة والجماعة وكبار المتكلمين منه»، لوليد بن صالح باصمد، [رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، قسم العقيدة].

٢ ـ «جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية»، لمحمد أحمد لوح.

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٥ ـ «ذم الكلام وأهله»، للهروي.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

٨ ـ «قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل»، لمحمد صدِّيق حسن خان.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

١١ ـ «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنَّة»، لسليمان الغصن.

علم المكاشفة

يراجع مصطلح (الكشف).

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (١٥١ ـ ١٥٢) [دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م]، والبصائر والذخائر للتوحيدي (٧/٢٤٩) [دار صادر، ط١، ١٤٠٨هـ]، والانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (٤ ـ ٢٧، ٤٦) [مكتبة أضواء المنار، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي (١٠٤ ـ ١٠٥)، ودرء التعارض (٨/٤٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٥٠، ٧٣) والعلو للعلي الغفار (٢٥٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٢/٢٣٢).

(٣) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٩٩) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ]. ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/١١٠ ـ ١١١)، وقلب الأدلة على الطوائف المضلة في توحيد الربوبية والأسماء والصفات، لتميم القاضي، الباب الرابع (قلب الألقاب) [رسالة ماجستير في جامعة الإمام، قسم العقيدة].

العلو

التعريف لغةً:

علا يعلو علوًّا؛ إذا ارتفع فهو عال وعليّ، والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه[(١)]، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «العين واللام والحرف المعتل ياءً كان أو واوًا أو ألفًا، أصلٌ واحد يدلُّ على السموّ والارتفاع، لا يشذُّ عنه شيء. ومن ذلك: العَلَاء والعُلُوّ. ويقولون: تَعالى النّهارُ؛ أي ارتفع. قال الخليل: أصل هذا البناء العُلُوّ. فأمّا العَلاء فالرِّفعة، وأمّا العُلُوّ فالعظمة والتجبُّر. يقولون: علا المَلِك في الأرض عُلُوًّا كبيرًا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، ويقولون: رجلٌ عالي الكعب؛ أي: شريف. قال:

لما عَلَا كعبك لي عَلِيتُ.

ويقال لكلِّ شيءٍ يعلُو: علا يَعْلُو. فإن كان في الرِّفعة والشرف قيل: عَلِيَ يَعْلَى. ومن قَهَر أمرًا فقد اعتلاه واستعلى عليه وبه»[(٢)].

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٣) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١١٢ ـ ١١٣) [دار الجيل، ط١]. وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٥٠) [دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م]، والمفردات في غريب القرآن (٣٤٦) [دار المعرفة]، ولسان العرب (١٥/ ٨٣) [دار صادر، ط١]، والقاموس المحيط (٤/ ٤١٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

التعريف اصطلاحًا:

العلو صفة ذاتية ثابتة لله عَزَّ وَجَلَّ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، فالله عَزَّ وَجَلَّ له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى[(٣)].

الحكم:

يجب الإيمان بعلو الله وفوقيته على جميع خلقه ذاتًا وقدرًا وقهرًا؛ لدلالة نصوص الكتاب والسُّنَّة على ذلك؛ إيمانًا بريئًا من تمثيل الممثلين وتعطيل المعطلين[(٤)].

الحقيقة:

قد تضمن العلو الذي ينعت الله عَزَّ وَجَلَّ به نفسه في كتابه أنه متعال عما لا يليق به من الشركاء والأولاد، فليس كمثله شيء، وهذا يقتضي ثبوت صفات الكمال له دون ما سواه، وأنه لا يماثله غيره في شيء من صفات الكمال، بل هو متعال عن أن يماثله شيء، وتضمن أنه عال

(٣) انظر: صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة لعلوي السقاف (٢٢٣) [دار الهجرة، ط٢، ١٤٢٢هـ]، وتفسير السعدي (٧٣٤) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: التحفة المدنية في العقيدة السلفية لحمد بن ناصر آل معمر (١/ ٤٨) [دار العاصمة، الرياض، ط١].

على كل ما سواه، قاهر له، قادر عليه، نافذة مشيئته فيه، وأنه عال على الجميع، فوق عرشه[1]، فجميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه؛ له علو الذات: فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى؛ أي: علا وارتفع، وله علو القدر؛ وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، وله علو القهر؛ فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه[2].

الأدلة:

تنوعت دلالة النصوص عل إثبات علو الله عزّ وجلّ على خلقه، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعًا»[3]، **فمن ذلك ما يلي:**

أحدها: التصريح بالفوقية، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام].

الثاني: التصريح بالعروج إليه، نحو قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج].

الثالث: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

الرابع: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

الخامس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

السادس: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [السجدة].

وقد دل الإجماع على إثبات صفة العلو لله عزّ وجلّ[4].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/١٢٣) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: التوضيح المبين للسعدي (٣٧) [دار عالم الفوائد، تصحيح محمد آل بسام، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٥) [المكتب الإسلامي، ط٩، ١٤٠٨هـ].

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/١٠٨) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلي: ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه»[(١)].

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه، وأعلمنا أنه العلي العظيم، أفليس العلي ـ يا ذوي ـ الحجا ما يكون عاليًّا لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان، ولو تدبروا آية من كتاب الله ووفقهم الله لفهمها لعقلوا أنهم جهّال لا يفهمون ما يقولون، وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم»[(٢)].

وقال قوام السُّنَّة التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أجمع المسلمون أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى]، فثبت أن لله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة»[(٣)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالسلف والأئمة يقولون: إن الله عَزَّ وَجَلَّ فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة، وكما علم المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح وكما فطر الله عَزَّ وَجَلَّ على ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه»[(٤)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه»[(٥)].

الأقسام:

الله تبارك وتعالى له جميع أنواع العلو، ومن أنكر شيئًا منها، فقد ضلّ ضلالًا بعيدًا، وقد جاءت النصوص بإثبات أنواع ثلاثة من العلو لله تعالى، **وهي:**

١ ـ علو الذات، فالله تبارك وتعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، وعرشه فوق جميع مخلوقاته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]. وهو مع هذا مطلع على خلقه، محيط بهم، مدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة.

٢ ـ علو القهر والغلبة، وهو: قهره تعالى لجميع المخلوقات، فالعالم العلوي والسفلي كلهم خاضعون لعظمته مفتقرون إليه في كل شؤونهم، فلا ينازعه

(١) تفسير الطبري (١/ ١١).
(٢) التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّ وَجَلَّ (١/ ٢٥٧) [مكتبة الرشيد، ط٥، ١٩٩٤م].
(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٠٨).
(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧).
(٥) مدارج السالكين (٣/ ٤١١).

منازع، ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد وصف الحق تبارك وتعالى نفسه بصفات كثيرة تدل على علو القهر والغلب كالعزيز، والقوي، والقدير، والقاهر والغالب ونحو ذلك. قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام]. فهو الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه.

٣ ـ علو المكانة والقدر، فصفاته كلها صفات كمال، وله من كل وصف ونعت أكمله وغايته.

وهذا القسم هو الذي أطلق عليه القرآن: (المثل الأعلى) كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]، فالمثل الأعلى: الصفات العليا التي لا يستحقها غيره، فالله هو الإله الواحد الأحد، وهو متعال عن الشريك والمثيل والند والنظير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص][1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة العلو اسمه تعالى (العلي):

«فإن من لوازم اسم العلي العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه علو القدر وعلو القهر وعلو الذات فمن جحد علو الذات، فقد جحد لوازم اسمه العلي»[2].

«واسمه العلي يُفسر بهذين المعنيين: يفسر بأنه أعلى من غيره قدرًا فهو أحق بصفات الكمال، ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون. وهذا يتضمن كونه خالقًا لهم وربًّا لهم، وكلاهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء، فلا شيء فوقه»[3]. قال ابن القيم رحمه الله: «العلي: الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص، ومن كمال علوه ألَّا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء»[4].

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية للسعدي (٣/ ٣٧٧) [ضمن المجموعة الكاملة له]، والحق الواضح المبين (٢٢٤)، [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣١) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٥٨).

(٤) شفاء العليل (١٨٠).

وقد ورد اسم الله (العلي) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]، أما في السُّنَّة فقد ورد هذا الاسم الجليل في أحاديث، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع**» الحديث[1]. وهذا الاسم الجليل لله تعالى ثابت بإجماع المسلمين[2].

فيجب الإيمان باسم الله العلي الذي سمَّى الله به نفسه وسمَّاه به رسوله على الوجه اللائق به تعالى؛ لدلالة نصوص الكتاب والسُّنَّة.

ـ المسألة الثانية: ومن أسماء الله الحسنى الدالة على صفة العلو اسمه تعالى: (الأعلى):

الأعلى أفعل تفضيل، فعله: علا يعلو علوًّا، فالأعلى هو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في وصفه، والأعلى والعلي والمتعالي أسماء ثابتة لله تعالى واشتقاق هذه الأسماء واحد، ومعناها متقارب، وهو الأعلى سبحانه بمعنى العالي، قال الأزهري: «والأعلى هو الله الذي هو أعلى من كل عالٍ. واسمه الأعلى؛ أي: صفته أعلى الصفات. والعلاء الشرف. وذو العلاء صاحب الصفات العلا، والعلا جمع العليا؛ أي: جمع الصفة العليا والكلمة العليا. ويكون العلا جمع الاسم الأعلى»[3].

والأعلى اسم من أسماء الله الحسنى بدلالة الكتاب والسُّنَّة؛ فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى]، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]، وعن حذيفة رضي الله عنه في صفة صلاة النبي ﷺ وفيه: «ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبًا من قيامه»[4].

فيجب الإيمان باسم الله الأعلى الذي سمَّى الله به نفسه وسمَّاه به رسوله على الوجه اللائق به تعالى؛ لدلالة نصوص الكتاب والسُّنَّة.

وقد دلَّ اسم الله الأعلى على ثبوت العلو المطلق لله من جميع الوجوه؛ علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).
(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/١٠٨).
(٣) تهذيب اللغة (٣/١١٨ ـ ١١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٢).

القهر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «و(الأعلى) يجمع معاني العلو جميعها، وأنه الأعلى بجميع معاني العلو. وقد اتفق الناس على أنه علا على كل شيء بمعنى أنه قاهر له قادر عليه، متصرف فيه، وعلى أنه عال عن كل عيب ونقص، فهو عال عن ذلك منزه عنه»[(١)].

- **المسألة الثالثة: اسم الله (المتعال):**

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة العلو اسمه تعالى (المتعال)، ومعناه: أنه علا كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل شيء، فخضعت له الرقاب ودان له العباد، طوعًا وكرهًا[(٢)].

فالمتعال دال أيضًا على جميع معاني العلو؛ علو الذات، والقهر والعظمة، والقدر[(٣)].

وقد ورد اسم المتعال في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وقد ذكره البيهقي في الأسماء الحسنى[(٤)]. وقال الأصبهاني: «اسمه تعالى المتعال؛ أي: تعالى عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، وقيل: تعالى فوق خلقه»[(٥)].

- **المسألة الرابعة: وصف الله تعالى بذي المعارج:**

من الأوصاف المضافة الدالة على علو الله: ذو المعارج، ومعناه: ذو العلو والدرجات والفواضل والنعم[(٦)]، وقال الخطابي: «هو الذي يُصعد إليه بأعمال العباد، وإليه يُصعد بأرواح المؤمنين»[(٧)]، وقال الحليمي: «هو الذي إليه يُعرج بالأرواح والأعمال»[(٨)]، وقال الأصفهاني في بيان معنى ذي المعارج: «ومعناه: تُعرج أعمال الخلق إليه، كما قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، فملائكة النهار تعرج بأعمالكم بالنهار، وملائكة الليل تعرج بأعمالكم بالليل»[(٩)].

فالله تعالى تُعرج إليه الأعمال

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ١١٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٥هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧) [دار طيبة، ط٢]. وانظر: نفس المصدر (٥/ ٤٤٩)، وتفسير الطبري (١٦/ ٣٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وتفسير البغوي (٤/ ٢٩٩) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: تفسير السعدي (٤١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، شرح أسماء الله الحسنى (٨٢) [دار الإيمان، دار القمة]، وفقه الأسماء الحسنى (١٤٦) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٩٧).

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٨٥) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ]، وتفسير القرطبي (٢١/ ٢٢٢)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٢٦).

(٧) شأن الدعاء (١٠٤) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٨) المنهاج (١/ ٢١٠) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٩) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٤) [دار الراية، ط٢].

والأرواح، وإليه تعرج الملائكة، وهو الذي يرفع درجات المؤمنين، ويزيد في الفواضل والنعم؛ فهو ﷻ ذو المعارج على الحقيقة.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على إطلاق ذلك لله ﷻ، وهو قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج]، وثبت في حديث صحيح عند أبي داود وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: أهلَّ رسول الله ﷺ ـ فذكر التلبية مثل حديث ابن عمر[1] ـ قال: والناس يزيدون: «ذا المعارج» ونحوه من الكلام، والنبي ﷺ يسمع فلا يقول لهم شيئًا»[2]، وفي رواية: «لبَّيك ذا المعارج، لبَّيك ذا الفواضل، فلم يعب على أحد منهم شيئًا»[3].

ولقد عدَّ بعض أهل العلم هذا من الأسماء الحسنى؛ لكونه من الأسماء المضافة الثابتة في حق الله ﷻ، قال ابن تيمية: في عدّ الأسماء المضافة من أسماء الله الحسنى: «كذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب وغير ذلك مما ثبت في الكتاب أو السُّنَّة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين وليس هذا من التسعة والتسعين»[4].

وممن عدَّه أيضًا: الخطابي[5]، والحليمي[6]، والبيهقي[7]، والأصفهاني[8]، وابن العربي[9]، وابن تيمية[10]، وابن الوزير[11]، وبعض المتأخرين والمعاصرين[12].

---

(١) حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٥٤٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١١٨٤).
وألفاظ التلبية فيه هي: «لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب المناسك، رقم ١٨١٣)، وأحمد (٢٢/ ٣٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب المناسك، رقم ٢٦٢٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٩١) [مؤسسة غراس، ط١].

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٠٣٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤/ ٢٠٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٥).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (١٠٤).

(٦) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢١٠).

(٧) الأسماء والصفات (١/ ٢٢٩) [مكتبة السوادي].

(٨) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٤).

(٩) أحكام القرآن (٢/ ٣٤٢) [دار الكتب العلمية، ط٣].

(١٠) انظر: المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٥٦).

(١١) إيثار الحق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(١٢) انظر: الجوائز والصلات لنور الحسن (٨٥) [مطبعة الفاروقية، الهند، ١٢٩٧هـ] والنهج الأسمى لحمود النجدي (٢/ ٣٤٤) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت]، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد التميمي (١٩٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

ولم يعدّه بعض أهل العلم ضمن أسماء الله الحسنى[(١)]، وأنكر بعضهم أن يكون من أسماء الله الحسنى[(٢)].

- المسألة الخامسة: ذكر أهل العلم أن الله تعالى: رفيع الدرجات:

ومعنى ذلك أنه رفيع المنزلة، ويرفع من يشاء في الدرجات والمنازل، قال ابن العربي: «رفيع الدرجات، لا يلحق مرتبته أحد بحال»[(٣)].

وقد ورد وصف الله ﷻ برفيع الدرجات صريحًا في القرآن، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وورد ما يدل على معاني رفع الدرجات في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣، ويوسف: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف]، وغيرها من الآيات.

وقد عدّ هذا الاسم ضمن أسماء الله الحسنى بعض من العلماء منهم: ابن العربي[(٤)]، وابن تيمية[(٥)] وابن حجر في التلخيص[(٦)]، وبعض المعاصرين[(٧)].

وذكر الحليمي[(٨)]، والبيهقي[(٩)]، وابن حجر في الفتح[(١٠)]: (الرفيع) دون المضاف إليه، واستدلوا له بقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥]، ولم يعدّه الكثيرون ضمن ما عدوه من أسماء الله الحسنى.

- المسألة السادسة: الجمع بين صفتي العلو والمعية: لا تعارض ولا تنافيَ بين علو الله وفوقيته وبين معيته لخلقه أينما كانوا؛ فعُلوُّه تعالى أمر ثابت له، وهو من لوازم ذاته. ودنوه ومعيته لعباده؛ لأنه أقرب إلى كل أحد من حبل الوريد، فهو على عرشه عَليٌّ على خلقه، ومع ذلك فهو معهم في كل أحوالهم، ولا منافاة بين الأمرين؛ وذلك متقرر من وجهين:

أولًا: أنه لا منافاة بينهما في الواقع،

---

(١) كابن منده، وابن حزم، والغزالي، وغيرهم.

(٢) مثل: عمر الأشقر في كتابه أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة (٦٤ ـ ٦٥) [دار النفائس، ط٢].

(٣) أحكام القرآن (٢/ ٣٤٤).

(٤) أحكام القرآن (٢/ ٣٤٢).

(٥) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٥٦).

(٦) تلخيص الحبير (٤/ ٣٢١٢) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٧) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٧٣، و١٩٨) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٨) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٠).

(٩) انظر: الأسماء والصفات (١/ ٥٤).

(١٠) فتح الباري (١١/ ٢٥٧) [دار السلام، ط١].

فقد يجتمعان في شيء واحد، ولذلك تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أنه في السماء.

الثاني: أنه لو فرض أن بينهما منافاة في حق المخلوق لم يلزم أن يكون بينهما منافاة في حق الخالق؛ لأنه ليس كمثله شيء، وهو تعالى بكل شيء محيط[(١)].

ـ المسألة السابعة: العلو مقارن للظهور، فكلما كان الشيء أعلى كان أظهر، وكل واحد من العلو والظهور يتضمن معنى الآخر:

ومنه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»[(٢)]، ولم يقل فليس أظهر منك شيء؛ لأن الظهور يتضمن العلو والفوقية، فقال: فليس فوقك شيء. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧﴾ [الكهف]؛ أي: يعلوا عليه، ويقال: ظهر الخطيب على المنبر؛ إذا علا عليه، ويقال للجبل العظيم: علم؛ لأنه لعلوه وظهوره يعلم ويعلم به غيره[(٣)].

ـ المسألة الثامنة: إذا كانت صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه، ولا تستلزم نقصًا، ولا توجب محذورًا، ولا تخالف كتابًا ولا سُنَّة ولا إجماعًا فنفي حقيقتها يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلًا، فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده تعالى وتصديق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله ﷺ إلا بذلك، فكيف اذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله ﷻ على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعًا[(٤)].

ـ المسألة التاسعة: ما يطلقه المتكلمون من الألفاظ المجملة في هذا الباب كالجهة والحيز ومن خلاله ينفون العلو باعتبار نفي الجهة والحيز، فمذهب أهل السُّنَّة فيها أنهم لا ينفونها ولا يثبتونها على الإطلاق، فهي لم ترد لا في الكتاب ولا في السُّنَّة، ولا قالها أحد من سلف وخيار الأمة في حق الله تعالى لا نفيًا ولا إثباتًا، وحينئذٍ فإطلاق القول بنفيها أو إثباتها ليس من مذهب السلف، وإنما يستفصلون في المعنى، فإن كان المعنى حقًّا يليق بجلال وكمال الله تعالى قبلوه، وإن كان باطلًا ردوه ونفوه، واللفظ يتوقفون فيه على كلا الحالين[(٥)].

---

(١) انظر: القواعد الحسان (٨/ ٣٩) [ضمن مجموع مؤلفات السعدي، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٠٨).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣١٨) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٠٤).

ـ المسألة العاشرة: المعنى الصحيح لبعض الآيات:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إلٰه من في السماوات وإله من في الأرض وهو الله على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان»[(١)]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف ٨٤]؛ يعني: إلٰه أهل السماء وإلٰه أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة؛ تقول: فلان أمير في خراسان وأمير في بلخ وأمير في سمرقند؛ وإنما هو في موضع واحد ويخفى عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إلٰه فيهما[(٢)].

الفروق:

الفرق بين الأعلى والعلي والمتعال:

هذه الصيغ كلها مما ثبت تسمية الله عَزَّ وَجَلَّ به، وكلها تشترك في الدلالة على معنى العلو والعظمة والجلال لله عَزَّ وَجَلَّ، علو الذات والقَدْر والقهر.

و«الفرق بين العلي والأعلى: أن العلي يدل على كثرة الصفات ومتعلقاتها وتنوعها، والأعلى يدل على عظمتها»[(٣)]، والأعلى أبلغ من العلي، والمتعال أبلغها كلها[(٤)].

الفرق بين العلو والاستواء:

الفرق بين العلو والاستواء من **جهات متعددة:**

١ ـ العلو صفة ذاتية، والاستواء صفة فعلية.

٢ ـ العلو ثابت بالسمع والعقل والفطرة والحس، وأما الاستواء فهو ثابت بالسمع فقط.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيه: ثم استوى، ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع»[(٥)].

٣ ـ علو الله عام على جميع خلقه، أما الاستواء فلم يرد إلا خاصًّا مقيدًا بالعرش.

---

(١) الرد على الجهمية (١٤٨ ـ ١٤٩) [دار الثبات، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٧٠).

(٣) فتح الرحيم الملك العلام للسعدي (٤٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٣).

٤ ـ الاستواء أحد أدلة العلو وليس العكس.

الثمرات:

أن الإنسان إذا علم بأن الله تعالى فوق كل شيء، فإنه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحينئذٍ يخافه ويعظمه، وإذا خاف الإنسان ربه وعظمه، فإنه يتقيه فيؤدي ما أوجب الله عليه، ويدع ما حرم عليه، ومتى آمن العبد بعلو الله المطلق ذاتًا وقدرًا ومكانًا، وفوقيته على سائر بريته، وقهره لهم جميعًا، اتجه إليه بقلب خاشع، وجعله له صمدًا يعرج قلبه إليه مناجيًا له مطرقًا، واقفًا بين يديه في السؤال والرغبة والرهبة والذل والمحبة[(١)].

الآثار:

١ ـ الإيمان باسم الله العلي وما تضمنه من صفة العلو يورث العبد تعظيمًا لله وذلًا بين يديه وتنزيهًا له عن النقائص والعيوب، وإخلاصًا في عبادته، وبعدًا عن اتخاذ الأنداد والشركاء[(٢)].

٢ ـ من شهد مشهد علو الله على خلقه، وفوقيته لعباده، واستواءه على عرشه، وتعبّد بمقتضى هذه الصفة، استحيا أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك.

٣ ـ من يشهد تدبيره من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك استغنى بالله عن غيره[(٣)].

مذهب المخالفين[(٤)]:

خالف أهلَ السُّنَّة المبتدعةُ عمومًا، وهم في علو الله ﷻ على خلقه على **ثلاثة أقوال:**

القول الأول: هو إنكار العلو، ويزعمون أن الله ليس في مكان، فينكرون أن يكون فوق أو تحت أو يمين أو شمال، ويقولون: هو لا في جهة، وهذا قول الجهمية، والأشعرية ومن وافقهم[(٥)].

القول الثاني: أنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان، وهذا قول بشر المريسي

(١) انظر: أسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٤٦) [مكتبة الإمام الذهبي، ط٤، ١٤٣١هـ].

(٢) فقه الأدعية والأذكار (١٤٩) للبدر [مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) طريق الهجرتين (١/٧٨) [دار ابن القيم، ط٢].

(٤) انظر في صفة العلو وإثباتها والردود على المخالفين في هذه الصفة: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، وإثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، والعلو للعلي الغفار للذهبي.

(٥) انظر: المغني لعبد الجبار المعتزلي (٥/٢١٥، ٢١٦)، والتمهيد للباقلاني (٣٠٠)، والاقتصاد للغزالي (١٦٤)، والإرشاد للجويني (٥٨، ٥٩)، والمواقف للإيجي (٢٧٠).

والنجارية من المعتزلة، والسالمية، ونسب هذا القول شيخ الإسلام إلى صوفية وعبَّاد الجهمية[(١)].

القول الثالث: أن الله مستو على عرشه، وهو مع ذلك بذاته في كل مكان، ونسب هذا القول أبو الحسن الأشعري إلى زهير الأستري، ونسبه شيخ الإسلام ابن تيمية لبعض السالمية والصوفية[(٢)].

أما الرد على هؤلاء إجمالًا فإنه يقال:

١ ـ إن الأدلة الصريحة والكثيرة الدالة على علو الله تعالى ترد جميع أقوال المخالفين، وقد تقدمت الإشارة إلى جزء منها.

٢ ـ إجماع سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الذين يُقتدى بهم على إثبات العلو لله تعالى، وأنه مستو على عرشه ﷻ، بائن من خلقه.

٣ ـ الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها بأنه تعالى عال على خلقه، فما من داع إلا ويجد في نفسه ضرورة تأخذه إلى جهة العلو، مما فيه الدلالة البينة على صفة الفوقية لله تعالى.

٤ ـ إن الله خلق الخلق، فإما أن يكون خلقه داخل نفسه أو خارجها، والأول محال؛ لأنه يكون محلًا للأقذار، فلم يبق إلا الثاني، وهو أن خلقه خارج نفسه، وإذا كان كذلك، فإما أن الله تعالى فوق الخلق أو تحته أو يمينه أو شماله، ولا يمكن أن يكون خلقه فوقه فإن لازم ذلك أن يكون الله ﷻ تحت العالم، فهي صفة دونية، ولا يمكن أن يكون خلقه يمينه أو شماله؛ لأنها صفة مماثلة، ولم يقل بهذا أحد من العالمين، ولم يبق إلا أن يكون خلقه تحته، وهو سبحانه له الفوقية، وهي صفة كمال للخالق، وهو أَوْلى بذلك، فثبت بذلك صفة العلو عقلًا كما ثبتت شرعًا وفطرة[(٣)].

٥ ـ رد دعوى الجسمية والتحيز التي جعلوها لازمة للإثبات؛ فهذه ألفاظ مجملة لم ترد في الكتاب ولا في السُّنَّة، فلا يجوز أن تجعل حاكمة على النصوص الشرعية، فترد دلالة النص المحكم لأجلها! وهذا من أعظم الجناية على النصوص الشرعية، ولئن كان هذا مساغًا لكان مطردًا في كل صفة من صفات الله تعالى، فتنفى كل الصفات بدعوى الجسمية والتحيز والتركيب ونحوها مما لم ينزل الله تعالى بها من سلطان.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٣٦، ٢٨٦، ٣٥١)، والملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل (١/٥٥، ١١٣، ١١٤)، ومجموع الفتاوى (٢/٢٩٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٧١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٩٩).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/١٥٢).

المصادر والمراجع:

١ ـ «إثبات صفة العلو»، لابن قدامة.

٢ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٣ ـ «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، لعماد زكي البارودي.

٤ ـ «كتاب التوحيد» (ج٢)، لابن منده.

٥ ـ «كتاب التوحيد» (ج١)، لابن خزيمة.

٦ ـ «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٧ ـ «الحق الواضح المبين»، السعدي.

٨ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة»، اللالكائي.

٩ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

١٠ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

١١ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج١)، لمحمد حمود النجدي.

العلي

يراجع مصطلح (العلو).

علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي أبو الحسن. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[(١)] و«هي أول هاشمية ولدت لهاشمي، توفيت مسلمة قبل الهجرة، وقيل: إنها هاجرت»[(٢)].

مولده ووفاته:

ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنين على الصحيح، ورُبِّي في حجر النبي ﷺ ولازمه[(٣)]. وقتله عبد الرحمٰن بن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين للهجرة النبوية عن ثلاث وستين سنة[(٤)] على الراجح. قال الحافظ ابن حجر: «مات في رمضان

(١) المعارف لابن قتيبة (٢٠٣) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢]، والمعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٢٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ]، والاستيعاب في معرة الأصحاب (٣/ ١٠٨٩) [دار الجيل، ط١] والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٦٤) [دار الجيل، ط١].

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٨٩). وانظر: المعارف لابن قتيبة (٢٠٣).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٦٤).

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٩٤)، والبداية والنهاية (١١/ ١٣ ـ ١٥، و٢١) [دار هجر، ط١].

سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السُّنَّة، وله ثلاث وستون على الأرجح»[(١)].

واختلف في يوم وفاته رضي الله عنه؛ فقيل: مات يوم ضربه، وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، وقيل بعده بيومين، وقيل: في العشر الأخير من رمضان[(٢)]. واختلف في موضع دفنه على عدة أقوال، قال ابن كثير بعد ذكر طائفة منها: «والمشهور أنه دفن بدار الإمارة»[(٣)].

إسلامه:

أسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قديمًا جدًّا؛ فهو أول من أسلم من الغلمان، قال ابن كثير: «أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته رضي الله عنها، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم»[(٤)].

وقد كثرت الروايات الواهية والموضوعة في تحديد يوم إسلامه، وأنه صلَّى قبل المسلمين الآخرين سبع سنين، وفيما صح غنية عنها[(٥)]، ولم يفارق النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، حيث استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة، لما ثبت من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «خلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**»[(٦)].

وذكر غير واحد من العلماء أنه لما خلّف النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه على المدينة في غزوة تبوك، أرجف به المنافقون وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما خلفه مع النساء والصبيان استثقالًا له وتخفّفًا منه، فأخذ علي رضي الله عنه سلاحه ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف، وأخبره بما قاله أهل المين والكذب، فكذبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعليّ ما قال كما في حديث سعد بن أبي وقاص المتقدم، فرجع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى المدينة ومضى النبي صلى الله عليه وسلم في سفره[(٧)].

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر (٤٠٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٣١).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢١).

(٤) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) [دار المعرفة، ١٣٩٥هـ]، وأورده الألباني في صحيح السيرة (٩٩). وانظر: مختصر السيرة لابن عبد الوهاب (٨٤، ٨٥) [المكتبة السلفية، ط٢، ١٣٩٦هـ].

(٥) انظر: السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١/ ١٣٤) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط٦، ١٤١٥هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤١٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٤).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥١٩، ٥٢٠) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ] والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٦٤) والبداية والنهاية (٧/ ١٥٥).

فضائله:

لا شك أن علي بن أبي طالب هو صاحب المناقب الجمَّة والفضائل الكثيرة، وفيما يلي **جملة منها**:

- أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما جاء من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»(١).

- شهادة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بأنه يحب الله ورسوله ﷺ، ويحبه الله ورسوله ﷺ، فقد ثبت من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله**». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها، فلمَّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟، فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(٢).

- ومن الأحاديث في بيان فضله وعلو مقامه: قول النبي ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»(٣).

مكانته:

لعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه مكانة كبرى ومنزلة عليا، فهو رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ، والناشئ تحت رعايته، وزوج ابنته، وأحد الستة من أهل الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم، ورابع الخلفاء الراشدين، كان النبي ﷺ يسند إليه مهامَّ كبيرة، فقد أعطاه الراية في غزوة خيبر ففتح الله على يديه كما تقدم

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٤٧)، وأحمد (٣/ ٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠) [المكتب الإسلامي].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢١٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧١٤) وحسَّنه، وأحمد (٣٢/ ٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٧٦) وصححه، وصححه أيضًا الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٣٠).

في فضائله، وبعثه إلى اليمن حاكمًا[(١)]، ولما سمع بتوجه النبي ﷺ إلى الحج، خرج حاجًّا وساق هديه وأهلَّ بما أهلَّ به النبي ﷺ، ولما التقى النبي ﷺ في مكة أخبره بما أهلَّ به، فأشركه النبي ﷺ في هديه[(٢)]، وكان الخليفتان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما يعظمانه، ويستشيرانه في الأمور المدلهمة، وما ذاك إلا لعلو شأنه عندهما، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب استشار الناس لما بلغه خبر تجمع الفرس بنهاوند لقتال المسلمين، فأشار إليه بعض أهل الرأي من الصحابة، فأعاد عمر فقال: «إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا، فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشأم من شأمهم، سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض، انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم؛ لئلَّا ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددًا لهم، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا، قالوا: هذا أمير العرب وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم وألبتهم على نفسك، وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإنَّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكنا كنا نقاتل بالنصر. فقال عمر: أجل والله»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع عمر يقول لعليّ رضي الله عنهما وقد سأله عن شيء فأجابه: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن»[(٤)].

وغير ذلك مما يدل على سمو مكانته ورفعة شأنه رضي الله عنه.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: مبايعة علي للصديق رضي الله عنهما:

بايع عليٌّ أبا بكر الصديق رضي الله عنهما بالخلافة، وجاء في الصحيح ما يدل

(١) كما جاء عند أبي داود (كتاب الأقضية، رقم ٣٥٨٢)، وابن ماجه (كتاب الأحكام، رقم ٢٣١٠)، وأحمد (٢/ ٦٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٦٥٨) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٢٥٠٠).

(٢) كما في حديث جابر عند مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢١٨). وانظر: البداية والنهاية (١٠/ ٤١٦، ٤١٧).

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٥٢٤).

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/ ١٦٦) [دار الكتب العلمية، ط٢].

على تأخر وقوع هذه البيعة[١]، لأسباب ذكرها علي لأبي بكر رضي الله عنهما يوم مبايعته إياه، وهي تتلخص في أن عليًّا كان يرى لنفسه نصيبًا في الأمر لقرابته من رسول الله، ولذا وجد في نفسه، ولم يكن يعترض على أفضلية الصدِّيق، وكونه أولى بالخلافة من غيره كما بيَّنه للصدّيق بقوله: «إنَّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك... وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبًا»[٢]. فكان يرى لنفسه حق المشورة، وذكر بعض أهل العلم أن «العذر لأبي بكر أنه خشي من التأخر عن البيعة الاختلاف»[٣]. هذا هو السبب في تأخر بيعة علي لأبي بكر بناء على رواية الصحيح، لكن ذكر ابن كثير أن هذه البيعة ليست هي الأولى، بل سبق أن بايع عليٌّ الصديقَ رضي الله عنهما، «ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًّا لم يبايع قبلها، فنفى ذلك، والمثبت مقدم على النافي»[٤].

وإنما وقعت «هذه البيعة لإزالة ما كان وقع من وحشة حصلت بسبب الميراث، ولا ينفي ما ثبت من البيعة المتقدمة عليها كما قررنا. والله أعلم»[٥].

وما أشار إليه هنا بهذا الكلام فصله في موضع آخر فقال: «وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، رضي الله عنهما وأرضاهما، والدليل على ذلك ما رواه البيهقي...»[٦] ثم ساقه، وهو ما رواه البيهقي بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لما تُوفي رسول الله ﷺ... فلما قعد أبو بكر رضي الله عنه على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًّا رضي الله عنه، فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه»[٧]. وقال ابن حجر: «وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن عليًّا بايع أبا بكر في أول الأمر... وأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى؛ لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث كما تقدم... وبسبب ذلك أظهر علي المبايعة التي بعد موت فاطمة؛ لإزالة هذه الشبهة»[٨].

(١) صحيح البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).
(٢) انظر تخريجه في الحاشية السابقة.
وانظر أيضًا: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٩٤، ٤٩٥).
(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٩٥).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٨٩).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٠).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ٤١٥ ـ ٤١٦).
(٧) أخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٥٧) وصححه، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (كتاب قتال أهل البغي، رقم ١٦٥٣٨).
(٨) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٩٥).

ـ المسألة الثانية: اتهام علي بالتحريض على قتل عثمان رضي الله عنهما:

لا شك أن روايات الواقدي تظهر لمتتبعها عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه على أنه واحد من الذين أسهموا في نهاية عثمان[(١)].

وهذا ـ مع ضعفه ـ مصادم لروايات ثابتة تبطل هذه الاتهامات وتنسفها من جذورها، وتثبت براءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ذلك كله، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: «رأيت عليًّا رافعًا حضنيه يقول: اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك من دم عثمان»[(٢)]. وروى أيضًا بإسناده عن عميرة بن سعد قال: «كنا مع علي على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها، فقال: عليٌّ: «يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمٰن]، والذي أنشأها في بحر من بحاره، ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله»[(٣)].

وروى أيضًا بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: «بلغ عليًّا أن عائشة رضي الله عنها تلعن قتلة عثمان في المربد، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثًا»[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: الحكم الشرعي من القتال في الفتنة:

لا شك أن الاقتتال الحاصل في الجمل وصفِّين هو الاقتتال في الفتنة بتأويل، **ويدل لذلك أمور:**

الأمر الأول: اعتزال محمد بن مسلمة رضي الله عنه للقتال، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن تضره فتنة كما جاء من حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا تضرك الفتنة**»[(٥)].

وعن ثعلبة بن ضبيعة قال: «دخلنا على حذيفة فقال: إني لأعرف رجلًا لا تضره الفتن شيئًا. قال: فخرجنا فإذا فسطاط مضروب، فدخلنا فإذا فيه محمد بن مسلمة، فسألناه عن ذلك؟

(١) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد أمحزون (٢/١٤) [دار طيبة، ومكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/٤٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ].
وأخرجه الحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٥٢٧) من طريق آخر، وصححه.

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/٤٥٨)، وقال محققه: «إسناده حسن».
وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٩٧٢) من طريق آخر.

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/٤٥٨)، وقال محققه: «إسناده حسن».

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٦٣)، وقال ابن كثير: هذا منقطع. البداية والنهاية (٩/١٨١) [دار هجر، ط١].

فقال: ما أريد أن يشتمل عليّ شيء من أمصاركم حتى تنجلي عمَّا انجلت»[(١)].

أي: أني لا أريد أن أسكن وأقيم في أمصاركم حتى تنكشف وتزول الفتنة[(٢)].

فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث والذي قبله بأن محمد بن مسلمة رضي الله عنه لا تضره الفتنة، وهو ممن اعتزل في القتال فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية[(٣)].

و«استُدل به على أن القتال كان قتال فتنة بتأويل، لم يكن من الجهاد الواجب ولا المستحب»[(٤)].

الأمر الثاني: ندم كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما على ما حصل في موقعة الجمل، ومطالبة معاوية لعلي بالصلح وترك الاقتتال وقبول علي ذلك منه في موقعة صفين.

الأمر الثالث: أن هذا القتال امتنع من المشاركة فيه عدد كبير من الصحابة، «كسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وأبو بكرة، وعمران بن حصين، وأكثر السابقين الأولين»[(٥)].

وبالجملة فالقتال يوم صفين والجمل لدى القاعدين عنه من الصحابة وجمهور أهل الحديث والسُّنَّة وأئمة الفقهاء بعدهم هو قتال فتنة[(٦)]، ليس فيه أمر من الله ولا رسوله ولا إجماع من الصحابة[(٧)].

و«كرهه فضلاء الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر العلماء، كما دلَّت عليه النصوص. حتى الذين حضروه كانوا كارهين له، فكان كارهه في الأمة أكثر وأفضل من حامده»[(٨)].

وفي يوم الجمل لما انتهت الحرب قال عليٌّ لعائشة: «غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح. ثم أنزلها في دار البصرة، وأكرمها واحترمها، وجهّزها إلى المدينة في عشرين أو أربعين امرأة من ذوات الشرف، وجهّز معها أخاها محمدًا، وشيّعها هو وأولاده، وودّعها رضي الله عنهم»[(٩)].

ـ المسألة الرابعة: قتاله للخوارج:

خرجت الخوارج على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين هجرية، ناقمين عليه ثلاث

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٦٤)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٨٣٨) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٣٦).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٩/ ١٨٨٥)، [المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ].

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (١/ ٥٤١) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٤) المصدر نفسه (٧/ ٥٧).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١/ ٥٤٢).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٤/ ٥٠٢).

(٧) المصدر نفسه (٤/ ٥٠١).

(٨) المصدر نفسه (٥/ ١٥٣).

(٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ٢٠٦) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ].

مسائل بغير حق، واعتزلوا جماعة المسلمين، وشقُّوا عصا طاعة أمير المؤمنين، فذهب إليهم حبر الأمة وترجمان القرآن في عقر دارهم، وسألهم عن دوافع خروجهم على أمير المؤمنين ومفارقتهم جماعة المسلمين، فتعلقوا بثلاث شبه هزيلة، فانقضَّ عليها ابن عباس بالرد والإبطال، فأصبحت كالهباء المنثور، وكالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا. فاعترفوا بالهزيمة، وأقروا بالإفلاس عن الحجة والبرهان فرجع كثير منهم، وبقي من كابر وعاند.

وتركهم المسلمون ولم يقاتلوهم، ولكن الخوارج بدؤوا يفسدون في الأرض، فقطعوا السبيل، واستحلوا المحارم، وسفكوا الدماء، وممن سُفك دمه عبدُ الله بن خباب بن الأرت وامرأته[1]، فقالوا لعبد الله: «من أنت؟ فانتسب لهم، فسألوه عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فأثنى عليهم كلهم، فذبحوه وقتلوا امرأته، وكانت حبلى، فبقروا بطنها، وكان من سادات أبناء الصحابة»[2]. وكان علي رضي الله عنه قبل هذا يتجهز لحرب أهل الشام، وجمع جيشًا كبيرًا لذلك، ولكن لما أحدث الخوارج هذه المفاسد العظام، خاف من شرهم على الأهل والولد والديار إذا خرج إلى الشام بهذه الجيوش، فاستشار أصحابه، فاجتمع الرأي على قتال الخوارج، فأرسل علي رضي الله عنه إلى الخوارج الحارث بن مرة العبدي ليطلع له على أخبارهم، ويعرف أمرهم، ولما جاءهم الحارث قتلوه، وحينئذٍ عزم علي رضي الله عنه على قتالهم وسار إليهم، ولما اقتربوا منهم وتقابل الجيشان، نصحهم علي رضي الله عنه بدفع القتلة منهم إليه للاقتصاص منهم، وترك القتال فيما بينهم، فرفض الخوارج هذا، وقالوا: نحن كلنا قتلة أصحابكم ونحل دماءكم، فأمر عليٌّ أبا أيوب الأنصاري أن يكون في ناحية ويرفع لواء الأمان للخوارج، فجاء عدد كبير منهم، وهاج الباقون منهم لقتال جيش علي، فقابلهم الجيش، وقاتلوهم، ولم يبقوا من الخوارج إلا نفرًا يسيرًا، ولم يقتل من جيش علي رضي الله عنه سوى سبعة، ثم خرج علي في طلب ذي الثدية، فاستخرجوه من تحت عدد من القتلى[3]، وإنما بحث علي رضي الله عنه عنه؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعته له فأراد أن يتحقق منه، فقد روى عبد الله بن أحمد بسنده عن أبي الوضيء قال: «شهدت عليًّا حين قتل أهل النهروان، قال:

(١) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤).
(٢) سير أعلام النبلاء ـ سير الخلفاء الراشدين (٢٧٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ].
(٣) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٥٨٤ ـ ٥٨٩).

«التمسوا في القتلى»، قالوا: لم نجده، قال: «اطلبوه فوالله ما كذَبت ولا كُذِبت» حتى استخرجوه من تحت القتلى، قال أبو الوضيء: فكأني أنظر إليه؛ حبشي، إحدى يديه مثل ثدي المرأة، عليها شعرات مثل ذنب اليربوع»[(١)].

وكانت المعركة في شعبان، وقيل: في صفر، من العام الثامن والثلاثين هجرية[(٢)].

ـ المسألة الخامسة: تآمر من بقي من الخوارج على قتل علي رضي الله عنه:

وفي النهاية كان قتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب على يد أحد الخوارج المارقين، وهو عبد الرحمٰن بن ملجم، الذي اتفق مع اثنين من الخوارج، على قتل كل من علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في ليلة واحدة، وهي السابعة عشرة من رمضان، وتولى عبد الرحمٰن بن ملجم مهمة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ يجهز سيفه ويسمه لهذا الأمر، ثم سافر إلى الكوفة، وندبت له زوجته قطام بنت الشجنة رجلًا من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان؛ ليكون معه ردءًا، واستمال ابن ملجم رجلًا آخر يقال له: شبيب بن بجرة الأشجعي الحروري... فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت، وقال: هذه الليلة التي واعدت أصحابي يقتل كل واحد منا فيها صاحبه الذي ذهب إليه، فجاء هؤلاء الثلاثة؛ وهم ابن ملجم ووردان وشبيب، وهم مشتملون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ويقول: الصلاة الصلاة. فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه، فسال دمه على لحيته[(٣)]، وهكذا قتل علي رضي الله عنه ومسك ابن ملجم، ثم قتل بعد وفاة علي.

ـ المسألة السادسة: ما قيل من قتاله رضي الله عنه الجن:

يحكي كثير من القصاصين عن علي بن أبي طالب حكايات غريبة، ويقص قصصًا وأخبارًا عجيبة ينسبونها إليه ـ وهي تقوي أكاذيب الرافضة في علي وغيره من الأئمة من ادّعاء القوى الخيالية الخرافية لهم ـ، منها: ادعاؤهم أنه قاتل الجن، في موضع قريب من الجحفة، وهو كذب عليه، قال ابن كثير: «وما يذكره كثير من

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢/ ٣٧٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].
وهو عند مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٦) بنحوه.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ـ سير الخلفاء الراشدين (٢٧٩، ٢٨٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٣).

القصاص في مقاتلته الجن في بئر ذات العلم ـ وهو بئر قريب من الجحفة ـ فلا أصل له، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به»[1].

موقف المخالفين منه:

ـ **النواصب**: هم الذين ينصبون العداء لأهل البيت، ويقدحون فيهم، ويفسّقون علي بن أبي طالب أو يكفّرونه، ويسبونه ويتبرؤون منه وممن والاه، وينكرون خلافته، ويقولون فيه من جنس أقوال الرافضة في الخلفاء الثلاثة الأُوَل[2]، ويدّعون أنه لم يكن مصيبًا في حروبه[3]. وهم طوائف؛ من أبرزهم: الخوارج والمعتزلة[4] وبعض بني أُميَّة ومن تبعهم من أهل الشام المنكرين لخلافته[5]. والنواصب على النقيض من الروافض، فإنهم لما شاهدوا الرافضة يغلون في آل البيت؛ عمدوا إلى مخالفتهم فقالوا: إذًا نبغض آل البيت ونسبهم؛ مقابلة لهؤلاء في الغلو في محبتهم والثناء عليهم[6].

الرد عليهم:

لا شك أن النواصب ضالّون في بغضهم آل البيت، ومبطلون في تكفيرهم لعلي بن أبي طالب أو تفسيقهم إياه أو لغيره من آل البيت لأمور؛ **منها**:

الأول: شهادة رسول الله ﷺ له الجنة، كما تقدم في فضائله.

الثاني: ما ثبت في طائفة من الأحاديث من «شهادة النبي ﷺ لعلي بإيمانه باطنًا وظاهرًا، وإثباتًا لموالاته لله ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له»[7].

الثالث: شهادته ﷺ له أيضًا بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كما تقدم في فضائله من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله...**»[8]. و«هذا الحديث من أحسن ما يُحتَجّ به على النواصب الذين يتبرؤون منه ولا يتولونه ولا يحبونه»[9].

الرابع: أن بغض آل البيت وتفسيقهم أو تكفيرهم محادّة للنبي ﷺ في وصيته بأهل بيته، وخروج عن سبيل المؤمنين. فقد ثبت من حديث زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: «**أذكركم الله في أهل**

(١) المصدر نفسه (١٠/٤١٧).
(٢) انظر: منهاج السُّنَّة (٧/٣٣٩، و٤/٣٨٦، و٥/٤٤، و٤٦)، والبداية والنهاية (٩/١٥٤)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٢٨٣) [دار ابن الجوزي، ط٦]، وشرح الواسطية لهراس (٢٤٤ ـ ٢٤٨) [دار الهجرة، ط٣].
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٥٤٣).
(٤) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٤/٣٨٦، و٣٩٥).
(٥) انظر: البداية والنهاية (٩/١٥٤).
(٦) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٢٨٤).
(٧) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/٤٦).
(٨) تقدم تخريجه.
(٩) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/٤٤).

بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[١].

وسبيل المؤمنين في الصحابة هو أنهم «يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ... ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم. ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل»[٢]، فمن قدح في أهل البيت وأبغضهم وآذاهم فقد خالف سبيل المؤمنين، وحسبه جهنم وبئس المصير.

الخامس: أما طعنهم في حروب علي رضي الله عنه فقد سبق أن القتال في يوم الجمل وصفين كان قتال فتنة، ولكن مع ذلك فإن موت عمَّار يوم صفين مع جيش علي دل على إصابة علي رضي الله عنه في هذا القتال، وكذا قوله ﷺ للزبير رضي الله عنه في حق علي رضي الله عنه: «**لتقاتلنه وأنت ظالم له**»[٣]، وهو بتجاوز الحد عليه بتأويل، وهذا يدل على إصابة علي رضي الله عنه في هذا القتال أيضًا. ولذا قال الحافظ ابن حجر: «والحق أن عليًّا كان مصيبًا في حروبه، فله في كل ما اجتهد فيه من ذلك أجران»[٤]. وأما قتاله للخوارج فلا شك في صوابه كما تقدم في المسألة الرابعة من المسائل المتعلقة.

- **الروافض**: يعتقد الروافض أن الخليفة بعد النبي ﷺ مباشرة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدّعون أن النبي ﷺ نص على إمامته[٥]، وحكى شيخهم المفيد إجماع الطائفة على هذا[٦].

وحكموا على الخلفاء الذين قبله بالضلال والخلود في النار؛ لتقدمهم عليه في الخلافة[٧].

وسعى الروافض لإثبات هذا المعتقد شتى المساعي، وأقوى دليلهم في هذا هو تعلقهم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة]. فقد اعتبرها الروافض دليلًا صريحًا على كون إمامة علي بعد النبي ﷺ مباشرة بالنص؛ ولذا أكثروا من الكلام حولها[٨]. فمما ادّعوه فيها: أن معنى

(١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٨).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٥٤).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الجمل وصفين والخوارج، رقم ٣٧٨٢٧)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٧٤) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٥٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٠٩).
(٥) انظر: رسائل الشريف المرتضى (٣/ ٢٠) [دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ]، وأوائل المقالات للمفيد (٤٠) [دار المفيد، ط٢، ١٤١٤هـ].
(٦) انظر: أوائل المقالات للمفيد (٤٠).
(٧) انظر: أوائل المقالات للمفيد (٤١، ٤٢).
(٨) انظر: نهج الحق وكشف الصدق لحسن الحلي (١٧٣) [مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة، قم، ١٤٢١هـ]، وزبدة البيان لأحكام القرآن لأحمد الردبيلي (١٠٧ ـ ١٠٨) [المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران]، وشرح أصول الكافي =

الولي هو المتصرف في الناس وهو معنى الإمام، وأن الآية فيه نزلت بالإجماع، وأنه الوحيد الذي أنفق خاتمه على المسكين وهو راكع[(١)].

الرد عليهم:

لا شك أن القول بإمامة علي رضي الله عنه نصًّا بعد النبي ﷺ مباشرة في غاية البطلان؛ لأن النبي ﷺ لم ينص ولم يوص بالخلافة لعلي رضي الله عنه، ولذا فهذه أكاذيب الرافضة طعنوا بها على الصحابة الذين هم أشرف الأمم في الدنيا والآخرة بنص القرآن وإجماع السلف والخلف، بل لوّح النبي ﷺ بذكر الصديق، وأشار إليه إشارة مهمة[(٢)]، فقد ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مرض النبي الذي توفي فيه، حيث قال العباس لعلي: «اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علّمناه فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ»[(٣)].

وأما الآية التي تعلقوا بها في هذا الأمر فلا تمت بصلة إلى دعواهم؛ **لأمور:**

الأمر الأول: أنه فيما قبلها وما بعدها نهي شديد عن محبة الكفار ومعاضدتهم ومناصرتهم، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]؛ أي: لا تجعلوهم أحبابًا وأنصارًا، وليس المقصود لا تتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرفين في شؤونكم؛ لأن هذا معلوم البطلان بالضرورة.

ثم بيّن الله تعالى لمن تكون المحبة والنصرة، فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة].

ثم أعاد الله النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء فيما بعدها، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

فمعنى الولاية في هذه الآيات واحد، وهو المحبة والنصرة[(٤)]، وفصلهم للآية

= للمازندراني (٤/ ٢٣٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ].

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٢/ ٢٠٨) [المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ]. والاحتجاج للطبرسي (٢/ ٢٥٢) [دار النعمان، النجف، ١٣٨٦هـ]، وفقه القرآن لسعيد الراوندي (١/ ١١٦) [مكتبة المرعشي، ط٢، ١٤٠٥هـ]، وكنز الفوائد لمحمد الكراجكي (١٥٤، ١٥٥) [مكتبة المصطفوي، قم، ط٢].

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٤١٧، ٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٤٧).

(٤) انظر: تفسير الرازي (١٢/ ٣٨٤).

التي احتجوا بها عمَّا قبلها وعمَّا بعدها، وجعلهم الولاية فيها بمعنى المتصرف في شؤون الناس، وهو الإمام، لا بمعنى المحب والناصر هو تعسف صرف، وتحكم أعمى، وتلاعب بدلالات القرآن الكريم، وهو ظاهر الفساد.

ثانيًا: أن تفسير الرافضة لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة] بأن عليًّا أعطى الزكاة حال ركوعه، وهذا فضل استحق به الإمامة لم يُسبق إليه الروافض، وكفى به فسادًا.

ثالثًا: أن في إخراج الزكاة حال الركوع تشاغلًا عن الصلاة، ينزه عنه الخليفة الراشد علي رضي الله عنه.

رابعًا: قد جاء عن علي بن أبي طالب ما يهدم قول الروافض بإمامته بعد النبي ﷺ مباشرة لنص النبي ﷺ عليه، ولأفضليته على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في زعمهم، فقد صح عن محمد بن الحنفية أنه قال: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[(١)]. وقال القرطبي: «وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سبق النبي ﷺ وصلّى أبو بكر، وثلّث[(٢)] عمر، فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة»[(٣)].

دل هذا الأثر على **أمرين مهمين**:

أحدهما: أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ، ثم بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والآخر: أن من فضّل عليًّا رضي الله عنه عليهما فهو من المفترين يستحق جلد ثمانين سوطًا. وإذا كان هذا حكم من فضّله على الشيخين رضي الله عنهما فكيف سيكون حكمه على من كفّرهما!؟

وإنه لمن الغريب حقًّا أن نجد شواهد عديدة لهذا الأثر الثابت عن علي رضي الله عنه في كتب الروافض، ومع ذلك يضربون عنها صفحًا! راكبين رؤوسهم، ومنساقين خلف أهوائهم، فمن ذلك مثلًا: ما جاء في نهج البلاغة المنسوب إلى علي رضي الله عنه: «ولما سُئل عليٌّ رضي الله عنه عن سبب بيعته لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة قال: لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلًا، لما تركناه»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧١).

(٢) أي: أصبح عمر الثالث في الترتيب.

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٤٠) [دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ].

وما ورد فيه من قول علي رضي الله عنه أن سيجلد من يفضله على أبي بكر رضي الله عنه: أخرجه بنحوه ابن أبي عاصم السُّنَّة (٢/ ٤٨٠) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/ ٥٨٨) [دار ابن القيم، ط١]، وحسّنه الألباني في ظلال الجنة.

(٤) نهج البلاغة (١/ ١٣٠، و٢/ ٤٥، و٦/ ٤٠).

وذكر الشريف المرتضى عن علي رضي الله عنه: «أنه قيل له: ألا توصي؟ قال: ما أوصى رسول الله فأوصي، ولكن إن أراد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم»[(١)].

وقد اعترف الشريف المرتضى بقوة دلالة هذا الأثر على تفضيل أبي بكر وتقديمه على علي رضي الله عنهما، حيث قال: «فيه التصريح القوي بفضل أبي بكر عليه، وأنه خير منه»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرة الأصحاب» (ج٣)، لابن عبد البر.

٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٤)، لابن حجر.

٣ ـ «البداية والنهاية» (ج٧، و٩، و١٠، و١١)، لابن كثير.

٤ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

٥ ـ «السيرة النبوية الصحيحة» (ج١)، لأكرم ضياء العمري.

٦ ـ «سيرة ابن هشام» (ج٢).

٧ ـ «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين» (ج٢)، لمحمد أمحزون.

٨ ـ «فضائل الصحابة» (ج١)، لأحمد بن حنبل.

٩ ـ «سير أعلام النبلاء ـ سير الخلفاء الراشدين»، للذهبي.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج١)، لابن تيمية.

العليم

يراجع مصطلح (العلم).

عمَّار بن ياسر رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو: أبو اليقظان عمَّار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي حليف بني مخزوم، وأمه سمية مولاة لهم[(٣)]. قدم ياسر والد عمار من اليمن إلى مكة قبل الإسلام، وحالف أبا حذيفة بن عامر المخزومي، وكانت لهذا الرجل جارية اسمها سمية بنت خياط، ويقال: بنت سلْم من لخْم، تزوجها ياسر وولدت له عمارًا فأعتقها أبو حذيفة، وكانوا يعيشون معه إلى أن مات، ولما جاء الإسلام أسلم آل ياسر ودخلوا في

(١) الشافي في الإمامة للشريف المرتضى (٣/ ٩١) [مؤسسة إسماعيليان، قم، ط٢، ١٤١٠هـ] وانظر: الصراط المستقيم للعاملي (٢/ ٤٠) [المكتبة المرتضوية].

(٢) الشافي في الإمامة للشريف المرتضى (٣/ ٩٩).

(٣) الإصابة (٤/ ٥٧٥) [دار الجيل، ط١] وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٣٦) [دار الجيل، ط١] وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والبداية والنهاية (١٠/ ٦٥٠) [دار هجر، ط١].

دين الله[1].

مولده ووفاته:

ولد قبل الإسلام في مكة، واستشهد في معركة صفين التي وقعت بين معاوية وعلي رضي الله عنهما سنة سبع وثلاثين للهجرة، وكان عمار رضي الله عنه في جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]، وكان عمره ثلاثًا وتسعين سنة[3]، وقيل: كان أربعًا وتسعين سنة، وقيل: إحدى وتسعين سنة[4].

إسلامه:

هو أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، حيث أسلم هو وأبوه وأمه في وقت مبكر[5]، فقد روى البخاري بإسناده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر»[6].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمَّار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد»[7].

قال ابن عبد البر: «كان عمَّار وأمه سمية ممَّن عُذِّب في الله، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه، واطمأن بالإيمان قلبه، فنزلت فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وهذا مما اجتمع أهل التفسير عليه[8]. وهاجر إلى أرض الحبشة، وصلّى القبلتين، وهو من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها، وأبلى ببدر بلاء حسنًا، ثم شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضًا، ويومئذ قطعت أذنه»[9].

وروى الحاكم عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سبَّ النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلمَّا أتى رسول الله ﷺ قال: «**ما وراءك؟** قال: شرٌّ يا رسول الله، ما تُرِكت حتى نلت

(١) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ٦٩١) [دار الفكر، بيروت] وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢١/ ٢١٥ ـ ٢١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١١٤٠)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ٦٣٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٧٥)، وتقريب التهذيب (رقم ٤٨٣٦).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٧٥).

(٤) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ٦٣١).

(٥) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٣٦) وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ٦٩١ ـ ٦٩٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢١/ ٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٧٥، و٧/ ٧١٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٦٠).

(٧) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٥٠)، وأحمد (٦/ ٣٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٨٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٢٣) [دار العربية، ط٢]: (رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٦٦) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٧هـ].

(٨) نقل هذا الإجماع ابن حجر في الإصابة (٤/ ٥٧٥).

(٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٣٥).

منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: **كيف تجد قلبك؟** قال: مطمئن بالإيمان، قال: **إن عادوا فعد**»[(١)].

وقال ابن حجر: «كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب في الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: «**صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة**»[(٢)]. واختلف في هجرته إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة... ثم استعمله عمر على الكوفة، وكتب إليهم: إنه من النجباء من أصحاب محمد»[(٣)]. وشهد جميع المشاهد؛ بدرًا وما بعدها[(٤)].

فضائله:

لعمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فضائل عديدة ومناقب جمَّة؛ **منها**:

أ ـ أنه أحد المبشرين بالجنة؛ لقوله ﷺ له ولأمه وأبيه وهم تحت تعذيب المشركين: «**صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة**»[(٥)].

ب ـ شهد له النبي ﷺ بأنه ملئ إيمانًا إلى مشاشه، فقد روى ابن ماجه بإسناده عن هانئ بن هانئ قال: دخل عمَّار على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: مرحبًا بالطيب المطيب. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه**»[(٦)].

ج ـ سمَّاه النبي ﷺ بالطيب المطيب، فقد جاء من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كنت جالسًا عند النبي ﷺ فاستأذن عمّار بن ياسر فقال النبيّ ﷺ: «**ائذنوا له، مرحبًا بالطّيّب المطيّب**»»[(٧)].

د ـ شهد له النبي ﷺ بالتسديد في الأمور، فقد جاء من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عمَّار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما**»[(٨)].

هـ ـ شهد له النبي ﷺ بالثبات على الحق والدعوة إليه حتى الممات، كما

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير، رقم ٣٣٦٢) وصححه، وفي سنده انقطاع.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٦٦٦) بلفظ: (أبشروا آل عمار وآل ياسر...) وصححه، وقال الألباني: «حسن صحيح». التعليق على فقه السيرة للغزالي (١٠٧، ١٠٨، حاشية رقم١) [دار الكتب الحديثة، ط٦، ١٩٦٥م].

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٧٥).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٦٥٠).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٤٧)، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٧٦)، وحسن إسناده ابن حجر في الإصابة (٤/ ٥٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٨٨٨).

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٩٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٤٦)، وأحمد (٢/ ١٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٦٦٢) وصححه.

(٨) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٩٩) وقال: حديث غريب، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٤٨)، وأحمد (٤١/ ٣٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٦٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٣٥).

ثبت في الصحيح من حديث عكرمة أنه قال: قال لي ابن عباس ولابنه علي: «انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمَّار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه، ويقول: «**ويح عمَّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**»، قال: يقول عمَّار: أعوذ بالله من الفتن»[١]. وهذه منقبة عظمى لكنها لا تدل على العصمة عن الخطأ.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: **إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمَّار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه**»[٢].

مكانته:

مكانة عمَّار عالية ومنزلته سامية، فهو ممن جمع الله له بين السبق إلى الإسلام، والهجرة إلى الله ورسوله، ولما استأذن إلى النبي رحب به وقال كما جاء من حديث علي رضي الله عنه: «**ائذنوا له، مرحبًا بالطّيّب المطيّب**»[٣].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: معنى حديث: «تقتل عمَّار الفئة الباغية»:

قال ابن تيمية رحمه الله: «والحديث ثابت صحيح عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، والذين قتلوه هم الذين باشروا قتله»[٤].

وقال أيضًا: «ليس لهم أن يقاتلوا عليًّا، ولا يمتنعوا عن مبايعته وطاعته، وإن لم يكن علي مأمورًا بقتالهم، ولا كان فرضًا عليه قتالهم بمجرد امتناعهم عن طاعته، مع كونهم ملتزمين شرائع الإسلام، وإن كان كل من المقتتلين مسلمين مؤمنين»[٥].

ـ المسألة الثانية: ما يقال من ضرب عثمان إياه وانتقام عمَّار من عثمان رضي الله عنهما يوم الدار:

ذُكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر بضرب عمَّار بن ياسر رضي الله عنه، فضُرب ضربًا شديدًا حتى فتق أمعاءه، أو كسر أضلاعه[٦]، وأن عمَّارا انتقم لنفسه من

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٤٧).
(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٩٩) وحسنه، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٠٢)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٥١) وصححه، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٣٥).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) منهاج السُّنَّة (٤/ ٤١٨).
(٥) منهاج السُّنَّة (٤/ ٤٢٦).
(٦) انظر: النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم لابن العربي (٢٨٠) وما بعدها [مكتبة دار التراث، مصر].

عثمان يوم الدار فشارك في قتله، ومما احتجوا به على هذا ما روي عن مسروق بن الأجدع، أنه قال لعمَّار: «علام قتلتم عثمان؟ فقال: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا. فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولو صبرتم لكان خيرًا للصابرين.

وخرج أبو موسى فلقي الحسن بن علي فضمه إليه، وقال لعمَّار: يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته؟ فقال: لم أفعل، ولم يسؤني ذلك»[(١)].

الرد عليهم: والحق أن هذه الآثار والروايات غالبها ليس له أسانيد، وما له إسناد ففي ثبوته نظر، بل جزم بعض الباحثين المختصين[(٢)] بأنه لم يقف على رواية صحيحة الإسناد تدل على أن عثمان ضرب عمَّارا، ثم ذكر طائفة منها وأشار إلى ضعف أسانيدها، ثم قال: «هذا ما ورد في ضرب عمَّار، وهو ضعيف الإسناد، وعلى فرض صحته، وأن عثمان رضي الله عنه ضرب عمَّارًا رضي الله عنه فإن ذلك لا يقدح في أحد منهما، ونشهد أنهما في الجنة، وأنهما من أكابر أولياء الله المتقين، وولي الله قد يصدر منه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية فكيف بالتعزير»[(٣)].

وذكر الحافظ أبو نعيم أن ضرب عثمان لعمَّار رضي الله عنهما غير ثابت، ولو ثبت لما استوجب طعنًا في عثمان رضي الله عنه فيقول: «فإذا طعن وقال، ضرب عمَّارًا. قيل له: هذا غير ثابت عنه، ولو ثبت ذلك فللأئمة أن يؤدبوا رعيتهم إذا رأى واجبًا لهم، فإن كان ذلك ظلمًا ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم اقتص على نفسه وأقاد، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أدّبا رعيتيهما باللطم والدرة، فأقادا من نفسيهما، وأما عثمان رضي الله عنه فنُقم عليه ما لم ينقم على واحد منهم»[(٤)].

وأما مشاركة عمَّار رضي الله عنه في قتل عثمان رضي الله عنه فهذا أيضًا كذب محض، فإن جميع الروايات التي تساق في هذا الأمر كلها ليس فيها إسناد يحتج به، وعليه فمن يدّعي مشاركة عمَّار في قتال عثمان فليدل ببرهانه إن كان من الصادقين[(٥)]، وأما هذه الروايات التي لا خطام لها ولا زمام فهي مردودة، ولذا جزم غير واحد بوضعها: قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «قالوا

---

(١) البداية والنهاية (١٠/٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) وهو الدكتور محمد بن عبد الله الغبان.

(٣) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه (١/٩٠، ٩١) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني (٣١٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: الحاشية من صحيح (تاريخ الطبري الخلافة الراشدة) (٣/٣٤٩) [دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨هـ] وانظر أيضًا من نفس المصدر (٣/٥٢)، وتحقيق مواقف الصحابة في الفتن من روايات الإمام الطبري (٢/١٤ ـ ٤٢) [دار طيبة، ومكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٥هـ].

معتدين متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير، منها: ضربه لعمَّار حتى فتق أمعاءه، ولابن مسعود: حتى كسر أضلاعه، ومنعه عطاءه»[(١)]. وقال محققو تاريخ الطبري في هذه الروايات: «ولقد بينا كذب وزيف الروايات التي ذكرت ذلك، وسنذكر بعد قليل رواية صحيحة في إعلان عمَّار أنه لم يشارك في ذلك»[(٢)].

وقالوا أيضًا: «ولقد لفق المبتدعة من نسج خيالهم روايات كثيرة عن مشاركة عمَّار في هذه الفتنة، وأن سيدنا عثمان رضي الله عنه أدَّبه في مسألة، فحمل عمَّار رضي الله عنه في نفسه شيئًا من الكراهية لعثمان، وكل ذلك غير صحيح»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٣)، لابن عبد البر.

٢ ـ «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج٤)، لابن الأثير.

٣ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٤)، لابن حجر.

٤ ـ «الإمامة والرد على الرافضة»، لأبي نعيم.

٥ ـ «البداية والنهاية» (ج١٠)، لابن كثير.

٦ ـ «تحقيق مواقف الصحابة في الفتن من روايات الإمام الطبري والمحدثين» (ج٢)، لمحمد أمحزون.

٧ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج١)، للذهبي.

٨ ـ «صحيح (تاريخ الطبري ـ الخلافة الراشدة)» (ج٣)، تحقيق: محمد طاهر ومحمد صبحي حلاق.

٩ ـ «فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه» (ج١)، لمحمد عبد الله الغبان.

١٠ ـ «النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم»، لأبي بكر ابن العربي.

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي[(٤)].

يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي بن غالب[(٥)].

---

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٢٨٠).

(٢) الحاشية من صحيح (تاريخ الطبري ـ الخلافة الراشدة) (٣/٣٤٩). وانظر أيضًا (٣/٥٢) منه.

(٣) الحاشية من صحيح (تاريخ الطبري ـ الخلافة الراشدة) (٣/٣٤٩).

(٤) نسب قريش للزبيري (٣٤٦، ٣٤٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٣]، وعنه الحاكم في المستدرك (٣/٨٠، ٨١) [دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ].

(٥) وينظر: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن المبرد الحنبلي (١/١٣١) [عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٠هـ].

أمّا كنيته رضي الله عنه فقد اشتهر بأبي حفص، ويلقب بالفاروق، وهو رضي الله عنه جدير بهذا اللقب؛ فإنه ممَّن فرَّق الله به بين الإسلام والكفر بعد إسلامه وبعد توليه الخلافة، وظهر به الإسلام وخفقت راياته في أرجاء المعمورة[(١)].

مولده ووفاته:

مولده:

تعددت الأخبار في تحديد العام الذي ولد فيه عمر رضي الله عنه، فقيل: إنه ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشر عامًا[(٢)]، فعلى هذا يكون النبي ﷺ أسنَّ من عمر بثلاثة عشر عامًا، وهذا يشهد له ما ثبت في الصحيح من أنَّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ماتوا وهم أبناء ثلاث وستين[(٣)]؛ حيث إن عمر رضي الله عنه مكث بعد النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا، فيكون عمره يوم وفاته مساويًا لعمر النبي ﷺ.

وقيل: ولد قبل حرب الفِجار الأعظم بأربع سنين[(٤)]. وحرب الفجار وقعت في الجاهلية وكان عمر النبي ﷺ عشرين عامًا[(٥)].

وقيل: كان عمره ﷺ أربعة أو خمسة عشر عامًا[(٦)].

فعلى القول الأول يكون النبي ﷺ أكبر من عمر رضي الله عنه بستة عشر عامًا، وعلى الثاني يكون أكبر منه بأحد عشر عامًا أو عشرة أعوام.

وفي رواية أنه ولد بعد الفجار بأربع سنوات[(٧)].

والقول الأول هو الراجح؛ لموافقته ما في الصحيح كما تقدم، والله أعلم.

وأما وفاته:

توفي رضي الله عنه شهيدًا على يد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة؛ حيث ضربه بخنجر كان معه وهو قائم يصلي في المحراب، في صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة

---

(١) ينظر: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه لعبد السلام آل عيسى (١/ ٧٥ ـ ٧٩) [عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٣هـ].

(٢) كما عند خليفة بن خياط في تاريخه (١٥٣) [دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ]، بإسناد ضعيف جدًّا، فيه عبد العزيز بن عمران الزهري، وهو متروك. انظر: تقريب التهذيب (رقم ٤١١٤) [دار الرشيد، ط٤].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٤٨).

(٤) كما عند خليفة بن خياط في تاريخه (١٥٣)، وابن شبَّة في تاريخ المدينة (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦)، والبلاذري في أنساب الأشراف (١٤٥) [مؤسسة الشراع العربي، ط١، ١٤٠٩هـ]، والطبري في تاريخه (٢/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣)، كلّهم من طريق الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم.
والواقدي متروك، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف من قبل حفظه. انظر: التقريب (٩٨، ٤٩٨).

(٥) السيرة النَّبوية لابن هشام (١/ ٢٤٣) [مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٩هـ].

(٦) المصدر السَّابق (١/ ٢٤١) من كلام ابن هشام.

(٧) ذكرها ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٥٣) [دار إحياء التراث العربي، لبنان] من غير سند، قال: روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين».

ثلاث وعشرين هجرية، طعنه ست طعنات، ورجع العلج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلًا، ثم نحر نفسه هذا المجوسي الهالك، قبَّحه الله تعالى.

حُمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى منزله، والدم يقطر من جرحه، فجعل يفيق ثم يغمى عليه، يذكرونه بالصلاة فيفيق، ويقول: «نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركها»، ثم صلى في الوقت، عندها سأل عمَّن قتله، وكان يرجو ربه أن لا يكون مسلمًا، فأجيب بأنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، وبعد أن حمد الله قال رضي الله عنه: «الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة، ثم قال: قبَّحهُ الله، لقد كنا أمرنا به معروفًا»[١].

لقد كانت رغبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدفن مع صاحبيه؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعندما كان يعاني آلام جراحاته القاتلة وأحس بدنو أجله قال لابنه عبد الله: «انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلامَ، ولا تقل: أمير المؤمنين؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلَّم وأستأذن ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلمَّا أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تحبه يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله؛ ما كان من شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلِّم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردّتني فردوني إلى مقابر المسلمين»[٢].

فدفن رضي الله عنه مع صاحبيه، كما كان ملازمًا لهما في حياته، وهم كذلك يوم القيامة بإذن الله تعالى.

إسلامه:

ذكر ابن إسحاق رحمه الله أنَّ إسلام عمر رضي الله عنه كان بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة، والتي كانت في شهر رجب من السَّنة الخامسة للبعثة[٣].

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٢/ ٥٦٠)، والمحن لأبي العرب (٦٣) [دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ]، والكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧)، والبداية والنهاية (٧/ ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٧٠٠).
وينظر: صحيح ابن حبان (١٥/ ٣٥٢، رقم ٦٩١٨)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٦/ ١٢) [مؤسسة قرطبة، ط١].

(٣) السيرة النبوية (١/ ٤٢٢) [دار المعرفة، ط: ١٤٠٣هـ]، وقال ابن حجر رحمه الله: «جعل ابن إسحاق إسلام عمر بعد هجرة الحبشة، وقد ذكر من وجه =

وروي أنَّ إسلامه رضي الله عنه كان في السَّنة السادسة من البعثة[(١)].

وثبت في الصحيح[(٢)] أن ابن عمر رضي الله عنهما شهد ما تعرض له عمر رضي الله عنه من تهديد قريش له لما أسلم وعقل ذلك، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولد بعد البعثة بسنتين؛ لأن عمره كان يوم غزوة أُحد أربعة عشر عامًا[(٣)]، وكانت أُحد بعد البعثة بستة عشر عامًا، فإذا كان إسلام عمر رضي الله عنه في السَّنة الخامسة من البعثة يكون عمرُ ابن عمر ثلاث سنوات، وهو سن لا يعقل فيه الطفل غالبًا، والذي يظهر أن الأقرب للصواب أن يكون إسلام عمر في السَّنة السادسة أو السابعة[(٤)].

فضائله:

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصدّيق في الفضل؛ فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين وأبي بكر، وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته رضي الله عنه، وهو معتقد الفرقة الناجية أهل السُّنَّة والجماعة[(٥)]، وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق رضي الله عنه، **ومنها**:

١ ـ إيمانه رضي الله عنه وعلمه ودينه:

جاء في منزلة إيمانه رضي الله عنه ما رواه عبد الله بن هشام أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: «يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا؛ والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك**». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الآن يا عمر**»»[(٦)].

وأما **علمه**؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينما أنا نائم شربت** ـ يعني: **اللبن** ـ **حتى أنظر إلى الرِّيِّ يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم ناولت عمر**، فقالوا: فما أوّلته قال: **العلم**»[(٧)].

وأما دينه؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي**

= آخر أن إسلامه كان عقب هجرة الحبشة الأولى»، فتح الباري (٧/ ١).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٦٩، ٢٧٠) [دار صادر، ١٤٠٥هـ]، من طريق الواقدي.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦٤، ٣٨٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، رقم ٢٦٦٤)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٦٨).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٧٩)، حيث رجّح ابن كثير رحمه الله تأخّر إسلام عمر رضي الله عنه حتى السُّنَّة التاسعة من البعثة.

(٥) عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة الكرام، لناصر الشيخ (١/ ٢٤٣) [الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٦٣٢).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٦٨١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩١).

وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: **الدين**»[1].

٢ ـ هيبة عمر رضي الله عنه وخوف الشيطان منه:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلمَّا استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله يضحك. فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: «**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلمَّا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**». قال عمر: فأنت أحق أن يَهَبْن يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتَهَبْنني ولا تَهَبْن رسول الله ﷺ، فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إيهًا يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا**[2] **قطُّ إلا سلك فجًّا آخر**»[3]، هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضي الله عنه وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلًا ينفذ إليه[4].

٣ ـ ملهم هذه الأمة:

قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»[5]، هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للفاروق رضي الله عنه، وقد اختلف العلماء في المراد بالمحدَّث.

فقيل: المراد بالمحدث: الملهم.

وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

وقيل: مكلَّم؛ أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة، بمعنى أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلِّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام، وفسَّره بعضهم بالتفرس[6].

٤ ـ عبقرية عمر الفاروق رضي الله عنه:

قال رسول الله ﷺ: «**رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا**

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩١)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٠).

(٢) الفج: الطريق الواسع، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤١٢) [دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٦).

(٤) عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة (١/ ٣٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨).

(٦) فتح الباري (٧/ ٥٠)، وشرح النووي (١٥/ ١٦٦) [دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ].

والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن»[١]، وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ: «**فجاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا...**» الحديث.

ومعنى «استحالت»: صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر، وأمّا «العبقري» فهو السيد، وقيل: الذي ليس فوقه شيء، ومعنى «ضرب الناس بعطن»؛ أي: أرووا إبلهم ثم آووا إلى عطنها، وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح. وهذا المنام الذي رآه النبي ﷺ مثال واضح لما جرى للصديق وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، فقد حصل في خلافة الصديق قتال أهل الردة وقطع دابرهم وأشاع الإسلام رغم قصر مدة خلافته، فقد كانت سنتين وأشهرًا، فوضع الله فيها البركة وحصل فيها من النفع الكثير ولما توفي الصديق خلفه الفاروق فاتسعت رقعة الإسلام في زمنه وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله، فكثر انتفاع الناس في خلافة عمر لطولها، فقد مصّر الأمصار، ودوّن الدواوين، وكثرت الفتوحات والغنائم.

ومعنى قوله ﷺ: «**فلم أر عبقريًا من الناس يفري فريه**»؛ أي: لم أر سيدًا يعمل عمله ويقطع قطعه. ومعنى قوله ﷺ: «**حتى ضرب الناس بعطن**»، قال القاضي عياض: «ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة، وقيل: يعود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعًا؛ لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر». «وضرب الناس بعطن»؛ لأن أبا بكر قمع أهل الردة، وجمع شمل المسلمين وألّفهم، وابتدأ الفتوح ومهد الأمور، وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٢].

٥ ـ غيرة عمر رضي الله عنه وبشرى رسول الله ﷺ له بقصر في الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «**رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طليحة، وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار!؟**»[٣]، وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم**

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٣).

(٢) شرح النووي (١٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٥).

رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبرًا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله[(١)]؟». هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أخبر النبي ﷺ برؤيته قصرًا في الجنة للفاروق، وهذا يدل على منزلته عند الله تعالى[(٢)].

٦ ـ أحب أصحاب رسول الله ﷺ إليه بعد أبي بكر رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: قلت: «يا رسول الله؛ أيُّ الناس أحبّ إليك؟ قال: **عائشة**، فقلت: من الرجال؟ قال: **أبوها**، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدّ رجالًا»[(٣)].

٧ ـ تبشيره رضي الله عنه **بالجنة:**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: «**افتح له وبشره بالجنة**»، ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «**افتح له وبشره بالجنة**»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: «**افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**»، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ: فحمد الله، ثم قال: الله المستعان»[(٤)].

مكانته:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون لعمر رضي الله عنه منزلته ومكانته من النبي ﷺ، ويعرفون له فضله وبلاءه في الإسلام، قال عبد الله بن حوالة رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ وهو بجب رومة، وهو يكتب الناس، فرفع رأسه إلي، فقال: يا عبد الله بن حوالة، أكتبك؟ فقلت: ما خار الله لي ورسوله، فجعل عليّ يرفع رأسه إلي فقال: أكتبك؟ فقلت: ما خار الله لي ورسوله، فرأيت في الكتاب أبا بكر وعمر، فقلت: إنهما لا يكتبان إلا في خير، فقلت: نعم، فكتبني»[(٥)].

وقال أبو شريح الكعبي رضي الله عنه: «أذن لنا رسول الله ﷺ في قتال بني بكر حتى أصبنا منهم ثأرنا وهو بمكة، ثم أمر رسول الله ﷺ برفع السيف، فلقي رهط

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٤٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٥).

(٢) عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة (١/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٦٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٩٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٢٨/ ٢١٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٥٩٠) [المكتب الإسلامي، ط١]، وصحح سنده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/ ٨) [دار الوطن، ط١].

منا الغد رجلًا من هذيل في الحرم، يؤم رسول الله ﷺ ليسلم، وكان قد وترهم في الجاهلية، وكانوا يطلبونه، فقتلوه، وبادروا أن يخلص إلى رسول الله ﷺ فيأمن، فلمَّا بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضبًا شديدًا، والله ما رأيته غضب غضبًا أشد منه، فسعينا إلى أبي بكر وعمر وعلي نستشفعهم، وخشينا أن نكون قد هلكنا...»، الحديث[(١)].

وقد شهد كبار الصحابة وخيارهم رضي الله عنهم بعظم منزلة عمر رضي الله عنه بينهم، وبفضله عليهم بعد صاحبيه النبي ﷺ وأبي بكر بن أبي قحافة الصدّيق رضي الله عنه.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نخير بين الناس زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان»[(٢)].

وقال محمد بن الحنفية رحمه الله: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[(٣)].

وقال علي رضي الله عنه: «خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وخير الناس بعد أبي بكر عمر»[(٤)].

وقال رضي الله عنه: «سبق رسول الله، وصلّى[(٥)] أبو بكر، وثلث عمر، ثم خبطتنا فتنة ما شاء الله»[(٦)].

وقال سويد بن غفلة الجعفي لعلي رضي الله عنه وقد دخل عليه في خلافته: «يا أمير المؤمنين، إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل من الإسلام؛ لأنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ذلك، وأنهم لم يجترؤا على ذلك إلا وهم يرون أنك موافق ذلك. ثم ذكر حديث خطبة علي رضي الله عنه وكلامه في أبي بكر وعمر، وقوله في آخره: ألا ولن يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري»[(٧)].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ما رأيت أحدًا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض،

(١) أخرجه أحمد (٢٦/ ٢٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الديات، رقم ١٦١٣٨)، وضعف إسناده محققو المسند.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٢٤) [المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨هـ].

(٥) قال ابن الأثير رحمه الله: «المُصَلِّي في خَيل الحلبة هو الثاني، سُمِّي به لأن رأسه عند صَلا الأول، وهو ما عن يمين الذنب وشماله»، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٥٠).

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٤٢٦) وصححه.

(٧) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (١/ ٣٠٣) [دار ابن الجوزي، ط١]، والآجري في الشريعة (٤/ ١٧٢٥) [دار الوطن، ط٢].

كان أجدّ وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب»[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب، وكان أحبهم إلي»[(٢)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان عمر إذا سلك بنا طريقًا وجدناه سهلًا»[(٣)].

وقال رضي الله عنه: «إذا ذكر الصالحون فحيّهلا بعمر»[(٤)].

وقد شهد التابعون ومن جاء بعدهم لعمر رضي الله عنه بالفضل كما شهد له بذلك صحابة النبي ﷺ، وعرفوا له قدره ومنزلته في الإسلام.

قال سالم بن أبي حفصة رحمه الله: سألت أبا جعفر [الباقر] وجعفر [الصادق] عن أبي بكر وعمر؟ فقالا لي: «يا سالم تولّهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامَي هدى». قال: وقال لي جعفر: «يا سالم أبو بكر جدي، أيسب الرجل جده!؟» قال: وقال لي: «لا نالتني شفاعة محمد ﷺ في القيامة إن لم أكن أتولّاهما وأبرأ من عدوهما»[(٥)].

وقال مسروق بن الأجدع رحمه الله: «حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السُّنَّة»[(٦)].

وقال محارب بن دثار رحمه الله: «بغض أبي بكر وعمر نفاق»[(٧)].

وقال مجاهد بن جبر المكي رحمه الله: «كنا نتحدث أو نُحدَّث أن الشياطين كانت مصفدة في زمن عمر رضي الله عنه»[(٨)].

وقال أبو جعفر الباقر رحمه الله: «من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السُّنَّة»[(٩)].

وقال جعفر الصادق رحمه الله: «برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر»[(١٠)].

والآثار الدالة على مكانة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرة جدًّا؛ مما يدل على منزلته العظيمة عند أهل السُّنَّة والجماعة الذين سلمت ألسنتهم وقلوبهم لأصحاب النبي الكريم ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٢٦).

(٣) أخرجه الدارمي (كتاب الفرائض، رقم ٢٩٠٧)، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ٣٧، ٣٨) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٤٠٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفضائل، رقم ٣١٩٧٥)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٥) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ١٧٥)، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢٢٧).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢٣٨)، بإسناد حسن.

(٧) أخرجه الخلال في السُّنَّة (٢٩٠) [دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ].

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٤).

(٩) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ١٣٥، ١٣٦) ـ وهو من زيادات عبد الله ـ.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ١٦٠)، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢٢٧).

المسائل المتعلِّقة:

- المسألة الأولى: كان عمر رضي الله عنه مستشارًا للنبي ﷺ:

قال رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما»[(١)].

وقال ﷺ لأبي بكر وعمر: «**لو اتفقتما لي ما شاورت غيركما**»[(٢)].

- المسألة الثانية: كان عمر رضي الله عنه من جباة الزكاة وعمال الصدقة للنبي ﷺ، وممن يأتمنه النبيّ ﷺ على أموال المسلمين:

استعمل رضي الله عنه عبد الله بن السعدي على الصدقة، فلما فرغ من عمله أعطاه عطاءه وعمالته، فقال: إنما عملت وأجري على الله، فقال عمر: خذ ما أعطيت، فإني عملت على عهد رسول الله ﷺ فَعَمَّلني، فقلت مثل قولك، فقال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أعطيت شيئًا من غير أن تسأل فكل وتصدق**»[(٣)]. ولم يبين عمر رضي الله عنه العمل الذي استعمله عليه النبي ﷺ، وثبت أن النبي ﷺ بعثه لجباية الصدقات[(٤)].

- المسألة الثالثة: كتابته للوحي:

فقد ذكر أهل السير أنه كان من كُتَّاب الوحي للنبي ﷺ[(٥)].

- المسألة الرابعة: قيامه بالفتوى والقضاء:

فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان من أهل الفتوى في حياة النبي ﷺ، وأنه كان من قضاة النبي ﷺ[(٦)].

- المسألة الخامسة: إشارته على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن بعد موقعة اليمامة:

كانت موقعة اليمامة إحدى المواقع التي قاتل فيها المسلمون المرتدين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت في أواخر السَّنة

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الصلاة، رقم ١٦٩) وحسنه، وأحمد (١/ ٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٣٤١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٨١).

(٢) أخرجه إسحاق في مسنده (٢/ ٨٨) [مكتبة الإيمان، ط١]. وهو عند أحمد (٢٩/ ٥١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، بلفظ: (لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما)، وقال الهيثمي: (رجاله ثقات، إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ). مجمع الزوائد (٩/ ٥٣) [مكتبة القدسي]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٠٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧١٦٣)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٤٥)، واللفظ له.

(٤) كما عند مسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة...» الحديث.

(٥) ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله في السيرة النبوية (٤/ ٦٩٢) [دار المعرفة، ١٤٠٣هـ]، وغيره.

(٦) أخرج ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٣٤) [دار صادر، ط١] عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن أبا بكر وعمر كانا يفتيان في زمن النبي ﷺ.
وأخرج وكيع في أخبار القضاة (١/ ١٠٥) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١] عن قتادة قال: (كان قضاة أصحاب محمد ستة)، وذكر منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الحادية عشرة وأول الثانية عشرة، وقُتل فيها مسيلمة الكذاب، وقُتل فيها من المسلمين ستمائة وقيل سبعمائة، وكان فيهم عدد كبير من قراء القرآن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[١]. فخشي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من استمرار مقتل القراء واستشهادهم في حروب الردة، كما حدث في يوم اليمامة؛ فيفضي ذلك لضياع القرآن الذي حفظه القراء في صدورهم، وتلقوه من النبي ﷺ مباشرة غضًّا كما نزل، وحيث إن القرآن الذي كتب لم يكن مجموعًا في مكان واحد، بل كان متفرقًا، فأشار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أبي بكر بجمع القرآن، ثم شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن[٢].

- **المسألة السادسة: خلافته** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد وردت عدة أحاديث عن النبي ﷺ فيها إشارة إلى خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بعده ﷺ، وخلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحقيتهما بالخلافة من بعده ﷺ، ولكن هذه الأحاديث ليس فيها تصريح باستخلافه ﷺ لأبي بكر وعمر من بعده، بل إن عدم استخلافه ﷺ لخليفة من بعده أمر ثابت.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن أستخلِفْ فقد استخلَفَ من هو خير مني أبو بكر، وإن أتركْ فقد تركَ من هو خير مني؛ رسولُ الله ﷺ»[٣].

ومن تلك الأحاديث التي فيها الإشارة إلى خلافة الخلفاء من بعد النبي ﷺ:

ما رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: «إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون[٤] منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اعبُرها**»، قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن وحلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به

(١) ينظر: ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٣٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، وابن حجر في الفتح (٩/ ١٢)، وقد ذكر الذهبي أسماء ممن استشهد في موقعة اليمامة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ (٥٤ ـ ٧٣) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، رقم ٧٢١٨)، ومسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٣).
قال ابن العربي: «أجمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نصَّ على أحد يكون بعده». العواصم من القواصم (١٨٥).

(٤) يتكففون: تكفف الشيء: طلبه بكفه.

رجل من بعدك، فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «**أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**». قال: فوالله لتحدثني بالذي أخطأت. قال: «**لا تقسم**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «قال القاضي عياض: والسبب في اللغة الحبل والميثاق، والذين أخذوا به بعد النبي ﷺ واحدًا بعد واحد هم الخلفاء الثلاثة وعثمان هو الذي انقطع به ثم اتصل»(٢).

تعتبر خلافة عمر رضي الله عنه رمزًا لأمن واستقرار الدولة الإسلامية واتساعها، وعزة الأمة الإسلامية، وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك وهذا من معجزاته ﷺ، وشهد بذلك صحابة النبي ﷺ(٣).

قال عمر رضي الله عنه لأصحابه: «أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنا أحفظ كما قال، قال: هات؛ إنك لجريء، قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله، وماله، وجاره تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»، قال عمر: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يغلق، قال الصحابة رضي الله عنهم: قلنا: علم عمر الباب؟ قال حذيفة: نعم، كما أن دون غدٍ الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط»(٤).

ففي هذا الحديث إخبار بعدم وقوع الفتن في عهد عمر؛ فقد مثل حياة عمر بباب لحائط الفتنة وراءه، ومثَّل موته رضي الله عنه بكسر هذا الباب، وأنه إذا مات فإن الباب لن يغلق؛ لأنه كسر كسرًا ولم يفتح. وهو إشارة إلى أن الفتن سوف تظهر بعد موته، ولن يكون لها مانع أو رادّ.

وقد بدأت الفتنة بعد خلافته قبل مقتل عثمان رضي الله عنه ثم تتابعت الفتن، وظهرت الأهواء والبدع في الأمة الإسلامية(٥).

موقف المخالفين منه:

لقد أعلن الرافضة قبَّحهم الله التكفير والتفسيق واللعن لعمر، ومما يعتقدونه فيه:

(١) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٦)، ومسلم (كتاب الرؤيا، رقم ٢٢٦٩).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٣٥).
(٣) دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه (٢/ ٥٥٩).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٨٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).
(٥) ينظر: فتح الباري (٦/ ٦٠٣ ـ ٦٠٧).

أنَّ عمر بن الخطاب كان كافرًا، يُبطن الكفر، ويُظهر الإسلام[١]، ويزعمون أنَّ كفر عمر مساوٍ لكفر إبليس، إن لم يكن أشد منه[٢].

وقال شيخ الدولة الصفوية المجلسي: «لا مجال لعاقلٍ أن يشكَّ في كفر عمر، فلعنة الله ورسوله عليه، وعلى كلِّ من اعتبره مسلمًا، وعلى كلِّ من يكفُّ عن لعنه»[٣].

ويحتفل الرافضة بيوم مقتله ويجعلونه عيدًا، وأنَّ لهذا اليوم عندهم أكثر من اثنين وسبعين اسمًا؛ منها: يوم تنفيس الكربة، ويوم ندامة الظالم، ويوم فرح الشيعة... ويذكرون أناشيد كثيرة، تُقال في هذه الأعياد[٤]، ويُلقبون أبا لؤلؤة: ببابا شجاع الدين، ويدعون الله أن يحشرهم معه[٥].

قال المجلسي: «فقد حصل الإجماع على كفره بعد إظهاره الإيمان»[٦].

(١) الصراط المستقيم للبياضي (٣/ ١٢٩)، وإحقاق الحق للتستري (٢٨٤)، وعقائد الإمامية للزنجاني (٣/ ٢٧).
(٢) البرهان (٢/ ٣١٠)، وبحار الأنوار (٨/ ٢٢٠)، وتفسير العياشي (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).
(٣) جلاء العيون للمجلسي (٤٥).
(٤) دلائل الإمامة لابن رستم الطبري (٢٥٧، ٢٥٨)، والصراط المستقيم (٢/ ٢٦) و(٣/ ٢٩)، والبحار الأنوار (٢٠/ ٣٣٠)، والأنوار النعمانية (١/ ١٠٨ ـ ١١١)، وفصل الخطاب للنوري الطبرسي (٢١٩).
(٥) الكنى والألقاب لعباس القمي (١/ ١٤٧)، وبحار الأنوار (٩٥/ ١٩٨).
(٦) العيون والمجالس (١/ ٩).

ولقد أجمع الرافضة على وجوب لعن الشيخين، وعلى التبرؤ منهما رضي الله عنهما، بل وعدّوا ذلك من ضروريات دين الإمامية[٧]، ومنكر الضروري عندهم كافر كما تقدم، وأنَّ من لعنهما في المساء لم يكتب عليه ذنب حتى يصبح[٨]. وقال المجلسي: «إنَّ أبا بكر وعمر كانا كافرين، الذي يحبهما فهو كافر أيضًا»[٩].

وأنه ما أهريق في الإسلام من دم، ولا اكتسب مال من غير حلِّه، ولا نكح فرج حرام، إلا كان ذلك في عنق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[١٠] و«إنهما لم يكن عندهما مثقال ذرَّة في الإسلام»[١١].

وقال آيتهم المعاصر عبد الحسين المرشتي: «إنَّ أبا بكر وعمر هما السببان لإضلال هذه الأمة إلى يوم القيامة»[١٢].

وحكم الرافضة على من زعم بأنَّ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما نصيب في الإسلام: أنَّ الله تعالى لا يكلمه يوم القيامة، ولا يُزكيه، وله عذاب أليم[١٣].

وفي كتاب مفتاح الجنان (أو مفتاح

(٧) الاعتقادات للمجلسي (٩٠، ٩١).
(٨) ضياء الصالحين لمحمد الجوهري (٥١٣).
(٩) حق اليقين للمجلسي (٥٢٢)، وكشف الأسرار للخميني (١١٢).
(١٠) رجال الكشي (٤١).
(١١) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار للعاملي (٩٤).
(١٢) كشف الاشتباه للمرشتي (٩٨).
(١٣) أصول الكافي (١/ ٣٧٣، ٣٧٤).

النيران!) لعباس القمي، دعاء علماء الشيعة المشهور على أبي بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة، والذي هو من أذكار الصباح والمساء عندهم، ونصه: «اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيها، وطاغوتيها، وإفكيها، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرَّفا كتابك، وأحبا أعداءك... وألحدا في آياتك.. فقد أخربا بيت النبوة... وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيِّه، ووارث علمه، وجحدا إمامته، وأشركا بربهما... وخلدهما في سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر، اللَّهُمَّ العنهم بكل منكر أتوه، وحق أخفوه... ونفاق أسروه....»[(١)].

ويسمونهما رضي الله عنهما بفرعون وهامان[(٢)]، وبالوثنين[(٣)]، وباللات والعزى[(٤)].

وصرَّح علماء الشيعة بأن مهديهم المنتظر يحيي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ثم يصلبهما على جذع نخلة، ويقتلهما كلَّ يوم ألف قتلة[(٥)].

والعياذ بالله تعالى، فأعرضوا بذلك عن النصوص الصحيحة الصريحة الواردة في فضل هذا الخليفة الراشد، والتي سبق بيان بعضها فقط، ليقعوا فيه بأهوائهم وانحرافهم عن المعتقد الواجب في حق هذا الصحابي الجليل، وغيره من أصحاب النبي ﷺ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، والله المستعان.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أخبار مكة»، للفاكهي.

٢ ـ «أسد الغابة»، لابن الأثير.

٣ ـ «البداية والنهاية»، لابن كثير.

٤ ـ «تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ»، للذهبي.

٥ ـ «تاريخ الخلفاء»، للسيوطي.

٦ ـ «دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه»، لعبد السلام آل عيسى.

٧ ـ «السُّنَّة»، لابن أبي عاصم.

٨ ـ «السُّنَّة»، للخلّال.

٩ ـ «السيرة النَّبوية»، لابن كثير.

١٠ ـ «السيرة النَّبوية»، لابن هشام.

---

(١) مفاتيح الجنان لعباس القمي (١١٤)، وممن ذكر هذا الدعاء كاملًا من علماء الشيعة: الكفعمي في البلد الأمين (٥١١ ـ ٥١٤)، وفي المصباح (الجنة الواقية) (٥٤٨ ـ ٥٥٧)، والكاشاني في علم اليقين (٢/٧٠١ ـ ٧٠٣)، وأسد الله الطهراني الحائري في مفتاح الجنان (١١٣ ـ ١١٤)، ومنظور حسين في تحفة عوام مقبول (٤٢٣، ٤٢٤)، وغيرهم كثير.

(٢) قرة العيون للكاشاني (٤٣٢ ـ ٤٣٣).

(٣) ينظر: تفسير العياشي (٢/١١٦)، وبحار الأنوار (٢٧/٥٨).

(٤) إكمال الدين لابن بابويه الملقب بالصدوق (٢٤٦)، ومقدمة البرهان للعاملي (٢٩٤).

(٥) إيقاظ من الهجعة بتفسير البرهان على الرجعة للحر العاملي (٢٨٧).

١١ ـ «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»، لمهدي رزق الله.

١٢ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

١٣ ـ «عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة الكرام»، لناصر بن علي عائض حسن الشيخ.

١٤ ـ «فضائل الصحابة»، لأحمد بن حنبل.

١٥ ـ «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب»، لابن المبرد الحنبلي.

١٦ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

عمرو بن العاص رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيد ـ بالتصغير ـ بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، أمير مصر، يُكنَّى أبا عبد الله وأبا محمد[1].

مولده ووفاته:

توفي الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه بمصر سنة نيف وأربعين، وقيل بعد الخمسين[2]. وذكر ابن كثير أنه توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة[3].

وذكر ابن سعد أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال حين حضرته الوفاة: «أجلسوني. فأجلسوه. فأوصى: إذا رأيتموني قد قُبضت، فخذوا في جهازي وكفنوني في ثلاثة أثواب، وشدوا إزاري فإني مخاصم، وألحدوا لي وشنوا علي التراب، وأسرعوا بي إلى حفرتي. ثم قال: اللَّهُمَّ إنك أمرت عمرو بن العاص بأشياء فتركها، ونهيته عن أشياء فارتكبها. فلا إله إلا أنت. لا إله إلا أنت ـ ثلاثًا ـ، جامعًا يديه معتصمًا بهما حتى قبض»[4].

وهذا من علامات حسن الخاتمة، كيف لا وهو من الصحابة الموعودين جميعًا بالجنة، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

إسلامه:

اختلف في وقت إسلامه على **عدة أقوال**:

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٤٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ] والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٥٨) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٥٠) [دار الجيل، بيروت ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٤٢٣).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٥٨).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٤٢)، بلا سند.

القول الأول: أنه أسلم قديمًا في الحبشة على يدي النجاشي إثر وعظه إياه، وذلك حين أرسلته قريش إلى النجاشي لرد المهاجرين الأولين من الحبشة إلى مكة، وهذا القول عزاه الحافظ ابن حجر إلى الزبير بن بكار والواقدي[(١)]، وأشار الحافظ ابن كثير إليه بقوله: «وهو الذي أرسلوه إلى النجاشي ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده، فلم يجبهم إلى ذلك لعدله، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك، فيقال: إنه أسلم على يديه»[(٢)].

القول الثاني: أنه أسلم بين الحديبية وخيبر[(٣)].

القول الثالث: أنه أسلم قبل فتح مكة في صفر، سنة ثمان[(٤)]، وجزم به الذهبي فقال: «هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلمًا في أوائل سنة ثمان، مرافقًا لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي ﷺ بقدومهم وإسلامهم، وأمّر عمرًا على بعض الجيش، وجهّزه للغزو»[(٥)].

ورجحه الحافظ ابن كثير بقوله: «والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري»[(٦)].

وجزم به الحافظ ابن حجر في الإصابة[(٧)]، ولكنه في التقريب قال: «عمرو بن العاص بن وائل السهمي الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية»[(٨)].

وذكر ابن سعد أن إسلام عمرو رضي الله عنه قديم، وكان في الحبشة، ولكن تأخر قدومه إلى النبي ﷺ حتى شهر صفر سنة ثمان للهجرة، فقال: «أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي، ثم قدم المدينة على رسول الله ﷺ مهاجرًا في هلال صفر، سنة ثمان من الهجرة»[(٩)].

فضائله:

- شهادة النبي ﷺ له بالإيمان الصادق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام**»[(١٠)].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٥٠).
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٥٨).
(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٥٠).
(٤) انظر: المصدر نفسه.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٥).
(٦) البداية والنهاية (١١/ ١٥٨).
(٧) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٥٠).
(٨) تقريب التهذيب (رقم ٥٠٥٣).
(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٤٢).
(١٠) أخرجه أحمد (١٣/ ٤٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٠٥٣) وصححه، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٩٠، رقم ١٥٦) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ].

رسول الله ﷺ يقول: «**أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاصي**»[(١)].

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن عمرو بن العاصي من صالحي قريش**»[(٢)].

مكانته:

عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت له منزلة كبيرة ودرجة عالية بين الصحابة رضي الله عنهم فقد كان إضافة إلى تدينه وورعه فارسًا شجاعًا مقدامًا مع ذكاء وحصافة عقل، ترجم له الإمام الذهبي فذكر أنه «داهية قريش، ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم»[(٣)].

ومما يدل على مكانة عمرو في الإسلام أنه كان موضع ثقة عند النبي ﷺ، حيث استعمله على غزوة ذات السلاسل، وبعثه يوم فتح مكة إلى هذيل لهدم صنمها سواع فهدمه، وبعثه أيضًا إلى جيفر وعبد ابني الجلندا ـ وكانا من الأزد بعُمان ـ يدعوهما إلى الإسلام، فقبض رسول الله ﷺ وعمرو رضي الله عنه بعُمان، فخرج منها فقدم المدينة، وحظي بالمكانة العلية أيضًا عند أبي بكر الصدِّيق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، فبعثه الصدِّيق أحد الأمراء إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها، وشهد اليرموك. وولَّاه عمر بن الخطاب فلسطين وما والاها، ثم كتب إليه أن يسير إلى مصر، فسار إليها في المسلمين وهم ثلاثة آلاف وخمس مائة، ففتح مصر وولَّاه عمر عليها إلى أن مات. وولَّاه عثمان بن عفان مصر سنين، ثم عزله، ثم انضم إلى معاوية بعد مقتل عثمان، وشهد معه صفين، ولما تولى معاوية الخلافة ولَّاه إمرة مصر، واستمر عليها حتى وفاته في خلافة معاوية[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- إرسال قريش عمرو بن العاص إلى النجاشي لاسترداد المهاجرين.

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه قبل أن يسلم من كبراء قريش وذوي النفوذ فيهم، ولما اشتدّ أذى الكفار على المسلمين أشار النبي رضي الله عنه إليهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن بها ملكًا عادلًا، فهاجر بعض الصحابة رضي الله عنهم إليها، ولما بلغ خبرهم المشركين أرسلوا إلى

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٤) وقال: ليس إسناده بالقوي، وأحمد (٢٨/ ٦٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٨٨، رقم ١٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٥)، وأحمد (٣/ ٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، قال الترمذي: ليس إسناده بمتصل، وقوَّاه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٦٥٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٥).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٤٢)، وتاريخ خليفة بن خياط (٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

النجاشي وفدًا ـ منهم عمرو بن العاص رضي الله عنه ـ يحملون هدايا إلى النجاشي ويطلبون منه طرد هؤلاء المهاجرين من بلده، وقد روى القصة غير واحد، منهم الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلًا، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمَّارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه، وعن شماله، ثم قالا له: إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟ قال: هم في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلَّم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنَّا لا نسجد إلَّا لله عز وجل، قال: وما ذاك؟ قال: إن الله عز وجل بعث إلينا رسوله ﷺ، وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل، هو كلمة الله وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد، قال: فرفع عودًا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحبًا بكم، وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما»[(١)].

موقف المخالفين منه:

وجه الروافض طعونهم الكثيرة نحو عمرو بن العاص، فرموه بشتى أنواع التهم[(٢)]، **وفيما يلي نماذج منها:**

أولًا: يزعم الروافض أن عمرو بن العاص كان شانئًا للنبي ﷺ، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر][(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٧/٤٠٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].
وأورده ابن كثير في كتاب السيرة (٢/٩ ـ ١١) [دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ]، وقال: «وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن»، وحسنه ابن حجر في الفتح (٧/١٨٩) [دار المعرفة]، وأورده الألباني في صحيح السيرة (١٦٤) [المكتبة الإسلامية، عمّان، ط١]، وقال بعد أن نقل تحسين الحافظ له: «وهو الأقرب».

(٢) انظر: موقف الشيعة الإمامية الاثني عشرية من الصحابة رضي الله عنهم لعبد القادر صوفي (١٣٦٢) وما بعدها.

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٨٧) [مؤسسة انتشارات، ط١، ١٣٦٣هـ].

ثانيًا: يزعمون أنه عدو لله ولرسوله ﷺ وأهل البيت[١].

ثالثًا: يزعمون أنه كاذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ[٢].

رابعًا: أنه لما مات إبراهيم هجا عمرٌو النبيَّ ﷺ بثمانين بيتًا، فلعنه النبي ﷺ بكل بيت سبعين لعنة[٣].

خامسًا: زعمهم أنه رأس النفاق والشقاق[٤].

الرد عليهم:

لا شك أن جميع هذه الطعون فاسدة كاسدة؛ لكونها أكاذيب ملفقة وافتراءات مختلقة، ليس لها دليل يسندها ولا برهان يسعفها، وإنما حاكتها نفوس مليئة بالحقد والضغينة تجاه الصحابة، وساقتها أذهان عشعش فيها حب الأهواء المضلة وإيثار الغواية على الرشاد والهداية، فكل ما نسبوه إليه هو منه براء.

أما قولهم بنزول آية الكوثر فيه وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] فكذب مكشوف وادِّعاء زائف؛ لما جاء في سبب نزول الآية، وليس فيه أنه عمرو بن العاص، فقد روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه. قال: فأنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]، وأنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢﴾ [النساء]»[٥].

هذا ما نص أهل العلم على صحته في سبب نزول الآية، وهناك أقوال معزوة إلى بعض السلف في أن الآية نزلت في أناس من قريش، كأبي لهب، وعقبة بن أبي معيط، وأبي جهل، وغيرهم، وليس فيهم عمرو بن العاص[٦].

وقد جاء في كتبهم ما يكذب قولهم بنزول آية الكوثر في عمرو بن العاص،

---

(١) انظر: الخصال للصدوق (١١٤) [منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٣هـ].

(٢) انظر: كتاب سليم ابن قيس (٢٧٨) [تحقيق: محمد باقر الأنصاري].

(٣) انظر: كتاب سليم ابن قيس (٢٧٨)، والصراط المستقيم لعلي العاملي البياضي (٣/ ٥١) [المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية].

(٤) انظر: الاحتجاج للطبرسي (١/ ١٠١) [دار النعمان، النجف، ١٣٨٦هـ] وانظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٨/ ١٩٦) [مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ].

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ١٤٢) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٨/ ٥٠٤) [دار طيبة، ط٢]، والألباني في صحيح السيرة (٢٢٥).

(٦) انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩٧ ـ ٧٠٠)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٤).

فقد جاء في شرح البلاغة: «ويلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر؛ لأنه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غدًا، فينقطع ذكره، يعني رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يكن له ولد ذكر يعقب منه، أنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾»[١]. فقد نقل المجلسي رواية، وفيها: «وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم مات عبد الله بمكة، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾»[٢].

ويقول الأميني: «أبوه هو الأبتر بنص الذكر الحميد ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾، وعليه أكثر أقوال المفسرين والعلماء وفي بعض التفاسير، وإن جاء ترديد بينه وبين أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي معيط وغيرهم، إلا أن القول الفصل ما ذكره الفخر الرازي من أن كلّا من أولئك كانوا يشنؤون رسول الله، إلا أن ألهجهم به وأشدهم شنِئة العاص بن وائل. فالآية تشملهم أجمع، ويخص اللعين بخزي آكد، ولذلك اشتهر بين المفسرين أنه هو المراد»[٣].

وأمَّا رميهم إيَّاه بالنفاق والعداء لله ورسوله ﷺ وأهل البيت واتهامه بالكذب على الله ورسوله بسبب مشاركته في التحكيم بين علي ومعاوية، وأنه هجا النَّبي ﷺ فلعنه لعنًا كثيرًا فهذه كلها معلومة البطلان؛ لمنافاتها حقيقة الإيمان الذي شهد به النَّبي لعمرو بن عاص كما تقدم في فضائله.

قال ابن تيمية: «وقد علم أن معاوية وعمرو بن العاص وغيرهما كان بينهم من الفتن ما كان، ولم يتهمهم أحد من أوليائهم، لا محاربوهم، ولا غير محاربيهم: بالكذب على النبي ﷺ بل جميع علماء الصحابة والتابعين بعدهم متفقون على أن هؤلاء صادقون على رسول الله، مأمونون عليه في الرواية عنه، والمنافق غير مأمون على النبي ﷺ، بل هو كاذب عليه، مكذب له. وإذا كانوا مؤمنين، محبِّين لله ورسوله: فمن لعنهم فقد عصى الله ورسوله»[٤].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٤)، لابن حجر.

٢ ـ «الإيضاح»، للفضل بن شاذان.

٣ ـ «البداية والنهاية» (ج١١)، لابن كثير.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦/ ٢٨٢) [دار إحياء الكتب العربية].

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/ ١٦٦).

(٣) الغدير للأميني (٢/ ١٢٠) [دار الكتاب العربي، ط٤].

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ٦٦) [تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ].

٤ ـ «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين»، لمحمد أمحزون.

٥ ـ «الخصال»، للصدوق.

٦ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٣)، للذهبي.

٧ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٧)، لابن سعد.

٨ ـ «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر عطا صوفي.

٩ ـ «النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم»، لابن العربي.

١٠ ـ «تاريخ خليفة بن خياط».

العمل الصالح

التعريف لغةً:

العمل: من مادة (ع ـ م ـ ل)، قال ابن فارس: «العين والميم واللام أصلٌ واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل»[١].

وقال المناوي: «العَمل: كل فعل من الحيوان بِقَصد، فهو أَخَصّ من الفعل»[٢].

والصَّالح: من الصلاح، وهو نَقيض الفَساد[٣]. فالعمل الصالح: هو الفعل الجيد الذي ليس فيه فساد.

التعريف شرعًا:

العمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله، وهو الطاعة، وهو العمل المشروع المسنون[٤]. والعمل الصالح هو: «سُنَّة رسول الله ﷺ باطنها وظاهرها، قولها وعملها، في الأمور العلمية والعملية مطلقًا»[٥]. وأصل العمل الصالح عبادة الله وحده لا شريك له[٦].

وقيل: «العمل الصالح هو العمل المراعى من الخلل»[٧]، وهذا التعريف يجب تقييده بالعمل الشرعي.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنيان متوافقان في الأصل، إلا أن الشرع خصص العمل الصالح بطاعة الله ﷻ، ورسوله ﷺ.

الحكم:

العمل الصالح بحسب دليله، قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًّا.

المنزلة:

العمل داخل في مسمى الإيمان؛ إذ لا يكفي في الإيمان مجرد التصديق، بل العمل جزء من الإيمان، ولا يكون المرء

---

(١) مقاييس اللغة (٤/١٤٥) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ].

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٢٧) [دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (١/٣٨٣) [دار العلم للملايين، ط٣]، وتهذيب اللغة (٤/٢٤٣) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٣/٣٠٣).

(٤) انظر: الاستقامة (٢/٢٢٨) [مكتبة ابن تيمية].

(٥) اقتضاء الصراط (٢/٦٢٣) [مكتبة الرشد، ط٣].

(٦) انظر: الاستقامة (١/٢٢٣).

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٢٧).

مؤمنًا إلا بالتصديق المقرون بالعمل، والعمل الصالح يزيد من إيمان المرء[(١)]، ويرفع درجته عند الله، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

۞ الشروط:

للعمل كي يكون صالحًا شروط؛ هي:

١ ـ أن يكون مشروعًا مأمورًا به.

٢ ـ الإخلاص، بأن يقصد به وجه الله، كما قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

٣ ـ أن يكون مبنيًّا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧][(٢)].

۞ الأقسام:

العمل الصالح أقسام: منه ما هو ركن للإسلام كالصلاة والصيام والزكاة، ومنه ما هو واجب كسائر ما أوجب الله على عباده من الطاعات، ومنه ما هو مُستحب كالسُّنن والنوافل من نافلة الصلاة والصيام، والصدقة وغيرها.

۞ الثمرات:

ثمار العمل الصالح كثيرة؛ منها:

١ ـ أنه سبب لدخول الجنة، ورضا الرحمٰن.

٢ ـ أنه يكفِّر الذنوب حتى الكبائر.

٣ ـ أنه سبب لمحبة الناس له وثنائهم عليه.

٤ ـ أنه سبب للراحة النفسية، والسعادة في الدارين[(٣)].

۞ المصادر والمراجع:

١ ـ «الآداب الشرعية» (ج١)، لابن مفلح.

٢ ـ «الاستقامة» (ج١)، لابن تيمية.

٣ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لمجموعة من العلماء.

٤ ـ «أضواء البيان» (ج٢)، للشنقيطي.

٥ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٦ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج١)، لابن كثير.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٧، ٨)، لابن تيمية.

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة (٢٤٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٨٨) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، ومنهاج السُّنَّة (٥/ ١٧٣) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، وأضواء البيان (٢/ ٤٤٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦١) (٨/ ٢٨٤).

٩ ـ «منزلة العمل من الإيمان»، لصالح العقيل [بحث منشور].

عموم الرسالة

يراجع مصطلح (الرسل).

العهد بالإمامة

يراجع مصطلح (الإمامة).

العيافة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «العين والياء والفاء أصلٌ صحيح واحد يدلّ على كراهة. وعاف الشيء يعافه عيفًا وعيافة وعيافًا وعيفانًا: كرهه فلم يشربه طعامًا أو شرابًا»[1].

والعيافة: مصدر الفعل عاف يعيف عيفًا؛ إذا زجر وحدس وظنّ، وقد غلب على كراهية الطعام. ويقال: عافت الطير؛ إذا كانت تحوم على الماء وعلى الجيف تعيف عيفًا، وتتردد ولا تمضي، تريد الوقوع، فهي عائفة. والعائف: الذي يعيف الطير فيزجرها، وربما قيل للمتكهن: عائف[2].

التعريف شرعًا:

زجر الطير والتفاؤل أو التشاؤم بأسمائها وأصواتها وأعمارها وممراتها، والاستدلال بذلك على الحوادث واستعلام ما غاب[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي للعيافة أوسع من المعنى الشرعي؛ إذ إن الشرعي هو جزء منه، وهو يتضمن معنى الكراهة، وذلك أن يرى غرابًا، أو طائرًا، أو غير ذلك فيتطير به، ويقع في نفسه الكراهة[4]، فالمعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي.

الأسماء الأخرى:

الطيرة.

الحكم:

العيافة من الأمور المحرمة شرعًا، وهي من كبائر الذنوب، وذلك لأنها جبت، وهو من جملة السحر والطيرة والكهانة، وكل هذه مما تضافرت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على حرمتها والنهي عنها.

(١) مقاييس اللغة (٤/١٩٦) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/٢٥٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، وتهذيب اللغة (٣/١٤٧) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (٩/٢٦١) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، ومقاييس اللغة (٤/١٩٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٣٠) [دار إحياء التراث العربي]، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٣/٣٠٧) [دار الكتب العلمية]، والمسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية (٢/٨٥٥).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤/١٩٧).

الحقيقة:

زجر الطير للتشاؤم بها أو التفاؤل، والاستدلال بأسمائها وأصواتها وأعمارها وممراتها وأحوالها على الحوادث، واستعلام ما غاب عنهم، والاعتبار في ذلك غالبًا بأسمائها؛ كما يتشاءم بالعُقاب على العِقاب، وبالغراب على الغربة، ونحوها. فحقيقتها التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان، والفكر فيه بعد مغيبه، والعيافة نوع من أنواع التطير[(١)].

الأدلة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وعن قبيصة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وأما تلك الحكايات المتضمنة لإصابتهم في بعض الأحوال، فليست بأكثر من الحكايات عن أصحاب الكشف، والفأل، وزجر الطائر، والضرب بالحصى، والطرق، والعيافة، والكهانة، والخط، والحدس، وغيرها، من علوم الجاهلية، وأعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل؛ كالفلاسفة، والمنجمين، والكهان، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل النبي ﷺ، فإن هذه كانت علومًا لقوم ليس لهم علم، بما جاءت به الرسل»[(٣)].

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «والطيرة والعيافة من سُنَّة الجاهلية التي نسختها السُّنَّة النبوية؛ لأنها من مفسدات الفطرة»[(٤)].

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله: «ولا خلاف بين العلماء في منع العيافة، والكهانة، والعرافة، والطرق، والزجر، والنجوم، وكل ذلك يدخل في الكهانة؛ لأنها تشمل جميع أنواع ادعاء الاطلاع على علم الغيب»[(٥)].

الفروق:

هناك فروق عدة بين العيافة والطيرة، **يمكن إجمالها في ما يلي**[(٦)]:

---

(١) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٣/ ٣٠٧)، وحاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم (١٩٥) [دار الكتب العلمية]، والقول المفيد (١/ ٥١٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ]، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ (٣٠٨) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٩٠٧)، وأحمد (٢٥/ ٢٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب النجوم والأنواء، رقم ٦١٣١)، وقد اختلف أهل العلم في تضعيفه وتصحيحه، فحسَّنه النووي في رياض الصالحين (٤٠٩) [مكتبة المورد، ط١، ١٤٢٢هـ]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ١٧٩٤) [مكتبة المعارف].

(٣) مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٦٦) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) تفسير المنار (٤/ ١٧١).

(٥) أضواء البيان (١/ ٤٨٢).

(٦) انظر: حاشية ابن قاسم (١٩٥)، والتمهيد لشرح =

١ ـ العيافة تكون بالطير فقط، أما الطيرة فهو اسم عام لما فيه تشاؤم أو تفاؤل بشيء من الأشياء فتكون بالطير، والوحش، والزمان والمكان، والأشخاص، والأرقام، وغير ذلك.

٢ ـ الطيرة قد لا يعمد إليها الإنسان بل قد توافقه وتصادفه دون أن يعمد إليها، بخلاف العيافة فإنها تقصد حيث تزجر الطير وينشأ عن ذلك ما ينشأ من تفاؤل أو تشاؤم.

٣ ـ العيافة والطيرة يتفقان في تأثيرهما في القلوب، فهما قد يوجبان إمضاءً أو ردًّا.

العيافة والسحر:

العيافة من السحر، وذلك أن العيافة يستند فيها الإنسان إلى أمر لا حقيقة له؛ فماذا يعني كون الطائر يذهب يمينًا أو شمالًا أو أمامًا أو خلفًا؛ فهذا لا أصل له، وليس بسبب شرعي ولا حسي، فإذا اعتمد الإنسان على ذلك؛ فقد اعتمد على أمر خفي لا حقيقة له، وهذا سحر[(١)].

وإنما كانت من السحر؛ لأنّ السحر شيءٌ خفيٌّ يؤثر في النفوس، والعيافة من التأثر بالطير وبزجرها وبانتقالها من هنا إلى هنا، أو بحركاتها شيء خفي دخل في النفس فأثر فيها من جهة الإقدام أو الكف، فكانت نوعًا من السحر لأجل ذلك[(٢)].

الآثار:

١ ـ الوقوع في براثن الشرك بالله تعالى، والذي لا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة.

٢ ـ إساءة الظن بالله تعالى، والطعن في قدرته، وعلمه سبحانه بالغيب، وهذا من أعظم الذنوب أثرًا على العائف، أو من طلب العيافة.

٣ ـ التشبه بأعمال الجاهلية، وقد جاء الوعيد الشديد فيمن تشبَّه بالكفار.

الحكمة:

نُهي عن العيافة؛ لما فيها من تعلق القلوب بغير الله تعالى، والنظر والالتفات إلى الأسباب التي لم يشرعها الله تعالى، ولا أمر بها رسوله ﷺ، وذلك كله من الشرك بالله تعالى.

وفي تعاطي العيافة تشبُّه بأهل الجاهلية، وقد نهينا عن التشبّه بهم؛ لأن في ذلك وعيدًا شديدًا، والمطلوب شرعًا وعقلًا اتقاء كل ما فيه وعيد من الله تعالى.

= كتاب التوحيد (٣٠٨)، والطيرة لمحمد بن إبراهيم الحمد (١١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥١٧).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٠٨).

المصادر والمراجع:

١ ـ «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»، للآلوسي.

٢ ـ «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية»، لإدريس محمود إدريس.

٣ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

٤ ـ «رسائل في العقيدة»، محمد إبراهيم الحمد.

٥ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٦ ـ «المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية»، لمحمد بن عبد الوهاب، [مع شرحها ليوسف السعيد].

٧ ـ «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

٨ ـ «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال بنت عبد العزيز العمرو.

٩ ـ «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

عيسى عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو: عيسى ابن مريم بنت عمران؛ لأن الله نسبه إلى مريم، وذكر سبحانه أنها مريم بنت عمران، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ [التحريم: ١٢].

معنى اسمه لغة:

قال الأزهري: «عيسى: اسم أعجمي عُدل عن لفظه بالأعجمية إلى هذا البناء، وهو غير مصروف في المعرفة؛ لاجتماع العجمة والتعريف فيه... فأما اسم نبي الله ﷺ فمعدول عن: أيسوع، كذا يقول أهل السريانية»[(١)]. وقال الجوهري: «وعيسى: اسم عبراني أو سرياني»[(٢)]. ولفظ (عيسى) بالسريانية: يشوع[(٣)].

مولده ونشأته:

مولده:

لقد كان حمل مريم بعيسى آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته سبحانه وتعالى، وقد ذكر الله لنا في كتابه قصة حملها به وولادتها إياه، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ

(١) تهذيب اللغة (٣/ ٦٠، ٦١) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٢) الصحاح (٣/ ٩٥٥).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ١٨٨) [دار إحياء التراث العربي، بيروت] وتعليق الدكتور ف. عبد الرحيم على المعرّب من كلام الأعجمي للجواليقي (٤٥٢) الفقرة (٤٤٩، ٤٥٠) [دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ].

إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم].

وكان مولد عيسى في بيت لحم بفلسطين، قريبًا من بيت المقدس[(١)]، وهذا المكان ـ على الراجح ـ هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون]، فقد روى عبد الرزاق بإسناد صحيح[(٢)] عن قتادة أنه قال في تفسير الآية: «ذات ثمار وماء، وهي بيت المقدس»[(٣)]، ورجحه ابن كثير[(٤)]، وقال السعدي: «﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]؛ أي: مكان مرتفع، وهذا ـ والله أعلم ـ وقت وضعها»[(٥)].

وبعد الولادة جاءت بابنها إلى قومها تحمله، فاستغربوا من إنجابها ولدًا من غير أن يكون لها زوج، فذكّروها بطهارتها وطهارة أسرتها عن الفواحش، فأشارت إلى طفلها، ليجيب عن هذه الأسئلة، فنطق الطفل بأمر الله، وبيّن حقيقته ووظيفته. قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/ ٥٣٣) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ] وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٤٨١) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، وفبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٤٧) [دار إيلاف الدولية، ط١].

(٢) انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٣/ ٤٣٢) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط١].

(٣) رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢/ ٤١٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، والطبري في تفسيره (١٧/ ٥٨) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٧٧) [دار طيبة، ط٢].

(٥) تفسير السعدي (٥٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١].

نشأته:

لم نقف على شيء يمكن الاعتماد عليه في بيان نشأة عيسى عليه السلام، ولكن قيل: إن عيسى عليه السلام نشأ في مصر بناء على تفسير الربوة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] أنها مصر، حيث وصل الملك الذي كان في زمان عيسى خبر مفاده أن نهاية ملكه سيكون على يدي نبي سيولد عن قريب، فأصبح يلاحق المواليد ويفتك بهم، ففرَّت مريم بابنها إلى مصر، وبقيت هناك إلى أن مات الملك هيرودس، ثم رجعت إلى الغوطة بدمشق[(١)].

نبوته:

نصَّ الله تعالى على نبوَّة عيسى عليه السلام وكونه رسول الله في آيات عديدة، منها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وعن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنَّة حق والنَّار حق أدخله الله الجنَّة على ما كان من العمل**»[(٢)].

دلائل نبوته:

لقد أعطى الله نبيه عيسى جملة من آيات نبوته ودلائل رسالته، قال الله تعالى: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران]، وقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/٣٥١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ]، وفبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٨).

وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة]، فقد دلَّت هذه الآيات على طائفة من معجزاته وجملة من دلائل نبوته، وهي: الخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه الروح فيكون طيرًا بإذن الله، إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، والإخبار بما يأكلون وما يدَّخرون، وكلامه في المهد.

كتابه:

أنزل الله على نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام الإنجيل، كما قال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة]، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقد جاء في السُّنَّة تحديد وقت نزول الإنجيل، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[1].

دعوته:

كانت دعوة عيسى عليه السلام إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، والحث على تقوى الله وخشيته وطاعة رسوله، وتحليل بعض ما حُرّم على بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران].

قومه وموقفهم منه:

قومه هم بنو إسرائيل، وقد انقسموا تجاه دعوته إلى قسمين: مؤمنين به مقرّين بنبوته، وكافرين جاحدين لرسالته، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ

(١) أخرجه أحمد (٢٨/١٩١) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/١١١) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٩٧) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داور القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات)، وحسَّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٠٤، رقم ١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط١].

مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف].

وفاته:

دلَّت النصوص من كتاب الله والسُّنَّة المتواترة، وإجماع الأُمَّة على أن نبي الله عيسى عليه السلام لم يزل حيًّا في السماء الثانية[(١)]، وسينزل في آخر الزمان إلى الأرض، ويحكم بشريعة النَّبي محمد ﷺ، ويقتل الدجال، ويضع الجزية، ويكسر الصليب، ويؤمن به أهل الكتاب ويستكمل بقية عمره ثم يموت، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء]؛ أي: قبل موته الذي سيقع بعد نزوله من السماء في آخر الزمان، فهذه الآية تدل على أن عيسى ابن مريم حي الآن، قال ابن كثير في تفسيرها: «أي: وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة»[(٢)]. فالضميران في (به) و(موته) عائدان إلى عيسى ابن مريم على القول الصحيح[(٣)].

(١) انظر: المسألة الثالثة تحت فقرة: المسائل المتعلقة.
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧).
(٣) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ٩٣) [دار الصميعي، ط٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١].

قال ابن كثير: «وقرئ: (عَلَمٌ) بالتحريك؛ أي: إشارة ودليل على اقتراب الساعة؛ وذلك؛ لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**»[(٥)].

قال الحافظ ابن كثير في أحاديث نزول عيسى عليه السلام: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية، وأبي سريحة، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام، بل بدمشق، عند المنارة الشرقية[(٦)]، وأن ذلك يكون عند إقامة

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٤، ٤٦٥).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٢٢٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).
(٦) كما عند مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

الصلاة للصبح»[١][٢].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: رفعه إلى السماء بروحه وجسده:

لقد رفع الله نبيّه عيسى عليه السلام إلى السماء حيًّا حينما أراد اليهود قتله، وألقى شبهه على رجل آخر فقتلوه؛ ظنًّا منهم أنه عيسى ابن مريم عليه السلام، وأشاعوا ذلك، فكذَّبهم الله بقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]؛ أي: أني رافعك إليّ، ثم متوفيك بعد ذلك، فهذا فيه تقديم وتأخير، كما جاء عن قتادة وغيره[٣]. قال السعدي: «فرفع الله عبدَه ورسولَه عيسى إليه، وألقى شبهه على غيره، فأخذوا من أُلقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباؤوا بالإثم العظيم؛ بنيتهم أنه رسول الله»[٤].

ـ المسألة الثانية: نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وحكمه بشريعة الإسلام:

دلَّت النصوص من كتاب الله والسُّنَّة المتواترة عن رسول الله ﷺ على نزول عيسى في آخر الزمان، وحكمه بشريعة الإسلام.

ـ المسألة الثالثة: مكان عيسى عليه السلام في السماوات:

جاء في صحيح السُّنَّة ما يحدد مكان عيسى عليه السلام في السماوات، وهو السماء الثانية، وذلك في حديث مالك بن صعصعة الطويل في الإسراء والمعراج عن النبي ﷺ، وفيه: «ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء، جاء ففتح، فلمَّا خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما، فسلمت فردّا، ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح»[٥].

ـ المسألة الرابعة: المضطربون في نسب عيسى:

طعن اليهود في نسب عيسى عليه السلام، فزعموا أنه ابن زنا، وتذبذب النصارى؛

(١) كما عند ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٦١) [دار طيبة، ط٢]: هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه.
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٤).
(٣) انظر: المرجع السابق (٢/ ٤٦).
(٤) تفسير السعدي (١٣٢).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

فقالوا مرة إنه ابن يوسف النجار، ومرة قالوا: إنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثة، وكل هؤلاء دجَّالون أفّاكون، وقولهم مصادم لما ثبت بالكتاب والسُّنَّة من طهارة مريم وعفّتها ونقاء أصلها، فقد فضّل الله تعالى آل عمران على عالمي زمانهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران]، وأثنى الله تعالى على مريم على وجه الخصوص فقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقد دلَّت الأدلة الشرعية على أن عيسى عليه السلام مخلوق من أم فقط، وليس هذا بأعجب ممن هو مخلوق من غير أم ولا أب، وهو آدم عليه السلام، ومع ذلك فالناس مقرّون بهذا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى في مريم وابنها: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء].

وقد أخبر الله في كتابه كيفية حمل مريم بابنها عيسى فقال سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم]: «يقول تعالى مخبرًا عن مريم إنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال؛ إنها استسلمت لقضاء الله تعالى، فذكر غير واحد من علماء السلف أن الملك ـ وهو جبريل عليه السلام ـ عند ذلك نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج، فحملت بالولد بإذن الله تعالى»[1].

- **المسألة الخامسة: بشارة عيسى ابن مريم بالنبي العربي محمد ﷺ:**

لقد أخبر نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام قومه بمجيء رسول الله محمّد ﷺ وبشّر بإتيانه من بعده، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تاريخ الطبري» (ج١).

٢ ـ «تفسير الطبري».

٣ ـ «البداية والنهاية» (ج٢)، لابن كثير.

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢١).

٤ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٥).

٥ ـ «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)»، لسليم الهلالي.

٦ ـ «تفسير السعدي».

٧ ـ «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، لحمود التويجري.

٨ ـ «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سِيَر وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»، لعثمان الخميس.

٩ ـ «قصص الأنبياء»، للنجار.

١٠ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

العين (صفة لله تعالى)

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «العين والياء والنون: أصل واحد يدل على عضو به يبصر ويُنظر، ثم يشتق منه، والأصل في جميعه ما ذكرنا»[(١)].

العين الناظرة لكل ذي بصر ورؤية، وهي: حاسة البصر، وتجمع على أعين، وعيون، وأعيان، وتطلق على عدة معان: العين الجارية، والعين الجاسوس، والعين الدينار، والعين المال الناض، وغيرها[(٢)].

التعريف شرعًا:

صفة ذاتية خبرية لله تعالى، نثبتها له على ما يليق بجلاله وعظمته، بل نثبت له عينين ـ كما دلَّت على ذلك الأدلة ـ على وجه الكمال والجمال، بلا خوض في الكيفية، ولا تمثيل لها بأعين المخلوقات، ولا تأويل ينفي دلائلها.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مما تقدم من التعريفين تتبين العلاقة بينهما، وأنهما دالَّان على محل الإبصار، لكن التعريف الشرعي هنا مختص بوصف الله تعالى، وهذا يقتضي حمله على غاية الكمال والجمال، والوقوف عنده فقط دون الخوض في الكيفية.

الحكم:

وجوب إثبات أن لله تعالى عينين تليقان به، هما غاية في الكمال والجمال، لا نقص فيهما بوجه من الوجوه، ولا تماثل أعين المخلوقين.

الأدلة:

قول الله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ١٩٩) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٦/ ٢١٧٠) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ومقاييس اللغة (٤/ ١٩٩).

﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور** ـ وأشار بيده إلى عينه ـ **وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾ [النساء]، رأيت النبي ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]: «بعين الله تبارك وتعالى»[(٣)].

وقال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا على ما ثبّته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه ﷺ، قال الله جل جلاله لنبيه نوح صلوات الله عليه: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال جل وعلا: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال عز وجل في ذكر موسى ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه]، وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]، فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه»[(٤)].

ونقل أبو الحسن الأشعري من مقالة أصحاب الحديث وأهل السُّنَّة: «وأن الله على عرشه، وأن له عينين بلا كيف»[(٥)].

ونقل ذلك عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية[(٦)].

المسائل المتعلقة:

الثابت لله عز وجل عينان تليقان بجلاله وعظمته، ويدل على ذلك حديث وصف الدجال بأنه أعور، ونفي العور عن الله تعالى، والعور مرض في إحدى عيني كل ذي عينين[(٧)]، فكان الحديث دليلًا ظاهرًا على وصف الله تعالى بأن له عينين تليقان بجلاله وعظمته[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٤٦٢) [مكتبة السوادي، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٦٥)، قال ابن حجر في الفتح (١٣/٣٧٣) [دار المعرفة]: (أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم)، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال (٦٤) [المكتبة الإسلامية].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٣٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١١٦) [مكتبة ألسوادي، ط١].

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٩٦) [مكتبة الرشد، ط٢، ١٤١١هـ]. وانظر: شرح السُّنَّة (١/١٥٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٥) مقالات الإسلاميين (٢٩٠) [دار فرانز شتايز، ط٣، ١٤٠٠هـ].

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٩٠).

(٧) مقاييس اللغة (٤/١٨٤).

(٨) نقض الدارمي على بشر المريسي (٣٠٥) [مكتبة =

«ووجه الدلالة أنه لو كان لله أكثر من اثنتين، لكان البيان به أوضح من البيان بالعور؛ لأنه لو كان لله أكثر من عينين، لقال: إن ربكم له أعين؛ لأنه إذا كان له أعين أكثر من ثنتين، صار وضوح أن الدجال ليس برب أبين. وأيضًا: لو كان لله عز وجل أكثر من عينين، لكان ذلك من كماله، وكان ترك ذكره تفويتا للثناء على الله؛ لأن الكثرة تدل على القوة والكمال والتمام، فلو كان لله أكثر من عينين، لبيَّنها الرسول ﷺ؛ لئلَّا يفوتنا اعتقاد هذا الكمال، وهو الزائد على العينين الثنتين»[(١)].

ولا ينافي هذا ورود العين لله تعالى بصيغة الجمع كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وبصيغة المفرد كما في قوله عز وجل: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه].

فالجمع يراد به التعظيم والمطابقة بين المضاف والمضاف إليه وهو (نا) الدال على التعظيم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، مع ورود الدليل الصريح على أن لله تعالى يدين.

وقد يقال بأن الجمع هنا لا ينافي التثنية على القول بأن أقل الجمع اثنان.

وأما صيغة المفرد فلا تعارض التثنية؛ لأن المفرد المضاف لا يمنع التعدد فيما كان متعددًا[(٢)]، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الآثار:

١ ـ الإيمان بغاية الكمال والجمال التي عليها صفات الله تعالى، فله الصفات العلا، ومن ذلك أن له عينين تليقان بعظمته وجلاله وجماله، فيثبتها المؤمن على هذا الوجه بعيدًا عن واردات التشبيه، وشبهات التعطيل.

٢ ـ التعبّد لله تعالى بمراقبته؛ فهو مطلع على عباده، لا يغيب عن بصره شيء.

٣ ـ التعبّد لله تعالى بالتوكل عليه، والتذلل بين يديه؛ فهو يحب أن يرى عبده متذللًا بين يديه، منزلًا حاجته على بابه، فيشكر له ذلك فيعطيه سؤله ويقضي حاجته ويعينه على مطلوبه، ويجزيه من الثواب أعظم مما طلب وسأل.

٤ ـ الثقة بنصر الله تعالى للمؤمنين،

= الرشد، ط١، ١٤١٨]، والتوحيد لابن خزيمة (٩٨)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٨٠) [مكتبة لينة، ط٢، ١٤١٣هـ]، والصفات الإلٰهية لمحمد أمان الجامي (٣١٧) [المكتبة الأثرية، المدينة المنورة].

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٦٣).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ]، شرح الواسطية لابن عثيمين (٢٧٠).

وانتقامه من الظالمين، فالظالم وإن امتد به الزمان سنين، فإنه لن يغيب عن عين الله تعالى، فالله تعالى يملي له حتى إذا أخذه لم يفلته.

٥ ـ انتظام أمر الكون بنظر الله تعالى له وإحاطته به، فلا يغيب عن خالقه ومدبره منه مثقال ذرة.

٦ ـ تأييد الله تعالى لأنبيائه ورسله وعباده الصالحين؛ فهو معهم يسمع ويرى، فكفى به شهيدًا، وكفى به وليًّا وكفى به نصيرًا.

٧ ـ عاقبة السوء الواقعة على أعداء الله ورسله، وإن اغتروا بامتداد زمن وظاهر زينة، إلا أن الظلم حبل مقطوع بأخذ شديد من عزيز لا تخفى عليه خافية.

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة المتأخرين، فأنكروا إثبات صفة العين لله تعالى؛ بحجة أن هذا يستلزم التشبيه والتجسيم والتركيب، وأَوَّلوا ذلك إلى معنى العلم[(١)] أو شدة الحراسة والحفظ[(٢)].

وقالوا أيضًا: إن حمل الآيات الدالة عليها على ظاهرها يقتضي المماسة والمخالطة، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه][(٣)].

الرد عليهم:

أن دعوى التشبيه والتجسيم والتركيب ما هي إلا لوازم باطلة في رد الإثبات، وإلا فالإثبات لا يلزم أي شيء من ذلك، إضافة إلى أنها ألفاظ مجملة لا يجوز أن يرد بها المحكم من النصوص الشرعية.

وقد تقدم أن إثبات العينين لله تعالى هو على غاية الكمال والجمال اللائق بالله ﷻ، دون تشبيه له بأحد من خلقه، أو تكييف بكيفية معينة، الشأن في كل صفة ثابتة لله ﷻ.

أما القول بأن إثبات ظاهر الآيات يستلزم المماسة، فهو باطل أشد البطلان؛ إذ إن المثبت من الآيات هو صفة العين، وهو معنى واضح معلوم من ظاهر الآيات، أما المماسة والممازجة أو أن تكون العين هي آلة الصنع ونحو ذلك، فكل هذا ليس من ظاهر الآيات في شيء، فلا يمكن لأحد يفهم لغة الخطاب أن يفهم من هذه الآيات هذه اللوازم الباطلة، فلا يدعى على أهل السُّنَّة أنهم أَوَّلوا الظاهر لما لم يأخذوا بهذه اللوازم؛ لأنها ليست ظاهرًا أصلًا لدلالات الآيات.

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٢٢٧) [مكتبة وهبة، ط٣].

(٢) أساس التقديس للرازي (٩٦) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٥هـ]، ومقالات الإسلاميين (١٩٥).

(٣) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (٢٧١)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٧٥).

والكلام حين يفهم منه معنى حقيقي فهو الظاهر المراد، لا استعمالات أفراد الألفاظ في معان أخر[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة»، لأبي القاسم اللالكائي.

٢ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٣ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله الغنيمان.

٤ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٥ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٦ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

٧ ـ «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، لأبي عثمان الصابوني.

٨ ـ «كتاب التوحيد»، لابن خزيمة.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «نقض الدارمي على بشر المريسي».

---

(١) وانظر في الرد: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٨٣).

العين (صفة لله تعالى)

الفهرس